

Qalqashanda



ibn 'Alī

/Kitāb subḥ al-ashā'

فهرس

الجزء الثاني عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- القسم الثاني - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
ما يكتب لأرباب الوظائف بالممالك الشامية ،
- ٥ وهي على ضربين
- ٥ الضرب الأول - من لا تصدر عنه منهم تولية في عمل نيابته ...
- » الثاني - من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته ،
- ٦ وهي سبع نيابات
- النيابة الأولى - نيابة دمشق ، ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام ،
- ٧ ووظائفها على نوعين
- النوع الأول - ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به عن
- ٨ الأبواب السلطانية على أربعة أصناف
- ٨ الصنف الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقات
- ٨ الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد في قطع الثلثين
- » الثانية - من يكتب له تقليد في قطع النصف ... ٢٤ ...
- » الثالثة - من يكتب له مرسوم ، وهي على مرتبتين ... ٢٦ ...
- المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ... ٢٦ ...
- » الثانية - من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب
- السيوف ما يكتب في قطع الثلث ... ٣٣ ...
- الصنف الثاني - من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع
- ٣٨ ما يكتب فيها توابع ، وهي على مرتبتين
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع النصف الخ ... ٣٨ ...
- » الثانية - ما يكتب في قطع الثلث الخ ... ٥٩ ...
- الصنف الثالث - توابع أرباب الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان
- ٨٦ المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع النصف الخ ... ٨٦ ...
- » الثانية - من يكتب له في قطع الثلث الخ ... ٩٩ ...

AE
2
Q3
1913
v. 12
c. 1

صفحة

- الصفحة الرابع - وظائف المتصوفة ومشايخ الخوانق ، وفيها مرتبتان ١٠١
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع الثلث الخ... ١٠١
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة الخ... ١٠٣
- النوع الثاني - من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها ١٠٤
- الطبقة الأولى - ما يكتب به مرسوم في قطع النصف ... ١٠٦
- الصفحة الثاني - ممن هم خارج دمشق أمراء العرب ، وهم على طبقتين ١١٨
- الطبقة الأولى - من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف ... ١١٨
- » الثانية - من يكتب له مرسوم شريف ، وهم على مرتبتين... ١٢٤
- المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ... ١٢٤
- » الثانية - من يكتب في قطع الثلث ... ١٣٥
- النيابة الثانية - من نيابات البلاد الشامية نيابة حلب ، ووظائفها
- التي يكتب بها من الأبواب السلطانية على نوعين... ١٤٠
- النوع الأول - من بحاضرة حلب ، وهم على أصناف... ١٤٠
- الصفحة الأول - منهم أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ... ١٤٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ... ١٤٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع الثلث ... ١٥١
- الصفحة الثاني - أرباب الوظائف الدينية بحلب ، وهم على طبقتين ١٥٥
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث الخ... ١٥٥
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة ... ١٦٠
- الصفحة الثالث - من أرباب الوظائف بحلب أرباب الوظائف
- الديوانية ، وهم على طبقتين ... ١٦٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث ... ١٦٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة... ١٦٧

صفحة

- النوع الثانى - من أرباب الوظائف بالمملكة الحليية من هو
 خارج عن حاضرتها ، وهم على أصناف ١٦٨
- الصفى الأول - أرباب السيوف ١٦٨
- » الثانى - الوظائف الدينية ١٧٤
- » الثالث - الوظائف الديوانية ١٧٥
- النباة الثالثة - نباة طرابلس ، ووظائفها التى جرت العادة بالكآبة فيها
 من الأبواب السلطانية على نوعين ١٧٦
- النوع الأول - ما هو بحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أصناف ... ١٧٦
- الصفى الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ١٧٦
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد ١٧٦
- » الثانية - من يكتب له مرسوم فى قطع الثلث ١٧٩
- الصفى الثانى - الوظائف الدينية ، وهى على مرتبتين ١٨٢
- المرتبة الأولى - من يكتب له فى قطع الثلث ١٨٢
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ١٨٧
- الصفى الثالث - الوظائف الديوانية ، وهى على مرتبتين ١٨٨
- المرتبة الأولى - ما يكتب فى قطع الثلث ١٨٨
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ١٩٤
- النوع الثانى - ما هو خارج عن حاضرة طرابلس ، وهم على ثلاثة أصناف ١٩٥
- الصفى الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ١٩٥
- الطبقة الأولى - الطبلخاناه ١٩٥
- » الثانية - العشرات ١٩٧
- الصفى الثانى - الوظائف الدينية ١٩٨
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ٢٠٠

صفحة

- النيابة الرابعة - نيابة حماة، وهي على ثلاثة أصناف ٢٠٠
- الصنف الأول - أرباب السيوف ٢٠٠
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية ٢٠٤
- النيابة الخامسة - نيابة صغد، ووظائفها على ثلاثة أصناف ٢٠٥
- الصنف الأول - أرباب السيوف، وفيه وظيفتان ٢٠٥
- الوظيفة الأولى - نيابة السلطنة ٢٠٥
- » الثانية - نيابة قلعة صغد ٢٠٨
- الصنف الثاني - أرباب الوظائف الديوانية ٢١١
- » الثالث - أرباب الوظائف الدينية ٢١١
- النيابة السادسة - نيابة غزوة، ووظائفها على صنفين ٢١٢
- الصنف الأول - أرباب السيوف ٢١٢
- » الثاني - الوظائف الديوانية بغزوة ٢١٩
- النيابة السابعة - نيابة الكرك، وأرباب الولايات فيها على أصناف ٢٢٠
- الصنف الأول - أرباب السيوف ٢٢٠
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية ٢٣٢
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ٢٣٢
- القسم الثالث - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية ما يكتب لأرباب الوظائف
- بالمملكة الحجازية، وتشتمل على ثلاث قواعد ٢٣٢
- القاعدة الأولى - مكة المشرفة، وبها وظيفتان ٢٣٣
- الوظيفة الأولى - الإمارة ٢٣٣
- » الثانية - قضاء مكة ٢٤٠
- القاعدة الثانية - المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف ٢٤٢

صفحة

- الوظيفة الأولى — الإمارة ٢٤٢
- » الثانية — القضاء ٢٥٨
- » الثالثة — مشيخة الحرم الشريف ٢٦٠
- القاعدة الثالثة — ينبع ، وبها وظيفة واحدة وهى النيابة ٢٦٢
- القسم الرابع — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية ما يقع على سبيل الدور ٢٦٥
- الفصل الثالث — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن تواب السلطنة ، وفيه طرفان ٢٨٠
- الطرف الأول — فى مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد ٢٨٠
- المقصد الأول — فى بيان من تصدر عنه الولايات من تواب السلطنة ٢٨٠
- » الثانى — فى بيان الولايات التى تصدر عن تواب السلطنة
- بالممالك الشامية ٢٨١
- » الثالث — فى افتتاحات التواقيع والمراسم بتلك الولايات ٢٨٢
- » الرابع — فى بيان الألقاب ، وفيه أصناف ٢٨٣
- الصفى الأول — أرباب السيوف ، ولألقابهم مراتب ٢٨٥
- » الثانى — أرباب الوظائف الديوانية ، وفيهم مراتب ٢٨٧
- » الثالث — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف الدينية ، وفيه مراتب ٢٩٠
- » الرابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية مشايخ الصوفية ٢٩٢
- » الخامس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أمراء العربان ٢٩٣
- » السادس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف العادية ٢٩٣
- » السابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية زعماء
أهل الذمة ٢٩٤

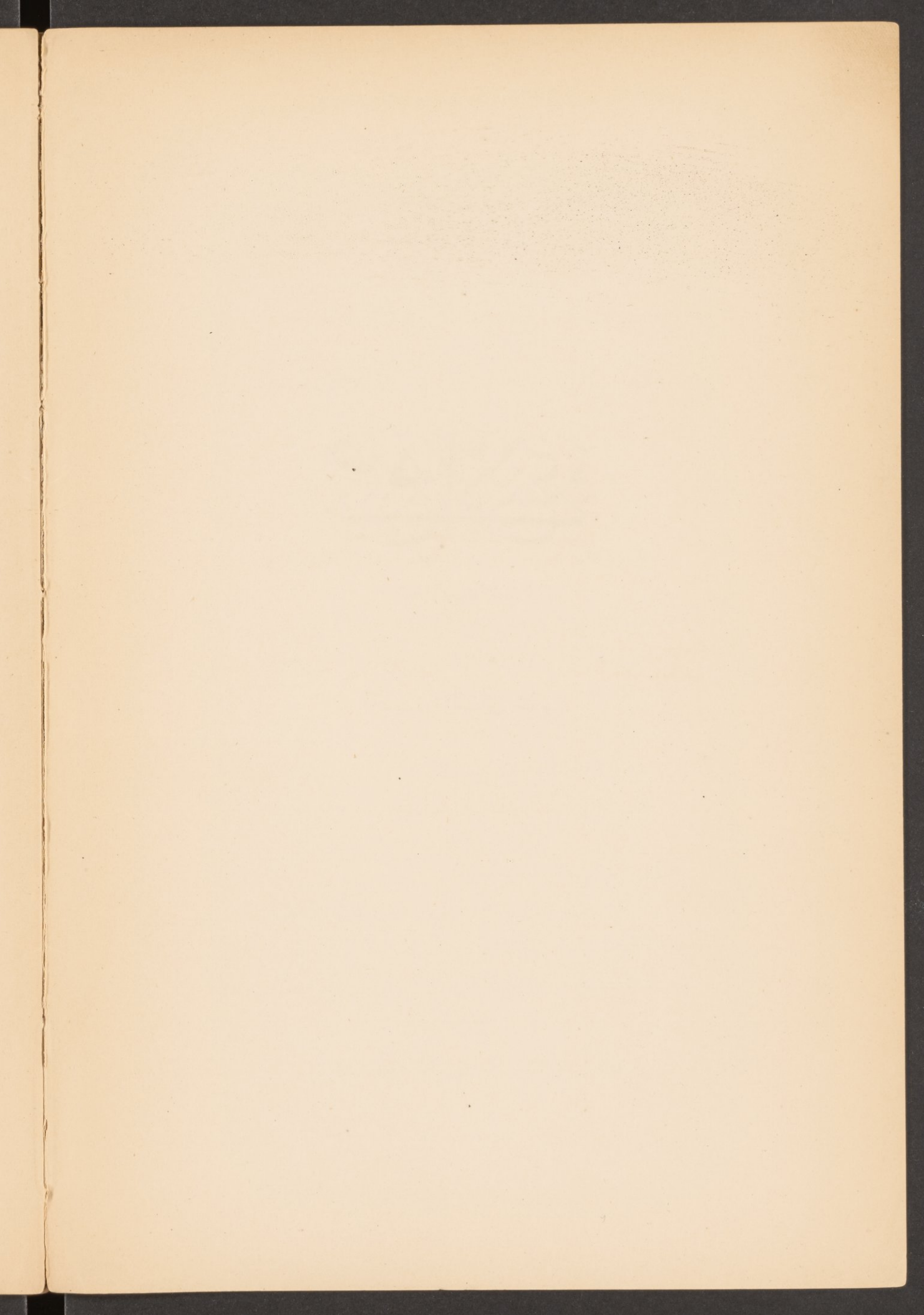
- المقصد الخامس - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب عن تواب الممالك الشامية ... ٢٩٤
- » السادس - في بيان ما يكتب في طرّة التواقيع ... ٢٩٥
- » السابع - في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع ... ٢٩٩
- الطرف الثاني - في نسخ التواقيع المكتوبة عن تواب السلطنة بالممالك الشامية، وفيه ثلاث نيبات ... ٢٩٩
- النيابة الأولى - الشام، والتواقيع التي تكتب بها على خمسة أصناف ... ٣٠٠
- الصف الأول - ما يكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين ... ٣٠٠
- الضرب الأول - ما هو بحاضرة دمشق، وهو على مراتب ... ٣٠٠
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله ... ٣٠٠
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله ... ٣٠٤
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر العالي ... ٣٠٦
- الضرب الثاني - ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب السيوف من هو بأعمال دمشق، ومواضعهم على ثلاث مراتب ... ٣١١
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله ... ٣١١
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله ... ٣١٧
- » الثالثة - ما يفتتح برسم ... ٣٢٥
- الصف الثاني - تواقيع أرباب الوظائف الدينية، وهي على ضربين ... ٣٣٧
- الضرب الأول - ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب ... ٣٣٧
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله ... ٣٣٧
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله ... ٣٥٩
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر ... ٣٧٢

صفحة	
٣٧٧	الضرب الثاني — ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين
٣٧٧	المرتبة الأولى — ما يفتح بأما بعد حمد الله
٣٧٩	» الثانية — ما يفتح برسم بالأمر
	الصنف الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ،
٣٨٣	وهي على ضربين
	الضرب الأول — ما يكتب لمن بحاضرة دمشق منهم ،
٣٨٣	وهو على ثلاث مراتب
٣٨٣	المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله
٣٩٠	» الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله
٣٩٣	» الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر الشريف
	الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرة دمشق ، وغالب ما يكتب
٤٠٤	فيها من التواقيع مفتوح برسم
٤١٠	الصنف الرابع — تواقيع مشايخ الخوانق ، وهي على ضربين
٤١٠	الضرب الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، وهي على ثلاث مراتب
٤١٠	المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله
٤١٧	» الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله
٤١٩	» الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر
	الضرب الثاني — ما هو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة واحدة
٤٢٠	وهي الافتتاح برسم
٤٢٢	الصنف الخامس — تواقيع العربان
٤٢٤	» السادس — تواقيع زعماء أهل الذمة من اليهود والنصارى
٤٢٨	النيابة الثانية — نيابة حلب
٤٥٠	» الثالثة — نيابة طرابلس

(تم فهرس الجزء الثاني عشر من كتاب صبح الأعشى)

صنعة الأسيدي

الجزء الثاني عشر



دار الكتب السلطانية

كتاب

صنح الأربعة

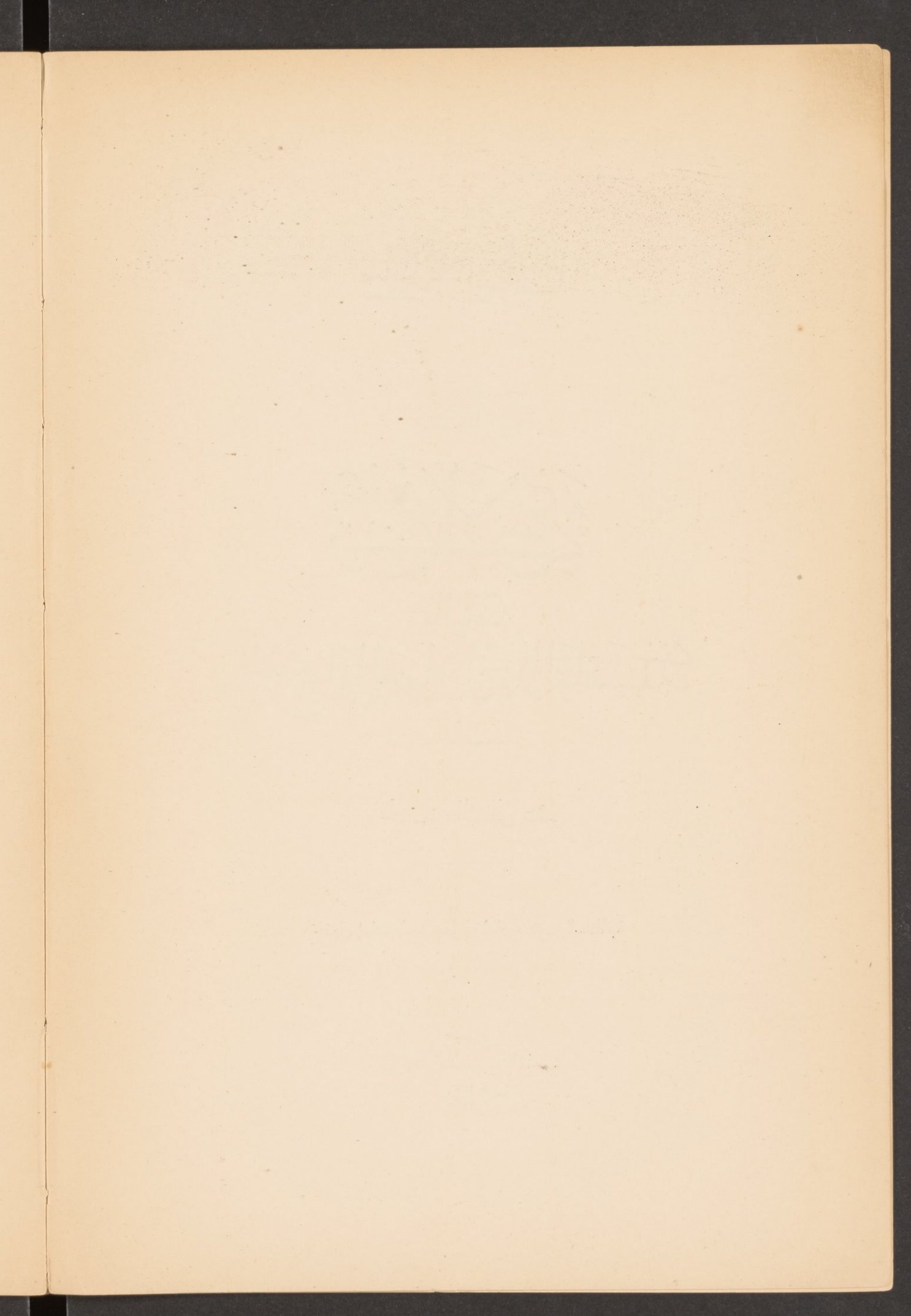
تأليف

الشيخ أبي الغبار أحمد القلقشندي

الجزء الثاني عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
س ١٣٣٦ هـ
م ١٩١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثاني

(مما يُكْتَبُ من الولايات عن الأبواب السلطانية - [ما يكتب لأ] رباب

الوظائف بالممالك الشامية)

وَأَعْلَمُ أَنَّ تُوَابِ السُّلْطَنَةِ فِي التَّوْلِيَةِ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

الضربُ الأوَّلُ

(مَنْ لَا تُصَدَّرُ عَنْهُ مِنْهُمْ تَوْلِيَةٌ فِي عَمَلِ نِيَابَتِهِ)

وَهُمْ تُوَابِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ : مِنْ النَّائِبِ الْكَافِلِ ، وَنَائِبِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَنَائِبِ
الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ ، وَنَائِبِ الْوَجْهِ الْقِبْلِيِّ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ تَصَرُّفٌ فِي وِلَايَةٍ وَلَا عَزْلٌ
لِنَائِبٍ ، وَلَا كَاشِفٌ ، وَلَا وَائِلٌ حَرْبٍ . إِنَّمَا النَّائِبُ الْكَافِلُ يَكْتُبُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ
عَلَى الْقِصَصِ ، وَالسُّلْطَانُ هُوَ الَّذِي يَبَاشِرُ الْكِتَابَةَ عَلَى الْوِلَايَاتِ بِنَفْسِهِ ، وَالنَّائِبُ
الْكَافِلُ يَكْتُبُ بِالْإِعْتِمَادِ عَلَى مَا يَكْتُبُ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ ، كَمَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ
فِي مَوْضِعِهِ .

الضرب الثاني

(من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته)

وهم نواب السلطنة بالممالك الشامية السبعة المقدم ذكرها : من النيابات الصغار،
والوظائف الديوانية، والوظائف الدينية، ووظائف مشايخ التصوف، والوظائف
العادية : كرياسة الطب ونحوها، ووظائف زعماء أهل الذمة : من رياسة اليهود،
وبطريكة النصارى، وغير ذلك .

فأما النيابات الصغار التي في أعمال النيابات العظام : فما كانت نيابته إمرة
عشرة فأكثر يولي في النواب، وربما ولى فيه السلطان . وما كانت نيابته إمرة
طبلخاناه فأكثر : يولي فيه السلطان، وربما ولى فيه النواب . وما كانت نيابته
تقدمة ألف، فولايته مختصة بالسلطان دون النواب .

وأما الوظائف الديوانية، فما كان منها صغيرا ككتابة الدرّج وما في معناها،
فأكثر ما يوليها النواب . وما كان منها جليلاً : ككتابة السرّ وما في معناها، ونظر
الجيش، ونظر المال، فتوليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين
الطرفين : ككتابة الدست ونحوها : ففي دمشق تارة يولي فيها السلطان، وتارة يولي
فيها النائب . وفيما دونها من النيابات غالب من يولي فيها النواب، وقد يولي فيها
السلطان .

وأما الوظائف الدينية، فما كان منها صغيراً : كالتدريس الصغار، والخطابات
بالجوامع الصغار، وأنظار المدارس والجوامع الصغار، ونحو ذلك، فإنه يولي فيها

النواب ولا يوتى فيها السلطان إلا نادراً . وما كان منها جليلاً : كقضاء القضاة ، فإن توليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين الرتبين : كقضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الشيوخ ، ونحو ذلك : فتارة يوتى فيها السلطان ، وتارة يوتى فيها النواب . إلا أن تولية السلطان فيها في النيابات الجبار كالشام أكثر ، وتولية النواب فيها فيما دون ذلك أكثر .

وأما مشيخة الخوانق فقد يوتى فيها السلطان ، وقد يوتى فيها النواب : إلا أن تولية السلطان في مشيخة الشيوخ بالشام أكثر ، وتولية النواب في غير مشيخة الشيوخ بدمشق وفي غيرها من وظائف الصوفية في غير دمشق أكثر .

وأما الوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ففي جميع النيابات توليتها من النواب أكثر ، وربما ولى فيها السلطان .

وأما وظائف زعماء أهل الذمة : كرياسة اليهود ، وبطركية النصارى ، فيستبد بها النواب دون السلطان : لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الممالك بالبلاد الشامية أنه كان بها سبع ممالك عظام استقرت سبع نيابات :

النيابة الأولى

(نيابة دمشق ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام)

وظائفها على نوعين :

النوع الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به من وظائفها
عن الأبواب السلطانية على أربعة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد في قطع الثمين بـ «المقرّ العالی» مع الدعاء
بـ «عزّ الأنصار» : وهو نائب السلطنة بها)

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتبت به عن السلطان الملك العادل
«كُتِبَا» للأمير «سيف الدين غرلو العادلي» من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي جعل لسيف دولتنا على عاتق الملك الأعزّ نجاحاً ، وأذخر لكفالة
مملكتنا من الأولياء من تناسب وصفاه آجتهداً في مصالح الإسلام وجهاداً ، وعدق
أمور رعايانا بمن أيقظ لها سيفه وجفنه فامتلات عيونهم بما وهب وسلب من نومه
ونوم العدا رقّاداً ، ورفع ألوية إحساننا على من زاد برفعها ظلّ عدله أنيساطا على
الرعية وأمتداداً ، ووطّد قواعد ممالكنا بمن أجلنا الفكر في حسن اختياره أنتقاءً
لمصالح الإسلام وانتقاداً ، وأدى لشكر نعم الله التي لا يؤدي شكر بعضها ولو أنّ
ما في الأرض من شجرة أقلام أو كان البحر مداداً .

نحمدُه على نِعَمِهِ التي جعلتْ عزائمنا على الأبد منصُورَه، ومقاصدنا على مصالح
المسلمين مقصُورَه، وآراءنا تفوض زعامة الجيوش إلى من نُصيح فرُق الأعداء
بفرقه مغزوة ومالكهم بمهابته محصوره .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تنشر دعوتها في الآفاق،
ونزهف لإقامتها في ممالكنا سيفا يصل ما أمر الله بقطعه ويقطع إلا الأرزاق،
ونزهب من الحد فيها بكل ولي لرعيه في القلوب ركض ولوايته في الجوانح خفق
ولأسنته في الصدور إشراق؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من فوض حُكْمًا
في أيامه إلى من اعتمد عليه، وأراف من استخلف على من بعد عنه من أمته من
يعلم أن صلاحهم في يديه، وألطف من عدق شئنا من أمور أهل ملته بمن أعانه الله
وسدده في دفع عدوهم وصلاح ما يرفع من أحوالهم إليه؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين وُلوا على الأمة فعدلوا، وأمروا بما جبه الله عليه من الرأفة والنعمة
والرحمة فامتثلوا، وعلموا أن الحق فيما نهج لهم من طرق طريقته المثلى فما مالوا عن
ذلك ولا عدلوا؛ صلاة لا تغرب شمسها، ولا يعزب أنسها، ولا تعتبر أوقات إقامتها
إلا ويقصر عن يومها في الكثرة أمسها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى ما أعملنا إليه ركائب الآراء المؤيدة، وصرفنا إليه أزمة
نجائب الأفكار المسدده؛ وأجلنا فيه طرف النظر الذي لا يُسقى في بلوغ الغاية غباره
ولا يدرك، وأحلنا الأمر فيه على التأييد الذي هو عمدتنا فيما يؤخذ من ثواقب
الآراء وما يُترك؛ وقدمنا فيه مهم الاستخارة الذي يتلوه التوفيق، وعلمنا أن الدَّ
أسباب الأهداء إليه سلوك طريق النصيح لله ورسوله وللإسلام فسلكنا إليه من ذلك

الطريق ، وقصّرنا النيّة فيه على مصالح الأمة التي هي فرض العين بل عين الفرض ، وأطلقنا الإرتياد فيه لتعين من نرجوه ممن عناهم الله بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وتدبنا له سيفاً لم يزل في صدور الأعداء صدره وفي يد جبار السموات قائمه ، وأردنا لتقدمة الجيوش فيه زعيماً طالماً ملّ ضوء الصبح مما يغيّره وملّ سواد الليل مما يزاخمه ، وقدمنا له من نساء في حجر ولائنا ، وغدّي بلبان ربنا وآلائنا ، وشهد الوقائع بين يدينا ، وخبّرنا من سيرته التهوّض في الرعايا بما كتب الله لهم من الرأفة والرحمة علينا - أمر نياية ساطنتنا الشريفة بالمالك الشاميّة التي نابت فيها مهابتنا ، عن الإقامة فيها ، وجعلتها عنايتنا ، من أشرف ممالكنا التي تحضها على البعد بدوام الملاحظة ونصفيها ، وهي واسطة عقد ممالكنا ، ومحط رحال طرُقنا إلى جهاد الأعداء ومسالكنا ، وهالة أهلة سرى القصد إلى لحظها في أديم الأرض مواقع سنابكنا ، ومواطن القربات التي نصت الآثار الصحيحة عليها ، ومظان العبادات التي طالما نصت ركائب العباد إليها ، ومقام الأبدال الذين هم أهل دار المقامه ، ومستقر طائفة الدين الذين لا يزالون ظاهرين على أعدائهم لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة ، وفلك الثغور الذي تُشرق منه كواكب سعودها ، وتتصرف من نوبه إلى من جاورها من العدا خاطفات بروقها وقاصفات رعودها ، فكم ذى جنود أمها فهلك وما ملك ، وسلك إليها بجيوشه فزلت وتزلت قدمه حيث سلك ، ولحيشها البأس الذي وجود الأعداء به عدم ، والحُد الذي يعرفه أهل السياق و[ان] أنكرته أعناقهم «فما بالعهد من قدم» .

وأن نفوض [أمرها] إلى من ينشرها على الأمة لواء عدلنا ، ويسطفيها بالرأفة والرحمة رداء فضلنا ، ويحيي بها سنن الإحسان التي مبدأ أيامها غايه من ساقف من قبلنا ،

ويقيم منار الملك من بأسه على أرفع عماد ، وينيم الرعايا من عدله في أوطأ مهاد ؛
ويكف أكف الظلم إلى ما يتجاسر إلى إعادة يده إليها عاد ومن عاد ، ويجرد إلى
العدا من خياله وخيله سرايا تطرد عن موارد جفونهم بقوايمها الرقاد ؛ وتستعيد
عوارى أرواحهم من مستودعات أجسادهم فهي بحكم العارية غير مستقرّة
في الأجساد ، ويصون الرتب عن تطرق من يفسد أحوالها لعدم أهليته : فإنه ماسك
أحد في أيامنا طرق الفساد فساد ؛ ويعلم به أنا جردنا على العدا سيفاً يسبق إليهم
العدل ، ويزاحم على قبض نفوسهم الأجل ، ونحلى بتقليده الدول ، ويتحقق بفتكه
أنه لا حاكم بيننا وبينهم إلا السيف الذي إن جار فيهم فقد عدل .

ولذلك لما كان المجلس العالى الفلانى : هو الذى اخترناه لذلك على علم ، وقدناه
أمور الممالك : لما فيه من حدة بأس وآية حلم ؛ وعجمنا عوده فكان لينا على الأولياء
فظا على العدا ، وبلونا أوصافه فعلمنا منه السداد الذى لا يضع به الندى في موضع
السيف ولا السيف في موضع الندى ، وعرضنا سداده على حسن اعتبارنا للأكفاء
فكان سميرنا (وحمل ، فزین معروضاً وراع مسددا) ؛ وهزناه فكان سيفاً ينصل
حده الحطب إذ أعضل ، وأعطينا أمر الجيوش فلم يختلف أحد في أنه أفضل
من الأفضل .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل يصطفى من الأولياء كل كفاء كريم -
أن تؤوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الشامية : تفويضا يعلى قدره ، ويسط
في مصالح الملك والممالك أمره ؛ ويطلق في مصالح الدولة القاهرة سيفه وكلمه ،
ويدر على الأولياء إحساننا الذى إذا جرى الغيث أحجل دوائه ديمه ؛ ويرفع بالعدل

مَنَارَ دَوَامِ مُلْكِكَ الَّذِي قَرَنَهُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ بِجُودِنَا ، وَيُضِيفُ بِاسْتِرْفَاعِ الْأُدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ
لِدَوْلَتِنَا مِنْ كُلِّ لِسَانٍ جُنُودَ اللَّيْلِ إِلَى جَنُودِنَا ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَظْرًا
عَاقِمًا ، وَيُعْمَلُ فِي سِدَادِ نَعُورِهَا وَسِدَادِ أُمُورِهَا رَأْيًا ثَاقِبًا وَفِكْرًا تَامِقًا ، وَيَأْمُرُ النَّوَابِ
مِنْ سَدِّ خَلْلِهَا بِمَا كَفَايَتُهُ أَدْرَى بِهِ مِنْهُمْ ، وَيَنْبَهُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا عَلَى مَا ظَهَرَ لِفِكْرِهِ
الْمُصِيبِ وَخَفِيَ عَنْهُمْ ، وَيُلَاحِظُ أَمْوَالَ مَا بَعْدَ مِنَ الْبِلَادِ كَمَا لَحِظَتْهُ أَمْوَالَ مَا دَنَا ،
وَيَنْظُرُ فِي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا : فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى السِّدَادِ فَلَيْسَ بِهَا عَنْ حُسْنِ نَظَرِهِ
غَنَى ، وَيَسْلُكُ بِالرَّعَايَا سُنَنَ إِنْصَافِهِ الَّتِي وَكَلَّتْهُ مَعْرِفَتُنَا بِهِ إِلَيْهَا ، وَيُجَرِّمُهُمْ عَلَى عَوَائِدِ
الْإِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ خُلُقِهِ سَجِيَّةً وَزِدْنَاهُ تَحْرِيسًا عَلَيْهَا .

وهو يعلم أن الله تعالى قد أقامنا من الجهاد في أعدائه بسنته وفرضه ، ومكن
لنا في الأرض : لإقامة دعوته وإعلاء كلمته وتطهير أرضه ، وعَضَدْنَا بِتَأْيِيدِهِ لِنُصْرَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَمَدْنَا مِنْ عُدَدِ نَصْرِهِ بِكُلِّ سَيْفٍ تَرَوَّعَ الْأَعْدَاءُ بِهِ الْيَقِظَةَ وَتَسْأَلُهُ
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامَ ، وَبَثَّ سَرَايَا جِيُوشِنَا بَرًّا وَبَحْرًا : فَهِيَ إِمَّا سَوَارٍ فِي الْبَرِّ تَمْتَرُ
السَّحَابِ أَوْ جَوَارٍ مُنْشَأَتٌ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ، وَتَتَعَاهَدُ أَحْوَالَ الْجِيُوشِ الشَّامِيَةِ
كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَيُعِدُّهُمْ فِي غَدِهِ بِاعَادَةِ مَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ عَرْضِهِمْ فِي أَمْسِهِ ، وَيُرْتَبِ
أَمْرَ كُلِّ إِقْلِيمٍ وَحَالَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنْ يَبَاشِرُ بِالتَّقْدِمَةِ تَقْدِمَهُ إِلَى الْأَطْرَافِ وَأَرْتِحَالِهِ ،
وَيَأْمُرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالتَّأَهُبِ لِلْعَرْضِ الَّذِي يَبَاشِرُهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب به للأمر « جمال الدين أقوش
الأشرفي » في جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب
الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله الذى جعل الدين فى ايماننا الزاهرة زاهياً بجماله ، سامياً بتقديم من
 اذا ارهف فى الذب عنه بسيف عزيمه غدت الجنة تحت ظلاله ، حالياً بتفويض
 زعامة جيوشه الى من لو فخر به البدور تعجبت من نقصانها وكمالها ، عالياً بإيالة
 من نتولد معانى النصر والظفر بين الكاملين : من روية رأيه وأرتجاله ، راقياً على هام
 الكفر بعزائم من لا يزال تصبح مهايته العدا بطلائع خيله وتبينهم بطوارق خياله ،
 نامياً بإسناد الحكم فيه الى من يقطع إنصافه بين المبطل ورجائه ويصل العدل [منه]
 بين المحق وبين آماله .

نحمده على نعمه التى أنامت الرعايا من معدلتنا فى أوطان مهاد ، وأدامت الدعاء
 الصالح لأيماننا بإعلاء كلمتى العدل والجهاد ، وأقامت الإيالة فى أسنى ممالكنا بمن هو
 أجرى من الغيوث ، وأجرى من اللبوث ، فى مصالح البلاد والعباد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال الألسن لإقامتها مديمه ،
 والضمائر على إدامتها مقيمه ، والقلوب تعقد من كلمة إخلاصها وإخلاص كلمتها فى جيد
 الإيمان تميمه ، والتوحيد يظهر أنوارها فى الوجوه الوسيمه ، بمأمن مطلع
 القلوب السليمه .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى جبّله على خلق عظيم ، وجعله وإن تأخر عصره
 من مقام النبوة فى أعلى رتب التقديم ، ومن على الأمة بإرساله إليهم من أنفسهم
 وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دعوا إلى طاعته
 وأجابوا ، وحكوا بسنته وأصابوا ، وجاهدوا المعرضين عن ملته حتى رجعوا إلى الهدى
 وأنابوا ، صلاة لا تغيب أنوارها ، ولا يفارق وجوه أهلها وقلوبهم رؤاؤها
 وإرواؤها ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد، فإنه - لما أجزانا الله عليه من عوائد نصره، وأغرانا به من حصد الشرك وحصره، ومنتحنًا من بسطة ملك زينت بها أسارى البسيطة وأسرتها، ووهبنا من فواتح فتوح علت على وجوه الكفر مساءتها وبدت على وجوه الإسلام مسرتها - لم نزل نؤدّي شكر نعم الله بالإحسان إلى عباده، ونستريد منها بتفويض أمورهم إلى من يقوم في الذب عنهم مقام الجيش على أفرادها؛ فلا تقدم على الرأفة بحلق الله أمرا، ولا نحابي في بسط المعدلة عليهم زيادًا ولا عمرا؛ ولا نعدل بهم عمن إذا ركب في موكب نيابتنا زانه وجمه، وإذا جلس على بساط عدلنا زاده وكمه؛ وإذا رسم بأمرنا أصغت السيوف إلى مراسمه، وإذا نظر بعين عنايتنا نغرا أهدى الشنب إلى مباسمه؛ وإذا رام في مصالح الإسلام أمرا قرب على رأيه بعيده، وإذا رمى في حماية الممالك عدوا سبق إلى مقاتله قبل السيوف وعيده؛ وإذا جرد جيشا إلى أعداء الإسلام جرت قبل اللقاء ذيول هزائمها، ورأت الفرار أمتع لها من صوارمها، وثلت ما في كنائنها من سهام ضعفت عن الطيران قوى قوادمها .

ولما كان الجنب العالى الفلانى هو معنى هذه الفرائد، وسر هذه الأوصاف التى للشرك منها مصائب هى عند الإسلام فوائد، وفارس هذه الحلبة، التى أحرز [قصب] سبقها، وكف هذه الرتبة، التى أخذها دون الأكفاء بحققها؛ لا تأخذ فى الحق لومة لائم، ولا يأخذ أمر الجهاد إلا بجدّه «وما ليل المحد بنائم» يسرى إلى قلوب الأعداء رعبه وهو فى مكانه، وتؤدى مهابته فى نكاية الكفر فرض الجهاد قبل إمكانه؛ ويشفع العدل فى الرعايا بالإحسان إليهم، ويجمع بين إرهاب المعتدين وشدة الوطأة عليهم؛ ويقف فى أحكامه مع الشريعة التى أعلى الله تعالى منارها، ويستضىء بأحكامها التى هى لا بصار النظر تُعبر أنوارها .

وكانت المملكة الشامية المحروسة من الممالك الإسلامية بمنزلة القوة في يمين ،
والواسطة في العقد الثمين ؛ والإدراك في الصدور ، والإشراق في البدور ؛ وبها الأرض
المقدسة ، والحُصُونُ التي هي على نكاية الأعداء مؤسسه ؛ ولها الجيوش التي ألفت
في الجهاد السرى ، وأُنِفَت لسيوفها في الجفون الكرى ؛ ومَرَّت على مقاتل العدا
أستها ، وصُرِّقَت في مسالك الحرب أعنتها ؛ وراعت ملوك أهل الكفر سمعة
أمرائها ، وحاطتها أمداد النصر في حروبها من بين يديها ومن وراءها ؛ وفيها من الأئمة
العلماء الأعيان من يعدل دم الشهداء مداد أقلامهم ، ومن الأتقياء الصلحاء من
لا تطيش دون مقاتل أهل الكفر مواقع سهامهم - أقتضت آراؤنا الشريفة أن تمتع
هذه الرتبة السنية بجمالها ، وأن نبلي هذه الدرجة السرية بمن حوى هذه الأوصاف
الفاحرة غاية آمالها ؛ ليصبح بها لواء عدلنا ، مرفوع الذوائب ، ومنهل فضلنا ، مدفوع
الشوائب ؛ وكلمة جهادنا ، نافذة في المشارق والمغرب ، وقبضة بأسنا ، آخذة من أعداء
الدين بالذرا والغوارب ، وطلية كتابنا مؤتممة بمن توفى الطير أن فريقه إذا ما اتقى
الجمعان أول غالب .

فلذلك رسم بالامر الشريف - لازالت صوارمه للشرك قامعه ، ومراسمه لمصالح
الدين والدنيا جامعه - أن تفوض إليه تفويضا يرفع علمه ، ويمضي في مصالح
الإسلام سيفه وقلمه ؛ وينشر في آفاق الممالك الشامية عدله ، ويدسط على رعايا
تلك الأقاليم المحروسة فضله وظله ؛ فيطلع في أفق المواكب هالة أهلته ، وطراز
حلتها ؛ وطلعة لوائها ، وواسطة عقود مقدمها وآرائها ؛ وزينة تسيرها ووقوفها ،
وحلية طلائعها وضموفها ؛ ويجلس في مواطن الجلوس صادعا بالحق في حكمه ،
أمرا بإدامة التأنيب للعدو في أيام سلمه ؛ معطيا منصب النيابة الشريفة حقه من
الجلاله ، موفيا رتبته المنيفة ما يجب لها من أهبة المهابة وكفاءة الكفاله ؛ ولا يزال

لمصالح الجيوش المنصورة ملاحظًا، وعلى إزاحة أعدارهم محافظًا، وإلى حركات عدوّ الإسلام وسكّاته متطلّعا، وإلى ما يتعين من إبطال مكائده متسرّعا، وللبواطن أحوالهم بحسن الأطلاع مُحَقِّقا، ولجموعهم بمن الاجتماع للقائم مُفَرِّقا، فلا يُضْمِرُونَ مَكِيدَةً إِلَّا وَعَلِمُهَا عِنْدَهُ قَبْلَ ظَهْوَرِهَا لَدَيْهِمْ ، وَلَا يُسِرُّونَ غَاةً إِلَّا وَرَأَيْتَا خَيْلَهُ الْمُغِيرَةَ أَسْبَقُ مِنْهَا إِلَيْهِمْ .

وَلِيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعْلِيَا، وَلَاقْدَارِ أَرْبَابِهِ مُغْلِيَا، وَلرُتَبِ الْعُلَمَاءِ رَافِعَا، وَلَاقْوَالِهِمْ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ سَامِعَا، وَلِدَوَى الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ مُكْرِمَا، وَلَاأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّلَاحِ مُعْظَمًا، وَعَلَى يَدِ الظَّالِمِ ضَارِبَا، وَفِي آقْتِنَاءِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ رَاقِبَا، وَلِحَمِيلِ النَّظَرِ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ مُدِيمَا، وَبِحُسْنِ الْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْأَمْوَالِ مُعْمِلًا رَأْيًا بِمَصَالِحِهَا عَلِيًّا، وَبِلَهَاتِ الْبِرِّ بِجَمِيلِ الْعَنَاءِ وَالْإِعَانَةِ عَامِرَا، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَجِبُ أَعْتَادُهُ نَاهِيَا وَبِكُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ فَعَلُهُ أَمْرًا . وَفِي كَمَالِ خِلَالِهِ، وَأَدَوَاتِ جَمَالِهِ، مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصَايَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ ، وَمَلَأَتْهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ خِصَائِصِ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَعَوَائِدِ سِيرَتِهِ الْحَدِيثَةِ وَالْقَدِيمَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب بها للأمر «سيف الدين تنكر الناصري» في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله مَقْوُضِ أَسْنَى الْمَمَالِكِ فِي أَيَامِنَا الزَّاهِرَةِ إِلَى مَنْ تَزْهَوُ بِتَقْلِيدِهِ ، وَمُسْتَيْدِ قَوَاعِدِ أَسْمَى الْأَقَالِمِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ بَمَنْ يَعْلُو بِإِيَالَتِهِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مَعَاقِدُ مَقَالِيدِهِ ،

ومُسَدِّدِ الآراءِ في تصريفِ أَعِنَّةِ جيوشنا المنصورة بتقديمِ مَنْ تَعَدُّو سِيوفَهُ مِنْ
عُنُقِ كُلِّ مُتَوَجِّجٍ مِنَ العِدَا قِلَادَةَ جِيَدِهِ ، وَنَاشِرِ لَوَاءِ العَدْلِ فِي رَعَايَانَا وَإِنْ بَعُدُوا
بِمَنْ تُنِيمُ كَلًّا مِنْهُمْ فِي مَهْدِ الأَمْنِ وَالدَّعَاةِ يَدِ مَهَابَتِهِ وَتَمْهِيدِهِ ، وَمُعَلِّي مَنَارِ الجِهَادِ
فِي سَبِيلِهِ مَنْ إِذَا جَرَّدَ سَيْفَهُ فِي وَعْيِ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ المَنَايَا الضَّوَاحِكِ بَيْنَ تَجْرِيهِهِ
وَتَجْرِيدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَيَّدَتْ آرَاءَنَا بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مُسْتَحَقِّهِ ، وَقَلَّدَتْ سَيْفَ
النَّصْرِ مِنْ أَوْلِيَانِنَا مَنْ يَأْخُذُهُ فِي مَصَالِحِ الإِسْلَامِ بِحَقِّهِ ، وَجَدَّدَتْ آلاءَنَا لِمَنْ إِذَا جَارَتْ
الْحُتُوفُ سِيوفَهُ إِلَى مَقَاتِلِ العِدَا فَاتَهَا وَفَاقَهَا بِمِزِيَّتِي كِفَايَتِهِ وَسَبْقِهِ .

وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَرَالُ أَلْسِنَتُنَا تَرَفِعُ مَنَارَهَا ،
وَسِيوفُنَا تَصَلِي مِنْ جَحْدِهَا قَبْلُ نَارِهَا ، وَأَرَاؤُنَا تُفَوِّضُ مَصَالِحَ جُمَّلَتِهَا إِلَى مَنْ إِذَا رَجَّتْهُ
لِنُصْرَةٍ أَنَالَهَا وَإِذَا أَسْدَى مَعْدِلَةَ أَنَارَهَا .

وَنُشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيَّدَهُ اللهُ بِنُصْرِهِ ، وَجَعَلَهُ سَابِقَ مَنْ تَقَدَّمَ
مِنَ الرُّسُلِ عَلَى عَصْرِهِ ، وَأَتَاهُ مِنَ الفَضَائِلِ مَا يَضِيقُ النُّطْقُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَمِنَ
المُعْجَزَاتِ مَا يَحْوُلُ الحَصْرُ دُونَ حَصْرِهِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا
بِهُدَاهُ ، وَهَجَرُوا فِي طَاعَتِهِ مِنْ عَادَاهُ ، وَهَضَبُوا فِي رِضَا اللهِ تَعَالَى وَرِضَاهِ إِلَى مَظَانِّ
الجِهَادِ وَإِنْ بَعُدَ مَدَاهُ ؛ صَلَاةٌ يُشْفَعُهَا التَّسْلِيمُ ، وَنَبْتَعِي إِقَامَتَهَا عِنْدَ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا أَعْمَلْنَا فِي مَصَالِحِ الفِكْرِ ، وَتَدَبَّرْنَا أَحْوَالَهُ بِكُلِّ رَأْيٍ يُسَدِّدُهُ
الحَزْمُ المُرَوِّى وَيُوَيِّدُهُ الإِلْهَامُ المُبْتَكَّرُ ؛ وَقَدَّمْنَا فِيهِ الأَسْتِخَارَةَ عَلَى مَا حَزَمَ اليَقِينُ بِأَنَّ
الخَيْرَةَ للإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ فِي أَعْتَادِهِ ، وَتَمَسَّكْنَا فِيهِ بِجَبَلِ التَّوْفِيقِ الَّذِي مَا زَالَ نَتَكَفَّلُ

لنا في كُلِّ أمرٍ بسَدَادِهِ وفي كُلِّ نَعْرِ بسِدَادِهِ - أمرُ الممالك الشامية التي هي واسِطَةٌ
عِقدُ الممالك ، ومُجتمَعُ ما يُفِضِي إلى مواطنِ النَّصرِ من المسالك ؛ ومركزُ فَلَكَ الأقاليمِ
الذي تَنْتَظِمُ عليه بروجُ نُغُورِها ، ونقطةُ دائرةِ الحُصُونِ التي منها مادَّتُها وعليها مدارُ
أمورها ؛ وغيلُ ليوثِ الحربِ التي كمَّ أنشَبَتِ أظفارَ أسنَّتها في طُرَّةِ ظَفَرِ ، وموَاطِنُ
فُرسانِ الوَعَى التي كمَّ أسْفَرَ عن إطلاقِ أَعْتَمِها إلى غاياتِ النَّصرِ وجهُ سَفَرِ ؛ وأن
نَرْتَادَ لِكِفَالَةِ أمورها ، وكِفايةِ جُمهُورِها ، وحمايةِ مَعاقِلِها المِصُونَةِ ونُغُورِها ؛ وزَعَامَةِ
جِيوشِها ، وإرغامِ طَارِقِ أطرافِها من أعداءِ الدينِ وثُلِّ عُرُوشِها ، من جَرَدِ الدِّينِ
فكان سَيِّفًا على أعدائه ، وأنتقامه حُسْنُ نَظَرِنا للمسلمين فكان التوفيقُ الإلهي مُتَوَلَّى
جميلِ آنتقاده وآنتقائه ؛ وعَجْمًا عُودَ أوصافه فوجدناه قَوِيًّا في دينه ، مُتَمَكِّكًا في طاعته
بإِخْلَاصِ تَقَوَاهِ وَصِحَّةِ يَقِينِهِ ؛ متيقِّظًا لمصالحِ الإسلامِ والمسلمين في حالَتِي حَرَكَتِهِ
وَسُكُونِهِ ، أَخْذًا عِنَانَ الحَزْمِ بِسُرِّ يُسْرَاهِ وَسِنَانَ العَزْمِ بِيَمِينِ يَمِينِهِ ؛ وَأَقِفًا مع الحقِّ
لذاتِهِ ، مَقْدَمًا مَشَاقَّ الجِهَادِ على سائرِ ما ربه ولذاتِهِ ؛ مَاضِيًّا كَسَيْفِهِ إِلَّا أَنَّهُ [لا] يَأْلَفُ
كالسيفِ الجُفُونِ ، رَاضِيًّا في رَاحَةِ الآخِرَةِ بِمَنَاعِبِ الدُّنْيَا وَمَصاعِبِها فلا يَرْعَى في مَواطِنِ
الجِهَادِ إِذَا حَلَّها أَكْثَافُ الهَوِينَا وَلَا رَوْضَ الهُدُونِ ؛ مَانِعًا حِمَى الإسلامِ لا "حِمَى الوَقْبِي" بِضَرْبِ
يُفَرِّقُ بين أسبابِ الحِياةِ و"يُؤَلِّفُ بين أَشْتَاتِ المَنُونِ" .

ولما كان فلان هو الذي تشوّفت هذه الرتبة إلى أن تتجمل به مواكبها، وتتكل به
مراتبها، وتنتظم على دسته هالة أمرائها كما تنتظم على هالة بدر السماء كواكبها ؛ فإذا
طلع في أفقٍ موكبٍ أَعَشَّتِ الأعداءَ جَلالَتَهُ ، وأَعَدَّتِ الأولياءَ بِسَالتِهِ ؛ وَسَرَى إلى
قُلُوبِ أهلِ الكُفْرِ رُعبَهُ ، وفعل فيهم سَلمَهُ ما يفعلُ من غيرِهِ حَرْبُهُ ؛ وإذا جالس
على بِساطِ عَدْلٍ تَحْرَسُ الباطلُ ، وأنجز ما في ذِمَّتِهِ المَاطِلُ ؛ وتكلم الحقُّ بِمِلاءِ فيه ،
وتبرا الباطلُ حَتَّى مَن يُسِرُّهُ وَيُخْفِيهِ ؛ وإن نَظَرَ في مصالِحِ البلادِ أَعانَ الغَيْثَ على

رِيًّا بِرِفْقِهِ ، وأعاد رَوْنَقَ عمارتها بِكُفِّ أَكُفِّ الظلم ووصول كلِّ ذِي حَقِّ إِلَى حَقِّهِ - أَقْتَضَتْ آراؤنا الشريفة أن نَجْعَلَ فُنُونَ أَفْئَانِهِ بِئْمِنِ إِيَابَتِهِ دَانِيَةَ الْقُطُوفِ ، وَأَنْ نُصَيِّرَ جَنَّتَهَا تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِهِ : فَإِنْ «الجنة تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .

فَلِذَلِكَ رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ زَمَنَ عَصْرِهِ ، مُؤَرِّخًا بِالْفَتْوحِ ، وَسَيْفِ نَصْرِهِ ، عَلَى مَنْ كَفَرَ دَعْوَةَ نُوحٍ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمُحْرُوسِ : تَفْوِيضًا يُحْسِنُ بِهِ الْمَنَابَ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ عَنَّا ، وَيُنْشُرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا يَلْقَاهُ مِنَّا ، وَيُلْبِسُهَا مِنْ حُلَلِ الْمَهَابَةِ مَا يُضَاعِفُ بِهِ أَمْنَ سَرْمِيهَا ، وَتُصْبِحُ بِهِ السُّيُوفُ الْمَجْرَدَةُ أَحْفَظَ لَهَا مِنْ قُرْبِيهَا ، وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاجِبِهَا الْجَلِيلَةِ طُلُوعَ الشَّمْسِ الَّتِي يَعْمُ نَفْعُهَا ، وَيُعِيشِي النَّوَاطِرَ لَمَعُهَا ، وَيَجْلِسُ فِي دَسْتِ نِيَابَتِنَا حَاكِمًا فِيهَا بِأَمْرِنَا ، جَازِمًا بِحُكْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ حَلِيَّةٌ سَرَّنا وَجَهْرِنَا ، نَاشِرًا مِنَ مَهَابَةِ الْمُلْكِ مَا تَرْجِفُ لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْعِدَا ، وَتُصَبِّحُهُمْ بِهِ سَرَايَا رُغْبِهِ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى ، مُلْزِمًا مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِمُضَاعَفَةِ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ ، وَإِدَامَةِ التَّأَهُبِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ بِسَمْعَتِهِ بِلَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ مَغْزُورَةٌ ، مُطَّلَعًا عَلَى أَحْوَالِ الْعِدَا بِلُطْفِ مَقَاصِدِهِ ، وَنِكَايَةِ مَكَائِدِهِ ، وَحُسْنِ مَصَادِرِهِ فِي التَّدْبِيرِ وَمَوَارِدِهِ ، فَلَا يَبْرُمُونَ أَمْرًا إِلَّا وَقَدْ سَبَقَهُمُ إِلَى نَقْضِ مَبْرَمِهِ ، وَلَا يَقْدَمُونَ رِجْلًا إِلَّا وَقَدْ أَخْرَجَتْ بُوْثَبَاتِ إِقْدَامِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ . وَأَيْعَظُمُ مَنَارَ الشَّرِيفِ بِتَكْرِيمِ حُكْمِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ أَحْكَامِهِ ، وَيَرْفَعُ أَقْدَارَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِتَرْفِيهِ أَسْرَارِهِمْ ، وَتَسْهِيلِ مَآرِمِهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ ، وَلِيُعَمَّ الرِّعَايَا بَعْدْلَهُ وَإِنْصَافَهُ ، وَيَسْتَرْفِعَ لَنَا أَدْعِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ بِإِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ . وَفِي خِصَائِصِ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَسَجَايَاهُ الَّتِي هِيَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُسْتَدِيمَةٌ ، مَا يُغْنِي عَنِ تَسَدُّدِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب به للأمر «يلبغا الكامل» بعد نيابته بحلب وحمّة، من إنشاء المقرّ الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله مجرى الأقدار، برفعة الأقدار، ومثري آمال من حسنت له في خدمتنا
الآثار، بمواهب العطايا والإيثار، ومثري غروس نعم أوليائنا التي رعى عهدا عهدا
سحب جودنا الغزار، جاعل أصفياء مملكتنا الشريفة كل حين في آزياد، وما نوح
المخلصين في خدمتنا مزيد الإسعاف والإسعاد، وفتح أبواب التأييد بسيف أنصارنا
التي لا تهجع في الأعماد .

نحمده على مواهب نصره، ونشكره على إدراك المآرب من جوده الذي يعجز
لسان القلم عن حصره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤيد
قائلها في موافقه، وتجمع له من خير الدنيا بين تآلده وطارفه، ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي هدى الله به هذه الأمة من الضلال، وفضل به المجاهدين حيث
جعل الجنة تحت ما لسؤفهم من ظلال . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة
لا انفصام لعروتها ولا انفصال، ولا انقضاء لأسبابها ولا زوال، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن أولى من أنتدب لحفظ ممالك الإسلام، وأئمن على صوتها بعزمه
الذي لا يسامى ولا يسام، وأسند إليه من أمور الرعايا بأجل الممالك ما يقضى بمزيد
التكريم، وأعتمد على صيانتته وديانته لما شهد الاختبار بأنه أهل للتقديم، وجرى
الدول محالصته، وتحقق آهتامه الذي بلغه من العز غايته، وأثنت على حسن سيرته
وسيرته سوابق خدمه، وشكر آهتامه في المخالصة التي أعربت عن عزمه، ففاق
أشباهها وأنظارا، وكفل الممالك الشريفة الحليّة والحموية فأيدها أعوانا وأنصارا،

وَبَسَطَ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ مَا أَعْلَى لَهُ شَأْنًا وَرَفَعَ لَهُ مِقْدَارًا ، وَسَلَكَ فِيهَا
مَسَلَكًا شَفَّفَ أَسْمَاعًا وَشَرَّفَ أَبْصَارًا .

ولما كان المقرّ الكريم (إلى آخره) هو صاحب هذه المناقب ، وفارس هذه
المقانب ، ونير هذه الكواكب ، كم أهبج النفوس بماله من عزيم مشكور ، وحزم
مأثور ، ووصف بالجميل موفور .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل لسيف أوليائه مُرْهَقًا ، ولا برح لأخصائه
مُسْعِدًا وَمُسْعِفًا - أن تفوض إلى المشار إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ،
على أجمل عوائد من تقدمه في ذلك وأكمل قواعده . فليتناول هذا التقليد الشريف
بيدٍ لم يزل لها في الولاء الباع المديد الطويل ، ويتلق هذا الإحسان بالشكر الذي هو
بدوام النعمة خير كفيلاً ، ويضاعف ما هو عليه من آهتامٍ لم يزل منه مألوفاً ، وأعتامٍ
إذا لاقى غيره مهماً واحداً لاقى هو ألوفاً ، ويُعِين النظر في مصالح هذه المملكة
الشامية المحروسة ، ويعتمد من حسن تديره ما تغدو ربوعها بحسن ملاحظته
عامرةً مأنوسه . وهو يعلم أن العدل من شيم دولتنا الشريفة ، وسجية أيامنا التي هي على
هام الجوزاء منيفه ، فليسلك سننه ، ويتبع فرضه وسننه ، ويعلم أن عدل سنة خير
من عبادة ستين سنه ، ولينشر على الرعايا ملائسه الحسنه ، ويعظم الشرع الشريف
وحكامه ، ويعين الإقطاعات لمن يستحقها من الأيتام أو يوجب الاستحقاق
إكرامه ، والله تعالى يجعل السعد خلفه وأمامه ، ويؤيده تأييداً يبلغه مراده من
النصر ومرامه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام :

الحمد لله الذي طَهَّرَ الشَّامَ وَقَدَّسَهُ ، وَصَانَهُ وَحَرَسَهُ ، وَجَعَلَ لِسُلْطَانِنَا فِيهِ قَوَاعِدَ
بِالنَّصْرِ مُؤَسَّسَهُ ، وَأَنْوَارًا لِلهُدَى مَقْتَبَسَهُ ، وَكَفَّلَهُ بَيْنَ إِذَا صَفَّ لَهُ الْعَدُوُّ آفَتَرَسَهُ ،
وَأَذَلَّهُ وَأَرْكَسَهُ ، وَأَرْغَمَ مَعْطِسَهُ ، وَوَقَّظَ بِسَيْفِهِ أَرْؤُسَهُ ، وَمَنْ يُعْطَى النَّصْرَ إِذَا أَمْتَطَى
فَرَسَهُ ، وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَكَثَّرَ أَنْسَهُ ، وَعَطَّرَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ يُنْصَفُ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ
وَيَبْلُغُ السَّائِلَ مُلْتَمَسَهُ ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبَ الْعَفَافِ وَاتَّقَى فَكَانَ خَيْرَ ثَوْبٍ لَيْسَهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَصْلِ جُودِ غَرَسِهِ ، وَعَارِضِ سَوْءِ حَبَسِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَزَالَتِ الشَّرْكَ وَحَمَّتْ نَجْسَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَنْبَعَ اللَّهُ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيْنًا مُنْبَجِسَهُ ، وَأَخْضَرَ الْعُودَ الْيَابِسَ لَمَّا لَمَسَهُ ، وَأَضْعَفَ
الْوَسَاوِسَ الْمُخْتَلِسَةَ ، وَأَنْتَرَعَ الْحَقَّ مِنْ بَحْسِهِ ، وَحَمَاهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمَّا وُلِدَ
فَمَا نَحَسَهُ ، وَتَوَرَّ الْقَلْبَ الَّذِي خِيمَ عَلَيْهِ الضَّلَالُ وَطَمَسَهُ ، وَكَانَ الشَّرْكَ قَدْ أَنْبَثَ
فِي الْأَرْضِ فِطْوَاهُ دِينُهُ وَكَبَسَهُ ، وَحَمَاهُ وَدَرَسَهُ ، وَجَاءَ بِالْقُرْآنِ فُطُوبِيٍّ لِمَنْ تَلَاهُ
وَدَرَسَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا أَوْجَحَ اللَّهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَعَحَسَهُ ، وَمَيَّزَ بِنِصْفِ الْعَدَدِ مِنْ
الثَّلَاثِ سُدُسَهُ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فإنَّ الشَّامَ هُوَ عَقْدُ النِّظَامِ ، وَأَجَلُّ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَمَعْدِنُ النَّصْرِ
الَّذِي بُرُوقُهُ تُسَامُ ، وَمُسْتَقَرُّ الْبَرَكَاتِ الْوَسَامِ ، وَعَسْكَرُهُ أَفْضَلُ عَسْكَرٍ فِي حَسَنِ
الْإِعْتِرَاءِ وَالْإِعْتِرَامِ ، لَا يَرَهْبُونَ الْحِمَامَ ، وَيَخُوضُونَ لُجَجَ الْمُنُونِ بِالْحُسَامِ ، وَنِيَابَةُ
السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِهِ مِنْ أَجْلِ النِّيَابَاتِ مَقْدَارًا ، وَأَكْرَمَهَا آثَارًا ، وَأَعَزَّهَا أَنْصَارًا ،

إذ هو تلقاء أو امرنا الشريفة المنطوية عليها أسرار البريد، ومن عنده تفتتح المهمات للقريب والبعيد، وعنه يصدر البريد، وإليه يرد بكل شئ جديد، ومنه يأتي إلى مسامعنا الشريفة بما نريد، فلا يحل دار سعادتها إلا من هو منصور سعيد، وذو رأي سديد، وحزم حديد، وقد اخترنا لها بحمد الله كفاها المعيد.

ولما كان فلان هو الضاري على العدا، وأغيت المتوالي الندى، والهمام الذي جرد سيف عزمه أبدا فلا يرى مغمدا، وأتصف بحسن الصفات فما ساد سدى، قد تجملت المالك بآرائه ورأياته، وثباته وثباته، وروض تديره وطيب نباته، وحسن اعتماد في خدمة ملكنا الشريف ومهماتنا، إن ذكرت الموالاة الصادقة كان راوى مسندها، وحاوى جيدها، والآوى إلى ظلها المديد وطيب موردها، وإن ذكرت الشجاعة كان زعيم كتابها، ومظهر عجائبها، وليث مضاربيها، ومجرد قواضيمها، وفارس جنائبها، ومطلب أطلابها ومنجح مطالبيها، ومجلى غياهيها - اقتضى حسن الرأي الشريف أن يعقد عليه لواء الاحتشام، في الشام، وأن يخص بالبركات، المخلصة من الدركات.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، وأن يكون داخلا في نيابته الشريفة ما هو مضاف إلى الشام المحروس: من ممالك وقلاع، ومدن وضياع، وتغور وموانى، وسواحل في أقاص وأداني، تفويضا أئسقت دُرره، وأشرق غرره، وتليت آياته وسوره.

فليمهد بالعدل أكناف البلاد، ولينظر بعين الرعاية والسداد، ولينشر لواء الإنصاف، لتكون الأمة تحت ظله الضافي وإليه الحق مضاف. وليدز الأرزاق

من الأخلاف ، وليأمر بإقامة الحدود على شارب السلاف ، وعلى السارقين بالقطع
من خلاف ؛ وليستترهف عزائم العساكر المنصورة في القتال والجهاد ، وليأخذهم
بحسن الاستعداد ، وليعرف للأمرء منازلهم : فإنهم أركان وأعضاء ، وأنصار
وأجناد ، وأولياء دولتنا الشريفة المأخون للفساد ، وممن نتجمل بهم الموارب
وتنفطر بهم للعدا الأجداد ؛ والله الله في الشرح الشريف وإقامة مناره ، وتنفيذ
كلمة أحكامه وإزالة أعداره ؛ والتقوى فهي أفضل شعاره ، وقرة أبصاره ؛ والوصايا
فمنه يُشرق هلالها إلى أن يتم في إبداره ، ويتكلم بأنواره ، وهو غني عن إكثاره .
نخذ تقليدنا هذا باليمين ، وألبس من هذا التفويض الملبس الأسنى الثمين ؛ وأخبار
البريد المنصور فلا تقطعها عنا ، فمنه إلينا ترد أخبار البريد وإليه ترد المهمات منّا ،
والله تعالى يخوله كل يوم من إحساننا في الزيادة والحسنى ؛ والخط الشريف أعلاه .

الطبقة الثانية

(من يكتب له تقليد شريف في قطع النصف بـ «المجلس العلى»)

وهو الوزير من أرباب السيوف ، وهو بالمملكة الشامية

على حد الوزير بالديار المصرية)

وهذه نسخة مرسوم من ذلك :

الحمد لله مسدد سهام الاختيار ، ومسير الأولياء إلى منازل العلى مسير الأهلة إلى
منازل الإبدار ، الذى جدد نعمة ، وعدد كرم ، وعلم مواقع الأضرار ، إلى مواقع
الأوزار ، فأرسل إليها من تستهل آراؤه ديمًا .

نحمده حمدا كثيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبًا
ولا وزيرًا ، ونصلى على سيدنا محمد الذى عمر الله به البلاد تعميرا ، وأحسن بالعدل

تقريرا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ظاهروه بالسيوف والأقلام كاتباً
وأميراً ، صلاةً لا ينقطع تواليها ، ولا تزال الآفاق تتناقلها وتستهديها .

وبعد ، فإن أولى من عظم شأنه ، وكرم مكانه ، وثبت إمكانه ، وأثبت في منابت
الرماح قلمه الذى هو ترجمانه ، وبسطت في تشييد الممالك يده وأطلق لسانه - من
كان علامة العلم ، وغداً بالنشاط في كبره قتي السن كهل الحلم ، الذى فاق جلالته
ونسبها ، وأستعلت همسة وأدبا ، وعرف بالديانة التى طار صيتها فى الآفاق شرقاً
ومغرباً ، والهمة التى سواء عليها أحملت قلمها أم أنتضت قصبها .

ولما كنت أيتها المجلس الفلانى - أدام الله تأييدك ، وتسديدك وتمهيدك ،
وكبت حسودك ، وضاعف صعودك - أنت المعنى بهذه المآثر ، المنضدة عليك
هذه الجواهر ، الدالة على مناقبك هذه المفارح ، الذى وجدناك على الانتقاد تزيد
أستخلاصاً ، وتعدو على السبك خلاصاً .

فلذلك نخرج الأمر الشريف أن توزر ، ونجى موارد آرائك لتستغزب ، ويكون
لك الحكم فى المملكة الشامية عموماً ، وتصرف فى معاملاتها مجهولاً ومعلومياً ، على
أكل قواعد الوزراء وأتمها ، وأجملها وأعمها ، متصرفاً فى الكثير والقليل ، والحقير
والجليل ، تعزل وتولى من شئت ، وتكفى وتستكفى من ارتضيت . ونحن نوصيك
بالرفق الذى هو أخلق ، والعدل الذى تستدر به سخب الأموال وتستغدق ، والحق
فإن كل القضايا به تتعلق ، ويمن السياسة فإن الرئاسة بها تكمل وتعدق ، وإياك
والغرض الذى هو يهوى بصاحبه ، ويرديه فى عواقبه ، وآتق الله الذى لا تم
الصالحات إلا بتقواه ، وأحذر أن تكون مع من ضل سبيله وأتبع هواه ، والله تعالى
يُنجح رجاءك ويوضح منهجك ، ويعلى درجك ، ويلقنك إذا خاصمت وأختصمت
حججك ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثالثة

(من يُكْتَبُ له مرسومٌ شريفٌ ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكْتَبُ له في قطع النصف وهو نائب قلعة دِمَشْقِ)

إن كان مقدّم ألف كما كان أولاً ، كتب له بـ «المجلس العالی» . أو طبلخاناه كما هو الآن ، كتب له بـ «السامی» بغير ياء . وبالجملة فإنه يكتب له مفتحا بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دِمَشْقِ المحروسة ، من إنشاء المقر الشمائى ابن فضل الله رحمه الله ، وهي :

الحمد لله مشرف القلاع ، ومصرف رجالها في الأمتاع ، ومعرف من جادلها أن الشمس عالية الأرتفاع .

نحمده حمداً يُسَنَّفُ الأسماع ، ويُشَرِّفُ الإجماع ، ويُحَقِّقُ في صعوده الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها لما بقي من قلاع الكفر الأفتلاع ، وأستعادة ما قرر معهم من قرى وضاع من ضياع ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حمى به ديرة الإسلام من الأرتضاع ، وصان به حوزة الحق أن تضاع ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة ما أسبل لليل ذيل وأمتد للشمس شعاع ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن للخصون حواضر كما للسلاد ، وحواضر تضم بقاياها ضم الأمهات للأولاد ؛ ومعاقل يرجع إليها إذا نابت النوب الشداد ، ومعاقد يعتصم من منعها بجمال ويتمسك بأطواد ؛ وقلعة دِمَشْقِ المحروسة هي التي تفتخر بقايا البقاع ^(١) بالأتصال

(١) لعله القلاع .

بَسْبِهَا، وَاتَّسَكَ فِي الشَّدَائِدِ بِذَيْلِ حَسَمِهَا، لَا يَهْتَدِي فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ إِلَّا بِمَنَارِهَا،
وَلَا يَقْتَدِي فِي التَّسْلِيمِ وَالْإِمْتِنَاعِ إِلَّا بِأَنَارِهَا، وَلَا يُسْتَقَى إِلَّا بِمَا يَفِيضُ عَلَى السُّحْبِ
مِنْ فَيْضِ أَمْطَارِهَا، قَدْ تَرَجَّلتُ لُتْبَارِزًا، وَتَقَدَّمَتُ لُتْنَاهِزًا، وَدَلَّتْ بِقَوَائِمِهَا
اِحْتَجَبَتْ مِنْ سُجُوفِ الْجَبَلِ بِجِجَابٍ وَلَا اِحْتَجَزَتْ مِنَ الْغَمَامِ بِحَاجِزٍ؛ بَلْ أَلْفَتْ إِلَى
قَرَارِ الْمَاءِ حِجْلَهَا، وَأَثْبَتَتْ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهَا، وَكَشَفَتْ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ
قِنَاعَهَا، وَأَشَعَلَتْ أُنْبُتَهَا مِنَ الذَّهَبِ شُعَاعَهَا، وَأَشْغَلَتْ أُنْبُوتَهَا الْبُرُوقَ أَنْ تُطَاوَلَ
بِأَعْيَانِهَا، أَوْ تُحَاوَلَ أَرْتِفَاعُهَا؛ قَدْ جَاوَرَتْ قُبَّتَهَا الزَّرْقَاءُ أُخْتَهَا السَّمَاءَ، وَجَاوَزَتْ بُرُوجَهَا
مِنْطَقَةَ الْبُرُوجِ أَعْيَانًا؛ وَهِيَ مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ يَوْمَ فَرَعِهِمْ، وَأَمْرٌ قُلُوبِهِمْ أَعَاذَهَا
اللَّهُ مِنْ جَزَعِهِمْ؛ وَقَدْ نَزَلَ الْعُدُوُّ عَلَيْهَا وَنَازَلَهَا زَمَانًا بِجُمُوعِهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ،
وَأَقْدَمُوا وَتَقَدَّمُوا وَهُمْ مُتَأَخَّرُونَ، وَطَاوَلُوهَا فَكَانَتْ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ، وَنَكَالًا لِمَا
خَلَفَهُمْ وَمَا يَبِينُ يَدِيهِمْ؛ وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهَا أَفْدَامَ بَقِيَّةِ الْقَلَاعِ، وَقَوَّى بِعَزَائِمِهَا إِبْدَامَ مَنْ فِيهَا
عَلَى الْإِمْتِنَاعِ؛ وَقَلْعَةَ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ وَإِبَاهَا كَالْأَخْتَيْنِ، وَهِيَ لَهَا ثَانِيَةٌ أُثْنَيْنِ؛
وَكَتَبَتْهُمَا لِكُرْسِيِّ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ مَنزِلَ سَعِيدٍ، وَمَتَنَزَّهُ يُوَدُّ صَفِيحَ الْأَفْلَاكِ لَوْ تَرَافَى
إِلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

فَلَمَّا رَسَمْنَا بِنَقْلِ مَنْ كَانَ فِي النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ،
وَقَدَّمْنَا أَمَامَهَا كَمَا يَهْتَرُ فِي قَادِمَةِ الرِّيحِ السَّنَانُ؛ وَأَتَّخَذْنَا مِنْ بُرُوقِ عَزَائِمِهِ لِبَعْضِ
تُغْوَرِهَا الضَّاحِكَةِ شَدْبَا، وَمِنْ هَمِّهِ الْمُتَّصِلَةِ الْمَدِيدِ بِهَا مَا تَمَدَّدَتْ مِنْهَا إِلَى سَمَائِهَا سَبَبًا -
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُؤَلَّ فِي أَمْرِهَا الْمُهْمُومِ، وَبَرَّهَا الَّذِي بِهِ مَصَالِحُ كَثِيرٍ مِنْ
مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةِ تَمِّمْ؛ وَنَحَلَّى مَشَارِفَهَا بِمِنْ تَضَاحِكِ الْبُرُوقِ سَيْوُفِهِ فِي لَيْلٍ كُلِّ نَقْعٍ
مُدْهَمِّمْ، وَنَحْيَى حِمَاهَا بِرِجْلِ تَمْنَعِ مَهَابَتِهِ حَتَّى عَنْ نَقْلِ الْأَسْنَةِ (?) طَارِقِ الطَّيْفِ
أَنْ يَلِيَّ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا تَرَعِزُ لَهُ دُرَا، وَلَا يُنَاخِ لِبادِرَةِ سَيْلِهِ فِي دَرَا، وَلَا يَقْدَرُ مَعَهُ

الأسد أن يبیت حول غايه مُصِحراً، ولا الطير أن يحلق إليه إلا ماسحاً بجناحه على الثرى، ولا أدلجت إليه زمر الكواكب إلا تقاعست فلا تستطيع السرى .

وكان فلان هو حامي هذا الحمي، ومانع ما يحلوه في الثغور من موارد اللب، وغير الحمي فلا تبرز له إلا من عقائل المعاقيل قاصرات الطرف كالدمي، وحافظ ما استودع من مصون، واستجميع من حصون، واستجهر من موارد تردّها من زرد الدروع عيون، ويفرق منها المجانيق سخائب مطرة بالمنون، فصمم رأينا الشريف على اختياره ليوقل صهوة هذا الجواد، ويوقى ما يجب لهذه العقيلة من مرتقى لحظ ومرتمى فؤاد، ويبحث من الشغف بها عن أمل أمل أو مراد مراد، ويعجب من عقيلتها المصونة أن أبراجها تتبرج وما لنعمائها إنعام ولا لسعادها إسعاد .

فرسم بالأمر الشريف العالی المولوي، السلطاني، الملكي، الفلاني - أعلاه الله وشرفه، وأدام في الأرض ومن عليها تصرفه - أن تفوض إليه النيابة بقلعة دمشق المحروسة : على عادة من تقدمه وقاعدته، ومقاربتة ومباعدته، وتخليه ومساعدته، وكل ما جرت به العوائد في رجائها ورجالها، وما لها وما لها، وهذه نيابة شريفه، وسخابة مطيفه، ونعمة تقابل برعايتها، وتكتم نواحيها بإذاعتها، وتقوى الله حليّة عنقها، وحلة أفقها، ومجرى المجرة إجلالا في طرفها .

فعليك بحفظها ليلاً ونهاراً، وتفقد أحوال من فيها سراً وجهاراً، وفتح بابها وغلقها مع الشمس، وتصفح ما بها من لبس، وتتبّع أسبابها كما في النفس، والتصدى لملازمة الخدمة الشريفة في أبوابنا العالية ببابها، والأخذ في أدوات حفظها بمجامع أطرافها دون التمسك بأهدابها، والتجسس على من يلم فيها جفنه بكرى وما أثقله مناما،

وإلزام كل واحد بما يلزمه من الوظائف في ليله ونهاره ، وإدلاجه وأبتكاره ،
ومن عليه في هذا المعقل إشراف من شرفاته أو تسور على أسواره ، وإظهار الرجح
والصيت والسمة بالأهتمام في كل ليلة بزفاف عروسها ، وضرب الحرس لنواقيسها ،
والإعلان لصباح الخير لنا في صبحاتها والدعاء الصالح في تغليسها ، وصيانة ما فيها من
حواصل ، أو يصل إليها من وأصل ؛ وما فيها من ذخائر ، وما في خزائنها العلية من
مدد البحر الزاخر ، وما تشتمل عليه دار الضرب من أموال تضرب للهبات برسمنا ،
وأموال الناس [التي] حلت إليها لتسرف تقودها باسمنا ، وخزائن السلاح المنصورة
وما يستكثر فيها من عدد ، وما يستغزر من مدد ، والمجانيق التي تحطرن منها كل
خطارة كالفتيق ، وتصد مرماتها إلى السماء كأنما تحطفه الطير أو تهوى به الريح
في مكان سحيق ، شائلة عقاربها ، آفلة بالأعمار كواكبها ، والحدوج والقسي
والرايات وغير ذلك من سلاح ، أو دروع ترد السهام على أعقابها وتحنى قامات
العوالي وتضيق صدور الصفاح . والبحرية وغيرهم من رجال هذه القلعة المحروسة
من نجوم آفاقها ، وغيوم إرعادها وإبراقها ، وديمها إذا أسبلت المسألة ذيوها وأعانها
إذا شممت الحرب عن ساقها . وبقية المستخدمين وأرباب الصنائع الذين هم عمارة
أوطانها ، وأمانة العناية بها من سلطانها ، فكل ذلك مذخور لمنافع الإسلام ،
وما ريش السهم لأنه في كل ساعة يرمى ولا طبع السيف لأنه في كل بارقة يسام ،
فأحفظ لأوقاتها تلك المواد المذخوره ، والحظ هؤلاء الرجال فإنهم ظهر العساكر
المنصوره ، وخد بقلوبهم وأوصل إليهم حقوقهم ، وأجمع على طاعتنا الشريفة
متفرقهم وأكرم فريقهم ، ومنهم الممالك السلطانية وهم إخوانك في ولائنا ، والذين
تسركهم في آلائنا ، وبالغ في حفظ المعتقلين في سجونها ، ولفظ المعتقدين خلافا
في مكنونها ، ونحن نعيدها بالله أن نقول : تفقدتها بالترميم والإصلاح ، ولكنا نأمرك

أن نتعهد بها بما نتعهد من الزين الملاح ؛ ولك من معاضدة من في ذلك الإقليم ،
 من لك برأيه طريق مستقيم ؛ ومن تراجع في أشكل عليك من الأمور ، وتجد به
 في طاعتنا الشريفة نوراً على نور ، وأتبع مراسمنا المطاعة فهي شفاء لما في الصدور ؛
 والوصايا كثيرة ، والله تعالى يجعلك على بصيره ، ويتولاك بما فيه حسن السيره ،
 وصالح السيره ؛ والاعتماد



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، كتبت بها الحسام
 الدين «لاجين الإبراهيمي» من إنشاء الشريف شهاب الدين ، رحمه الله ، وهي :
 الحمد لله الذي صان الحُصون بانتضاء الحُسام ، وزان الملك بارتضاء ذوى
 اليقظة من الأولياء والأهتام ، وأبان سبيل السعادة لمن أحسن بفروض الطاعة
 وأجمل القيام .

نحمده على أن جعل نعمنا لأصفيائنا وافر الأقسام ، ونشكره على أن أقبل عليهم
 بأوجه إقبالنا الوسام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لعقود
 إخلاصها انتظام ، ولسعود اختصاصها الثمام ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
 الذى منحه الإجلال والإعظام ، ومدحه بالإفضال والإكرام ، ورجحه بمزايا الفضل
 على جميع الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بدور التمام ، ورضى عن أصحابه
 الذين لهم صدقُ الاعترام ، صلاةً ورضواناً لهما تجديدٌ ومزيدٌ وتأيدٌ ودوام ؛ وسلم
 تسليماً كثيراً .

وبعد : فإن آلاءنا لا تزال تختار الأكفاء ، وآراءنا لا تبرح تمنح ذوى المناصحة
 الإصفاء ، ونعماءنا تُديم للملابس إجلالها على أولى الخدم الإفاضة والإصفاء ، وتبقى
 بوعود جودها لمن أدام لمناهج المخالصة الافتناء .

ولما كان فلان هو الذي عُرفَ له في مهماتنا خدم سالفه ، وألفت منه هممةً
عليه خصته بكل عارفه ، وخولناه نعمنا الواكف ، وأهلناه لاستحفاظ الحصون
فساعده توفّر التوفيق وساعفه ، ونقلناه في الممالك فسار سيرة حميدة اقتضت لمواهبنا
لديه المضاعفه - اقتضى حسن الرأي الشريف أن نزع محله بأعز القلاع ، ونظلمه
بأفنى سعدا أمين إطلاع ، وننذبه لضبطها فيحسن له فيها الاستقرار ويحمد منها له
الاستيداع .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته تُحقق الأطلاع ، وهباته تُفيض
ملايسها التي ليس لها انتزاع - أن يستقر في نيابة قلعة دمشق ...

فليباشر النيابة بالقلعة المذكورة بإذلا الاجتهاد ، مواصلا للعزم والسداد ، عاملا
بالحزم في كل إصدار وإيراد ، كافلا منها بحسن الاعتماد ؛ حافظا حواصلها من
الضياع ، مقررا أحوالها على أجهل الأوضاع ؛ وليأخذ رجالها بالائتلاف على الخدمة
والاجتماع ، وليحرضهم على المبادرة إلى المراسيم والإسراع ؛ وليطالع من أمورها
بما يتعين عليه لأبوابنا العالية فيه المطالعة ويحب لعلومنا الشريفة عليه الأطلاع ،
وليراجع كافل الممالك الشامية بما جعلنا لآرائه فيه الإرجاع ؛ وليكن له إلى إشارته
إصغاء واستماع ، وإلى سبيل هديه افتناء واتباع ؛ وليقف عند ما يتقدم به إليه
فبذلك يحصل له الرشد والانتفاع ، والله تعالى يمدد عليه سوابغ نعمنا التي جادت
بأجناس وأنواع ؛ ويجرد في نصرتنا حسامه الذي من بأسه الأعداء تهب وترتاع ،
ويديم له ولجميع الأولياء من صدقات دولتنا الشريفة الإمتاع ؛ وانلخط الشريف
اعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية نائب قلعة أوردتها في "التعريف" :

وعليه بحفظ هذه القلعة التي زُفَّت إليه عقيلتها المُنَّعه ، وجلبت عليه سافرة ودونها
 السماء بالسحب مُقنَّعه ، وسلمت إليه مفايحها ، وخواتيم الثريا أفعال ، وأوقدت له
 مصابيحها ، وفتائل البروق لا تُسبُّ لقفال . فليبدأ بعبارة ما دعت الحاجة إليه من
 تجديد أبنيتها ، وتشديد أقيمتها ، وشد عقودها ، وعد ما لا يحصى [في الذخائر] من
 تقودها ، وتنبيه أعين رجالها والكواكب قد همت برقودها] ، والأخذ بقلوب من
 فيها ، وتدارك بقية ذمائمهم وتلاف فيها ، وجمعهم على الطاعة ، وبذر الإحسان فيهم
 إذا عرف أرضا تركو فيها الزراعة ، والتمادي لهم : فرب رجال تجزى عن عدة سنين
 في ساعه ، وتخصين هذا الحصن المنيع بما يدخر في حواصله ، ويستمد بعبارة البلاد
 المختصة به من وأصله ، وما يكون به من المجانيق التي لا ترقى عقاربها ، ولا توقي
 منها أقاربها ، ولا ترد لها مضارب ، ولا يكف من زباني زبانيتها كل ضارب ،
 ولا يخطئ سهمها ، ولا يخفى بين النجوم نجمها ، ولا يعرف ما في صندوقها [المقفل] ،
 من البلاء المرسل ، ولا ما في نخدها المشمر الساق من النشاط الذي لا يكسل ،
 وغيرها من الرايات التي في غيرها لا تُسد ، ولسوى خيرها لا تُعقد ، وما يرمى فيها
 من السهام التي تشق قلب الصخر ، وتبكي خنساء كل فاقدة على صخر ، وكذلك قسي
 اليد التي لا يد بها ولا قبيل ، وككائب السهام التي كم أصبح رجل وبه منها مثل
 الجبل ، وما يضان من اللبوس ، ويعد للنعم والبوس ، وما يمد من الستائر التي

(١) الذي في "التعريف" «وقناديل» .

(٢) الزيادة من "التعريف" (ص ٩٥) .

(٣) في "التعريف" «من العدد والعدد واللبوس» .

هي أسوار الأسوار ، ولعاصم عقائل المعاقل منها حتى سوى كل سوار ؛ وهي التي
تلاث لئمها على مباسم الشرفات ، وتضرب مجبها على أعلى الغرفات ؛ وسوى هذا
مما تعتم به شواخ القلال ، ويتبوا به مقاعد للقتال ؛ فكل هذا حصه وحصنه ،
وأحسبه وحسنه ؛ وأعد منه في الأمن لأوقات الشدائد ، وأجر فيه على شأ من تقدم
وزد في العوائد ؛ وهكذا ما يدخر من عدد أرباب الصنائع ، ومدد التحصين المعروف
بكثرة التجارب في الوقائع ، والأزواد والأقوات ، وما لا يزال يفكر في تحصيله لأجل
بعض الأوقات ؛ وكُن من هذا مستكثرا ، وله على ما سواه مؤثرا ؛ حتى لا تزال
رجالك مطمئنة الخواطر ، طيبة القلوب ماعليها إلا السحب المواتر ؛ وأعمل بعادة
القلاع في غلق أبواب هذه القلعة وفتحها ، وتفقد متجددات أحوالها في مساء كل
ليلة وصبحها ؛ وإقامة الحرس ، وإدامة العسس ، والحذار من لعله يكون قد تسور
أو اختلس ؛ وتعرف أخبار من جاورك من الأعداء حتى لا تزال على بصيره ، ولا
تبرح تمد لكل أمر مصيره ؛ وأقم نوب الحمام التي قد لا تجد في بعض الأوقات سواه
رسولا ، ولا تجد غيره مخبرا ولا سواه مسئولا ؛ وطالع أبوابنا العالية بالأخبار ، وسارع
إلى ما يرد عليك منها من ابتداء وجواب ؛ وصب فكرك كله إليها وإلى ما تضمنته
من الصواب .

المرتبة الثانية

(من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب السيوف -

ما يكتب في قطع الثلث ، وفيها وظيفتان)

الأولى - شدّ الدواوين بدمشق . وصاحبها يتحدث فيما يتحدث فيه شاد

الدواوين بالديار المصرية ، وقد تقدم .

وهذه نسخة مرسوم شريف بشدِّ الدواوينِ بدمشق :

الحمد لله الذي أرهف لمصالح دولتنا القاهرة من الأولياء ، سيفاً ماضياً ، وجرّد
لمهمات خدمتنا الشريفة من الأصفياء ، غضباً يغدو الملك عن تصرفه الجميل راضياً ،
وجدد السعود في أيامنا الزاهرة لمن لا تحتاج هممه في عمارة البلاد المحروسة
مُتقاضياً .

نحمده على نعمه التي تستغرق المحامد ، وتستوجب الشكر المستأنف على الحامد ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مجاهدٍ لأعدائها ، مجاهرٍ لإعلامها ؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأقوّم في الرتبة مكانةً وإن كان
آخراً هم عصراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بما أمرُوا ، وعمروا الذين
قبل الدنيا فلم تتمكن الأيام من [نقض] ما عمروا ؛ صلاةً يتأرجح نسرها ، ويتبجح
بشورها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عُدق به من مهماتنا الشريفة أعمها نفعاً ، وأحسنها في عمارة
البلاد وقفاً ، وأكثرها لخزائن الأموال تحصيلاً وجمعاً ؛ وأجمعها لمصالح الأعمال ،
وأضبطها لحواصل الممالك التي إذا أعد منها جبلاً تلا عليها لسان الإنفاق :
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) مَنْ زَانَتْ عَزَمَهُ نَزَاهَتُهُ ، وَكَلَّتْ قُوَّتَهُ فِي الْحَقِّ خَبْرَتُهُ
ونباهته ؛ وكان من أولياء دولتنا المعدّين لشدِّ أركانها ، وإشادة بُنيانها ؛ والنهوض
بمصالحها المتنوعة ، ونشر كلمة عدلها التي تغدو بالأدعية الصالحة مبسوطةً وبالأنبيّة
العاطرة متضوّعة .

ولما كان فلان هو الذي أُشير إلى محاسنه ، ونبه على إبريز فضله المظهر من
معادنه ؛ مع صرامة يُخيف اللبوث ، ونزاهة تُعين على عمارة البلاد الغيوث ؛ وخبرة
يظهار المصالح الخفية وفيه ، وإبراز معادن الأموال من وجوهها الجليلة مليه ؛

وَمَعْرِفَةٍ تَعْمُ الْبِلَادَ بَيْنَ الرُّغْبَةِ وَالرُّهْبَةِ ، وَتَجْعَلُ مِثْلَ مَا يُودَعُ فِيهَا بِالْبُرْكَاتِ وَالنَّمَاءِ مِثْلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةً - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُنَبِّهَ عَلَى حَسَنِ اعْتِنَائِنَا بِأَمْرِهِ ، وَاعْتِمَادِنَا بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ أَسْبَابِ إِسْنَاءِ رُتْبَتِهِ وَرَفْعَةِ قَدْرِهِ ؛ فَلِذَلِكَ رَسَمَ - زَادَ اللَّهُ فِي عِلَالِهِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مُظْهِرًا مِنْ مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَا كَانَ فِي صَمِيرِ كِفَايَتِهِ مَكْنُونًا ، مُبْرَزًا مِنْ تَثْمِيرِ الْأَمْوَالِ وَتَعْمِيرِ الْأَعْمَالِ مَا يَحْقُقُ بِهِ : مِنْ خِصْبِ الْبِلَادِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ مِظْنُونًا ؛ مُوَالِيًا إِلَى الْخِزَانِ الْمَعْمُورَةِ مِنْ حُمُولِ تَدْبِيرِهِ مَا يُمَسِّسُ بِهِ طَائِرُ تَصَرُّفِهِ مِيمُونًا ، وَسَبَبُ تَوْقِفِهِ مَامُونًا . وَلِيَكُنِ النَّظَرُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ هُوَ الْمِهْمُ الْمَقْدَمُ لَدَيْهِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي يَتَعَيَّنُ تَوْفُرُ أَهْتِمَامِهِ عَلَيْهِ ، فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ آجْتِهَادًا يَظْهَرُ أَثَرُهُ ، وَيَجْتَنِي أَيْمَرُهُ ، وَيُجَمِّدُ وَرْدَهُ وَصَدْرَهُ ؛ وَتَتَفَرَّعُ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْمَصَالِحِ ، وَتَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْمَنَاجِحِ ؛ وَمِلَاكُ ذَلِكَ بَسْطُ الْمَعْدَلَةِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ لِلْبِلَادِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَاعْتِمَادُ الرَّفْقِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ الْبَأْسُ قَوْمًا ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَاعِلُهُ مَعَ الْحَزْمِ لَوْمًا ، وَلَا يَطْرُدُ عَمَّنْ أَنَامَهُ الْعَدْلُ فِي مِهَادِ الدَّعَةِ نَوْمًا ؛ وَلْيَصْرِفْ إِلَى اسْتِجْلَابِ الْأَمْوَالِ وَمُوَالَاتِ حَمَلِهَا هِمَّةً نَاهِضَةً ، وَعِزْمَةً إِلَى مَاقْرَبٍ وَنَائِيٍّ مِنَ الْمَصَالِحِ رَاكِضَةً ، وَقُوَّةً بِأَسْبَابِ الْحَزْمِ آخِذَةً وَعَلَى أَعْنَسَةِ التَّدْبِيرِ قَابِضَةً ؛ وَفِيهَا خَبْرَانُهُ مِنْ عِزَائِمِ الْمَشْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الَّتِي مَا بَرِحَتْ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مَشْهُورَةٍ ؛ مَا يَكْتَفِي بِهِ عَنْ الْوَصَايَا الْمُوَكَّدَةِ ، وَيُوثِقُ بِهِ فِيمَا عُدِقَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَدَّةِ ؛ لَكِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى أَوْلَى الْوَصَايَا وَأَوْطَأَ ، وَأَحَقُّ مَا تَلِيَتْ عَلَيْهِ تَفَاصِيلُهَا وَجَمَلُهَا ؛ فَلْيَقْدِّمْ تَقْوَى اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلْهَا الْعُمْدَةَ فِيمَا اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

الوظيفة الثانية - شدّ المهمّات . وصاحبها يتحدّثُ فيما يُطلَبُ للأبواب السلطانية من المستعملات وغيرها . وقد ذكر في "التثقيف" أن عاداته أن يكون مقدّم ألف .

وهذه نسخة توقيع بشدّ المهمات بدمشق ، وهي :

الحمد لله الذي شدّ عرّ المصالح من الأولياء بكل ذى أيدٍ ، وكلّ من هو في المهمات أبطش بعمرو من زيد ، ومن له تدير كم أغنى باقتناصه لشوارد الأمور عن حباله صيد .

[وبعد^(١) فإن أحق من استخلص لاستخلاص الأموال ، واختير لصونها من الاختلال وحفظها من الاختلال ، وأهل قلمه وكلمه : هذا للتمثيل وهذا للامتثال ؛ وفوض إليه التصرف في الترغيب والترهيب ، والاجتهاد في التمييز والتحرير والتوفير إذ كل مجتهد مُصيب - من اشتهر بأنه ذو حزم لا يني ، وعنزم عن المصالح لا يئني ، واحتفال بالأحوال التي منها نكر لمن ينجي وشكر لمن ينجي ؛ وله نباهة يدرك بها كل إيهام وكل إيهام ، ويطلع [بها] على فلتات السنة الأعلام ، ويفهم بها مقاصد كل من هو من الجنة في كل وإد يهيم ، ولا يخفى عليه جرأ الجرائد ولا مخازي المخازيم ؛ وفيه رحمة كم أصبح بها وهو الأتقي ، ولم يأت قساوة يكون بها هو المنبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ؛ وكم ساس الأمور ودبرها فأحسن فيها السياسة وأجمل التدبير ، واستخرج [الشيء الكثير] بالتخويف اليسير ؛ حتى جمع حسن تدبير واسترعا ، وصنع حسناً وأحسن صنعا .

(١) زدنا هذه اللفظة للزومها واستقامة الكلام بها . فتنبه .

ولما كان فلان هو لهذا الأمر الجليل المُستَرعى، واسمه في أقل مدارج التنويه والتنويل خير مُستدعى؛ وفيه من جميل الأوصاف ما يرضى حسن الاقتراح وقد خبر أمور الكتبه، وقد علم من أحوالهم ما هو أحرى لهم بالتجربه، وعرف خفايا المعاملات معرفة تامه، وأحاط بجزئيات الجهات وكلياتها إحاطة خاصة وعممه - أقتضى حُسن الرأي المُنيف، أن رسم بالأمر الشريف - لا برح يشد عضد كل مُهم من الأولياء بأى كل عزم، ويجعل له سلطاناً لا يكمل مصلحة إلى حزم ذى حزم - أن يفوض إليه شد المهمات بالشام المحروس .

فليضبط الأمور ضبطاً مُستوعباً، ولينتصب لذلك أنصاباً مُرتباً، وليحترز مُنفداً ومُصرفاً، ومُسرِعاً ومُستوقفاً؛ ومتى ظهر حق يتمسك به تمسك الغريم، ولا يُجاب فيه ذأ بأس قوى ولا ذأ منهُج إلى المنع والدفع غير قويم؛ وما من جهة إلا ولها شروط صوب الصواب، ولا يعتمد على غير الحق منجاً عن ترويح الكُتاب؛ ولتكن الجمول مسيره، والمتخرجات متوفره؛ وجهات الخاص مقرره، إذ الضمان لا ينتظر لهم نظرة إلى ميسره؛ فإنهم سوس المعاملات، وكواسر الجهات؛ ومنهم يُحفظ أو يُضاع، وبهم يترقى أو يحط الأرتفاع؛ وجهات المُقطعين الواجب له أن يجعل عليها واقية باقيه، ولتحم لهم حتى لا يتناول إلى ذروتها أمتداد الأيدي المختزلة ولا خطأ العدوان الراقية؛ وليصرف وجهه بحفظه إلى مراقبة من فى باب الشد من مُقدمين ومن رُسلٍ يأكلون أموال الناس بالباطل، ويبيعون الآجل بالعاجل؛ ويُخيفون العام والخاص، وكل منهم يروم الغناء وهو رقاص .

هذه زُبده من الوصايا مُقنعه، وعزومات غنية عن تكثير فى القول أو توسعه؛ والله تعالى يكون له ويعينه، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع ما يكتب
فيها توقيح ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالی بالياء» مفتتحا بـ «الحمد لله»)

وبذلك يكتب للقضاة الأربعة بحاضرة دمشق .

وهذه نسخة توقيح بقضاء قضاة الشافعية بدمشق المحروسة ، كتب به لقاضي
القضاة «بهاء الدين أبي البقاء السبكي» وهي :

الحمد لله الذي أقر أحكام الشرع الشريف ، في أيامنا الزاهرة على أكل القواعد ،
وأمر مدار الحكم المنيف ، في دولتنا القاهرة على أجمل العوائد ، وأمضى فصل
القضاء في ممالكنا الشامية بيد إمام غيت فضائله عن الشواهد ، وأتمه الأئمة
لاقتباس الفوائد ، وعدت أحكام الملة منه مجاهر في الحق مجاهد ، مسدد في الدين
سهم اجتهد رعى به شاكلة الصواب عن أثبت يد وأشد ساعد .

نحمده على نعمه التي حلت مناصب الدين في ممالكنا الشريفة بأكفائها ، وعلت
رتب العلم في دولتنا القاهرة باستقرار من جعلته فضائله غاية اختيارها ونهاية
أصطفائها ، ودلت على اعتنائنا بتنفيذ أحكام من أتعبت سيرته الجميلة من سهد
في اتباعها وجهد في اقتنائها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
لا تزال أعلامنا بها تتصر ، وأيامنا على الجهاد لتكون كلمتها هي العليا تقتصر ،
وأفلامنا لنشر دعوتها في الآفاق شهب ولا توجر وتطنب ولا تحتصر ، ونشهد أن
مجد عبده ورسوله أشرف من قضت أمته بالحق فعدلت ، وتلفت عنه أحكام ملته

فَفَاقَتْ بِذَلِكَ الْأُمَّمَ وَفَضَلَتْ ، وَحَكَتْ بِمَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شِرْعَتِهِ فَمَا مَالَتْ عَنْ سَنَنِهِ الْقَوِيمِ وَلَا عَدَلَتْ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ فَسَلِمُوا ، وَعَمِلُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا عَلِمُوا ، وَبَدَّلُوا النُّفُوسَ فِي طَاعَتِهِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا الْمَوَا؛ صَلَاةٌ تُؤَدِّي بِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُفْتَرَضِ ، وَزُغْمٌ بِإِقَامَتِهَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ تَنْقَلُ فِي رُتْبَةِ السَّنِيَّةِ ، وَوُطِدَتْ لَهُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ قَوَاعِدُ سِيرَتِهِ السَّرِيَّةِ ؛ وَأَطْلَقَتْ جِيَادَ الْبِرَاعَةِ فِي إِمْضَاءِ حِكْمِهِ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ مَشَانِي أَعْنَتِهَا ، وَأَطْلَقَتْ صِعَادَ الْبِرَاعَةِ فِي إِعْلَاءِ بَهَائِهِ فِيهِمَا [السنّة] أَسْنَتِهَا ؛ وَأَرَدْنَا أَنْ نُرَدَّهُ إِلَى أَعْرَ الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا لِنُقَرَّرَ عَيْتِهَا ، وَقَصَدْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَى رُتْبَتِهِ بِهَا لِنُوفِيَ بِإِسْتِعَادَتِهِ دِينَهَا ؛ وَأَخْتَرْنَا أَنْ نَجِدَّ لَهُذِهِ الْوِظِيفَةَ سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَأَنْ تُرِيَهُ أَعْتَاءَنَا بِأَمْرِ مَنْصِبِهِ الَّذِي لَمْ يَلِهِ مِثْلُهُ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ قَدْ آخَتْصَتْ بِفَضَائِلِهِ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَأَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ قَدْ أَلْفَتْ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا لَمْ تُرِدْ بِهِ بَدِيلًا - مِنْ ظَهَرَتْ فِضَائِلُهُ ظُهُورَ نَعْتِهِ ، وَتَهَادَتْ فَوَائِدُهُ رِفَاقَ الْآفَاقِ ؛ مِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَأُمَّةِ وَقْتِهِ ، وَعُلِمَتْ أَوْصَافُ الصُّدُورِ الْأَوْبِ مِنْ عِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَسَمْتِهِ ؛ وَنَشَرَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُلُومِهِ مَا لَمْ يُطَوَّبْ بِتَطَوُّي إِلَيْهِ الْمَرَا حِلْ ، وَتَقَلَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ فُنُونِهِ مَا يُرَوَى فَيُرَوَى بِهِ السَّمْعُ الظَّامِي وَيُنْحِصَبُ بِهِ الْفِكْرُ الْمَا حِلْ ؛ وَأَلْفَتْ الْأَقَالِيمُ مِنْ حُكْمِهِ مَا غَدَتْ بِهِ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِإِشْرَاقِهِ ، وَمُرْوَعٍ بِفِرَاقِهِ ، فَمِنْ أَفْضِيَّةِ مُسَدَّدِهِ ، وَأَحْكَامِ مُؤَيَّدِهِ ؛ وَأَقْوَالٍ مَزَهَّةٍ عَنِ الْهَوَى ، وَأَحْوَالٍ صَادِرَةٍ عَنْ زَهَادَةٍ مُحْكَمَةِ الْقَوَاعِدِ وَنِزَاهَةٍ مُجْتَمَعَةِ الْقَوَى ؛ وَإِصَابَةٍ دَالَّةٍ عَلَى مَا وَرَاءَهَا مِنْ عِلْمٍ وَوَرَعٍ ، وَإِجَابَةٍ فِي الْحَقِّ تَحْيَا بِهَا السُّنُنُ وَتَمُوتُ الْبِدَعُ ، وَشِدَّةٍ فِي الدِّينِ تَصْدَعُ فِي كُلِّ حُكْمٍ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ ؛ وَعَدْلٍ لَا يُسْتَلَانُ

جَانِبِهِ ، وَحَزْمٍ لَا يُسْتَرَلُّ صَاحِبُهُ ، وَلَا يُسْتَنْزَلُ رَأْيُهُ ، وَقُوَّةٍ فِي الْحَقِّ تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ
الإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَلِيْنٍ فِي اللَّهِ يُفْسِحُ لِلْحَقِّ مَجَالَ الْقَوْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَبِجَالَسِ غَدَّتْ بِالْعِلْمِ
طَيِّبَةَ الْأَرْجِ ، وَفَضَائِلَ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ مَوَادِّ فِكْرِهِ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ ، وَبَدَائِعَ
تُضْرَبُ إِلَى أَسْتِمَاعِهَا أُجَادُ الْإِيلِ ، وَبَدَائِعَ تَهْرُمُ الْأَيَّامَ وَعُمُرَ شَبَابِهَا مُقْتَبِلَ .

ولما كان المجلس العالی - أدام الله نعمته - هو الذي ورد على أبوابنا العالیة ونور
ولائه يسعی بين يديه ، وصدر الآن عنها وحل الآئنا تَضْفُو عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ فِي خَدْمَتِنَا
الشَّرِيفَةَ مَعْدُودًا فِي أَكْرَمِ مَنْ بِهَا قَطَنَ ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ مَجْمُوعًا لَهُ بَيْنَ مُضَاعَفَةِ النِّعَمِ
وَالْعُودِ إِلَى الْوَطَنِ . وَهُوَ الَّذِي تَخْتَالُ بِهِ الْمَنَاقِبُ ، وَتَخْتَارُ فَضْلَهُ الْعَوَاقِبُ ، وَيُشْرِقُ
قَلْمُهُ بِالْفَتَاوَى إِشْرَاقَ النَّهَارِ ، وَتُعْدِقُ مَنَافِعُهُ إِغْدَاقَ السُّحْبِ بِالْأَمْطَارِ ، وَتُحْدِقُ
الطَّلِبَةَ بِهِ إِحْدَاقَ الْكِمَامَةِ بِالثَّمْرِ وَالْهَالَاتِ بِالْأَقْفَارِ ، وَهُوَ شَافِي عِي كُلِّ شَافِعِيٍّ ،
وَدَوَاءُ أَلَمِ كُلِّ أَلْمَعِيٍّ ، طَالَمَا جَانَبَ جَنْبَهُ الْمَضَاجِعَ سَهَادًا ، وَقَطَعَ اللَّيْلَ ثُمَّ أَسْتَمَدَهُ
لَمَدِّ فِتَاوِيهِ مِدَادًا ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْمُدْهَبِينَ نَظْرًا وَتَقْلِيدًا ، وَالْمُدْهَبِينَ مِنَ الْقَوَائِنِ قَدِيمًا
وَجَدِيدًا ، وَسَلَكَ جَمِيعَ الطَّرِيقِ إِلَى مَدْهَبِ إِمَامِهِ ، وَمَلَكَ حِسَانَهَا فَأَسْفَرَ لَهُ كُلَّ وَجْهِ
تَغَطَّى مِنْ أَوْرَاقِ الْكُتُبِ بِلِثَامِهِ ، وَأَنْفَتَحَتْ بِفَهْمِهِ لِلتَّصَانِيفِ أَبْوَابٌ شَغَلَتْ
«الْقَفَالَ» أَقْفَالَهَا ، وَنَفَحَتْ [لَهُ] نَفَحَاتُ مَا «لِلْأَوْرِدِيِّ» مِثْلَهَا ، وَمَنْنَحَتْ حُلَلًا يَفْخَرُ
«الغَزَالِي» إِذَا نُسِجَ عَلَيْهِ مِثْوَالُهُ سِرْبَالُهَا ، فَلَوْ أَدْرَكَهُ «الرَّافِعِيُّ» لِشَرَحِ «الْوَجِيرِي» مِنْ
لَفْظِهِ ، وَأَمَلَى أَحْكَامَ الْمَذَاهِبِ مِنْ حِفْظِهِ ، وَصَدَّرَ الْمَسَائِلَ بِأَقْوَالِهِ ، وَأَعَدَّ لِكُلِّ
سُؤَالٍ وَارِدٍ حُجَّةً مِنْ بَحْثِهِ وَبُرْهَانًا مِنْ جِدَالِهِ ، فَلَهُ فِي الْعِلْمِ الْمُرْتَقَى الَّذِي لَا يُدْرِكُ ،
وَالْمُنْتَهَى الَّذِي لَا يُنَازَعُ فِي تَفَرُّدِهِ وَلَا يُشْرَكُ ، وَالغَايَةُ الَّتِي أَحْرَزَهَا دُونَ غَيْرِهِ فَلَوْلَا
الْمَشَقَّةُ لَمْ تُتْرَكْ ، وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ بِهَذِهِ الرَّتْبَةِ مَلِيًّا ، وَبِمَا عُدَّ بِذِمَّتِهِ مِنْ أَحْكَامِهَا

وَفِيَا، وَبِكُلِّ مَا يُرِضِي الْخَلِيقَةَ عَنْهُ مِنْ أَحْوَالِهَا قَامَا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَبِأَعْبَائِهَا مُسْتَقِلًّا مِنْ حِينَ مَنْحِهِ اللَّهُ الْعِلْمَ نَاشِئًا وَآتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَمَا بَرِحَ تَدْعُوهُ التَّقْوَى فُجِيبَهَا، وَيَتْرِكُ مَا لَا يُرِيبُ نَفْسَهُ تَنْزِيهَا عَمَّا يُرِيبُهَا، فَكَمْ بَجَرَ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنْ عِلْمِهِ عُيُونًا، وَغَرَسَ بِهَا مِنْ أَفْنَانِ فَضْلِهِ فُنُونًا؛ وَكَانَ لَهَا خَيْرَ جَارٍ تَرَكَ لَهَا مَسَاوَاهَا، وَأَكْرَمَ نَزِيلٍ نَوَى بِالْوَصُولِ إِلَيْهَا مَصْلَحَةَ دِينِهِ فَلَمْ يُضَيِّعِ اللَّهُ لَهُ نِيَّتَهُ الَّتِي نَوَاهَا، وَأَلْفَ قَوَاعِدَ أَهْلِهَا وَعَوَائِدَهُمْ، وَعَرَفَ بِمُحْسِنِ أَطْلَاعِهِ مَا جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَائِبَهُمْ وَشَاهَدَهُمْ؛ وَعَدَّوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمَقْبُولَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَقْتَدَوْا فِي مَحَبَّتِهِ بِالَّذِينَ تَبَعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ؛ ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَا كَانَ قُدُومُهُ إِلَّا عَلَيْنَا، وَوَفَدَ إِلَيْهَا مُجْسِنٍ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ اللَّتَيْنِ مَا وَفَدَ بِهِمَا إِلَّا إِلَيْنَا؛ فَوَأَيْبَا مِنْهُ إِمَامًا لَا يُحْكَمُ فِي تَوَلِيَّتِهِ الْحُكْمَ بِالْهَوَى، وَلَا يُنَوَى فِي تَقْلِيدِهِ الْقَضَاءَ غَيْرُ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ «وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى»؛ وَهُوَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْمَنْصِبِ خَيْرِيًّا، وَبِعَوَائِدِ هَذِهِ الرِّتْبَةِ بَصِيرًا، وَبِإِجْرَائِهَا عَلَى أَكْمَلِ السَّنَنِ وَأَوْضَحِ السَّنَنِ جَدِيرًا، وَبِإِمْرَاءِ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يُحَقِّقُ إِجْحَادَ الْحَقِّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾؛ مَعَ مَا تَكَمَّلَتْ بِهِ فَضَائِلُهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَالتَّحَلِّيِ بِالْوَرَعِ الْمَتِينِ، وَالتَّخَلِّيِ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مِنْ آتِصَفِ بِهَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِ فِي النَّاصِرِيِّ - لِأَزَالِ عِلْمَ الْعِلْمِ فِي أَيَّامِهِ مَرْفُوعًا، وَأَلْمُ الْجَهْلِ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ دَوْلَتَهُ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ مَدْفُوعًا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَضَاءَ الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَنَظَرَ الْأَوْقَافِ بِدِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَمَا هُوَ مُضَافٌ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالتَّدَارِيْسِ وَالتَّصَدِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَقَاعَدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ .

فَلْيَقَابِلْ هَذَا التَّقْلِيدَ السَّعِيدَ بِيَدِ زَيْدٍ فِي الْحَقِّ تَمَكُّنُهَا ، وَعَلَى الْخَيْرِ تَمَرُّنُهَا ، وَفِي الْعَدْلِ
 أَنْبَسَاطُهَا ، وَفِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَنِ الْمَعَاذَةِ عَلَى الْحَقِّ قُوَّتُهَا وَأَحْتِيَاطُهَا ، وَيَمِضُ
 عَلَى مَا أُلْفَ مِنْ سِيرَتِهِ الَّتِي زَانَ الْعِلْمُ أَوْصَافَهَا ، وَزَانَ الْوَرَعُ أَتِّصَافَهَا ، وَحَلَّى الْعَدْلُ
 مَفَاخِرَهَا ، وَأَحْيَا التَّقْوَى مَآثِرَهَا ، وَتَنَاقَلَتْ رِفَاقُ الْآفَاقِ أَحْكَامَهَا ، وَأَسْتَصَحَبَتْ مِنْ
 هُدَايَا هُدَايَا مَا تُنْحِفُ بِهِ حُكْمَهَا ، وَفِيهَا نِعْتٌ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصَايَا الْمَجْدَدَةِ ،
 وَالْإِشَارَاتِ الْمُرَدَّدَةِ ؛ لَكِنِ الذِّكْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ ، وَتَجْمَعُ
 مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا خُلُقَهُ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلْيَرَحِّمْهَا هُوَ الْحُكْمَ الْمَتَّبِعَ
 وَأَمْرَهَا هُوَ الْأَمْرَ الْمَطَاعَ ، وَالْإِعْتَادَ رَابِعَ عَشَرَ الْحَرَمِ سَنَةِ
 خَمْسِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ .

قلتُ : ولم أقف على تفويض لقاضٍ من كتابة من تقدم سوى تفويض واحد ،
 من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، كتبه لقاضي القضاة «شهاب الدين بن المحجد
 عبد الله» بالشام المحروس ، على مذهب الإمام الشافعي . وهذه نسخته :

الحمد لله على التمسك بشرائعه ، والتنسك بذرئعه ، والتوسل إلى الله بتأييد أحكام
 شارعه ، والتوصل به إلى دين يقطع به من الباطل أعناق مطامعه .

نحمده حمداً يأخذ من الخير يجامعه ، ويضاهي الغمام في عموم منافعه ، ويباهي
 السيف بقلم الشرع في قهر عاصيه وحماية طائعه . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له شهادة تؤدي للإيمان أمانة ودائعه ، وتهدى إلى صيانة مشارعه ، وتقيم
 من العلماء كل شهاب تقسم الأنوار بلوامعه ، وتقسّم الأبصار ببدائعه ، وتجوّل
 الفتاوى في صدره الفسيح وتجوّل في شوارعه ، وترهف منهم للحكم العزيز كل قلم
 يدلّ السهم على مواقعه ، وينبسه الرمح من مقاتل الأعداء على مواضعه ، ويسرى

عَمَّامُهُ إِلَى الْأَعْدَاءِ بِصَوَاعِقِهِ وَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ بِهَوَامِعِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الَّذِي أَسْعَدَ الْأُمَّةَ بِطَالِعِهِ ، وَأَضْعَدَ الْأُمَّةَ فِي مَطَالِعِهِ ، وَأَسْعَفَ الْمِلَّةَ بِمَا
أَبْقَى اللَّهُ فِيهَا مِنْ حَسَنِ صِنَائِعِهِ وَيَمِينَ طَلَائِعِهِ ، وَمِنْ شَرِيْعَتِهِ الَّتِي أَمِنَ حَبْلُهَا الْمُدُودُ
مَنْ جَذَبَ قَاطِعَهُ ، وَكَفَى شَرَّ قَاطِعِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً [تَتَوَالَى
إِلَيْهِ تَوَالِي] الْعَذْبِ إِلَى مَنَابِعِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَقَامَنَا لِحِمَايَةِ شَرِّهِ الشَّرِيفَ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَاهُ ، أَوْ يُبَاحَ لِأَحَدٍ
مِنْ حُكَّامِهِ أَنْ يَرْكَبَ هَوَاهُ ، أَوْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ فِي سُبُطِهِ أَوْ رِضَاهُ ، أَوْ يُحْدِثَ فِي أَمْرِهِ
مَا لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَدًّا عَلَى سِوَاهُ - [جَعَلْنَا] نُجَدُّ عَلَى إِقَامَةِ مَنَارِهِ أَنْ يُطَمَسَ ؛
وَإِدَامَةَ مَبَارِزِهِ أَنْ يُقْلَعَ مَنَارُهَا أَوْ يُخَسَّ ؛ أَسْتَدَامَةً لِنَأْيِسَ حُكَّامِهِ ، وَتَأْيِيدَ أَحْكَامِهِ ؛
لِأَنَّ سَحَابَ أَنْوَاءِ عَمِّ الرَّبِيعِ رَبُّوعِهَا ، وَمِشْكَاتُ أَنْوَارِ يَكَاثِرِ الصَّبَاحِ لَمُوعِهَا ، وَأَفَاوِيقُ
وَفَاقِ تَنْبِيمِ بِهِ الْأُمَّةَ ضُرُوعِهَا ، وَشَجَرَةُ مَبَارَكَةِ إِسْلَامِيَّةِ زَكَّتْ أَصُولُهَا وَنَمَتْ فُرُوعِهَا ؛
شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ : مِنْ تَحْصِينِ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَتَحْسِينِ مَسَالِكِ دَارِ السَّلَامِ ؛
لِنَمْنَعِ الْحَنَّ أَنْ تُسَامَ ، وَبُرُوقَ الْفِتَنِ أَنْ تُسَامَ ، وَوُجُوهَ الْفِتَوَى أَنْ تَتَرَنَّ إِلَّا بِسَامَةِ
السَّامِ ؛ غِبْطَةً بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَأَشْرَفُ وَأَتْقَى ، وَأَعْظَمُ
بَلَدٍ نَشَعَبُ بِالْمَذَاهِبِ طُرُقًا ، وَتَوَدُّ الْحَجْرَةَ لَوْ وَقَفَتْ بِهَا عَلَى الشَّرِيعَةِ نَسَقًا . تَتَرَاخَمُ
فِي مَرْكَبِهَا الْأَعْلَامُ ، وَتَتَضَافَرُ عَلَى الْجِهَادِ فِي اللَّهِ بِالْحِلَالِ وَالْجُدَالِ تَارَةً بِالسِّيُوفِ
وَتَارَةً بِالْأَقْلَامِ . وَدِمَشْقُ حَرْسِهَا اللَّهُ هِيَ أُمُّ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ ، وَمَدَدُهُ الَّذِي يَحْنُو عَلَى
مِشَارِعِهَا حُنُوُ الْوَالِدَةِ عَلَى الْفَطِيمِ ، وَتَنْبَتُ بِهَا فَوَائِدُ لَا تَأْمَنُ مَعَهَا الْغَوَانِي حَتَّى
تَلْمَسَ «جَانِبَ الْعَقْدِ النَّظِيمِ» ؛ وَهِيَ دَارُ الْعِلْمِ ، وَمَدَارُ الْحُكْمِ ، وَمَوْطِنُ عُلَمَاءِ تَتَعَاقَبُ

فيها كواكبهم ، وتتناوب سخائبهم ؛ وتتناهى إلى حكمها العزيز الشكوى ، وتفصل بحكم حاكمها الدعوى ، ويمتد جناح طيلسانه على رضوى ، ويخلق البرق وراء فهمه ولا يبلغ غايته القصوى ؛ ويطول قامه على السيف المشهر ، ويرفرف سجله على الشرع المطهر ؛ كم حلت في صدوره صدور ، وكم طلعت منهم شموس وبدور ، وكم حمدت منهم أمور عاقبة ولله عاقبة الأمور ؛ كم أداء درس بهم ذكر ، وكم أدب نفس شكر ؛ كم بهم مجد ربح ، وجد لمة ممالاة نسخ ؛ كم أفضية لهم بالحق وصلت ، وقضية للحق فصلت ، ومهنة من غلبهم اللاحق حصلت ؛ كم سجل صاحب هذا المنصب حامل علمه المنشور ، ومصباح ديمه الحافلة على ممر الدهور ؛ بشرف مدرس علم يطلع من محرابه ، ونسك حلم يبدو بدره التمام خلف سخابه ؛ ومجلس إفادة ، انعقد عليه فيه الإجماع ، ومحفل سادة ، كان فيهم واسطة عقد الاجتماع .

[ولما] تزلزلت قدم مناره ، وأتتهك حجاب ضمائه ، وأستره الشيطان بكيده المتين ، وأضله على علمه المبين ؛ وسبق القلم الشرعى ، بما هو كائن ، ومضى الحكم القطعى ، بما هو من تصرفه بائن - تردد الاختيار الشريف فيمن نحى جيده بتقليدها ، ونوهل يراعته لتسليم مقاليدها ؛ وصوبنا صواب النظر فيها مضرا وشاما ، وأستشرفنا أعلاما ، وتيقنا لأقوى ما يكون [لها] قواما ؛ وابتكرنا أنه لا يصلح إلا من كان لحيلة الجهد طرازا ، ويزيد العمل إليه اعتراء والعلم به اعترازا ؛ إلى أن أجمع رأينا العالى على من لا ينكر ذو قدم ولا قدم ولا قلم ، أنه السابق ؛ ولا يجحد رب علم ولا عمل ولا علم ، أنه الباسق . ولا يشك أن من فوائده يستمد المطر ومن توقد ذهنه يقدر زناد البارق ، ولا يرتاب البحر أن فرائده ما يطوق العنق ويستنف الأذن ويتوج المفارق ؛ ولا يمارى في فضله الذى لو طلب له مثيل لم يصب ، ولو ادعى الكوكب السارى أنه له شبيهه لمسه النصب ، أو تلفقت أعناق القنا إلى قامه لأيقنت أنها كل على القضب ؛

وهو الذى أفنى عمره فى تحصيل العلم اشتغالا ، وجدّ فى الطّلبِ لصالح العملِ وإن
تعالى ؛ وبقى فقيه قوم ماجد منهم مثله ماجد ، ولا جادت يد كريم منهم تمتد بما
هو جائد ؛ ودرج أقرانه إلى الله وخلى دونهم شرعا لا يردّ واردا ، وخلف بعدهم
سهما فى الكفاة واحدا .

وكان المجلس العالى - أدام الله تأييده - هو الذى تحتال به المناقب ، وتختار
فضائله العواقب ؛ وشرق بقلمه الفتاوى إشراق النهار ، وتغدق منافعه إغداق
السحب بالأمطار ، وتحدق به الطلبة إحداق الكفاة بالتمر والهالات بالأقمار ؛
وهو شافى عي كل شافعى ، ودواء ألم كل ألمعى ؛ طالما جانب جنبه المضاجع
سهادا ، وقطع الليل ثم استمده لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمع بين المذهبين نظرا وتقليدا ،
والمذهبين من القولين قديما وجديدا ؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه ،
وملك حسانها فأسفر له [كل] وجه تغطى من أوراق الكتب بليامه ؛ وانفتحت
[بفهمه] للتصانيف أبواب شغلت « القفال » أفعالها ، ونفحت له نفحات
ما « للآوردى » مثالها ، وسفحت ديم غزار يسقى « المزنى » سجالها ، ومنحت حلا
يفخر « الغزالي » إذا نسج على منواله سربالها .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يحدّد ملبس فضله ، ويقلد كل عمل لصالح
أهله - أن يفوض إليه قضاء الشافعية بدمشق الحروسة وأعمالها وجنّدها
وضواحيها ، وسائر الممالك الشامية المضافة إليها والمنسوبة لها والمحسوبة فيها ؛ يولى
ذلك ولاية صحيحة شرعية ؛ على عادة من تقدمه وقاعدته المرعية ؛ مع ما هو مضاف
إلى من كان قبله من تدريس المدارس ، تفويضا لا يتأفّس فيه مناس ، ولا يجالس
فى درسه إلا من ارتضى من النجوم ان يجالس ؛ وأذنا له أن يستنّب عنه من

لا يَجْبُلُ عند الله ولا عِنْدَنَا بِأَسْتِنَابَتِهِ ، ولا يُدَاخِلُهُ ظَنُّ في خَلَاصِ ذِمَّتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَى الله في نِيَابَتِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَقَدُ أَعْمَالَهُمْ ، وَيَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ : فَمَنْ نَقَلَ إِلَيْهِ ثِقَاتَهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ أَقْرَهُ ، وَإِلَّا صَرَفَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى عَمَلِهِ كَرَهُ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُجَّةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُجَّةِ الله عَلَيْهِ قَائِمُهُ ، وَعَلَيْهِ إِنْ قَصَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي أُمُورِهِ تَعُودُ اللَّائِمَةُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا مَا كُنَّا نَعْرِفُكَ عِيَانًا ، وَإِنَّمَا وُصِفْتَ لَنَا حَتَّى كَأَنَّكَ نَرَاكَ وَسَمِعْتَ بَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَانَا ؛ فَشَيْدٌ لِمَنْ شَيْدَكَ لِكِ شُكْرِهِمْ أَرْكَانًا ، وَأَعْلَى ذِكْرِهِمْ لِمَجْدِكَ بِنَانًا ، وَجَعَلَ لِكَ قَدْرَهُمُ الْجَمِيلُ مِنَّا سُلْطَانًا ؛ وَأَقِمَّ بِحُسْنِ سُلُوكِكَ عَلَى مَا قَالُوا فِيكَ بُرْهَانًا ؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ مَعْرِوفِهِمْ وَجَازِهِمْ عَنِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِالْحَسَنَاتِ إِحْسَانًا .

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِوَصَايَا تَشْهَدُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْكَ بِبَلَاغِهَا ، وَيَعْتَرِضُ مِنْهَا فِي الْخُلُوقِ شَجًّا : فَأَيُّ الرِّجَالِ يَقْدِرُ عَلَى مَسَاغِهَا ؛ فَإِنْ قُتِمَتْ بِهَا كَانَ لَنَا وَلِكَ فِي الْأَجْرِ أَشْرَاكٌ ، وَإِنْ أَضَعَّتْ حَقُوقَهَا فَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّا أَخْرَجْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ مِنْ عُنُقِنَا وَقَدَدْنَاكَ ، وَاللهُ وَمَلَائِكَتُهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ شُهُودٌ عَلَى مَا أَوْلَيْنَاكَ وَمَا وَلَّيْنَاكَ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَعَلَّمَهُ سِوَاءَ رِضَى فُلَانٍ أَوْ سَخِطِ فُلَانٍ ؛ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الْمَصَالِحِ ، وَإِمْضَاءِ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ ؛ وَإِقَامَةِ حُدُودِ اللهِ وَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَهُ ، وَقَمْعِ الْبِدْعِ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ لَا لِإِثَارَةِ فِتْنَةٍ مَقْصُودَهُ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتَ وَأُمِّئِكَ مِنَ الْأُمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ تَسْرَعِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَتَطَّلَعَهُ إِلَى مَطَالِبِ سَقَطِ دُونِهَا فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ؛ فَيَاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَتَّبِعَ فِي هَذَا النَّحْوِ سُبُلَهُ ، أَوْ «رَتَنَهُ» عَنِ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ» .

والصدقات الحكيمة على مادة المساكين ، وجادة الشاكين ، ففرقتها على أهلها ،
وأجمع لك الحسنات عند الله بتبديد شملها ؛ ولا تبقى منها بقية تبقى معرضة لأكلها ،
فلو أراد واقفوها - رحمهم الله - أنها تبقى مخزونة ، لم يسمحوا ببذلها ، وبقية الأوقاف
شارف في أمورها ، وشارك الواقفين - رحمهم الله - في أجورها ؛ وخص الأسارى -
أحسن الله خلاصهم - بما يصل به إحسانك إليهم ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم .

والأيتام - جبرهم الله - : منهم الطفل والمميز والمراهق ومن لم يملك رُشدَه ، أو من
يحتاج أن يبلغ في جواز التصرف أشده ؛ وكل هؤلاء فيهم من لا يعلم من يضره ممن
ينفعه ، ولكن الله يعترفه وفي أعماله يرفعه ؛ فاجتهد أن تكون فيهم آبا براً ، وأن
تتخذ فيهم عند الله أجراً ، وأن تعامل في بينك بمثل ما عاملتهم إذا انقلبت إلى الدار
الأخرى ، واحفظ أموالهم أن تنهكها أجرة العمال ، وترجع في قراضها إلى ما يحجف
برعوس الأموال ؛ ومثل أعمالك [المعروضة] على الله في صحائفها المعروضة ، وأحذر
من المعاملة لهم إلا بفائدة ظاهرة ورهن مقبوضه .

والجهات الدينية هي بضاعة حفظك ، ووداعة لحظك ، فلا تول كل جهة إلا من
هو جامع لشرطها ، قائم بموازين قسطها .

والشهود هم شهداء الحق ، وأمناء الخلق ؛ وعلى شهاداتهم تبنى الأحكام ، فإياك
والبناء على غير أساس ثابت فإنه سريع الانهدام ؛ ومنهم من يشهد في قيمة المثل
ويتعين أن يكون من أهل البلد الأمثل ، لأنه لا يعرف القيمة إلا من هو ذو وسعة
ممول ؛ ومنهم من أذن له في العقود فامنع منهم من تسهل بسبب من الأسباب ، وما
تمهل إشفاقاً لأختلاط الأتسال والأنساب ؛ يقبل بالتعريف ما مخلو من الموانع

الشرعية مَنْ كَانَ، وَلَا يُحْسِنُ فِي تَرْوِيحِهِ يُمْسِكُ إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ وَلَا يُسْرِحُ تَسْرِيحًا
بِإِحْسَانٍ؛ وَهَؤُلَاءِ مَقَاسِدُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَالبلاءُ بِهِمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَقْصَرَ
أَوْ يُسْتَقْصَى؛ فَاعْتَبِرْ أَحْوَالَهُمْ أَعْتَابًا جَلِيًّا، وَفَكِّرْ فِي آسْتِدْرَاكِ فَاِرِطِهِمْ فِكْرًا مَلِيًّا؛
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالِدِينِ مَا يُوضِّحُ لَهُ الْمُشْتَبِهَاتِ، فَإِيَّاكَ وَتَرَكَهُ قُرْبٌ مَعْتَقِدٌ أَنَّهُ
يَطَّأُ وَطَاءً حَلَالًا وَقَدْ أَوْقَعَهُ هَذَا وَمِثْلُهُ فِي وَطْءِ الشُّبُهَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَدُ إِلَى
التَّحْلِيلِ، وَيَرْتَكِبُ مِنْهُ مَحْدُورًا غَيْرَ قَلِيلٍ؛ وَهُوَ بَعَيْنُهُ نِكَاحُ الْمُتَعَةِ الَّذِي كَانَ آخِرَ
الْأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ
أَبْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَدِّثًا مِنْهُ؛ فَاحْسِبْ هَذِهِ الْمَادَّةَ الرَّدِيَّةَ الَّتِي تُؤَلِّمُ عَضْوًا
فِيَسْرِي إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ أَلْمَهَا، وَيَبْقَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الدَّرَارِيِّ الْمَوْلُودَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْكِحَةِ
الْفَاسِدَةِ ثَلْمَهَا.

وَالرُّسُلُ وَالْوَكَلَاءُ يَجْلِسُ الْحَكْمَ الْعَزِيزُ وَمَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَمَا نَزَلَ فِي أُمُورٍ
مَا يَرِيدُونَ بِهَا تَقْلِيدَ حَكْمِكَ بَلْ مَا يَقْضُونَ بِهِ الْأَوْقَاتِ؛ فَلَا تَدَّعُ مَنْ تَرِيدُ مِنْهُمْ
إِلَّا كَلَّ مَشْهُورِ الطَّرِيقِ، مَشْهُورِ الْقِصَّةِ بَيْنَ الْخِصُومِ بِطَلْبِ التَّوْفِيقِ.

وَالْمَكَاتِبُ هِيَ سَهَامُكَ النَّافِدَةُ، وَأَحْكَامُكَ الْمُوَاخِذَةُ؛ فَسَدِّدْ مَرَامِيهَا، وَلَا
تُرْدِفْهَا مَا عَرَضَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ حَتَّى لَا يَسْرَعَ الدَّخُولُ فِيهَا؛ وَالْمَحَاضِرُ هِيَ مَحَلُّ
التَّقْوَى، فَاجْتَهِدْ فِيهَا أَجْتِهَادًا لَا تَدْرُ مَعَهُ وَلَا تُبْقِي.

وَأَمَّا قَضَايَا الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَيْكَ فِي شِكَاوِيهِمْ، وَالْمُحَاكِمِينَ فِي دَعَاوِيهِمْ، فَأَنْتَ بِهِمْ
خَيْرٌ، وَلَهُمْ نَاقِدٌ بَصِيرٌ؛ فَإِذَا اتَّوَكَّلْتَ لِتَكْشِفَ بِحُكْمِهِمْ لَأَوَاءَهُمْ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ؛ وَقَدْ فَهَّمَكَ اللَّهُ فِي دِينِهِ، وَأَوْرَدَكَ مِنْ مَوَارِدِ بَقِيَّتِهِ، مَا جَعَلَهُ لَكَ

نُورًا، وَجَلَّاهُ لَكَ سُفُورًا ؛ وَأَقَامَهُ عَلَيْكَ سُورًا ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مِنْهُ أُمُورًا ،
فَإِنْ أَشْكَلَكَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِجْمَاعِ
أَصْحَابِهِ فَإِنَّ لَمْ تَجِدْ فَعِنْدَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْعَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ سُورِيًّا ؛ وَلَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ ، فَأَعْمَلْ بِمَقْتَضَاهُ ،
وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آرْتَضَاكَ لَخَلْقِهِ فَاعْمَلْ عَلَى رِضَاهُ .

وَالْأئِمَّةُ الْعُلَمَاءُ هُمْ إِخْوَانُكَ فِي الدِّينِ ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى رَدِّعِ الْمُبْتَدِعِينَ ، وَلِسَانُكَ
فِي الْمَحْفَلِ وَجَنَاحُكَ إِذَا جَلَسُوا ذَاتَ الشَّمَالِ وَذَاتَ الْيَمِينِ ؛ فَتَزَلُّهُمْ مَنَازِلُهُمُ الَّتِي أَحْلَاهُمْ
اللَّهُ فِي شُرَفَاتِهَا ، وَبَوَاهُمْ رَفِيعُ غُرْفَاتِهَا ، وَتَأَلَّفَ خَوَاطِرَهُمْ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ
مِنَ الْأُمُورِ فِي صَفَاءٍ مُصَافَاتِهَا .

وَمَنْ نُسِبَ إِلَى خِرْقَةِ الْفَقْرِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ ، وَأَحْبَابُوهُ
الْأَقْرَبُونَ ، فَعَظَّمْ حَيَاتَهُمْ ، وَجَانِبْ مَحَابَتَهُمْ ، فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ اأَخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا مِنْ
هُوَ عَلَى هُدًى مُبِينٍ ، وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَبِيبًا يَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ
مِنَ قُلُوبِ قَوْمٍ آخِرِينَ .

وَأَنْتَصِبْ لِلدَّرُوسِ الَّتِي تَقَدَّمَتَ بِهَا عَلَى وَافِدِ الطَّلِبَةِ فَإِنَّ الْكِرْمَ لَا يَمْحَقُهُ الْإِهْتِمَاسُ ،
وَالْمُصْبَاحَ لَا يُفْنِي مُقْلَهُ كَثْرَةُ الْإِقْتِبَاسِ ، وَالغَمَامَ لَا يَنْقُصُهُ تَوَالِي الْمَطَرِ وَلَا يَزِيدُهُ طُولُ
الْإِحْتِبَاسِ ، وَالْبَحْرَ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ لَا يَخْلُو عَنْ الْوُرَادِ فِي عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ نُبْدَةٌ جَامِعَةٌ ، وَبَارِقَةٌ لِأَمِعَةٍ ؛ وَمِنْكَ يُسْتَفَادُ بَسَاطَةُ
الْقَوْلِ ، وَأَنْبَسَاطُ الطَّوْلِ ؛ وَهَذَا يُكْتَفَى بِمَا فِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيكَ ، وَيُحْصِي
حِسَابَ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ لِيُوفِيَكَ ؛ حَتَّى تَجِدَّ فَلَا يَتَخَلَّفُ بِكَ السَّيْرُ ، وَتُسْتَعَدَّ لِيُخْتَمَ لَكَ
بِحَاتِمَةِ الْخَيْرِ ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

(١) فِي الْأَصْلِ « حَلَا يَمَلَأُ فِي قُلُوبِهِمْ » فَتَأَمَّلْ .



قلت : وهذه نسخة توقيع بقضاء ، أنشأته بدمشق للقاضي «شرف الدين مسعود»

وهي :

الحمد لله الذي شيد أحكام الشرع الشريف وزاد حكامه في أيامنا شرفا ، ورفع منار العلم على كل منار وبوأ أهله من جنات إحساننا غرفا ، وأباح دم من ألد فيه عنادا أو وجه إليه طعنا ، وأوجب الأقياد إليه بقوله تعالى : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) ، وأهم الصواب في اختيار من لم يزل لهذه الرتبة معدا ومن رجاها معدودا ، وصرف وجه إقبالنا إلى من آرتضيناه للسلمين حاكما فأصبح بنظرنا مسعودا .

نحمده حمد من أعتنى بالقيام بشرائع الإسلام وتعظيم شعائره ، ونصح للرعية فيمن ولأه عليهم وأعطى منصب الشرع حقه بتقديم أكبره . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقضى لصاحبها بالنجاة من النار ، ويسجل لقاتلها بالثبوت في ديوان الأبرار ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي شرط الإيمان بالرضا بحكمه وأوجب طاعته أمرا ونهيا واستجابة وتحكما ، فقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نحن بسيرهم مهتدون ، وبآثارهم مقتدون ، وعلى آله وصحبه الغر الكرام الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، صلاة لا يختلف في فضلها آثان ، ولا يتنازع في قبولها خصمان ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت مرتبة الشرع الشريف هي أعلى المراتب ، ومنصب حكامه في الوري أرفع المناصب ؛ إليه تنتهي المخاصمات فيفصلها ثم لا تعدوه ، ويحكم فيه على

الخصم فيدعن إحقاقه ثم لا يشنوه ؛ بل يتفرق الخصمان وكل منهما بما قضى له
وعليه راض ، ويقول المتمرد الجائر لحاكمه : قد رضيت بحكمك فأفوض في ما أنت
قاض ؛ وناهيك برتبة كان النبي صلى الله عليه وسلم هو المتصدى للقيام بواجبها ،
والخلفاء الراشدون - رضوان الله عليهم - محافظين على أداء رواتبها ؛ ثم اختص
بها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء من الخليفة ، وأسستأثروا بها دون غيرهم من سائر
الناس فهم أهلها على الحقيقة ؛ إذ لا يؤهل لهذه الرتبة إلا من ارتقى إلى درجات
الكمال ، وأتصف بأحسن الأوصاف وأحتوى على أنيس الخصال ؛ وتضلع من العلم
الشريف بما يرويه ، وفاق في العقل والنقل بما يحثه ويرويه .

ولما كان المجلس الفلاني : هو عين هذه القلادة وواسطة عقدها ؛ وقطب
دائرتها وملاك حلها وعقدتها ؛ إذ هو «شريح» الزمان ذكرها ، و«أبو حامد» سيرة
و«أبو الطيب» نسرا ؛ لاجرم ألبيته أيامنا الزاهرة من الحكم ثوبا جديدا ، وأفوض
عليه إنعامنا نحلة نعقبها - إن شاء الله تعالى - مزيدا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت الشريعة المطهرة بمناصرتة في أعز صوان ،
وحكامها بمعاضدته في أعلى درجة وأرفع مكان - أن يفوض إليه

فليأشر هذه الوظيفة مباشرة مثله لمثلها ، وليعمل بما يعلمه من أحكامها فهو ابن
بجدتها والخبير بمسالك وعريها وسهولها ؛ فهو الحاكم الذي لا يساوى ، والإمام الذي
يقتدى به في الأحكام والفتاوى ؛ فمليه بالتأني في الأحكام ، والتثبت فيما يصدر عنه
من التقض والإبرام ؛ وليستظر في الأمر قبل الحكم المرة ثم الأخرى ، ويكرر النظر
في ذلك ولو أقام شهرا ؛ ويراجع أهل العلم فيما وقف عليه ويُساورهم فما ندم من
استشار ، ويقدم استخارة الله تعالى في سائر أموره فما خاب من استخار ؛ وليدُر

مع الحق كيف دار ، ويتبع الصواب أنى توجه ويقتنى أثره حيث سار ؛ وإذا ظهر له الحق قضى به ولو على ابنه وأبيه ، وأعز أصدقائه وأخص ذويه ؛ غير مفرق في فصل القضاء بين القوى والضعيف ، والوضيع والشريف ؛ ولا مُميز في تنفيذ الحكم بين الغني والفقير ، والسوقة والأمير ؛ وليس بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إليهم ، كما في موقف الحكم وسماع الدعوى ورد الأجوبة فيما لهم وعليهم ؛ وليس تخلف من الثواب من حسنت لديه سيرته ، وحمدت عنده طريقته ؛ ويوص كلاً منهم بما نوصيه به ويبلغ في تأكيد وصيته ، ويستحضر السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا كَلُّكُمْ رَاجِعٌ وَكَلِّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ » . ولئمين النظر في أمر الشهود الذين تترتب على شهادتهم أمور الدنيا والفروج والأموال ، ويتفقد أمرهم في كل وقت ولا يغفل عنهم في حال من الأحوال ؛ ويحملهم من الطرائق على أحسن وجهها ، وأحفظهم بإمعان النظر شهود القيمة والعائر ، الذين يقطع بقولهم في أملاك الأيتام والأوقاف مما تنفر عنه القلوب وتنبو عنه الضمائر .

والوكلاء والمتصرفون فهم قوم فصل عنهم الشر فباعوه ، واستحفظوا الود فلم يرعوا حقه وأضاعوه ؛ فهم آفة أبواب القضاة بلا نزاع ، كيف وهم الضباع الضارية والذئاب الجياع . وما تحت نظره من أوقاف المدارس والأسرى والصدقات ، وغيرها مما يقصد به واقفوه وجه البر وسبيل القربات ؛ يحسن النظر في وجوه مصارفها ، مع حفظ أحوالها الذي هو أغنياً مراد واقفها .

وأهل العلم أبناء جنسه الذين فيهم نساء ومنهم نجم ، وجنده الذين يقصدونه بالفتاوى فيما قضى وحكم ؛ فليوفروهم الإحسان ، ويصنع معهم من المعروف ما يبق ذكره على ممر الأزمان ؛ ومثله لا يحتاج إلى كثرة الوصايا ، وثوقاً بما عنده من العلم

بالأحكام والمعرفّة بالتضايّا ، لَكِنُّ عَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ يَكُنُّ لَهُ مِمَّا يَتَّبِعُهُ
ظَهْرًا ، وَيَسْتَرْشِدُهُ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ لَدُنْهُ هَادِيًا وَنَصِيرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَبْلُغُ وَائِقَ أَمَلِهِ مِنْ كَرَمِنَا مَرَامًا ، وَيُوطِّئُ لَهُ الْمِهَادَ بِنَيْلِ حَسَنَتِ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية بالشام ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبيّ تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَهِيَ :

الحمد لله جاعل المذاهب الشرعية في أيامنا الشريفة زاهية بأركانها الأربعة ،
مستقرة على النظام الذي غدت به قواعد الحجّة محكمة ومواقع الرحمة متسعة ، فإذا خلا
رُكْنٌ مِنْ مَبَاشَرَةٍ أَقْبَسْنَا مِنْ تَكُونِ الْقُلُوبِ عَلَى أَوْلِيَّتَيْهِ مُجْتَمِعَةٍ ، وَأَنْتَقِينَا لَهُ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ
مَنْ تَغْدُو بِهِ الْأُمَّةُ حَيْثُ كَانَتْ مُتَّفِعَةٍ ، وَأَسْتَدْعِينَا إِلَيْهِ مَنْ تَغْدُو الْأَدْعِيَةُ الصَّالِحَةُ
لَنَا بِتَقْوِيضِ الْحُكْمِ إِلَيْهِ مُرْتَفِعَةٍ ، الَّذِي خَصَّ مَذْهَبَ « إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ »
بِكُلِّ إِمَامٍ هَجَرَ فِي التَّبَحُّرِ فِيهِ دَوَاعِي السُّكُونِ وَبَوَاعِثِ الدَّعَةِ ، وَجَمَلَ مَنْصِبَ حُكْمِهِ
بِمَنْ كَمَلَ بَعْلُومُ الدِّينِ نَحْرُهُ فَإِذَا حَكَمَ غَدَتِ الْأَقْضِيَةُ لِحُكْمِهِ مُنْفَذَةً وَإِذَا قَضَى أَصْحَتْ
الْأَحْكَامُ لِأَقْضِيَتِهِ مُتَّبِعَةً .

نحمده على نعيمه التي جعلت مهمّ الشرع الشريف لدينا كالأستفهام الذي له
صدر الكلام ، وبمثابة النية المقدّمة حتى [على] تكبيرة الإحرام ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة أثبتت الإخلاص حُكْمَهَا ، وَأَحْكَمَ الْإِيمَانَ عِلْمَهَا ،
وَأَبْقَى الْيَقِينَ عَلَى صَفَحَاتِ الْوُجُوهِ وَالْوُجُودِ وَسَمَّهَا الْمَشْرِقَ وَأَسَمَّهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ فِي الْإِقْرَارِ بِفَضْلِهِ ، وَأَرْسَلَهُ (بِالْهُدَى)

وَبِالْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)؛ وَخَصَّه بِالْكِتَابِ الَّذِي أَخْرَسَ الْأُمَّمَ عَنْ مُجَارَاتِهِ
 فَلَوْ (أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)؛ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَأَوْصَحُوا شَرْعَهُ الشَّرِيفَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ
 بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ أُمَّتِهِ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ بِقَاعِ الْإِيمَانِ لِأَحْكَامِهَا مِنْبَتُهُ، وَأَنْوَاءُ الْإِيْقَانِ
 لِأَوَامِهَا مَقْلَتُهُ (١) وَسَلْمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الأحكام الشرعية تتوقف على ملاحظة قضاء قضائياتها
 في غالب الأمور، وتستند إلى مراجعة أصول حكامها في أكثر مصالح الجمهور ،
 لم يكن بد من مراعاة أصولها التي إنما تنبؤ الفروع عنها، وتدبر أحوال أحكام
 حكامها التي تنشأ أفضية القواب منها؛ ولذلك لما أصبح منصب قضاء القضاة على
 مذهب الإمام «مالك بن أنس» رضى الله عنه بالشام المحروس لضعف مباشره
 المتمد ، في حكم الحالى ، وتعطل بعجزه المشتد ، مما ألف به قديما حال حكمه
 الحالى ؛ وتمادى ذلك إلى أن ترقى الناس منه إلى درجة اليقين ؛ وتناهى الحكم فيه
 إلى أن يعين أن يرتاد من يتعين لمثله من الأئمة المقيين ؛ لئلا يخلو هذا المذهب من
 قاضى قضاة يقيم مناره ، ويديم أنواره ، ويرفع شعاره ، ويحيى ماثر إمامه وآثاره ،
 ويؤمن كمال أفته أن يعاود سراره ؛ وكان المجلس السامى ، القاضوى ، الفخرى ،
 هو الذى لا يعدوه الأرتياد ، ولا يقف دونه الانتقاء والانتقاد ، ولا تتجاوز الإصابة
 فى الاجتهاد : لما عليه من علم جعله مخطوبا للناسب ، وعمل تركه مظلوبا للراتب
 التى لا تدعن لكل طالب ؛ وتقى أعاده مرتقيا لكل أفيق لا يصلح له كل شارق ،
 وورع فتح له أبواب التلقى بالاستدعاء وإن لم تفتح لكل طارق ؛ وقد هجر الكرا
 فى تحصيل مذهب «إمام دار الهجرة» إلى أن وصل إلى ما وصل ، وأنفق مدة

(١) الأوام شدة العطش ومقلته مهلكة .

عُمره في آقتناء فوائده إلى أن حصل من الثروة بها على ما حصل به فسارت فتاويه في الآفاق ، وممت بركات فوائده التي أنفقها على الطلبة فزكت على الإنفاق - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نبقى نخر هذا المنصب الجليل بفخره ، وأن نخص هذا المذهب النبيل بذخره ، وأن نحلى جيده بمن نقلنا إلى وشام الوسام ما كان من حسن شذب العلم محتصاً بتغريره .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال لأحكام الشرع مقيماً ، وللنظر الشريف في عموم مصالح الإسلام وخصوصها مديماً ؛ أن يفوض إليه لما تقدم من تعينه لذلك ، وتبين من أنه لحكم الأولوية بهذه الرتبة في مذهب الإمام مالك مالك .

فليل هذه الوظيفة حاكماً بما أراه الله من مذهبه ، مُراعياً في مباشرتها حق الله في الحكم بين عباده وحق منصبه ؛ مجتهداً فيما تبرأ به الذمة من الوقوف مع حكم الله في حاتى رضاه ورضاه ، واقفاً في صفة القضاء على ما نص فيه من شروطه وأوضاعه من قواعده وشُرح من أدبه ؛ مُضياً حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقتضيه رأى إمامه ، متوجاً بالحكم بنصوصه المجمع دليماً من أئمة مذهبه في تقض كل أمر وإبرامه ؛ جارياً في ذلك على قواعد أحكام هذا المذهب الذي كان مشرقاً في ذلك الأفق بجماله وزينه ، واقفاً في ذلك جميعه مع رضا الله تعالى فإنه في كل ما يأتى ويذر بعينه ؛ والله تعالى يسدده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضاه نهاية سوله وغاية أمله ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة ، كُتب بها للقاضي علاء الدين
«منتجى التنوخي» وهي :

الحمد لله الذي رفع بعلاء الدين قضاء قضائه ، وأوضح الهدى في القيام في توليتهم بمفترضاته ، وأعلى منار الشرع بما أوقفهم عليه من أحكامه ووقفهم له من مرضاته .

نحمده حمدا نستعيد من بركاته ، ونستعيد به أن نضل في ضوء مشكاته ، ونستعين عليه رب كل حكم يمدنا قلبه بسكونه وقلمه بحركاته ، ويثبت من جميل محضره لدينا ما يرفع مس شكاته ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستودع إخلاصها في قلوب ثقاته ، وتفوض أحكامها إلى ثقاته ، ويحیی سرحها من أبطال الجلال والجدال بكل مشتاق إلى ملاقاته ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من حكم بما أنزل الله من آياته ، وجاهد في الله برأيه وآياته ، وشرع من الدين ما ينجي المتمسك به من غواياته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أقام شرعه منهم بركاته ، وجعل حكمهم دائم النفع أبدا بأقلام علمائه وسيوف حماته ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فنصب الحكم الذي به تفصل الأمور ، وتفرج له الصدور ، وتتسد أقلام حكمه سهاما ، وتفيض غمما ؛ وتعلم منه الأسود زئيرا ، ويطول السيف صليلا والرمح صريرا ؛ وتتصب بين يدي حكمه الأقدام ، وتتصف على أحكامه الخصام ؛ وتتكس الرؤوس هيبته إطراقا ، وتغض المقل فتأذير جفونا ولا تقلب أحداقا ؛ ويجرى بتصرفه قلم القضاء ، ويجارى مرهقه البروق فتقر له بالمضاء ؛ وقد شيد الله مبانيه في مالكا الشريفة مضرا وشاما على أربعة أركان ، وجمع في قضائه الأئمة الأربعة لتكمل بهم فصول الزمان ؛ ومذهب الإمام أبي عبد الله « أحمد بن حنبل » رضي الله عنه هو بالسنة النبوية الطراز المذهب ، وطريقة

(١) الخصام جمع خصم كبحر وبحار . انظر المصباح .

السلف الصالح في كلِّ مذهب ، وقد تجنَّب من سلف من علمائه التَّأويلَ في كثير ،
ووقف مع الكتاب والسنة وكلِّ منهما هو المصباح المنير .

وكانت دمشق المحروسة هي مدار قُطبيهم ، ومطلع شُموسهم ونُجومهم وشهُبهم ؛
وأهلها كثيراً ما يحتاجون إلى حاكم هذا المذهب في غالب عقد كل بيع وإيجار ،
ومزارعة في غلالٍ ومساواة في ثمار ، ومصالحية في جوائح سماوية لا ضرر فيها
ولا ضرار ، وترويح كلِّ مملوكٍ أذن له سيِّده بجزية كريمة ، واشتراط في عقد بأن
تكون المرأة في بلدها مقيمة ؛ وفسخ إن غاب زوجها ولم يترك لها نفقة ولا
أطلق سراحها ، وبيع أوقافٍ دائرية لا يجد أرباب الوفاء نفعا بها ولا يستطيعون
إصلاحها .

فلما استأثر الله بمن كان قد تكلم هذا المنصب الشريف بشرفه ، وتجلَّ منه
ببقية سلفه ؛ حصل الفكر الشريف فيمن نقلده هذه الأمانة في عتقه ، ونهتُّ هذا
المنصب بطولع هلاله في أفقه ؛ إلى أن ترجح في آرائنا العالية المُرَّجِح المُرَّجِي ، وتعين
واحداً لما أبتلَّ الناس بالقضاء كان المنجى ابن المنجى ؛ طالما تطرقت له الفتاوى
بالأقلام ، وألنفت به حلقة إمام ، وخاف في طلب العلم من مضايقة الليالي فما نام
- أقتضى حسنُ الرأي الشريف أن يفوض إليه قضاء القضاة بالشام المحروسة على
مذهب الإمام الرباني « أحمد بن حنبل » الشيباني ، رضي الله عنه .

فليحكم في ذلك بما أراه الله من علمه ، وآتاه من حكمه ؛ وبينه له من سبيل
الهدى ، وعينه لبصيرته من سنن نبيه صلى الله عليه وسلم التي من حاد عنها فقد جار
وأعدى ؛ ولينظر في أمور مذهبه ويعمل بكل ما صحَّ نقله عن إمامه ، وأصحَّ به
من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه ؛ وقد كان - رحمه الله - إمام حق

(١)
 نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ نَوْبَةَ الْحِنَةِ وَقَامَ «سَيِّدُ تَيْمٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 نَوْبَةَ الرَّدِّ ، وَلَمْ تَهَبَّ بِهِ زُعَارِعُ «الْمُرَيْسِيَّ» وَقَدَّ هَبَّتْ مَرِيَسَا ، وَلَا «أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ»
 وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ ذَوْدٍ وَسَاقَ لَهُ مِنْ كُلِّ قَطْرِ عَيْسَا ؛ وَلَا نَكَثَ عَهْدَ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ «الْمَأْمُونُ»
 فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ ، وَلَا رَوَّعَهُ صَوْتُ «الْمَعْتَصِمِ» وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ
 وَلَا سَيْفُ «الْوَاتِقِ» ؛ فَلْيَقِفْ عَلَى آثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمَسْنَدِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرِهِ ؛
 وَلْيَقْضِ بِمُفْرَدَاتِهِ وَمَا آخْتَارَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارَ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَلَفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛
 وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ فِي بَيْعِ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفِ ثَمَنِهِ فِي مِثْلِهِ ، وَالْأَسْتِبْدَالَ بِمَا فِيهِ
 الْمَصْلَحَةُ لِأَهْلِيهِ ؛ وَالْفَسِيخَ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةً يَسُوغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسِيخَ وَتَرَكَ زَوْجَةً
 لَمْ يَتْرِكْ لَهَا نَفَقَةً ، وَخَلَّاهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجِيَّتِهِ كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا
 لَتَتَرَوَّجَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْفَسِيخِ بِشُرُوطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حَكْمَ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَفِيهَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ
 الْجَارِ ، وَمَا تَفَرَّعَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . وَأَمْرٍ وَقَفَّ
 الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى سِوَى أَهْلِ مَذْهَبِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلَةً عُلَمَاءَ لَوْلَاهُمْ
 لِمَا جَلَّ الزَّمَانُ جُنْحَ غَيْبِهِ . وَكَذَلِكَ الْجَوَاحِجُ الَّتِي يَخْفَفُ بِهَا عَنِ الضَّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ
 لَا يَرَى بِهَا الْإِلْزَامَ ، وَلَا تَجْرِي إِلَّا بِجَرَى الْمَصَالِحَةِ دَلِيلَ الْإِلْتِمَامِ . وَكَذَلِكَ الْمُعَامَلَةُ الَّتِي
 لَوْلَا الرُّخْصَةُ عِنْدَهُمْ فِيهَا لَمَا أَكَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ
 الْغَلَالِ وَالْمُعَامَلُ هُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْبَذْرَ وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ [مَحِيطُ]
 بِمُفْرَدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِلرَّفَقِ جَامِعَةٌ ، وَلِلرَّعَايَا فِي أَكْثَرِ مَعَالِيهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ، وَإِذَا
 أَسْتَقْرَتِ الْأَصُولُ كَانَتِ الْفُرُوعُ لَهَا تَابِعَةً ؛ وَالْخَطَّ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سيد تيم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

المرتبة الثانية^(١)

(من توابع الوظائف الدينية بدمشق ، ما يكتب في قطع الثلث مفتوحاً
بـ«الحمد لله» إن علت رتبة المتولى أو بـ«أما بعد حمد الله»
إن انحطت رتبته عن ذلك بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى — قضاء العسكر . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ،
كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثانية — إفتاء دار العدل بدمشق . وبها أربعة : من كل مذهب
واحد ، كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثالثة — الحسبة .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة الشريفة :

الحمد لله مجدد النعم في دولتنا الشريفة لمن صفت عليه ملائمتها ، ومضاعف
الدين في أيامنا الزاهرة لمن سمى به نقائمتها ، ومولى الآلاء لمن بسق غرسها لديه
فزهت بجماله ثمراتها وزكت مغارسها .

نحمده على نعمه التي تؤنس بالشكر أو أنسها ، وتؤسس على التقوى بحجائمتها ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستضاء بنور الإيمان قلبها ،
وآجتني ثمر الهدى غارسها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من أنزقت به
معالم التوحيد فعمر ديارها ، وأشرق دامناتها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
قلوبهم مشاهد الذكر والسنة مدارسها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

(١) في الأصل الطبقة الثانية .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى من أَمْضَى له ما كان به أَمْرٌ ورُسْمٌ ، وجدَّده من المَنَاصِبِ
الدينية ما عُرِفَ به من قَبْلُ ووُسْمٌ ، وأُثْبِتَ لترقيته ما حتم له به من المراتب السنوية
بمقتضى الاستحقاق وحكم - من رَقَّتْ أو أَمْرُنَا له حُلَّةٌ مَنْصِبٍ يجدها الإحسان ،
وأمرت له مرَّاسمنا بوظيفة تُؤَكِّد عَوَارِفَنَا الحِسان ، وأثَّلت [له] نَعْمَنَا مَنْصِبًا أَعَدَّ له
من كَمَالِ الأَهْلِيَّةِ أَكْمَلُ ما يُعِدُّه لذلك الإنسان .

ولما كان فلان هو الذى تحلَّى من إِحْسَانِنَا بما يأمن [معه] سعيد رتبته [من] العَطل ،
وَأَسَمَ من رِنَّا وأَمْتِنَانِنَا بما هو فى حكم المستقر له وإن أَلوَى به الدَّهْرُ ومَطَّل -
أَقْتَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ يُجَدِّدَ له مَوَاقِعَ النِّعم ، ونُسَيْدٌ من رجائه مَوَاضِعَ ما شَمِلَه من البرِّ
والكرَم ، وُنَرَى من عَدَقَ بِنَا رَجَاءَ أَمَلِه أَنَّنَا نَتَعَاهَدُ سُقِيَا أَمَالِ الأَوْلِيَاءِ والخدم .

فلذلك رسم ... - لازل بره شاملا ، وبدره فى أفق الإحسان كاملا - أن يفوض إليه
نظر الحسبة ويستمر فى ذلك على حكم التوقيع الشريف الذى بيده : لما سبق من
أختياره لذلك وأصطفائه ، وأدخاره لهذا المنصب من كفاة أعيانه وأعيان أكفائه ،
ولما تحلَّى [به] من رياسة زانته عقودها ، وتكلم له من أصالة ضفت عليه خبرها
وسمت به برودها ، وتجل به من نزاهة أشرفت فى أفق صعودها إلى الرتبة الجليلة
سعودها ، وأتصف به من كمال معرفة تجرت له به من مطالب المناصب وعودها .

فليأشر ذلك معطيا هذه الوظيفة من حسن النظر حقها ، محققا بجميل تصرفه
تقدم أولويته وسبقها ، وليكن لأمر الأوقات ملاحظا ، وعلى منع ذوى الغدر
من الاحتكار المضيق على الضعفاء محافظا ، وعلى الغش فى الأوقات مؤدبا ، ولإجراء
الموازن على حكم القسط مرتبا ، ولمن يرفع الأسعار لغير سبب رادعا ، ولمن لا يزرعه
الكلام من المطففين بالتأديب وأزعا ، ولقيم الأشياء محمرا ، ولقانون الجودة

فِي الْمَزْرُوعِ وَالْمَوْزُونِ مُقَرَّرًا ، وَلِدَوِي الْهَيْئَاتِ بِلِزُومِ شُرَائِطِ الْمَرْوَةِ أَخِذَا ، وَعَلَى تَرْكِ الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ لِعَامَةِ النَّاسِ مُؤَاخِذَا ، وَلِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ مُقَدِّمًا ، وَبِمَا يُخَلِّصُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مَا تَقَعُ بِهِ الْمَعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ مُقَوِّمًا ، وَفِي خِصَائِصِ نَفْسِهِ مَا يُغْنِيهِ عَنِ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا ، وَتَكَرُّرِ الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الْمَزَايَا ، فَلِيَجْعَلَهَا شِعَارَ نَفْسِهِ ، وَنَجِيَّ أُنْسِهِ ، وَمُسَدِّدَ أَحْوَالِهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا مَرْيَّةٌ يَوْمَهُ عَلَى أَمْسِهِ ، وَالخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةً بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة ، من إنشاء المقرّ الشهابي بن فضل الله ، مضافا إلى نظر أوقاف الملوك ، وهي :

الحمد لله مثير من أحسب ، ومجيب المنيب فيما آكتسب .

نحمده حمدا رسب الأدب صرب الطرب^(١) ، (؟) ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظاهرة الحسب ، طاهرة النسب ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من أنتدى وأنتدب ، وأدب أئمة فأحسن الأدب ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يكتتم أجرها فيكتب ، ويستتم بها كل صلاح [ويقتنم بها كل فلاح] ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الحسبة الشريفة هي قانون جواد الأوضاع ، ومضمون مواد الإجماع ، تجمع إلى الشريعة الشريفة سياسة يهبط جدها ، ويرهف حدّها ، وتخشى الرعايا سطوات مباشرة ، وتتحنن عما تصبه سيول بوادرها ، وأصحابها الآلة التي هي أخت السيف في التأثير ، ولكل منهما سطوة تخاف لافرق بينهما إلا ما بين

(١) كذا في غير نسخة بالاهمال ولم نهتد الى تثقيفه .

التَّائِبِ والتَّذْكِيرِ؛ وله التَّصَرُّفُ المَطْلَقُ، والتَّعَرُّفُ الذي يَفْتَحُ من الحَوَائِثِ على
 أَرْبَابِهَا كُلِّ بَابِ مُعْتَقٍ، ولَرْكُوبِهِ في المَدِينَةِ زِينَةٌ يَحْشُرُهَا النَّاسُ ضُحًى، وَرَهْبَةً
 يَغْدُو بِهَا كُلُّ أَمِينٍ لَشَانِهِ مُصْلِحًا، وإِلَيْهِ الرُّجُوعُ في كُلِّ تَقْوِيمٍ، وهو المَرْجُوفُ في كُلِّ
 أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَهِيَ بَدْمَشَقٌ - حَرَمَهَا اللهُ تَعَالَى - من أَجْلِ المَنَاصِبِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ [عَو] بِهَا
 بِيَدِ مَتَوَلِّيِّهَا وتُؤَمِّلُ مَنَازِلَ البُدُورِ، وَإِنَّ رَبَّهَا تَرْجِعُ إِلَى تَصْرِيفِهِ أَرْزَمَةَ الأُمُورِ،
 وَيُنْتَجِعُ سَحَابَهُ الهَطْلَ عَمَّامَةَ الجُمْهُورِ، وَتَحْيَا بِهِ سَنَةَ عُمَرِيَّةَ لَوْلَاهَا لَضَاقَتْ رِحَابُ
 المَعَامِلَاتِ، وَضَاعَتْ بِالنَّعْشِ المَعَايِشُ المَتَدَاخِلَاتِ؛ وَظَهَرَ الغَبْنُ في غَالِبِ مَا يُشْرَى
 وَيُبَاعُ، وَانْتَشَرَ التَّطْفِيفُ [الَّذِي] يُزِيلُ رَابِحَةَ المِيزَانِ وَتَوَازُرَاعَ؛ وَلِكَمْ نَابَ بِجُسْنِ
 تَدْبِيرِهِ عَنِ العَمَامِ، وَنَظَرَ في الدَّقِيقِ والجَلِيلِ لِلخَاصِّ والعَامِ؛ طَالَمَا أَحْطَطَّ بِهِ سِعْرُهُ
 غَلَا أَنْ يَقُومَ، وَوُجِدَ مِنَ الأَقْوَاتِ صِنْفٌ لَا يُوجَدُ وَلَوْ بُدِّلَ مِنَ الشَّمْسِ دِينَارٌ
 وَالبَدْرِ دِرْهَمٌ .

وكان المجلس السَّامِيَّ، القَضَائِيَّ، الأَجَلِيَّ، الكَبِيرِيَّ، الصَّدْرِيَّ، الرَّئِيسِيَّ،
 العَالِمِيَّ، الكَافِلِيَّ، الفَاضِلِيَّ، الأَوْحَدِيَّ، الأَثِيرِيَّ، المَاجِدِيَّ، الأَصِيلِيَّ،
 العِمَادِيَّ؛ مَجْدُ الإِسْلَامِ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ، بَهَاءُ الأَنَامِ، جَمَالُ الصُّدُورِ، فَخْرُ الأَعْيَانِ،
 خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ، صَفْوَةُ المُلُوكِ والسَّلَاطِينِ : أَدَامَ اللهُ عُلُوهُ، هو الذي رَبَّتَهُ السِّيَادَةُ
 عَلَيَّ وَسَادَهَا، وَلَبَّتَهُ السَّعَادَةُ إِلَى مُرَادِهَا؛ وَبَنَتِ العَلِيَاءُ قَوَاعِدَهَا عَلَيَّ عِمَادِهَا،
 وَثَبَتِ المَرَاتِبُ أَعْنَاقَهَا مُتَشَوِّفَةً إِلَى حُسْنِ أَعْتِمَادِهَا؛ وَبَاشَرَ الجَامِعُ المَعْمُورَ خُصُوصًا
 والأَوْقَافَ الشَّامِيَّةَ عَمُومًا فَعَمَّرَهَا، وَكَثَّرَ أَعْدَادَهَا وَأَتَمَّى مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ مَتَحَصَلَاتِهَا
 وَتَمَرَّهَا؛ وَشِيدَ في كُلِّ مِنْهَا مَوَاطِنَ عِبَادِهِ، وَمُلْتَقَى حَلَقَةٍ وَمَدَارَ سُبْحَةٍ وَمَفْرَشَ سَجَادِهِ،
 وَأَبَى اللهُ أَنْ يُقَاسَ بِهِ أَحَدٌ وَالجَامِعُ الفَارُوقُ وَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَ وَزِيَادَهُ؛
 فَأَوْجِبَ لَهُ جَمِيلٌ نَظَرْنَا أَنْ نُضَاعَفَ لَهُ الأَجْرَ في كُلِّ عَمَلٍ إِلَيْهِ يَنْتَسِبُ، وَزِيَادَهُ

فِي رِزْقِهِ سَعَةً : مِنْ حَيْثُ يَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُقَدَّرَ
مِنْ أُمُورِ الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ حُكْمُهَا الْمُصْرَفُ ، وَحَكْمُهَا الْمَعْرَفُ ؛ وَيُقَامُ فِيهَا بِهَدْيٍ مِنْ
تَقَدُّمِهِ فِي تَقْرِيرِ أُمُورِهَا عَلَى اثْبَاتِ الْقَوَاعِدِ ، وَتَقْدِيرِ مَصَالِحِهَا عَلَى أَجْمَلِ مَا جَرَتْ بِهِ
الْعَوَائِدُ ؛ وَيُطَهَّرُ أَقْوَاتُهَا مِنَ الدَّنَسِ فِيمَا يَحْضُرُ عَلَى الْمَوَائِدِ ، وَإِخَافَةِ الْأَعْنَاقِ مِنْ
مَضَارِبِهِ الَّتِي تَقْطَعُ مَا غَفَا السَّيْفُ عَنْهُ مِنْ مَنَاطِ الْقَلَائِدِ .

فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَتْ بِمَرَامِيهِ تُتَلَقَى كُلُّ رُتْبَةٍ ، وَتُتَوَقَّى الدُّنَايَا
بِمَنْ يَقُومُ بِالْحِسْبَةِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ النَّظْرُ عَلَى الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِدِمَشْقَ وَمَا مَعَهَا
مِنَ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمَضَافَةِ إِلَيْهَا ، بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى
آخِرِ وَقْتٍ : مُضَافًا إِلَى مَا هُوَ بِيَدِهِ : مِنْ نَظَرِ الْأَوْقَافِ الْمَبْرُورَةِ بِالشَّامِ ، وَأَوْقَافِ
الْمُلُوكِ . خَلَا نَظْرَ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ بِحُكْمِ إِفْرَادِهِ لِمَنْ عَيْنُ لَهُ ، تَفْوِيضًا
يَضُمُّهُ إِلَى رَبَائِبِ كَنْفِهِ ، وَيَعْمَهُ بِمَوَاهِبِ شَرَفِهِ ، وَيُجِلُّهُ فِي أَعْلَى غُرْفِهِ ، وَيُجَلِّيهُ
بِمَا يَحْسُدُ الدُّرَّ مَارِمِيٍّ مِنْ صَدَفِهِ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَحْوَالِكَ ، وَأَتَّقِ مَنْ يَجْمَعُ عَلَيْهِ مِنَ الثُّوَابِ فِي أَعْمَالِكَ ، وَأْمُرْهُ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَمِنْكَ الْمُنْكَرُ لَا يُعْرَفُ وَالْمَعْرُوفُ مِنْكَ لَا يُنْكَرُ ؛ وَأَعْتَبِرْ
أَحْوَالَ أَرْبَابِ الْمَعَايِشِ أَعْتِبَارًا يُصْلِحُ لِلنَّاسِ أَقْوَاتَهُمْ ، وَيُرْغِدُ أَوْقَاتَهُمْ ؛ وَلَا تَدْعُ
صَاحِبَ سَاعَةٍ يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَكَاسِبِ ، وَلَا صَاحِبَ مَعِيشَةٍ [يَقْدُمُ]
عَلَى تَخَلُّلِ خَلِيلٍ فِي الْمَاكِلِ وَالْمَشَارِبِ ؛ وَأَقْصِدِ التَّسْوِيَةَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ سِوَاهُ فِيهِ الْبَائِعُ
وَالْمَشْتَرِي ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّخِيسِ وَالثَّمِينِ ؛ وَأَقِمِ الْمَوَازِينَ بِالْقِسْطِ حَتَّى لَا تُمْكِنَ
كِفَاتُهَا أَنْ تُحَامِلَ وَلَا تُحْمَلَ ، وَلَا يَسْتَطِيعَ قَلْبُهَا أَنْ يَمِيلَ مَعَ مَنْ يَمْدُولُ ، وَلَا يَقْدِرُ
لِسَانُهَا أَنْ يَكْتُمَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ نَحْرَدَلٍ ؛ وَأَجْعَلْ لَكَ عَلَى

أهل المبيعات حَفَظَةٌ لِنَظْلِ أَعْمَالِهِمْ لِكَ تَنْسَخَ . وَتَقْفِدُ الْأَسْوَاقَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ فِيهَا
 مِنَ الْمَفَاسِدِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا بَاضَ فِي الْأَسْوَاقِ وَفَرَّخَ . وَأَرَبَابُ الصَّنَائِعِ فِيهِمْ مِنْ
 يَدْلَسُ ، وَقَهَّاءُ الْمَكَاتِبِ مِنْهُمْ مَنْ لِعَرِضِهِ يَدْتَسُّ ؛ وَالْقِصَاصُ غَالِبُهُمْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ
 فِي قِصَصِهِ ، وَأَهْلُ النَّجَامَةِ كَمَنْ مِنْهُمْ مَنْ لَعِبَ مَرَّةً بَعْقَلِ أَمْرَأَةٍ وَأَمَاتَ رَجُلًا
 بَغْضِصِهِ ؛ وَآخَرُونَ مِنْ تَضَلُّ بِهِمُ الْعُقُولُ ، وَتَظَلُّ حَايِرَةً فِيهِمُ النُّقُولُ ؛ وَكَثِيرٌ مِنْ
 سَوَى هَؤُلَاءِ يَدُكُ مَبْسُوطَةً عَلَيْهِمْ ، وَأَحْكَامُكَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَيَبِينُ يَدِيهِمْ ؛
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ مِنْ مَالٍ ، وَقَلْدٌ مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَأَاهُ مِنَ الْمَعَاقِبَةِ تَارَةً بَيْنَهُكَ الْجَسَدُ
 وَتَارَةً بِإِفْسَادِ الْمَالِ ؛ فَرُبَّمَا أَطْعَى الْغِنَى وَالْمَصْبَاحُ فَرُبَّمَا قَطَّبَ (١)

وَتَمَّ مِنْ لَا يَسْتَقِيمُ حَتَّى يُؤَدَّبَ ، وَمَنْ لَا يَلِمُ عَلَى شَعَثٍ وَأَيُّ الرَّجَالِ الْمُهْدَبِّ ؛ وَفِيكَ
 مِنَ الْأَلْمِيَةِ نُورٌ بَاهِرٌ ، وَكَوْكَبٌ زَاهِرٌ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ تُلْقِيَ الْوَصَايَا أَقْلَامَهَا أَيُّهَا
 يَكْفُلُكَ ، وَلَا تَنْبَهَكَ عَلَى زِينَةِ الْعَفَافِ فِيهَا وَهُوَ حُلُوكُكَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ آعْتِمَادَكَ ،
 وَيُوفِّرُ مِنَ التَّقْوَى زَادَكَ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ
 بِمُقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة — وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال ، من إنشاء القاضي تاج الدين البارنباري ،
 للقاضي نجم الدين أبي الطيب .

الحمد لله الذي جعل الطيبات للطيبين ، وهدى بالنجم المنير السبيل المبين ، وعَدَقَ
 بأئمة الدين مصالح المسلمين ، وآتانا بتفويضنا إليه ، وتوكلنا عليه ، شرفاً في الشأن وقوةً
 في اليقين .

(١) بياض بالأصل .

نحمده على أن أعان بحيره وهو خير معين ، ونشكره على أن بصرنا في الإيرادات ،
بالملائكة المقترين ، ونصرنا في الولايات ، بالقوى الأمين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أنوارها في القلب مشرقة على الصفحات والحين ،
وأذكارها على اللسان جعلت الإنسان من صالح المؤمنين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله هادي المهتدين ، وموضح شرعة الإحسان للحسين ، و« أبو الطيب »
و « أبو القاسم » كنى بأولاده المطهرين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم
من كان من السابقين الأولين ، ومنهم من كان مهيباً للكافرين ، ومنهم من تزوج
بأنتى الرسول ولم يتفق ذلك لغيره في سالف السنين ، ومنهم من كان الخير ملء
يديه : فشمول البركة بشماله وذو الفقار في اليمين ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فأكرم التفويض ما صادف محلاً ، وأبرك الولايات ما وجد قدراً معلّى ،
وأحسن الإحسان ما أصبح به الحال محلى ، وأسنى الأنجم ما أشرق في مطلعته وتجلي ،
وأحق [الولاية] بإعلاء منصبه من أقبلت عليه وجوه الإقبال حين تولى ؛ وأولى
[الولايات] بإجمال النظر وإمعانه ، في تشييد شأنه ، وتمكين مكانته ومكانه ، وحفظ
حوزته من سائر أركانها - وكالة بيت المال المعمور التي بها تُصان الأرض المقيسه ،
ومنها تُستبصر الآراء الرئيسه ؛ وبها يؤمن الاستيلاء على المحال والأبنية من كل جائر ،
وبها تُزاد قيم المبيعات مما هو لبنت المال ما بين عامٍ ودائر ؛ وإلى متوليها تأتي
الرغبات ممن يتنازع أرضاً ، وبه تُمضى المصالح وتُقضى ، وبه يظهر التمييز في الثمن
الأرضي ؛ وهي في الشام نعيمة المقدار ، كريمة الآثار ؛ مرضية بالربح في كل أرض
بينت المصالح في كل بناء دائرة بالنجح في كل دار ؛ فلا يُسِم برقها ، ويتوج فرقها ،
ويوفى حقها ، إلا من له علم وتبصره ، وعرفان أوضح الطريق وأظهره ، وحسن
رأى فيما أثره وأثره ، وصدارة ورد بها منهل الكرام البره .

وكان فلان هو ذو السؤدد العريق ، والباسق في الدوح الوريق ، والمتنسب إلى
أعز فريق ، والطيب أصلاً وفرعاً على التحقيق ، والإمام في علومه التي أصلت
التفريع ووصلت التفريق ، والموفق فيما يأتي ويذر والله ولي التوفيق ، قد أشرق
بدمشق نجمه نورا ، وأبتسم البرق الشامي به سرورا ، وتصدر بحافلها فشرح صدورا ،
وأبتى له سؤودا وجعل مكارم الأخلاق عليه سورا ، تلقى بحضرة المسائل فتلقى منه
ولياً مرشدا ، وتذكر لديه المباحث فتجد على ذهنه المتوقد هدى ، وإذا اضطرب
قول مشكل سكن بإبانته وهدا ، إن تأول أصاب في تأويله ، وإن نظر في مصلحة
كان رأيه في السداد موافقا لقيه ، وقد استخرنا الله تعالى - وهو نعم الوكيل -
في توكيله .

فذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليات هذا المنصب المنصب وبلى بركته من بابه ، وليخيم في فسيح رحابه ، ولينعيم
بجناته في جنابه ، وليحرر ما يباع من أملاك بيت المال بشروطه ولو أزمه المسطورة
في كتابه ، وليردع من استولى على أرض باغتصابه ، فليس لعرق ظالم حق : وهو
إما بناء بإنشائه وإما غراس بإنشائه ، وما يرجع إلى بيت المال المعمور من أرض
وعقار ، وروضات ذات غراس وأنهار ، وقرى وما يضاف إلى ذلك من آثار ، فليحرر
مجموعه ، وليسلك في ذلك الطريقة المشروعة . وليشفق إشفاق المتقين الماهدين
لمآلهم ، ولينصح لنا وللسلمين فهو وكيل بيت ما لهم . ومن مات ولا وارث له من
عصبة أو كلاله ، فإن لبيت المال أرضه وداره وماله .

وقد وكلنا إليك هذا التقليد وقد ناك هذه الوكالة ، والدك - رحمه الله - كانت
مفوضة إليه قديما فلذلك أحيينا بك تلك الأصالة .

وَأَعْلَمُ - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنَّ الْوَصَايَا إِن طَالَتْ فَقَدْ طَابَ سَبْحُهَا ، وَإِن أُوجِرَتْ
فَقَدْ كَفَى لَمَعُهَا وَلَمَحُّهَا ؛ وَعَلَى الْأَمْرَيْنِ فَقَدْ أَنَارَهَا هُنَا بِالتَّوْفِيقِ صُبْحُهَا ، وَحَسَنَ
بِالتَّصْدِيقِ شَرْحُهَا ، وَأَطْرَبَ مِنْ حَمَامِ أَقْلَامِهَا صَدْحُهَا ، وَالتَّقْوَى فِيهِ أَوْفَى
وَأَحْرَهَا وَخَتْمُهَا وَفَتْحُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْقِي بِكَ كُلَّ قَضْبَةٍ [ذَوَى] صَيْحُهَا ؛ وَالْخَيْرُ
يَكُونُ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع شريف بوكالة بيت المال بالشام أيضا :

الحمد لله كافي من توكل عليه ، ومحسن مال من فوض أمره إليه ، ومجمل مآب من
قدم رجاءنا عند الهجرة إلى أبوانا بين يديه ، ومقرعين من أسهر في استطار عوارفنا
بكال الأدوات ناظريه .

نحمده على نعمه التي جعلت سعي من أم كرمنا ، مشكوراً ، وسعد من قصد حرماننا ،
مشهوراً ؛ وإقبال من أقبل إلى أبوانا العالية محققاً يتقلب في نعمنا محبوباً ، ويتقلب
إلى أهله مسروراً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعتصد فيها
بالإخلاص ونعتصم ، ونتمسك في الدنيا والآخرة بعروتها ، التي لا تنفصم ، ونوكل في إقامة
دعوتها ، سيوفنا التي لا تزال هي وأعناق جاحديها تحتصم ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذي أضاءت شريعته ، فلم تخف على ذي نظر ، وأنارت ملته ، فأبصرها القلب قبل
البصر ، وحممت دعوته ، فاستوى في وجوب إجابتها البشر ، وأختصت أمته ، بعلماء
يبصرون من في طرفه عمى ويظهرون حق من في باعه قصر ؛ صلى الله عليه وعلى
آله الذين عملوا بما علموا ، وعدلوا فيما حكموا ، وحفظوا بالحق بيوت أموال الأمة

(١) القضبة الرطبة من النبات وذوى يس والصيح في الأصل خروج العنقود من كمامه .

فأشترك أهل الملة فيما غنموا؛ صلاةً توكل الإخلاص بإقامتها، وتكفل الإيمان بإدامتها؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد : فإن أهم ما صرفت إليه الهمم ، وأعم ما نوجب في اختيار الأئمة له براءة الذمم ؛ وأخص ما اتخذنا الاستخارة فيه دليلاً ، وأحق ما أقمنا عنا فيه من أعيان الأمة وكيلاً ، لا يدع حقاً للأمة ما وجد إليه سبيلاً - أمر بيت مال المسلمين الذي هو مادة جهادهم ، وجادة جلالهم ؛ وسبب استطاعتهم ، وطريق إخلاصهم في طاعتهم ؛ وسداد نفوسهم ، وصلاح جمهورهم ؛ وجماع ما فيه إيقان أحوالهم واستقرار أمورهم ؛ ومن أكد مصالحه وأهمها ، وأخص قواعده وأعمها ، وأكل أسباب وفوره وأتمها ؛ الوكالة التي تصون حقوقه أن تضاع ، وتمنع خواصه أن تُشاع ؛ وتحسن عن الأمة في حفظ أموالها المناب ، وتتولى لكل من المسلمين فيما فرض الله لهم الدعوى والجواب ؛ ولذلك لم نزل نختبرها من ذخائر العلماء من زان الورع سبحاناه ، وكل العلم مزاياه ؛ وأنقد الإجماع على كماله ، وقصرت الأطماع عن التحلي بجمال علمه : وهل يبارى من كان علمه من جماله .

ولما كان المجلس السامى ، الشيخى ، الفلانى ، هو الذى ظهرت فضائله وعلوئه ، ودل على بلوغ الغاية منطوق نعته ومفهومه ؛ وحل علمه بالورع الذى هو كمال الدين على الحقيقة ، وسلك طريقة أبيه فى التفرد بالفضائل فكان بحكم الإرث من غير خلاف صاحب تلك الطريقة ؛ مع نسب لنسب مامر حلاله ، وتبقى ما ورثه من أبيه عن كلاله ؛ وثبات فى ثبوت الحق لاستتفه الأعراض ، وأناة فى قبول الحكم لا تحيل جواهره الأعراض ؛ ووقوف مع الحق لا يبعده إلى ما [لا] يجب ، وبسطة فى العلم بها يقبل ما يقبل ويحتب ما يحتب ، وتحقيق تجرى الدعاوى الشرعية على محبته ، وإنصاف لا يضر خصمه معه كونه ألحن منه بحجته ؛ مع وفادة إلى

أبوأبنا العالیه تقاضت له کرمنا الجَم ، وفصلنا الذی خصَّ وعم - آقتضت آراؤنا الشریفه أن یرجع إلى وطنه مشمولاً بالنعم ، مخصُوصاً من هذه الرتبة بالغاية التي یکبُودونها جواداً لهمم^(١) ، منصوصاً علی رفعة قدره التي جاءت هذه الوظيفة علی قدر، مداوماً [لشکر أبوأبنا] علی اختياره لها بعد إمعان الاختیار وإنعام النظر .

فیرسم بالأمر الشریف أن تُفوض إليه وكالةُ بیت المال المعمور بالشام المحروس .

فلیرق هذه الرتبة التي هی من أجل ما یرتقی ، ویثق هذه الوكالة التي مدار أمرها علی التقی وهو خیر ما ینتقی ، ویبشر هذه الوظيفة التي منأط حکمها فی الوری الذی لانتسحف صاحبه الأهواء ولا تستفزه الرقی ؛ ولینهض بأعبائها مستقلاً بمصالحها ؛ متصدياً لمجالس حکمها العزیز لتحریر حقوق بیت المال وتحقیقها ، متلقياً ما یرد من أمر الدعوى الشرعية التي یدت مثلها فی وجهه بطریقها ؛ منقباً عن دوافع ما یثبت له وعليه ، محسناً عن بیت المال الوكالة فيما جرّه الإرث الشرعی إليه ؛ مستظهِراً فی المعاقدة بما جرت به العادة من وجوه الاحتراز ، مجانباً جانب الحیف فی الأخذ والعطاء بأبواب الرخص وأسباب الجواز ؛ منجماً فی تشدده عن طریق الظلم الذی من تحلی به کان عطلا ، سالكاً فی أموره جادة العدل فإنه سیان من ترک حقه وأخذ باطلا ؛ مجتهداً فی تحقیق ما وصح من الحقوق الشرعية وکن ، متنبعاً ما غالت الأيام فی إخفائه فإن الحق لا یضیع بقدم العهد ولا یبطل بطول الزمن .

وفی أوصافه الحسنه ، وسجایاه التي غدت بها أقلام آیامنا لسنه ، وعلومه التي أسرت إليها أفكاره والعیون وسنه ، ما یغنی عن وصایا یطلق عنان البراعة فی تحدیدها ، أو قضایا ینطق لسان البراعة فی توكیدها ؛ ملاکها تقوی الله وهي نتیجة نفسه ،

(١) فی الأصل « مداوما لها علی الخ » .

وَنَجِيَّةٌ أَنَسِهِ ، وَحِلْيَةٌ خَلَّالِهِ الْمَعْرُوفَةُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ؛ فَلْيَقْدِّمُهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَيَقِفْ
عِنْدَ رِضَا اللَّهِ فِيهَا لِارِضَا زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ :

[الوظيفة الخامسة — الخطابه (١) .

وهذه نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأمويّ ، كتبت بها لزين الدين الفارقيّ ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ :

الحمد لله رافع الدين أوتوا العلم درجات ، وجاعل أرجاء المنابر بفضائل أئمة الأمة
أرجات ، وشارح الصدور بذكره بعد أن كانت من قبل المواعظ حرجات ؛ الذي
زان الدين من العلماء بمن سلّمت له فيه الإمامه ، وصان العلم من الأئمة المتقين
بمن أصحّب له جاح الفضل يصرف كيف شاء زمامه ؛ ووطد ذروة المنبر الكريم
لمن يحفظ في هداية الأمة حقه ويرعى في البداية بنفسه ذمامه ، ووطأ صدر
المحراب المنير لمن إذا أمّ الأمة آرته خشية الله أن وجه الله الكريم أمامه .

نحمده على ما منحننا من صون صهوات المنابر إلا عن فؤسانها ، وحفظ درجات
العلم إلا عمن ينظر بإنسان السنة وينطق بلسانها . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة لا تزال أفواه الحابر ، تثبت طروسها ، وأنواء المنابر ، تثبت غروسها ،
وأسنة الإخلاص تُلقي على المسامع من صُحف الضمائر دروسها . ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي شرفت المنابر أوّلاً برقيه إليها ، وآخرها بذكر اسمه الكريم عليها ؛ فهي
الرتبة التي يزيد تبصرة على ممر الدهور بقاءها ، والدرجة التي يطول إلا على ورثة
علمه ارتقاؤها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ذكّرهم بأيام الله فذكروها ،

(١) أضفنا هذه الزيادة لأقتضاء الكلام لها .

(٢) أي ذلّ وانقاد بعد صعوبة .

وَبَصَّرَهُمْ بِآلَاءِ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا ، وَعَرَّفَهُمْ بِمَوَاقِعِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِخَادِلُوا بِسُنَّتِهِ وَأَسْنَتِهِ الَّذِينَ
 أَنْكَرُوهَا ، صَلَاةً لَا تَبْرُحُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَزَالُ ذِكْرُهَا مُغَيِّرًا فِي الْآفَاقِ
 وَمُنْجِدًا ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الخطابة من أشهر شعائر الإسلام ، وأظهر شعار ملة سيدنا
 محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شرعها الله تعالى لإذكار خلقه بنعمه ، وتحذير عباده
 من تقمه ، وإعلام بريته بما أعد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه ، وجعلها
 من وظائف الأمة العاقمة ، ومن قواعد وراثته النبوة التامة ، يقف المتلبس بها موقف
 الإبلاغ عن الله لعباده ، ويقوم الناهض بفرضها مقام المؤدى عن رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - إلى أمته عن ^(١) مراد الله ورسوله دون مراده ، ويقيمها
 في فروض الكفايات على سنن سبيله ، ويستنزل بها مواد الرحمة إذا ضن الغيث
 على الأرض بوبه ، وكان المسجد الجامع بدمشق المحروسة هو الذى سارت بذكره
 الأمثال ، وقيل هذا من أفراد الدهر التى وضعت على غير مثال ، قد تعين أن ترتاد
 له بحكم خلوّه من الأئمة من هو مثله فرد الآفاق ، وواحد العصر عند الإطلاق ؛
 وإمام علماء زمانه غير مدافع عن ذلك ، وعلامه أئمة أوانه الذى يضيء بنور
 فتاويه ليل الشك الحالك ، وناصر السنة الذى تدب علومه عنها ، وحاوى ذخائر
 الفضائل التى تسمى على كثرة إنفاقه على الطلبة منها ؛ وشيخ الدنيا الذى يعقد على
 فضله بالحناصر ، ورحلة الأقطار الذى غدت نسبته إلى أنواع العلوم زاكية
 الأحساب طاهرة الأواصر ؛ وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل ، وناسك الدهر
 الذى صان الورع بامتداد الفضائل وقصر الأمل ؛ والعايد الذى أصبح حجة

(١) فى الأصل "نبية" .

الْعَارِفِ وَفِدْوَةَ السَّالِكِ ، وَالصَّادِعُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُبَالِي مِنْ أَعْضَبَ إِذَا رَضِيَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ .

ولما كان فلان هو الذي خَطَبَتْهُ لهذه الخُطَابَةِ علومُهُ التي لَا تُسَامَى وَلَا تُسَامَ ،
وَعَيْنَتْهُ لهذه الإمامَةِ فَضَائِلُهُ التي حَسُنَتْ بِهَا وَجُوهُ الْعِلْمِ الْوَسَامُ ، حَتَّى كَانَهَا فِي فَمِ
الزَّمَنِ أُتِسَامَ ، وَالنَّقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا كَجَلِّهِ الَّذِي صَدَّ عَنْهَا الْخُطَابُ ، وَسَدَّ دُونَهَا أَبْوَابَ
الْخُطَابِ ، وَقِيلَ : هذا الإمام الشافعيّ أَوْلَى بهذا المنبرِ وَأَحْرَى بهذا المحرَّابِ -
أَقْتَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُحَلِّيَ أَعْطَافَ هذا المنبرِ بِفَضْلِهِ الَّذِي يُعِيدُ عَوْدَهُ رَطِيبًا ،
وَيُضَمِّخُ طَيْبًا مِنْهُ مَا ضَمَّ خَطِيبًا ، وَأَنْ نَصْدِرَ بهذا المحرَّابِ مَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَدَى الْأُمَّةِ
مَنَاجِحُ لِرَبِّهِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ - لَا زَالَ يُوَلَّى الرَّتَبَ الْحَسَانَ ، وَيَجْرِي بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ
الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ - أَنْ تَفْوُضَ إِلَيْهِ الْخُطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ بِجَامِعِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسِ عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .

فَلْيَرْقَ هذه الرُّتْبَةَ التي أَمَطَّاهُ اللَّهُ ذُرْوَتَهَا ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلَ صَهْوَتَهَا ، وَعَيْنَهُ تَفَرَّدَهُ
بِالْفَضَائِلِ لِإِذْكَارِ الْأُمَّةِ عَلَيْهَا ، وَرَبَّحَهُ لَهَا أَنْعَادُ الْإِجْمَاعِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَادَتْ
لِلشَّوْقِ أَنْ تُسْعَى إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يُسْعَ إِلَيْهَا ، حَتَّى تَحْتَالَ مِنْهُ بِإِمَامٍ لَا تَعْدُو مَوَاعِظُهُ حَبَابِ
الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا تَدْعُ خُطْبَهُ أَثَرًا لِلذُّنُوبِ ، لِأَنَّهَا تُوَكِّلُ مَاءَ الْعُيُونِ
بِعَسَلِهَا ، وَلَا تُبْقِي نَصَائِحَهُ لِلدُّنْيَا عِنْدَ الْمُغْتَرِّبِهَا قَدْرًا : لِأَنَّهَا تَبْصُرُهُ بِجَدَائِعِهَا ، وَلَا تَتْرَكَ
بِلَاغَتِهِ لِلْقَصْرِ عَنِ التَّوْبَةِ عُدْرًا : فِينَهَا تُحَدِّدُهُ مِنْ سُرْعَةِ زَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَنْقِطَاعِهَا ، وَلَا
تَجْعَلُ فَوَائِدَهُ لِدَوِي النَّجْدَةِ وَالْبَاسِ الْتَفَاتًا إِلَى أَهْلِ وَلَا وَدِّ لَأَنَّهَا تُبَشِّرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ

لمن نَحَرَجَ فِي سَبِيلِهِ ، وَلَا يُمَكِّنُ زَوَاجِرَهُ مَنْ نَشَرَ الظُّلْمَ أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدًا لِأَنَّهَا تُخْبِرُهُ بِمَا فِي الإِقْدَامِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِغْضَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

فَلْيُطَلِّ - مَعَ قِصْرِ الخُطْبَةِ - لِلظَّالِمِ مَجَالَ زَجْرِهِ ، وَلِيُطَبِّ قَلْبَ العَالِمِ العَامِلِ بِوصفِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَجْرِهِ ؛ وَلِيَجْعَلَ خُطْبَهُ كُلَّ وَقْتٍ مَقْصُورَةً عَلَى حِكْمِهِ ، مَقْصُودَةً فِي وُضُوحِ المَقَاصِدِ بَيْنَ مَنْ يَنْهَضُ بِسُرْعَةٍ إِدْرَاكُهُ أَوْ يَقْعُدُ بِهِ بَطْءُ فَهْمِهِ ؛ غَيْرِ الكَلَامِ مَادَّلَ بِلَاغَتِهِ وَإِنْ قَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصْرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مَثْنَةً مِنْ فِقْهِهِ فَمَا قَصَرَ مَنْ حَافِظٌ عَلَى حُكْمِ السَّنَةِ فِيهِمَا وَلَا أَخَلَّ .



[وهذه] نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي ، كُتِبَ بِهِ لِلقَاضِي «تَقِيّ الدِّينِ

السبكي» .

الحمد لله الذي جعل دَرَجَاتِ العُلَمَاءِ آخِذَةً فِي مَزِيدِ الرُّقِيِّ ، وَخَصَّ بِرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ مِنَ الأئِمَّةِ الأَعْلَامِ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَأَلْقَى مَقَالِيدَ الإِمَامَةِ لِمَنْ يَصُونُ نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ بِالوَرَعِ وَيَتَّقِي ، وَأَعَادَ إِلَى مَعَارِجِ الجَلَالِ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ حَمِيدَ الجَلَالِ ، وَيَنْتَقِي ، وَأَسَدَلَ جِلْبَابَ السُّودِّ عَلَى مَنْ أَعَدَّ لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاتِ مِنْ قَلْبِهِ وَثَوْبَهُ كُلَّ طَاهِرٍ تَقِيٍّ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَعْلَى عِلْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَقَامَهُ ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ التَّقْوَى بَاقِيَةً فِي أَهْلِ العِلْمِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَدْلٌ قَيِّدٌ^(١) الفَضْلَ بِالشُّكْرِ وَأَدَامَهُ ، وَأَيَّدَ النُّعْمَةَ بِمَزِيدِ الحَمْدِ فَلَا غَرْوَ أَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإِمَامَةِ

(١) فِي الأَصْلِ «شَهَادَةٌ عَدْلٌ فِيهَا قَيْدُ الخ» وَضُبُّ عَلَى لَفْظَةِ «فِيهَا» .

وَالرَّعَامَةَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِهِ عَقِيْرَةَ مُرْتَلِّ الْأَذَانِ
وَمُدْرَجِ الْإِقَامَةِ ، وَأَعْلَى بَرَكَتِهِ قِيَمَةَ مَنْ تَمَسَّكَ بِسَبِيْلِ الْهُدَى وَلَا زَمَ طَرِيْقَ
الْإِسْتِقَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَقَدُوا عُهُودَ هَذَا الدِّينِ وَحَفِظُوا نِظَامَهُ ،
وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَامْنَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَقْتَدَى بِطَرِيْقِهِ فَاهْتَدَى إِلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ ، صَلَاةٌ
لَا تَزَالُ بَرَكَاتُهَا تُؤَيِّدُ عَقْدَ الْيَقِيْنِ وَتُدِيْمُ ذِمَامَهُ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شِيْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيْفَةِ أَنْ تَرْفَعَ كُلَّ عَالِي الْمِقْدَارِ مَكَانًا عَلِيًّا ،
وَتَجْعَلَ لَهُ مِنْ أَسْمِهِ وَصِفَتِهِ قَوْلًا مَسْمُوعًا وَفِعْلًا مَرْضِيًّا ، وَتُوَطِّدَ لَهُ رُتَبَ الْمَعَالِي
وَتَزِيْدَ قَدْرَهُ فِيهَا رُقِيًّا ، وَتَكْسُوهُمْ مِنْ جِلْبَابِ السُّؤْدُدِ مِطْرَفًا مَبَارِكًا وَطِيًّا ، وَتُطَبِّقَ
لِسَانَ إِمَامِهِ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي إِذَا تَعَقَّلَهَا أُولُو الْأَلْبَابِ نَحَرُوا لِعَاطَةِ رَبِّهِمْ سُجْدًا وَبُكْيًا .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي أَعَزَّ أَحْكَامَ الشَّرِيْعَةِ الشَّرِيْفَةِ وَشَادَهَا ،
وَأَبْدَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمُبَارَكَةِ الْمَوَاعِظَ الرَّبَّانِيَّةَ وَأَعَادَهَا ، وَأَذَاعَ فِيهَا أَسْرَارَ الْيَقِيْنِ
وَزَادَهَا ، وَأَصْلَحَ فِسَادَهَا ، وَقَوْمَ مُنَادَهَا ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ أَشْتَاتَا ،
وَأَحْيَا مِنْ مَعَالِمِ التَّقِيِّ رُفَاتَا ، وَأَوْضَحَ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِيْنَ بِهَدْيِهِ وَسَمَّتِهِ هَدِيًّا
وَسَمَاتَا ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيْفُ الصَّالِحِي الْعِمَادِي



قُلْتُ : وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَوْقِيْعٌ بِخَطَابَتِهِ أَيْضًا ، أُنْشِئَتْهُ لِلشَّيْخِ « شِهَابِ الدِّينِ
أَبْنِ حَاجِي » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطَّلَعَ شِهَابَ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَزَيَّنَ صَمَوَاتِ الْمَنَابِرِ بِمِنْ
قَرَّتْ عِيُونُهَا مِنْ وِلَايَتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِتَوَالِيهَا ، وَجَمَّلَ أَعْوَادَهَا بِأَجَلِّ حَبْرٍ لَوْ تَسْتَطِيْعُ فَوْقَ

قدرتها لَسَعَتْ إِلَيْهِ وَفَارَقَتْ - حَرْقًا لِلْعَادَةِ - مَبَانِيهَا، وَشَرَفَ دَرَجَهَا بِأَكْمَلِ عَالِمِ
مَا وَضَعَ بِأَسَافِلِهَا قَدَمًا إِلَّا وَحَسَدَتْهَا عَلَى السَّبْقِ إِلَى مَسِّ قَدَمِهِ أَعَالِيهَا .

نحمده على أَنْ حَصَّ مَصَاقِعَ الْخُطْبَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّسَنِ بِالْبَاعِ الْمَدِيدِ، وَقَصَرَ الْجَامِعَ
الْأُمَوِيَّ عَلَى أَنْ يَبْلُغَ خَطِيبٍ يَشِيْبُ فِي تَطَلُّبِ مِثْلِهِ الْوَلِيدِ، وَأَفْرَدَ فَرِيدَ الدَّهْرِ بِاعْتِبَارِ
الْأَسْتَحْقَاقِ بُرْقِيٍّ دَرَجٍ مِنْبَرِهِ السَّعِيدِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً تَحْفَظُ عَلَى مَوَاقِبِ الصُّفُوفِ أَعْلَامُهَا ، وَتَتَوَقَّرُ مِنْ تَذْكَيرِ آلاءِ اللَّهِ تَعَالَى
أَقْسَامُهَا ، وَلَا تَقْصُرُ عَنْ تَبْلِيغِ الْمَوَاعِظِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ أَفْهَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ نَبَةِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ مِنْ سِنَاتِهَا، وَأَيُّقُظُ الْخَوَاطِرَ النَّائِمَةَ
مِنْ سَبَاتِهَا ، وَأَحْيَا رَمِيمَ الْأَفْتِدَةِ بِقَوَارِعِ الْمَوَاعِظِ بَعْدَ مَمَاتِهَا؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَلَا مَقَامُهُمْ ، فَفَاتَتْ أَعْقَابَهُمُ الرَّءُوسُ ، وَرُفِعَتْ فِي الْمَجَامِعِ رُتَبُهُمْ ،
فَكَانَتْ مَنَزَلَتُهُمْ مَنَزَلَةَ الرَّئِيسِ مِنَ الْمَرءُوسِ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ،
وَلَا يَبْرَحُ مُفْتَرِقُ الْمَنَابِرِ بِاخْتِرَاقِ الْآفَاقِ لِاجْتِمَاعِهَا مَوْرِدًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوْلَى مَا صُرِفَتِ الْعِنَايَةُ إِلَيْهِ، وَوَقَعَ الْأَقْتِصَارُ مِنْ أَهْمِ الْمُهَيَّمَاتِ عَلَيْهِ -
أَمْرُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أُقِيمَ بِهَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ رَسْمُهُ، وَبُيُوتِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ؛ لِاسْمِيَا الْجَوَامِعِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا بِمَنَزَلَةِ الْمَلُوكِ مِنَ الرَّعِيَّةِ،
وَأَمَائِلِ الْأَعْيَانِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَرِيَّةِ ؛ وَمَنْ أَعْظَمَهَا خَطَرًا، وَأَبْيَنَهَا فِي الْحَاسِنِ أَثَرًا،
وَأَسِيرَهَا فِي الْآفَاقِ النَّائِيَةِ خَبْرًا ؛ بَعْدَ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُسَدُّ الرِّحَالَ إِلَيْهَا، وَيَعُولُ
فِي قَصْدِ الزِّيَارَةِ عَلَيْهَا - جَامِعُ دِمَشْقَ الَّذِي رَسَتْ فِي الْفَخْرِ قَوَاعِدُهُ، وَقَامَتْ عَلَى مَرَمَرِ
الْأَيَّامِ شَوَاهِدُهُ؛ وَقَاوِمِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ مِنَ الْجَوَامِعِ وَاحِدُهُ؛ وَلَمْ تَزَلِ الْمَلُوكُ تَصْرِفُ الْعِنَايَةَ
إِلَى إِقَامَةِ شِعَائِرِ وَظَائِفِهِ، وَتَقْتَصِرُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ فَنٍّ عَلَى رِيسِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَعَارِفِهِ ؛

فما شغرت به وظيفته إلا اختاروا لها الأعلى والأرفع، ولا وقع التردد فيها بين اثنين إلا تقيّلوا منهما الأعم والأورع؛ خصوصاً وظيفة الخطابة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم للقيام بها متصدياً، وعلم الخلفاء مقام شرفها بعد فباشروها بأنفسهم تأسياً.

ولما كان المجلس العالى، القاصوى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الأوحدي، الأكلبي، الرئيسى، المقوهى، البليغى، الفريدى، المفيدى، التجيدى، القدوى، الحجى، المحققى، الورعى، الخاشعى، الناسكى، الإمامى، العلامى، الأثبلى، العريقى، الأصبلى، الحاكى، الحطيبى، الشهابى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء المجتهدين، حجة الأمة، عمدة المحدثين، نخر المدرسين، مقي المسامين، معز السنة، قابع البدعة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، حجة المتكلمين، لسان المناظرين، بركة الدولة، خطيب الخطباء، مذكر القلوب، منبّه الخواطر، قدوة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين «أبو العباس أحمد» أدام الله تعالى نعمته: هو الذى خطبته هذه الخطابة لنفسها، وعلمت أنه الكفاء الكامل فسيبت به فى يومها ما كان من مصابيح الخطباء فى أمسيها؛ إذ هو الإمام، الذى لا تُسامى علومه ولا تُسام، والعلامة الذى لا تُدرَك مداركه ولا تُرام؛ والحبر الذى تُعقد على فضله الخناصر، والعالم الذى يعترف بالقصور عن مجاراة جياده المناظر؛ والحافظ الذى قاوم علماء زمانه بلا منازع، وعلامة أئمة أوانه من غير مدافع؛ وناصر السنة الذى يذب بعلمه عنها، وجامع أشنات الفنون التى يقتبس أمائل العلماء منها، وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل؛ ورحلة الأقطار الذى تُسد إليه الرحال، وعالم الآفاق الذى لم يسمع الدهر له بمثال - أقتضى

حسن الرأى الشريف أن ترفعَه من المنابر على عليّ درجها ، ونقطع ببراهينه من دلائل الإلباس المُلبَّسة داحض حُججها ، ونقدّمه على غيره ممن رام إبرام الباطل فنقض ، وحاول رفع نفسه بغير أداة الرفع فنقض .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، المعزى - لا زال يرفع لأهل العلم راسا ، ويحقق لذوى الجهل من بلوغ المراتب السنية ياسا - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه خطابة الجامع المذكور بانفراده ، على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها .

فليرق منبره الذى عاقب فيه راحته الطالع أعزل غيره الغارب ، وليتبوأ ذروة سنامه الأرفع من غير شريك له ولا حاجب ؛ وليقصد بمواعظه حبات القلوب ، ويرشق شهاب قراطيسها المانعة فإنها الغرض المطلوب ؛ وليأت من زواجر وعظه بما يذهب مذهب الأمثال السائر ، ويرسلها من صميم قلبه العامر فإن الوعظ لا يظهر أثره إلا من القلوب العامره ؛ ويقابل كل قوم من التذكير بما يناسب أحوالهم على أكمل سنن ، ويخص كلاً من أزمان السنة بما يوافق ذلك الزمن ؛ والوصايا كثيرة وإما تهذيب العلم يُغنى عنها ، وتأديب الشريعة يُكفنى مع القدر اليسير منها ؛ وتقوى الله تعالى ملاك الأمور وعنده منها القدر الكافى ، والحاصل الوافى ؛ والله تعالى يرقيه إلى أرفع الدرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه العالى : « وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً » .



الوظيفة السادسة — التداريس الجبار بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الريحانية ، كُتِبَ به لقاضي القضاة «عماد الدين الطرسوسي» الحنفي ، عوضا عن جلال الدين الرازي . كُتِبَ بسؤال بعض كُتَّاب الإنشاء ، وهي :

الحمد لله الذي جعل عماد الدين عليا ، وأحكم مباني من حكم فلم يدع عصيا ،
وقضى في سابق قضائه لإمضاء قضائه أن لا يبقى عتيا .

نحمده على ما وهب به من أوقات الذكر بكرة وعشيا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنبئه بالعلم بوحدانيته من كان غيبا ، وتكثرت لمقاتل سيوف العلماء من كان غويا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي كان عند ربه رزيا ، وعلى ذبه عمما شرعا من الدين مرزيا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال فضل قديمها مثل حديثها مرويا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت رتب العلم هي التي يتنافس عليها ، ويتطاول إلى التنقل إليها ، ويختار منها ما كسى مباشرة المتقدم ملابس الجلال ، وأن له أن ينتقل إليه البدر بعد الهلال ، وكانت المدرسة الريحانية بمحروسة دمشق هي ريحانة المجالس ، وروضة العلم الزاكية المغارس ، وبحر الفوائد الذي يخرج الفرائد ، ومسرح العلماء الذي قد أن يظفر به منهم من الألف زائد .

ولما توفى من آلت إليه ، وعالت مسألتها إلا عليه ، وكان ممن قد ولي الأحكام استقلالا ، وكان لبصر الدنيا جلاء وللدين جلالا ، لم تكن إلا لمن ينسى به ذلك

الدَّاهِبُ ، و ينسب إليه عِلْمٌ مذهبُه كَلَّةٌ وإن كان لا يقتصر به على بعض المذاهب ؛
و يعرف من هو وإن لم يصرح باسمه ، و يعرف من هو وإن لم يذكر بعلاء قدره العليّ
وعلمه ؛ ولا يمتري أنه خلف «أبا حنيفة» فيمن خلف ، وحصّل على مثل ما حصّل
عليه القاضي «أبو يوسف» وذهب ذلك في السلف الأوّل مع من سلف ؛ وعلّم
بجداله أنّ «محمد بن الحسن» ليس من أقران أبي الحسن ، وأنّ «زفر» لم يرزق
طيب أنفاسه في براعة اللّسن ؛ وأنّ «الطحاوي» ما طحا به «قلب إلى الحسان
طروب» و «القاضي خان» لديه منه الأنبوب ؛ وتلقب «شمس الأئمة» لما طلع
علم أنه قد حان من شمس النهار غروب ، و «الرازي» لما جاء تيقن أنه يروزه
عن علم الجيوب ، و «المرغيناني» مسّ ولم يرغن له في مطلوب ؛ و «الثلجي» ما برد
لطالب غلّه ، و «الخبازي» لم يوجد عنده لطيّام فضله ، و «الهندواني» ما أجدى
في جلاّد الجدال ولا هنّ نصله ؛ ولم يزل يُشار إليه والتقليد الشريف له بالحكم
المطابق بما تضمّنه من محاسن أوصافه شاهد ، ودست الحكم على عليّ كيوان شائد ؛
ومدارس العلم تسرّ من حبه ، ما حنيت عليه من محاريبها الأضالع ، ومجالس القضاء
تظهر بقربه ، ما لم يكن تداني إليه المواضع .

وكان الجناب الكريم ، العالی ، القضاي ، الأجلّي ، الإمامي ، الصّدری ، العالی ،
العالمی ، العلامی ، الكاملی ، الفاضلي ، الأوحدی ، المفیدی ، الورعی ، الحاکمی ،
العمادی ، ضياء الإسلام ، شرف الأنام ، صدر الشّام ، أمير الإمام ، سيد العلماء
والحكّام ، رئيس الأصحاب ، معزّ السنّة ، مؤيد الملة ، جلال الأئمة ، حكم الملوك
والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو الحسن عليّ بن الطرسوسيّ الحنفيّ ، قاضي

(١) كذا في الأصل ولعله من زيادة قلم الناخذ .
(٢) بروزه يسأله ويختبره . يريد
(٣) من أرغن له في كذا . أطاعه فيه .

القُضَاة بالشَّام - نشر مَلَاةَ مَدَهِيهِ ، وحلَّ بجلوسه للحكم طرفي النهار إضاءةً مفضَّضه
وتوشيح مَدَهِيهِ ؛ طالما سَاسَ الرِّعِيَّةَ بِحُكْمِهِ ، وسَادَ نُظْرَاهُ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ
بِعِلْمِهِ وَحِكْمِهِ ؛ وسَارَ مِثْلَ فَضْلِهِ فِي الْأَقْطَارِ وَضَوْءِ الشَّمْسِ مَرْدُّ شُعَاعِهِ ، فَطَالَ إِلَى
السَّمَاءِ وَقَصُرَ الْأَفْقُ الْمَتَدُّ عَلَى طُولِ بَاعِهِ ، وَفَاضَ فِيضَ الْغَامِ وَمَا أَكْثَلَ الْبَحْرُ بِكَيْلِهِ
وَلَا صَارَ مِثْلَ صَاعِهِ ؛ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لغيره أَنْ يُجِبَّ
رِيحَاتِهَا ، وَلَا أَنْ تُوَدَّى إِلَى يَدِ سِوَاهُ فَيُودِعَ أَمَاتِهَا ؛ فَأَثَرَهَا عَلَى أَنَّهُ تَرَكَ الْمَدْرَسَةَ
الْمُقَدِّمِيَّةَ الْمُتَقَدِّمَ لَهُ دَرُسُهَا ، الْمُعْظَمَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ غَرَسَهَا ؛ لِيُوسِّعَ بِهَا عَلَى الطَّالِبِ
مَدَهَبَهُ ، وَيَفْرُغَ لَهَا سَاعَةً مِنْ أَوْقَاتِهِ الْمُنتَهَبَةِ ، وَيَهَبَ [لَهَا] مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ
فِي يَدِهِ مَالُو شَاءَ مَا وَهَبَهُ .

فُرِّسَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُقَرَّبُ الْإِمَادُ ، وَيُرْضَى الْقَوْمُ وَأَفْضَاهُمْ عَلَى
وَأَثْبَتَهُمْ طَوْدًا الْعَادَ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ تَدْرِيسُ الْمَدْرَسَةِ الرَّيْحَانِيَّةِ الْمُعِينَةِ أَعْلَاهُ ، عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ؛ بِحُكْمِ تَرْكِهِ لِلتَّقَدِّمَةِ لِيَهَبَ عَلَيْهِ رَوْحَهَا
وَتَهَبَ لَهُ السَّعَادَةَ رِيحَهَا ؛ وَلَهَا مِنَ الْبَشَرِيِّ بِعِلْمِهِ مَا تَمَسُّسُ بِهِ رِيحَانُهُ رِيحًا سُرُورًا ،
وَتَمِيدُ وَقَدْ أَكْنَتَ جَبَلًا مِنَ الْعِلْمِ وَقُورًا ؛ وَتَمْتَدُّ وَقَدْ نَاخَتْ فِي مِسْكَةِ اللَّيْلِ عَيْرًا ،
وَفِي أُخْوَانَةِ الصَّبَاحِ كَأَفُورًا ؛ وَمَا نُوصِي مِثْلَهُ - أَجَلَ اللَّهِ قُدْرَهُ - بِوَصِيَّةٍ إِلَّا وَهُوَ
يَعْلَمُهَا ، وَيُلْقِنُهَا مِنْ حِفْظِهِ وَيَعْلَمُهَا ؛ وَمَنْ فَضَّلَ قَضَائِهِ تَوْخُدُ الْأَدَابِ ، وَتَنْفَعُ سِهَامِ
الْآرَاءِ وَالْآرَابِ . وَتَقْوَى اللَّهِ بِهَا بَاطِنُهُ مَعْمُورٌ ، وَكُلُّ أَحَدٍ بِهَا مَأْمُورٌ ؛ وَمَا نَدَّكَرَهُ
بِهَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهَا ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَمْرِهَا . وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُتَفَقِّهَةُ هُمْ جُنْدُهُ ،
وَبِهِمْ يَجِدُ جِدُّهُ ، [فَلِيَجْعَلَهُمْ لَهُ فِي الْمَشْكَلاتِ عُدَّةً ، وَلِيَصْرِفَ فِي] الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ
جُهْدَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُهُ عَلَى مَا وُلِيَ ، وَيُعِينُهُ لِكُلِّ عِلْيَاءٍ لَا يَصْلِحُ أَنْ يَحْلُهَا إِلَّا عَلَى .
وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .



الوظيفة السابعة — التصاوير بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع أنشأه لقاضي القضاة «بدر الدين محمد» ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء، وولده جلال الدين محمد، بإعادة تصديرين كانا باسمهما، بالجامع الأموي بدمشق : أحدهما أنتقل إليهما عن سلفهما، والثاني بزول، وخرج عنهما عند استيلاء «تم» نائب الشام على الشام في سنة اثنتين وثمانمائة، ثم أعيد إليهما في سؤال من السنة المذكورة، في قطع الثلث، وهي :

الحمد لله الذي جعل بدر الدين في أيامنا الزاهرة متواصل رتب الكمال، مترددا في فلك المعالي بأكرم مساع بين بهاء وجمال، متهرا عن شوائب النقص في جميع حالاته : فلما مرتقب الظهور في سراه، أو متمسك بالتمام في إبداره، أو أخذ في الأزدباد وهو هلال .

نجمه على أن أقر الحقوق في أهلها، وانتزع من الأيدي الغاصبة ما اقتطعته الأيام الجائرة بجهلها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجي قائلها من شوائب التكدير، وتصون متحلها من عوارض الإصدار إذا ورد أصفى مناهل التصدير، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي اقتفت أمته آثاره وأتبعته سننه، وأكرم رسول دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أمة الحق وأعلام الهدى، وحماة الدين وكفاة الردى؛ صلاة يبق على مدى الأيام حكمها، ولا يندرس على ممر الليالي رسمها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له الحقوق القديمة، وحفظت له مساعيه الكريمة، وخذلت عليه النعم التي حق لها أن تكون بأهلها مقيمها؛ من كرم أصلا وطاب

فَرَعَا ، وَزَكَا مَنبَعًا وَعَدَبَ نَبْعًا ، وَوَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ المتَوَاتِرَ فَأُعِدَّ الحُكْمُ
بِتَفْضِيلِهِ قَطْعًا ، وَمِنْ إِذَا تَكَلَّمَ فَأَقَّ بِفَضْلِهِ نَثْرَ اللَّالِي ، وَإِذَا قُدِرَ قُدْرَهُ انْحَطَّتْ عَنْ
بُلُوغِ غَايَتِهِ المَعَالِي ، وَإِذَا طَلَعَ بَدْرُهُ المِضْيُءُ مِنْ أَفْقِ مَجْلِسِهِ الموروثِ عَنْ أَبِيهِ وَأَعْمَامِهِ
قَالَ : لَيْتَ أَشْيَاخِي شَهَدُوا هَذَا المَجْلِسَ العَالِي ؛ وَمَنْ إِذَا جَلَسَ بِحَلَقَتِهِ البَيْتَةَ غَشِيَتْهُ
مِنْ الهَيْبَةِ جَلَالُهُ ، وَإِذَا أَطَافَتْ بِهِ هَالَةُ الطَّلَبَةِ والمُسْتَفِيدِينَ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا البَدْرُ
فِي هَذِهِ الهَالَةِ ! ، وَمَنْ تَتَيْهُ طَلَبْتُهُ عَلَى أَكْبَرِ العُلَمَاءِ بِالإِتْمَاعِ إِلَيْهِ ، وَتَسْمَعُ نَفُوسٌ
تَلَامَدْتَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ المْتَصِدِّرِينَ بِالجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَمَنْ إِذَا أَقَامَ بِمِصْرَ طَلَعَ بِالشَّامِ
بَدْرُهُ ، وَلَوْ أَقَامَ بِالشَّامِ بَقِيَ بِمِصْرَ عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرُهُ .

وَكَانَ المَجْلِسَ العَالِي ، القَاضِي ، الكَبِيرِي ، العَالِي ، العَامِلِي ، الأَفْضَلِي ،
الأَكْمَلِي ، الأَوْحَدِي ، البَلِيغِي ، الفَرِيدِي ، المُفِيدِي ، النَّجِيدِي ، القُدُوسِي ،
الحُجِّي ، المُحَقِّقِي ، الإِمَامِي ، الأَصِيلِي ، البَدْرِي ، جَمَالَ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، شَرَفَ
العُلَمَاءِ العَامِلِينَ ، أَوْحَدَ الفُضَلَاءِ المُفِيدِينَ ، قُدُوةَ البَلْغَاءِ ، حُجَّةَ الأَدَبِ ، عُمْدَةَ
المُحَدِّثِينَ ، نَخْرَ المَدْرَسِينَ ، مُفْتِيَ الفِرْقِ ، أَوْحَدَ الأُمَّةِ ، زَيْنَ الأُمَّةِ ، خَالِصَةَ المُلُوكِ
وَالسُّلْطَانِينَ ، وَلِيَّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ المَجْلِسِ العَالِي ، القَاضِي ،
الكَبِيرِي ، المَرْحُومِي ، البَهَائِي ، أَبِي البَقَاءِ الشَّافِعِي ، السُّبْكِي ، ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى
نِعْمَتَهُ : هُوَ عَيْنُ أَعْيَانِ الزَّمَانِ ، وَالمُحَدِّثُ بِفَضْلِهِ عَلَى مَرَّ اللَّيَالِي وَلَيْسَ الخَبْرُ كَالعِيَانِ ؛
مَاوَلِي مَنْصِبًا مِنَ المَنَاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ إِلاَّ كَانَ لَهُ أَهْلًا ، وَلَا أَرَادَ الأَنْصِرَافَ مِنْ
مَجْلِسِ عِلْمٍ إِلاَّ قَالَ لَهُ مَهْلًا ؛ وَلَا أُسْتَبْدِلَ بِهِ فِي وَظِيفَةٍ إِلاَّ نُسِبَ مُسْتَبَدُّهُ إِلَى
الحَيْفِ ، وَلَا صُرِفَ عَنْ وِلَايَةٍ إِلاَّ قَالَ أَسْتَحْقَاقُهُ : كَيْفَ سَاعَ ذَلِكَ لِمُتَعَاظِيهِ
فَكَيْفَ وَكَيْفَ .

وكان ولده المجلس السامى، القضاى، البكبرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى،
 البارعى، الأصيلى، العريقى، الجلالى، ضياء الإسلام، نحر الأنام، زين الصدور،
 جمال الأعيان، نجل الأفاضل، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة
 أمير المؤمنين، أبو محمد بلغ الله تعالى فيه [عارفيه] غاية الأمل، وأقرب به
 عين الزمان كما أقرب به عين أبيه وقد فعل؛ قد أرضع لبان العلم وربى في حجره، ونشأ
 في بيته ودرج من وكره؛ وكل له سؤدد الطرفين: أبا وأما، وحصل على شرف
 المحتدين: خالا وعمما؛ لم يقع عليه بصر متبصر إلا قال: نعم الولد، ولا تأمله صحيح
 النظر إلا قال: هذا الشبل من ذاك الأسد؛ ولا رمى والده إلى غاية إلا أدركها،
 ولا أحاط به منقطة طلبه إلا هزها للبحث وحررها؛ ولا أقتنى أثر أبيه وجده
 فى مهيع فضيل إلا قال قائله: أكرم بها من ذرية ما أبركها ! .

وأتفق أن خرج عنهما ما كان باسمهما من وظيفتى التصدير بالجامع الأموى
 المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة: المنتقلة إحداهما إليهما عن سلفيهما
 الصالح قداما، والصاراة الأخرى إليهما بطريق شرعى معتبر وضعا وثابت حكما -
 أقتضى حسن الرأى الشريف أن يحفظ لهما سالف الخدمه، ويرعى لهما قديم الولاء
 فالعبرة فى التقديم عند الملوك بالتقدمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال لدوى البيوت حافظا، وعلى الإحسان
 لأهل العلم الشريف على ممر الزمان محافظا - أن يعاد ذلك إليهما، ويوالى مزيد
 الإحسان عليهما؛ فليتلقيا ذلك بالقبول، ويسطا بالقول ألسنتهما فمن شمله إنعامنا
 الشريف حق له أن يقول ويطول؛ وملاك أمرهما التقوى فهى خير زاد، والوصايا

وإن كثرت فعنهما تؤخذ ومنهما تُستفاد؛ والله تعالى يُقرُّ لهما بهذا الأستقرار عينا،
ويهبُ خواطرهما بهذه الولاية إيهاج من وجد ضآته فقال: (هذه بصاعتنا ردت
إلينا). والاعتماد في ذلك على الخطِّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، حجة بمقتضاه؛
إن شاء الله تعالى.

الوظيفة الثامنة - النظر.

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان النوري، كُتِب بها لمن لقبه «شهاب الدين»
وهي:

رِسْم ... - لا زال يُطلَعُ في سماء المناصب السنية من ذوى الأصالة والكفاية
شهابا، ويوزعُ المُستَحِقِّين بجهات البرشكهِ إذ اختار لهم من أهل النهضة من ارتدى
العفاف جِلْبَابًا، ويودعُ صحائف الأيام ذكره الجميل حين أحيأ قُرْبَاتِ الملوك
السالفين بانتخاب من يُجدد لهم بحسن المباشرة ثوبا - أن يُجمل «مجلس الأمير»
فلان: أعزّه الله تعالى فيما هو بيده من نظر البيارستان النوري بدمشق المحروسة،
على حكم التوقيع الكريم والولاية الشرعية للدين بيده، وأستقراره في ذلك بمقتضاهما
أستقرارا يَسُطُّ في هذا المنصب يده ولسانه، ويظهرُ شهاب عدله الذي يحرِّق من
الجور شيطانه؛ ويبرز من مباشرته ما عرف جوهره بحسن الانتقاء وإبريزه بحسن
الانتقاد، ومن تأثيره ما تبلغ به النفس المراد بأوسع مراد؛ ويبدى من تدييره،
ما ينتج تمييز الوقف وتثييره.

فليأشر ذلك على عادة مباشرته الحسنه، وليسلك فيها ما عهد من طريقته
المستحسنه؛ محصلا من المفردات ما يصرفها لمستحقها وقت الحاجة إليها، متأيرا

على حُسنِ مُعَالَجَةِ الْمَضْرُورِ الَّذِي لَا تَقْدِرُ يَدُهُ مِنَ الْعَجْزِ عَلَيْهَا ؛ مُوَاصِلًا فِعْلَ الْخَيْرِ
بِاسْتِمْرَارِ صَدَقَاتِ الْوَاقِفِ لِشَارِكِهِ فِي الْأَجْرِ وَالنَّوَابِ ، مُسْتَجَلِبًا لَهُ مِنَ الدَّعَاءِ وَلِنَا
بِمُشَارَكَتِهِ فِي الْأَمْرِ بِالْعَمَلِ بَسْتَنَّهُ إِلَى يَوْمِ الْمَاتِ ، ضَابِطًا أَمْوَالَ هَذِهِ الْجِهَةِ بِتَحْرِيرِ
الْأَصُولِ وَالْمَطْلُوقِ وَالْحِسَابِ وَالْحُسَابِ ؛ مُتَقَدِّمًا إِلَى الْخُدَامِ وَالْقَوْمَةِ بِحَسَنِ الْخِدْمَةِ
لِلْعَاجِزِ وَالضَّعِيفِ ، مُؤَكِّدًا عَلَيْهِمْ فِي أَخْذِهِمْ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ دُونَ الْكَلَامِ الْعَنِيفِ ؛
مُلْزِمًا لَهُمْ بِجُودَةِ الْخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، مُوَآخِذًا لَهُمْ بِمَا يُحِلُّونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِهْمَالًا
وِإِقْصَارًا ؛ مُتَقَدِّمًا إِلَى أَرْبَابِ وِظَائِفِ الْمَعَالِجَةِ بِبَدْلِ النَّصِيحَةِ ، وَأَسْتَدْرَاكِ الْأَدْوَاءِ
الْمُسْقِمَةِ بِإِتْقَانِ الْأَدْوِيَةِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ الْأَحْوَالَ بِنَفْسِهِ : لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْمَكَانِ
أَنَّ وِرَاءَهُمْ مَنْ يَقَابِلُهُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَلِيَسْبُدَّ فِي ذَلِكَ جُهْدَهُ فَإِنَّ الْأَجْتِهَادَ الْقَلِيلَ
يُؤَثِّرُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعِنْدَهُ مِنَ التَّادِبِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ مَا فِيهِ
كِفَايَةٌ ، وَفِي أَخْلَاقِهِ مِنْ جَمِيلِ الْمَآثِرِ وَمَا حَازَهُ فِي الْبِدَايَةِ مَا يَنْفَعُهُ فِي النَّهَايَةِ ؛ وَلَكِنْ
تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى ، وَالْمَنْهَلُ الَّذِي مِنْ وَرْدِهِ يَرَوَى ؛ فليَجْعَلْهَا
لَهُ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَمَعْقَلًا عِنْدَ الْخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَلِّغُهُ مِنَ التَّوْفِيقِ
الْأَمَلِ وَالْمُرَادِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ، وَالْإِعْتِمَادِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصفحة الثالث

(من توقيعات أرباب الوظائف بحاضرة دمشق - توقيعات أرباب
الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالی» وهي على ضربين)

الضرب الأول^(١)

(توقيعات الوزارة بالمملكة الشامية على ما استقر عليه الحال)

فقد ذكر في «التعريف» أنه يكتب بالشام للصاحب [عز] الدين أبي يعلى^(٢)
«حمزة بن القلانسي» رحمه الله بـ «الجناب العالی» لجلالة قدره ، وسابقة خدمه ،
وعناية من كتب له بذلك . لكنه لم يبين مقدار قطع الورق لذلك . ولا يخفى أنه
كتب به في قطع الثلثين ، على القاعدة في أنه يكتب للجناب في قطع الثلثين . وقد ذكر
بعد ذلك أن الذي استقر عليه الحال أنه يكتب للوزير بالشام «المجلس العالی»
بالدعاء ، كما كتب للصاحب أمين الدين أمين الملك .

[وفيه وظائف :

الوظيفة الأولى - ولاية تدبير الممالك الشامية]^(٣)

وهذه نسخة توقيعات للصاحب «أمين الملك» المذكور بتدبير الممالك الشامية
والخواص الشريفة والأوقاف المبرورة ، من إنشاء الصلاح الصفدي ، وهي :

(١) لم يذكر الثاني .

(٢) بياض بالأصل والتصحيح من «التعريف» (ص ٧٥) .

(٣) زدنا ما بين القوسين لأقتضاء المقام وتتم الكلام .

الحمد لله الذى جعل ولىَّ أيامنا الزَّاهِرَةَ، أَمِينًا، وَأَحَلَّهُ من صَمَائِرِنَا الطَّاهِرَةَ، مَكَانًا
 أَيَّمًا تَوَجَّهَ وَجَدَهُ مَكِينًا، وَخَصَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةَ، فَهُوَ يَقِينًا يَقِينًا، وَعَضَّدَ
 بِتَدْيِيرِهِ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فَكَانَ عَلَى نَيْلِ الأَمَلِ الذى لا يَمِينُ يَمِينًا، وَزَيْنَ بِهِ آفَاقَ
 المَعَالِي فَمَا دَجَا أَمْرٌ إِلَّا كَانَ فِكْرُهُ فِيهِ صَحِيحًا مُبِينًا، وَجَمَلَ بِهِ الرُّتَبَ الفَاخِرَةَ فَكَمْ قَلَّدَ
 جِيدَهَا عِقْدًا نَفِيسًا وَرَضَعَ تَاجَهَا دُرًّا ثَمِينًا، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ فَهُوَ الأَسَدُ الأَسَدُ
 الذى آتَخَذَ الأَقْلَامَ عَرَبِيًّا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التى خَصَّتْنَا بِوَلِيٍّ تَجَمَّلَ بِهِ الدُّوَلُ، وَتَغْنَى المَمَالِكُ بِتَدْيِيرِهِ عَنِ
 الأَنْصَارِ وَالنُّحُولِ، وَتَحْسُدُ أَيَّامَنَا الشَّرِيفَةَ [عَلَيْهِ] أَيَّامٌ مِنْ مَضَى الدُّوَلِ الأَوَّلِ .
 وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَسْتَمْطِرُ بِهَا صَوْبَ الصَّوَابِ،
 وَنَزْفُلُ مِنْهَا فى ثَوْبِ الثَّوَابِ، وَنَعْتَدُّ بِرَّهَا وَاصِلًا لِيَوْمِ الفِصْلِ وَالمَأْتِى؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا
 عَبْدُهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ، وَرَسُولُهُ الذى لم يكن على الغَيْبِ بَضِينِ، وَحَبِيبُهُ الذى فَضَلَ
 المَلَائِكَةَ المُقَرَّبِينَ، وَنَجِيَّهُ الذى أَسْرَى بِهِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى
 حُجَّةً عَلَى المُلْحِدِينَ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَحَّبُوا وَوَزَرُوا، وَأَيَّدُوا
 حَرْبَهُ وَنَصَرُوا، وَعَدَلُوا فِيمَا نَهَوْا وَأَمَرُوا، صَلَاةً تَكُونُ لَهُمْ هُدًى إِذَا حُشِرُوا،
 وَنُضُوعٌ لَهُمْ عَرَفَهُمْ فى العُرْفِ وَطُطِيبَ نَشْرَهُمْ إِذَا نُشِرُوا؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا
 إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدَ، فَإِنَّ أَشْرَفَ الكَوَاكِبِ أَبْعَدُهَا دَارًا، وَأَجْلَهَا سُرًى وَأَقْلَهَا سِرَارًا،
 وَأَعْلَاهَا مَنَارًا، وَأَطْيَبَ الجَنَّاتِ جَنَابًا مَا طَابَ أَرْجَا وَثَمَارًا، وَجُرَّ خِلَالَهُ كُلُّ نَهْرٍ
 «يَرُوعُ حِصَاةَ حَالِيَةِ العَدَارَى»، وَرَحَّتْ مَعَاطِفَ غُصُونِهِ سُلَافَ النِّسِيمِ فَتَرَاهَا
 سُكَارَى، وَمَدَّتْ ظِلَالَ الغُصُونِ فَتُخَالُ أَنَّهَا عَلَى وَجَنَاتِ الأَنْهَارِ تَدْبُ عِدَارًا .

وكانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاها تهب سمات هذه السمات ، لم يتصف غيرها بهذه الصفة ، ولا اتفق أولوا الأبواب إلا على محاسنها المختلفة ؛ فهي البقعة التي يطرب لأوصاف جمالها الجماد ، والبلد الذي ذهب بعض المفسرين إلى أنها إرم ذات العماد ؛ وهي في الدنيا أتمودج الجنة التي وعد المتقون ، ومثال النعيم للذين عند ربهم يرزقون ؛ وهي زهرة ملكا ، ودرة سلجكا ؛ وقد خلت هذه المدة ممن يراعى تديبها ويحى حوزتها ويحاشيها من التدمير ويملا خزائنها خيرا يحيى ، إذا ملأنا ساحتها خيلا ورجلا - تعين أن نتدب لها من جربناه بعدا وقربا ، وهز زناه مثقفا وسللناه عضبا ، وخبأناه في خزائن فكرنا فكان أشرف ما يدخر وأعز ما يحيى ؛ كم نهى في الأيام وأمر ، وكم شد أزرا لما وزر ، وكم غنيت به أيامنا عن الشمس وليالينا عن القمر ، وكم رفعا راية مجد تلقاها عرابه فضله يمين الظفر ، وكم علا ذرا رتب تعز على الكواكب الثابتة فضلا عن يتنقل في المباشرات من البشر ، وكم كانت الأموال جمادى وأعادها ربيعا غرد به طائر الإقبال وصفر .

(١) و [لما] كان [الصاحب أمين الملك] هو معنى هذه الإشارة ، وشمس هذه الهالة وبدر هذه الدار ، نزل من العلياء في الصميم ، ونخرنا بأقلامه التي هي سمر الرماح كما نخرت بقوسها تميم ؛ وحفظت الأموال في دفاتره التي يوشىها فأوت إلى الكهف والرقيم ، وقال لسان قلبه : « اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » وعقم الزمان أن يحيى بمثله « إن الزمان بمثله لعقيم » وتسببه به أقوام فبانوا وبأدوا ، وقام منهم عباد العباد فلما قام عبد الله كأدوا - أردنا أن تنال الشام فضله كما نالته مصر فما تساهم فيه سواهما ، ولا يقول لسان الملك لغيره :

حللت بهذا حلة ثم حلة * بهذا قطاب الواديان كلاهما

(١) بياض بالأصل والتصحيح مما تقدم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه تدير الممالك الشريفة، ونظر
الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدمه في ذلك .

فليتلق هذه الولاية بالعزم الذي نعده، والحزم الذي شاهدناه وشهده، والتدبير
الذي يعترف الصواب له ولا يجحده؛ حتى يثمر الأموال في أوراق الحساب، وتزيد
نمواً وسمواً فتفوق الأمواج في البحار وتفوت القطر من السحاب؛ مع رفق يكون
في شدته، ولين يزيد مضاء حدته، وعدل يصون مهلة مدته؛ والعدل يعمر،
والغدر يدمر، ولا يثمر؛ بحيث إن الحقوق تصل إلّا أربابها، والمعالم تطلع بدور
بدرها كاملة كل هلال على أصحابها، والرؤوم لا تزداد على الطاقة في بابها، والرعايا
يحنون ثمر العدل في أيامه متساها؛ وإذا أنعمنا على بعض أوليانا بنحل فلا يكدر
وردها بأن تؤخر، وإذا استدعينا لأبوابنا بهم فليكن الإسراع إليه ينجل البرق
المتلق في السحاب المسخر؛ فما أردناك إلّا لأنك سهم خرج من كمانه، وشهم لا ينهي
إلى الباطل عيانه وعنانه؛ فاشكر هذه النعمة على منأجها، وشنف الأسماع بمدأجها؛
متحققاً أن في الثقل، بلوغ العز والأمل، وأنه لو كان في شرف المأوى بلوغ مني «لم
تبرح الشمس يوماً دارة الحمل»؛ فاستصحب الفرح والجدل، بدل الفكر والجدل .

الوظيفة الثانية — كتابة السر بالشام .

ويعبر عنها بصحابة ديوان الإنشاء الشريف بدمشق . وشأنه هناك شأن كاتب
السر بالأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بصحابة ديوان الإنشاء بالشام، كتبت بها لفتح الدين بن
الشميد، من إنشاء القاضي ناصر الدين بن النشائي، في مستهل ذي القعدة سنة أربع
وستين وسبعائة، وهي :

المحمد لله مجزّل المنّ والمنح ، ومُرْسِل سَحَابِ الْعَطَاءِ السَّمْحِ ، وَمُعْمِلِ فِكْرِنَا الشَّرِيفِ
 فِي آتِنَابِ مَنْ أَوْرَى زَنْدَ الْحَيْرِ بِالْقَدْحِ ، وَمُنْتَمِلِ السَّرْبِينَ الْأَفْضَلِ مِنْ صَدْرِ إِلَى
 صَدْرِ يَحْمِي يَصُونُ لَهُ السَّرْحَ ، وَيُعْنِي مَشْهُورُ الْأَفَاطِهِ عَنِ الشَّرْحِ ؛ وَجَمَلِ بِنَاءِ الدِّينِ ،
 بِمَا سَكَنَ بِهِ مِنْ صِيَمِ الْفَضْلِ الْمُبِينِ ، وَمَا اقْتَرَنَ بِأَبْوَابِهِ مِنْ حَرَكَةِ الْفَتْحِ .

نحمده على نِعَمِ عَاطِرَةِ النَّفْحِ ، وَتَسْكِرِهِ عَلَى مَنِي عَالِيَةِ السَّفْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُجَبِّي قَائِلُهَا مِنْ حَرِّ الْجَحِيمِ وَتَقِيهِ شَرَّ شَرِّ ذَلِكَ
 اللَّفْحِ ، وَتَحْطُبُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنَامِلِ فَنُنشِئُ عِنْدَهَا مِنْ مُطْرَبَاتِ
 الْوَرَقِ عَلَى غُصُونِ الْأَوْرَاقِ هَدِيْلَ الصَّدْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي بَلَغَ
 الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَعَامَلَ الْأُمَّةَ بِالنُّصْحِ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ التَّرْحَ وَأَمِنَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ
 وَحْيِهِ فَكَانَ أَشْرَفَ أَمِينٍ خَصَّه اللَّهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ بِالْمَدْحِ ، وَجَعَلَهُ أَعْظَمَ مِنْ أَمْرٍ
 بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيِّمٍ مِّنْ حَا وَمَنْ لَمْ يَلْحَ ؛ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالصَّفَاحِ وَالصَّفْحِ ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
 حَقَّ جِهَادِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْكَدِّ وَالْكَدْحِ ؛ وَرَفَعُوا أَعْلَامَهُمُ الْمُظَلَّةَ ، وَنَصَبُوا
 أَقْلَامَهُمُ الْمُعَدَّلَةَ ، فَكَمْ لَمْ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ جِرَاحٍ لَا تَعْرِفُ الْجَرْحَ ؛ وَذَادُوا عَنِ حَوْزَةِ
 الدِّينِ ، بِإِرَاقَةِ دَمِ الْكُفَّارِ الْمُتَمَرِّدِينَ ، فَحَسُنَ مِنْهُمْ الذَّبُّ وَالذَّبْحُ ؛ وَكَانُوا فُرْسَانَ
 الْكَلَامِ ، وَأَسْوَدَ الْإِفْدَامِ ، الَّذِينَ طَامَمَا خَسَّاتِ بِهِمْ كِلَابُ الشَّرِكِ فَلَمْ تُطْقِ النَّبْحُ ؛
 صَلَاةً دَائِمَةً بَاقِيَةَ الصَّرْحِ ، مَا اقْتَرَنَ النَّظْرُ بِاللَّحِ ، وَمَا هَطَلَ السَّحَابُ بِالسَّحِ ؛ وَسَلِّمْ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ خَطَبَتِ الْمَنَاصِبُ الْعَلِيَّةَ ، مُحَاسِنَةَ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيَّةِ ، وَرَغَبَتِ
 الْمَرَاتِبُ الَّتِي هِيَ بِالْخَيْرِ حَرِيَّةَ ، فِي جَمِيلِ حَالَتِهِ الَّتِي هِيَ بِعُقُودِ الْمَفَاحِرِ حَالِيَّةَ ، وَسَجَّتِ

سَحَابُ الإِقْبَالِ الوَابِيَّةُ، ذُبُولُ فَضَائِلِهِ الفَاضِلِيَّةُ، وَآكْتَسَبَ العُلُومَ الفَرَعِيَّةَ وَالْأَصْلِيَّةَ،
 مِنْ جَمَاعِيحِ فُنُونِهِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنْ أَنْوَاعِ الفَوَائِدِ الجَمَلِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ - مِنْ شَهَدَتِ المَقَاحِرُ
 بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الشَّهِيدَ لَهَا وَأَبْنَ الشَّهِيدِ، وَحَمِدَتِ المَأْتِرَ الَّتِي هُوَ الشَّهِيرُ بِهَا فَمَا عَلَيْهَا
 فِي جَمِيلِ الأَدْوَاتِ مِنْ مَزِيدٍ، وَتَسَمَّيْتُ مَبَانِي مَعَالِيهِ الَّتِي أَقْتَرَنَ بِأَبِ خَيْرِهَا مِنْهُ
 بِالْفَتْحِ المُبِينِ، وَتَمَهَّدَتِ مَعَانِي أَمَالِيهِ بِالتَّخِيلِ اللَّطِيفِ وَاللَّفْظِ المَتِينِ؛ وَتَعَدَّدَتِ
 أَوْصَافِ شَيْمِهِ فَهِيَ لِمَحَاسِنِ الدَّهْرِ تَزِيدُ وَتَزِينُ، وَغَدَا مِنْ الكَاتِبِينَ الكِرَامِ وَالكِرَامِ
 الكَاتِبِينَ؛ الَّذِينَ تَضَحُّ بِأَطْلَاعِهِمْ مَرَايِدُ المَقَاصِدِ وَتَبِينُ. طَالَمَا آتَسَّقُ عِقْدُ نَظْمِهِ
 المَتِينِ، وَبَسَقَ غُصْنُ قَلَمِهِ المُثْمِرِ بِالدِّينِ، وَأَضَافَ إِلَى أَدَبِ الكُتَابِ حِلْيَةَ العُلَمَاءِ
 المُتَقِينِ، وَأَرْتَقِبُ أَفْعَالَ الجَمِيلِ الَّتِي أُسْتَوْجَبُ بِهَا حُسْنُ التَّرَقِّيِّ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ
 المُتَقِينِ، وَقَدَّ أَجْيَادَ الطُّرُوسِ جَوَاهِرَ أَلْفَاطِهِ الَّتِي تَفُوقُ الجَوْهَرَ عَنْ يَقِينِ؛ فَهِيَ
 بِنُضَارِ خَطِّهِ مَصُوغَةٌ أَبْهَجَ صِيَاغِهِ، وَفِي طَرِيقِ الإِنْشَاءِ سَالِكَةٌ نَهْجَ البَلَاغَةِ، وَكَذَا
 يَحَارُ الفَضَائِلُ وَارِدَةٌ مَنَاهِلِهَا المُسَاغَةُ؛ كَمَا أَعْرَبَ كَلِمَهُ الطَّيِّبِ، عَنْ سَخِّ سَحَابِ الصَّوَابِ
 الصَّيْبِ؛ وَكَمَا أَغْنَى فِي المِهْمَاتِ بَكْتِيهِ، عَنْ جَيْشِ الكِتَابِ وَقُضِيهِ؛ وَكَمَا هَزَّأَتْ
 صَحَائِفُهُ بِالصَّفَاحِ، وَكَمَا أَغْنَتْ رَاشِقَاتِ فِكْرِهِ النَّابِتَةَ العِلْمَ عَنْ سَهْوِ السَّهْمِ الرَّائِحِ؛ وَكَمَا
 تَسَاجَرَتْ أَقْلَامُهُ البَيْضُ الفِعَالِ هِيَ وَسُمرُ الرِّمَاحِ فَكَانَ نَصْرُهَا اللَّامِحِ، وَكَمَا تَعَارَضَ نَسْرُ
 وَصْفِهِ وَشَدَا الطَّيِّبِ فَالْفَى الزَّمَانُ ثَنَاءَهُ هُوَ الفَائِحِ، وَكَمَا أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ النَّفَاسَةِ
 فَاسْتَوْجَبَ مِنَّمَا يَقْضَى لَهُ بِأَجْزَلِ المُنَى وَالمَنَاجِحِ.

ولما كان المجلس العالی، القاضوی، الأجلّ، الکبیری، العالی، الفاضلی،
 الکاملی، الأوحدی، الأیبری، الرئیسی، البلیغی، المفیدی، المجدی، الأصیلی،
 العریقی، العابدی، الزاهدی، المؤمنی، الفتحی، جمال الملوك والسلاطين، ولی

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مُحَمَّدِ بْنِ الشَّهِيدِ ، أَدَامَ اللَّهِ نِعْمَتَهُ : هُوَ الَّذِي أَعْرَبَ الْقَلَمَ عَنْ صِفَاتِهِ ،
وَأَطْرَبَ الْمَسَامِعَ مَا أَدَاهُ الْيَرَاعُ عَنْ أَدْوَاتِهِ ؛ وَرَامَ الْبِنَانَ أَنْ يَسْتَوْعِبَ بَيَانَ شُكْرِهِ فَلَمْ
يُدْرِكْ شَأْوَ غَايَاتِهِ ، وَتَسَارَعَتْ بَدَائِعُ الْبَدَائِهِ مِنْ أَفْكَارِهِ فَسَابَقَتْ جَرِيَانَ يَرَاعِهِ
فِي أَبِيَاتِهِ ؛ وَرَاقَتْ أَمَالِيهِ ، لِنَاقِلِي الْفَاطِظَةِ وَمَعَانِيهِ ، فَشَكَرَ السَّمْعَ وَالْفَهْمُ بِهَا هَبَاتِ
هَبَاتِهِ ؛ فَأَدَابُهُ مَشْهُورُهُ ، وَعُلُومُهُ مَذْكَورُهُ ؛ وَتَحْلِيَّتُهُ بِمَذَاهِبِ الصُّوفِيَّةِ آرْتَاضَتْ بِهِ
نَفْسُهُ الْخَيْرَةَ الْخَيْرَةَ ، وَإِخْلَاصُهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَسَنَتْ بِهِ مِنْهُ السَّيْرَةَ وَالْمَسِيرَةَ ؛
وَصِيَانَتُهُ لِلْأَسْرَارِ الشَّرِيفَةِ اسْتَحَقَّ بِهَا إِسْنَادَ أَمْرِهَا إِلَيْهِ ، وَإِيدَاعَ غَوَامِضِهَا لَدَيْهِ ،
وَالْتَعْوِيلَ فِي حِفْظِهَا وَفِي لَفْظِهَا لِلْفِطْهَا عَلَيْهِ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ
تَجْتَبِيَهُ لِمَا تَحَقَّقْنَا مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَحْضَهُ بِصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ فِي أَجَلٍ
الْمَالِكِ ، وَنَجْعَلَ قَدَمَهُ ثَابِتَةً الرَّسُوحِ ، وَالصُّعُودِ فِي مَشِيخَةِ الشُّيُوخِ ، لَيْسَلِكَ فِيهَا أَحْسَنَ
الْمَسَالِكِ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ^(١) الْأَشْرَفِي ، النَّاصِرِي - لِأَزَالِ لِأَبْوَابِهِ
الشَّرِيفَةِ فَتَحَ فِي الْخَيْرِ يَقْدُمُهُ النَّصْرَ ، وَلَسَحَابِهِ مَنَحَ مَا يَعْرِفُ مَدَدُ أَمْدَادِهِ الْقَصْرَ -
أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ صَحَابَةَ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ ، وَمَشِيخَةَ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ،
عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانِ الْمَعْمُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ بَوَافِرِ عَفَافِهِ ، وَوَافِيِ إِنْصَافِهِ ؛ وَمَشْهُورِ أَمَانَتِهِ ، وَمَشْكُورِ صِيَانَتِهِ ؛
كَاتِمًا لِلْأَسْرَارِ ، كَاتِبًا لِلْبَبَازِ ، لِيَكُونَ مِنَ الْأَبْرَارِ ؛ عَالِقًا مَصَالِحَ الْأَنْامِ بِإِرْشَادِ رَأْيِهِ
وَصَوَابِهِ ضَاطِبًا أَحْوَالَ دِيَوَانِهِ ، مُتَحَرِّيًا فِي كَثِيرِ الْأُمُورِ وَقَلِيلِهَا : فَإِنَّ الْكِتَابَ يَظْهَرُ
مِنْ عُنْوَانِهِ ؛ مُحَرَّرًا لِمَا يَمْلِي مُعْتَبَرًا لِمَا يَكْتَبُ ، مُجْمَلًا لِلطَّالِعَاتِ الْكَرِيمَةِ بِفِكْرِهِ الْمُنْتَسِرِعِ

(١) بياض بالأصل ولعله "العالى".

وتصوره الأرتب ، حافظاً أزيمة ما يصدر من مثال وما يرد في المهمات الشريفة
فهو أدري وأدرب بما على ذلك يترتب ؛ محافظاً كعادته على دينه ، لازماً لصدق
يقينه ؛ حافظاً لأهل الخير جناحه ، مانحاً لهم نجاحه ؛ معاملاً للفقراء بكرم نفس بالله
غنيه ، ملاحظاً لأحوالهم بالقول والفعل والعمل والنية ؛ محترماً لكبيرهم ، حانياً على
صغيرهم ؛ مفكراً فيما يعود نفعه عليهم ، راعياً في الباطن والظاهر إليهم ؛ معنياً لهم
بالاشتغال بالعبادة ، مسلماً لهم الطريق إلى الله فإنها الطريق الجادة ؛ مستجلباً
لدعواتهم الصالحة ، مستفيداً من متاجر بركاتهم الرابحة . والوصايا كثيرة ومن نور
إفادته تقتبس ، ومن مشهور مادته تلمس ؛ وملاكها التقوى وهي أول كل أمر
وآخره ، وبملازمتها تتم له مفاعره ؛ والله تعالى يحرسه في السر والنجوى ، ويظهر
بارشاده للعاني والبيان كل نجوى ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بكتابة السر بالشام ، كتبت به للقاضي « شرف الدين
عبد الوهاب » بن فضل الله ، عند ما رسم بنقله من القاهرة إلى دمشق ،
في ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين « محمود
الحلبى » وهي :

الحمد لله الذى خص دولتنا الشريفة برعاية الذمم ، وحفظ ما أسلف الأولياء
من الطاعات والخدم ، وإدامة ما أسدته إلى خدم أيامنا الزاهرة من الآلاء والنعم ؛
وإفاضة حلال أعتنائها ، التى هى أحب إلى من شرف بولائها ، من حمر النعم ؛ وأبقى
عوارفها على من لم يزل معروفاً فى صون أسرارها بسعة الصدر وفى تدبير مصالحها
بصحة الرأي وفى تنفيذ مراسمها بطاعة اللسان والقلم .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي مَا اسْتَهَلَّتْ عَلَى وَليِّ قَاقَلَعٍ عَنْهُ عَمَامُهَا ، وَلَا اسْتَقَرَّتْ بِيَدِ صَفِيٍّ
فَانْتَرَعَ مِنْ يَدِهِ حَيْثُ تَصَرَّفَ زِمَامُهَا ؛ وَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً لَا تَزَالُ نَعْتَصِمُ بِحِبَابِهَا الْمَتِينِ ، وَيَتَلَقَّى عَرَابَهُ إِخْلَاصِنَا رَايَةَ فَضَائِلِهَا بِالْيَمِينِ ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَكْرَمُ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَّمِ ، بِالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَرَّمَتْ أَنْسَابُهُمْ ، وَأَضَاعَتْ لَهُمْ وُجُوهَهُمْ وَأَحْسَابُهُمْ ؛
فَرَقَلُوا فِي حُلَلٍ مَا أَكْتَسَوْهُ مِنْ سُنَنِهِ ، وَأَكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَنِهِ ، فَحَسُنَ مِنْهَا أَكْتِسَابُهُمْ
وَأَكْتِسَابُهُمْ ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْأَفَاقِ
وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ خَوْلَتِهِ مَكَارِمُنَا الْإِقَامَةَ حَيْثُ يَهْوَى مِنْ وَطَنِهِ ، وَبَوَّاتِهِ نِعْمَنَا
الْجَمْعَ بَيْنَ زِمَامِ بَرْنَا وَبَيْنَ مَا فَارَقَهُ مِنْ سَكْنِهِ ؛ وَمَلَكَتَهُ عَوَاطِفُنَا ، زِمَامَ التَّصَرُّفِ
حَيْثُمَا أَمَكُنْ مِنْ خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَعَرَفْتَهُ عَوَارِفُنَا ، أَنَّ مَكَاتَتَهُ عِنْدَنَا عَلَى حَالِهَا حَيْثُ
أَدَّى مَا عَدَّقَ بِهِ مِنْ وَطِيقَتِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِسَانَ مَرَّاسِمِنَا ، وَعِنَانٌ مَا تُجْرِيهِ
فِي الْأَفَاقِ مِنْ سَوَائِقِ مَكَارِمِنَا ، وَتَرْجَمَانِ أَوَامِرِنَا ، وَخَطِيبِ الْآئِنَاتِ الَّتِي غَدَّتْ بِهَا
أَعْطَافُ التَّقَالِيدِ مِنْ جُمْلَةِ مَنَابِرِنَا .

ولمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي : هُوَ الَّذِي لَمْ يَبْرَحْ صَدْرُهُ خِزَانَةَ أَسْرَارِنَا ، وَفِكَرُهُ كِمَانَةَ
إِعْلَانِنَا فِي الْمَصَالِحِ وَإِسْرَارِنَا ، وَخَاطِرُهُ مِرَاةَ آرَائِنَا ، وَيَرَاعُهُ مِشْكَاتَةَ مَا يُشْرِقُ : مِنْ أَنْوَارِ
تَدْيِيرِنَا ، أَوْ يَبْرُقُ : مِنْ أَنْوَاءِ الْآئِنَاتِ ؛ يَنْطِقُ قَلَمُهُ فِي الْأَقَالِيمِ عَنِ السُّنَنِ أَوَامِرِنَا الْمُطَاعَةَ ،
وَيَنْفُذُ كَلِمَتَهُ عَنِ مَرَّاسِمِنَا فِي دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ بِمَا تُقَابِلُهُ أَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛
وَكَانَتْ سِنَّتُهُ قَدْ عَلَتْ فِي خِدْمَتِنَا إِلَى أَنْ رَأَيْنَا تَوْفِيرَ خَاطِرِهِ عَلَى الْبَرَكَاتِ ، عَنْ كَثِيرٍ
مِمَّا يَتَّبِعُ رِكَابَنَا الشَّرِيفَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَرَكَاتِ ؛ وَأَنَّ نَعْفِيَهُ مِمَّا يُلْزِمُ الْإِقَامَةَ بِأَبْوَابِنَا

الشريفة من كثرة المثل بين يدينا، وأن تقتصر به على أخف الوظيفتين إذ لا فرق في رتبة السريين ما يصدر عنا أو ما يرد إلينا .

فرسم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، أن يكون فلان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بمعلومه الشاهد له به الديوان المعمور بالأبواب العالية، عوضاً عن أخيه المجلس السامى، القضائى، الحيوى «يحيى بن فضل الله» ويستمر أخوه القاضى «محيى الدين» المذكور مع جملة الكُتاب بديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور .

فليساشر هذه الرتبة التى تأملت به قواعدها وعن تقريره وتحريره أخذ كل من كان بأنواعها وأوضاعها عليا؛ فإنه لم يخرج عن أخيه شئ وصل إليه، ولا فوض له إلا ما هو بحكم عموم الأولوية والأولية فى يديه؛ وأما ما يتعلق بذلك من وصايا تبسط، وقواعد تُشرط؛ فإنها منه استفادها من رفقها، وعنه ارتوى بها ورواها من تعلمها؛ ونحن نعلم من ذلك ما لا يحتاج إلى أن يزداد فيه يقيناً، ولا أن يزيد به ذكره معرفةً وتمكيناً والاعتماد

قلت : ومن غريب ما وقع : أنه كتب للقر الشهابى بن فضل الله بكتابة السر بالشام، حين وليها بعد انفصاله من الديار المصرية توقيع مفتوح بـ «أما بعد حمد الله» من إنشاء المولى «تاج الدين بن الباربارى» وكأنه إنما كتب بذلك عند تغير الساطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» عليه، على ما هو مذکور فى الكلام على كُتاب السر فى مقدمة الكتاب .

وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِيكَاةِ السَّرِّ بِالسَّامِ الْمَحْرُوسِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُنْقَلِ الشُّهْبِ فِي أَحَبِّ مَطَالِعِهَا ، وَمُعْلِ الْأَقْدَارِ بِتَصْرِيفِ
الْأَقْدَارِ وَرَافِعِهَا ، وَمُبْهِجِ النُّفُوسِ بِمَعَادِهَا إِلَى أَوْطَانِهَا وَمَوَاضِعِهَا ، وَمُضِي مِشِيئَتِهِ
فِي خَلِيقَتِهِ بِالْخَيْرَةِ فِيمَا يَشَاءُ لَطَالِعِهَا ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْآخِذَةِ مِنَ الْقُلُوبِ
يَجْمَعِهَا ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي بَصَرَ الْأُمَّةَ بِهَدْيِهَا وَمَنَّا فِيهَا ، وَصَانَ شَرِيعَتَهُ
الشَّرِيفَةَ تَلُو الْمَلِكُ بِنَسْخِ شَرَائِعِهَا ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اسْتَوْدِعُوا أَسْرَارَ الْمَلَلَةِ
فَخَفَّظُوا نَفِيسَ وَدَائِعِهَا - فَإِنَّ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ هِيَ سَوَاءٌ لَدَيْنَا فِي التَّعْظِيمِ ، وَأَوْلِيَاءَ
دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةَ يَتَنَقَّلُونَ فِيهَا فِي مَنَازِلِ التَّكْرِيمِ ؛ وَعِنْدَنَا مِنْ « فَضْلِ اللَّهِ » رِعَايَةٌ لِلْعَهْدِ
الْقَدِيمِ ، وَتَأْكِيدٌ لِأَسْبَابِ التَّقْدِيمِ ؛ فَلَا غَضَاظَةَ لِمَنْ نَقَلْنَاهُ مِنْ أَبْوَابِنَا إِلَيْهَا ، وَلَا وَهْنَ
يَطْرَأُ عَلَى عُلُوِّ الْمَرَاتِبِ وَيَعْتَرِيهَا ؛ حَيْثُ صَدَقْنَا دَائِمَهُ ، وَتَغَوَّرَ إِقْبَالُنَا بِاسْمِهِ ،
وَمَرَّ اسْمُنَا لِمَسَاعِدَةِ الْأَقْدَارِ فِي الْأَيَّامِ حَاكِمِهِ ؛ وَ« الشُّهْبُ » لَوْ لَمْ يَسْرِ فِي سَمَائِهِ ، لَمَّا
أَهْتَدَى النَّاطِرُونَ بِضِيَائِهِ ؛ وَالدَّرَّةُ لَوْ مَكَشَتْ فِي صَدْفِهَا ، لَمَّا حَظِيَّتْ فِي الْعُقُودِ
بِشَرَفِهَا .

وكان المجلس العالی ، القضاة ، الشهابی ، قد أقام في خدمننا الشريفة بالأبواب
العالية حافظاً للأسرار ، قائماً بما يُحِبُّ وَنَحْتَارُ ؛ ثُمَّ لَمَّا أَخَذَ حَظَّهُ مِنَ الْقُرْبِ مِنْ
أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ : رَأَيْنَا أَنَّ عَوْدَهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَأَهْلِيهِ مِنْ تَمَامِ إِيْمَانِهِ ؛ وَأَنْ مَرَّجَعَهُ
إِلَى مَحَلِّهِ ، مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَمَا سَارَ إِلَّا وَالْإِقْبَالَ يُزَوِّدُهُ ، وَالْأَسْتِقْبَالَ بِهِ
وَأَهْلَ بَيْتِهِ يُسْعِدُهُ وَيُضْعِدُهُ .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يُنْقَلَ إِلَى كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِدَمَشَقِ
الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّحِدًا عَنْ وَالِدِهِ ، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ بِالْأَيْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَلِيَقَرَّرَهُ
مِنَ الْمَعْلُومِ كَذَا وَكَذَا .

فَلْيَسِّرْ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَلْيَسْتَقِرِّ فِي مَوْطِنِ إِقَامَتِهِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَمْلُوءَ الْيَدَيْنِ ،
مَسْرُورًا بِرَفْعِ الْمَحَلِّ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ ؛ وَلْيَكُنْ لَوَالِدِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَضُدًا ،
وَلْيُصْبِحْ لَهُ فِي مَهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ سَاعِدًا وَيَدًا ، وَلْيُضِحْ بِهِ الْيَوْمَ بَرًّا لِيَجِدَ رِضَا اللَّهِ
غَدًا ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ بَرَكَةُ الْمَالِكِ ، وَهُوَ قَدِيمُ هِجْرَةٍ ، وَسَالِفُ خِدْمَةٍ ، وَحَسَنُ طَوِيَّةٍ ،
فَتَحَنَّنَ نِعْمًا لَذَلِكَ ، وَالْمُهَيَّمَاتُ الشَّرِيفَةُ يَتَلَقَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَلْيُصْدِرْ فُصُولَ الْمَطَالَعَةِ
مُدْبِجَةً عَلَى عَادَتِهِ فِي تَدْيِيجِ طَرِيسِهِ ؛ وَلْيَسْتَعِنَ بِاللَّهِ فَهُوَ وَلِيُّ الْإِعَانَةِ ، وَلْيَعْتَمِدْ
عَلَى الرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ؛ وَمَا بَعْدَ عَنَّا ، مَنْ كَانَ بَعِيدًا
بِالصُّورَةِ قَرِيبًا بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مَنًّا مَنًّا ! ؛ وَالخَطَّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة - نَظَرَ الْجِيُوشَ بِالشَّامِ .

وَشَأْنُ صَاحِبِهَا كِتَابَةُ الْمُرَبَّعَاتِ الَّتِي تُنَشَأُ مِنَ الشَّامِ ، وَتَنْزِيلُ الْمَنَاشِيرِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي
تَصْدُرُ إِلَيْهِ .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، كُتِبَ بِهِ «لِمُوسَى بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» مِنْ
إِنْشَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شَهَابِ الدِّينِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِحْسَانَنَا عَائِدًا بِصَلَاتِهِ ، وَفَضْلَنَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْإِسْعَادِ بَعْدَ
سِنَاتِهِ ، وَعَوَاطِفَنَا تُنَبِّهُ جَفْنَ الْإِقْبَالِ مِنْ إِغْفَائِهِ وَسِنَاتِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ نَصَرَنَا جَيْشَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْجَاءِ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَجِهَاتِهِ ، وَجَعَلَ
الْبَرَكَاتِ وَالْإِيمَانَ بِأَمْرِنَا فِي حَالَتِي مَحْوٍ وَإِثْبَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً زَادَتْ فِي جَزَاءِ الْمُخْلِصِ وَحَسَنَاتِهِ ، وَأُصْحَتْ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ
وَإِلَى جَنَّتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ وَاصِحَ آيَاتِهِ ،

وأصبح النشْر عَاقِبًا من نَشْرِ رَايَاتِهِ ؛ وَمَا الفَتْرَةَ بِهَدْيِهِ وَسَرَّ سَرَائِرَ أَوْلِيَائِهِ وَأَكْمَدَ قُلُوبَ عُدَايَتِهِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَأْرَجُ النَّسِيمُ فِي هَبَاتِهِ ، وَأَهْبَجَ العَطَاءَ بِجَزِيلِ هَبَاتِهِ ؛ وَسَلَّم تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ من النِّعَمِ مَا إِذَا عَادَتْ أَقْرَبَتِ العُيُونُ ، وَحَقَّقَتِ الآمَالُ وَالظُّنُونُ ؛ وَرَفَعَتِ الأَقْدَارُ وَإِنْ لم يَزَلْ رَفِيعًا مَحَلُّهَا ، وَجَمَعَتِ المَسَارَّ المَمْتَدَّ عَلَى الأَفْنِدَةِ ظِلُّهَا ؛ وَعَمَرَتِ رُبُوعَ الإِحْسَانِ ، وَعَمَّرَتِ بِمَنَائِحِهَا الحِسانَ ؛ كَهَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي تَلَقَّتِ الإِقْبَالَ من حَافِلِ عَمَامِهِ ، وَجَمَعَتِ شَمْلَ التَّقْدِيمِ مَشْفُوعًا بِإِكْرَامِهِ ؛ وَأَعَادَتِ سَمَاءَ التَّكْرِيمِ هَادِيَةً بِقَطْبِهَا ، مُشْرِقَةً الأَرْجَاءَ بِنُورِ رَبِّهَا ؛ وَسَفَرَتِ بِدُورِهَا مِن هُوَ أَوْلَى بِاجْتِنَالِهَا ، وَتَهَيَّأَتْ رَبُّهَا لِمَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِاعْتِنَالِهَا ؛ وَحَقِيقٌ بَانَ تَعُودَ المَوَاهِبِ بَعْدَ فِترَتِهَا ، وَأَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَجُوهَ المَنَائِحِ بَعْدَ لَفْتَتِهَا ؛ لِتُصْبِحَ كَوَاكِبُ الإِسْعَادِ كَأَنَّهَا مَا أَفَلَتْ ، وَعَطَايَا التَّخْوِيلِ كَأَنَّهَا مَا أَنْتَقَلَّتْ ؛ وَيُعُودَ عَلَيْهِ اليَوْمُ كَأَمْسِهِ ، وَيَرْجِعُ أَفُقُ العَوَارِفِ الحِسانِ مُشْرِقًا بِبَدْرِ الاجْتِبَاءِ وَشَمْسِهِ .

ولَمَّا كانَ فِلاَنٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَتْ فِي الخِدْمِ الشَّرِيفَةِ آثَارُهُ ، وَحَمِدَ إِيرَادُهُ فِي المِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ وَإِصْدَارُهُ ؛ وَشَكَرَهُ شَامَهُ وَمِصْرَهُ ، وَسَمَا فِي كُلِّ جِهَةٍ حَلَّهَا مَحَلُّهُ وَقَدْرُهُ ؛ وَتَحَقَّقَتْ مِنْهُ رَأْسَةٌ قَضَتْ لَهُ بِإِبْدَاءِ النِّعَمِ وَإِعَادَتِهَا ، وَأَنْ تَجْرِيَ لَهُ الدَّوْلَةُ مِنَ الإِكْرَامِ عَلَى أَجْمَلِ عَادَتِهَا ؛ وَأَنْ تُرْعَى لَهُ حُقُوقُ أَلْفِهَا حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَتُنْشَرُ عَلَيْهِ ظِلَالُ الفَضْلِ حَتَّى لا يَفْقِدَ مِنْهَا عَلَى طُولِ المَدَى تَكْرِيمًا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالأَمْرِ الشَّرِيفِ ... لا زال ... أن يستقر ... تجديداً للملابس
سَعْدُهُ ، وَتَأْكِيدًا لِقَوَاعِدِ بَجْدِهِ ، وَتَرْديدًا للفَضْلِ الَّذِي حَلَا مِنْهُلُ وَرِدِهِ ؛ وَرِعَايَةً لِخِدْمَتِهِ الَّتِي أَكْبَتْ عَلَيْهَا السِّيُوفُ وَالأَقْلَامُ ، وَشَكَرَتْ تَأْثِيرَهَا جُنُودَنَا - نَصَرَهَا اللهُ

تعالى - بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَلِمَا لَهُ مِنْ حُسْنِ سَمِيَّةٍ زَادَهُ وَقَارُهُ ، وَأَصْلِي صَالِحٍ طَابَتْ مِنْهُ ثِمَارُهُ .

فَلَيْسَتْ قَرَّرَ فِي هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ الْمُبَارَكَةِ : عَالِمًا أَنْ لِسَانَ الْقَلَمِ أَمْسَكَ عَنِ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ خَبَرَ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ فَرَعًا وَأَصْلًا ، وَأَلْفَتْ مِنْهُ نَاطِرًا عَلَا قَدْرًا وَكُرْمًا مَحْتَدًا وَفَصْلًا ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَدْرَى بِسُلُوكِ مِنْهَا جَهَا الْقَوِيْمِ ، وَأَدْرَبُ بِاِقْتِنَاءِ سَنَنِهَا الْمُسْتَقِيْمِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، وَالْاِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيْفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب التواقيع الديوانية بدمشق - من يكتب له

في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء مفتتحا بـ «الحمد لله» إن علت رتبته وإلا بـ «أما بعد» ، وتشتمل على وظائف)

منها - نظير الخزانة العالية ، وشأنها هناك نظير الخزانة الكبرى بالديار المصرية في القديم ، ونظير خزانة الخاص الآن .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة العالية :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي خَصَّتْ الْمَنَاصِبَ السَّنِيَّةَ فِي أَيَّامِنَا الرَّاهِرَةِ بِكُلِّ كُفٍّ كَرِيْمٍ ، وَجَعَلَتْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ مِنْ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ كُلَّ حَفِيْظٍ عَالِمٍ ، وَأَفَاضَتْ ظِلَّ إِنْعَامِنَا عَلَى مَنْ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ فِي حَقِّ ذَوِي الْبُيُوتِ الْقَدِيْمَةِ كَانَ أَحَقَّ بِالْقَدِيْمِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ مِنْ حَبَاهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيْمِ ، وَاجْتِبَاهُ لِهِدَايَةِ خَلْقِهِ إِلَى السَّنَنِ الْقَوِيْمِ ، وَجَعَلَ سَلَامَةَ الصَّلَاةِ الْمَقْبُولَةِ مِنَ التَّقْصِ مَقْرُونَةً بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ رَبَّحَهُ لِحَدَمَتِنَا الْاِخْتِيَارَ ، وَقَدَّمَهُ فِي دَوْلَتِنَا الْاِخْتِيَارَ ،

وأخلصه حسن نظرنا الشريف رتبة أبيه من قبل ، وأغدق له سبحانه برنا صوب إحسان فلم يصبه ظل بل وبلى - من حمد سيره وسيره ، وشكر في طاعتنا وزده وصدرة ؛ وزان الأصالة بالنباهة ، والرأس بالوجه ، والمعرفة بالتزاهة ؛ وجمع بين الصلف والأطلاع ، والتضلع من العفة والأضطلاع ، والصفات التي لو تخيرها لنفسه لم يزدنا على ما فيه من كرم الطباع .

ولما كان نظر الخزانة العالية بدمشق المحروسة رتبة لا يرقى إليها من الأكفاء إلا من ومن ، ولا يقدم لها من الأولياء إلا من تعين من رؤساء العصر وفضلاء الزمن ؛ وكان فلان هو الذي عينه لها أرتياد الأكفاء ، وأصطفى هو من أهل الصفاء ، وتقدم من وصف محاسنه ما لا يروع تمام بده وظهوره بالنقص والاختفاء .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الخزانة المذكورة .

فليأشر ذلك مباشرة من يحقق في كفايته وفضيلته التأميل ، ويظهر حسن نظره الذي هو كالنهار لا يحتاج إلى دليل ؛ وليجبر على جميل عاداته في النهوض في خدمتنا بالسنة والقرض ، ويضعف اجتهاده الذي بمثله جعل من اختياره على خزان الأرض ؛ وهو يعلم أن هذه الرتبة مأل الأموال ، وذخائر الإسلام التي هي مادة الجيوش وموارد الإفضال ؛ فليعمل في مصالحها فكره ودأبه ، وإذا كان حسن نظرنا الشريف قد جعله المؤمن عليها : ((فليؤد الذي أوثمن أمانته وليتق الله ربه)) . وفي سيرته التي عرفت ، وصفاته التي إن وصفت فما أنصفت ؛ ما يغني عن تفاصيل الوصايا وجمالها ، وإعادة مزايا التأكيد : قولها وعمليها ؛ لكن ملاكها الصيانة التي هو بها موصوف ، والتقوى التي هو بها معروف ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

ومنها - صحابة ديوان النظر، وصحابة ديوان الجيش ونحو ذلك من الوظائف
الديوانية بدمشق .

قلت : هذا إن كتب من الابواب الشريفة السلطانية ، وإلا فالغالب كتابة
ذلك عن نائب السلطنة بدمشق .

الصنف الرابع

(من الوظائف بدمشق وظائف المتصوفة ومشايخ الحوائق ،
وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحا بـ «الحمد لله» .
وبذلك يكتب لشيخ الشيوخ بالشام ، وهو شيخ الخانقاه
الصلاحية ، المسماة بالشميصاتية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، وهى :

الحمد لله الذى اختار لعامة بيوته اولياء يحبونه ويحبهم ، وأصفياء حقهم برحمته
فاجتهدوا فى طاعته فازداد قربهم ، وأتقياء زهدوا فى الدنيا وأبدلوا الفانى بالباقى
وطاب فى مورد الصفاء شربهم .

نحمده حمد من جعل حب الله دناره ، وملابس التقوى شعاره ، ونشكره والشكر
لمزيد النعم أماره ، وللقلوب الدائرة عماره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة مخلص فى التوحيد ، يتبوأ بها جنان الخلد ويخلص من سماع قول جهنم :

هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ إِلَى حَضْرَةِ
 أَنَسِهِ ، وَحَظِيرَةِ قُدْسِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ الْأُمَّةَ
 بِنَسْيِ وَقَرَّ فِي صَدْرِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَلَّتْ وَاقِعُهُ سَارِيَةً عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ؛
 صَلَاةً لَا تَرَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ، وَسَلَّمَ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ عُوِمِلَ بِالتَّقْدِيمِ ، وَأَجْدَرَ مَنْ يُحْصَى بِالتَّكْرِيمِ ، مَنْ كَانَ
 قَدْرُهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ عَظِيمًا ، وَذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَدِيمًا ، وَتَجْرِيدُهُ عَنِ
 الدُّنْيَا مَشْهُورًا ، وَسَعْيُهُ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ مَشْكُورًا ؛ وَشُهُودُهُ لِمَقَامِ الْكَمَالِ مُسْتَجَلِبًا ،
 وَأَسْتَجْلَاؤُهُ لِمَوَادِّ الْأَنْسِ مُسْتَمْلِبًا ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْجَلِيلَةِ سَرِيُّ الْمِقْدَارِ ، مَعْرُوفُ
 الصِّفَةِ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي مَجْمَعِ الْأَخْيَارِ .

ولما كان المجلس السامى ، الشَّيْخِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْأَوْحَدِي ،
 الزَّاهِدِي ، الْوَرَعِي ، الْأَصْبَلِي ، الْفُلَانِي ؛ جَلَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَفِ الصَّلَاحِ
 فِي الْعَالَمِينَ ، شَيْخِ الشُّبُوحِ ، قُدْوَةِ السَّالِكِينَ ، مُعْتَقِدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ ، أَعَادَ اللَّهُ
 تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ : هُوَ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَالْمَالْحُوظَ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ - أَقْتَضَى
 حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُحْصَى فِي الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ ، وَيُمَيَّزَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّكْرِيمِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالَةِ مَنْ جُنُودَ اللَّيْلِ جَيْشٌ لَا تَطِيشُ
 سَهَامَهُ ، وَمَنْ فُوسَانَ الْحَارِيبِ مَدَدٌ لَا تَرَلُّ فِي مَلَاقَاةِ الرَّجَالِ أَقْدَامُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ
 فِي كَذَا .

فَلْيُقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالسُّرُورِ ، وَلِيَتَأْتَلْ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ الشَّكُورِ ، وَلِيُؤَاطِبْ
 عَلَى وَظِيفَةِ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ ، وَلِيَسْتَمِطِرْ جَزِيلَ الْفَضْلِ مِنْ سَحَابِ جُودِنَا

الماطره؛ وليسقط يده في عمل المصالح، وليستمر على السعي الحسن والعمل الصالح؛
فإن هذه البقعة مأوى القادم والقاطن، وتسمو على أمثالها من المواطن؛ وليكن
لأسرارهم موقرا، ولأقواتهم المعينة على الطاعة ميسرا؛ والله تعالى يجعل خلواته
معموره، وأفعاله مبروره؛ والاعتماد في ذلك على الخط الشريف .

قلت : هذا إن وليها شيخ من مشايخ الصوفية، على عادة الخوانق . وقد يلها
كاتب السر بالشام، فيكتب تقليده بكتابة السر في قطع النصف «بالمجلس العالی» على
عادة كتاب السر، ويشار في تقليده إلى بعض الألفاظ الجامعة بين المقامين، ويضاف
إلى ألقاب كتابة السر بعض ألقاب الصوفية المناسبة لهذا المقام . على أنه ربما
كتب بولايتها عن نائب السلطنة بالشام لكاتب السر أو غيره .

المرتبة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة مفتحا بـ«رسم»)

وهذه نسخة توقيع من ذلك، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لازلت أوامره تحل القربات محلها، ومراسمه تُسند
الرتب الدينية لمن إذا خصوا بمواقعها كانوا أحق بها وأهلها - أن يرتب فلان
في كذا : إذ هو أولى من خص بمواطن العبادة، ونص بترفيه الأسرار على التحلي
بافاضة الإفاده؛ ووفر كده على اجتلاء وجوه المعارف من أفق المراقبه، وجمع
خاطره لاجتناء ثمرة الأئس من أفنان الطاعات الناتية في رياض المحاسبه؛ مع تمسكه
بعلوم الشريعة الذي [خلص] معرفته من الشوائب، وأحيا الدجى من أقبال شيبية

ظلامه إلى أن تشيب منه الذوائب ؛ ونفع متعدّد إلى كلّ طالب فضيل ومتمسك ،
 ودين باهر من مصباح مشكاة العلم والعمل لكلّ باغي نورٍ ومقتبس .

فليستقرّ شيخاً بالمكان الفلانيّ : لتعمر أرجاؤه بهجده ، ولشّرق خلواته بتعبده ؛
 وتعدّب مواردّه بأوراده ، وتطّلع مجالسه بمجوم معرفته البازغة من أفق إيراده ؛ [و] لتغدو
 هذه البقعة روضة أفكار ، وقبلة أدكار ؛ ومرآة دعوات ، ومرآة بركات ،
 تستنزل بين صلوات مقبولة وخلوات ؛ ولتتناول المعلوم المستقرّ له ترفيهاً ليسرّه ،
 وتزنيهاً لفكره ؛ وإعانة على الانقطاع بهذه البقعة التي نتصل به أسباب السعادة
 في أرجائها ، وتخصيصاً لها منه بإمام تقي لو كان لبقعة أن تجتني بركته لكان منتهى
 رجائها ؛ وليرفع من الأدعية الصالحة لآيائنا المباركة ما لا تزال مواطن القبول لنفحاته
 المترقبة متلقّيه ، وما لا تبرح النفوس لحشيتيه المانعة متوقّيه ؛ والاعتماد على الخطّ
 الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .

قلتُ : هذا إن كتب عن الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب كتابته ذلك عن
 نائب السلطنة بالشام .

النوع الثاني

(من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها)

وقد تقدّم في المقالة الثانية : أنّ لدمشق أربع صققات ، وهي : الغربية ،
 والشرقية ، والقبليّة ، والشمالية .

فأمّا الصققة الغربية : وهي المعبر عنها بالساحليّة والجبليّة ، على ما تقدّم فيها ، ففيها
 من وظائف أرباب السيوف عدّة وظائف ، وتولّى فيها الأبواب السلطانية .

منها - نيابة القدس . وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يليها جندي ، ثم استقرت نيابة طبلخانا ، في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، وأن العادة جرت أن يُضَاف إليها نظر الحرمين : حرم الخليل عليه السلام ، وحرم القدس . والذي يكتب له مرسوم في قطع الثلث بـ «السائي» بالياء .

ومنها - نيابة قلعة الصبيبة . وقد تقدم أنها من أجل القلاع وأمنها ، وأنه كان يليها نائب مفرد من أجناد الحلقة أو مقدمها عن نائب دمشق ، ثم أُضيفت إلى وإلى بانياس . ثم استقرت في سنة أربع عشرة وثمانمائة في الدولة الناصرية « فرج » نيابة .

ومنها - نيابة قلعة عجلون . وقد تقدم أنها على صغرها حصن حصين ، مبنية على جبل عوف ، بناها أسامة بن منقذ ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين « يوسف ابن أيوب » في سلطنة العادل أبي بكر ، وأنه كان مكانها رهب أسمه عجلون ، فسميت به . ثم استقرت في الدولة الناصرية « فرج » في سنة أربع عشرة وثمانمائة إمرة طبلخانا .

وقد تقدم أول هذا القسم ما يكتب للقدمين ، وما يكتب للطبلخانا ، وما يكتب للعشرات .

أما أرباب الوظائف الدينية .

فمنها - مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقدس . وتوقيعها يكتب في قطع الثلث مفتوحاً بـ «الحمد لله» .

(١) في تقويم البلدان ص ٢٢٨ أن جبل عوف كان أهله عصاة فبنى عليهم أسامة حصن عجلون وهو معقل حصين مشرف على الغور .

ومنها - خَطَابَةُ الْقُدْس ، وتوقيعها كذلك .

ومنها - مَشِيخَةُ حَرَمِ الْخَلِيل ، وتوقيعها في العَادَةِ يكتب مفتتحا بـ «رُسِمَ» .
 وأما الصَّفَقَةُ الْقَبِيلِيَّةُ ، فالَّتِي يُوَلِّيُ بِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ نِيَابَةً صَرَخَدُ .
 وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة الشَّامِيَّةِ أَنَّهُ قد يجعل فيها من يَقْرُبُ من
 رُتَبِ السُّلْطَنَةِ ، وحينئذٍ : فإن وليها مُقَدَّمُ أَلِفٍ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ النِّصْفِ
 بـ «المجلس العالی» . وإن وليها أميرُ طَبَلْخَانَاهُ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ النِّصْفِ أيضًا ،
 بـ «السَّامِيُّ» بالياء .

وأما الصَّفَقَةُ الشَّرْقِيَّةُ فالنِّيَابَاتُ بِهَا على طَبَقَتَيْنِ :

الطبقة الأولى

(ما يُكْتَبُ به مَرَسُومُ شَرِيفٍ في قَطْعِ النِّصْفِ ، وهو ما يليه مُقَدَّمُ أَلِفٍ
 أو طَبَلْخَانَاهُ ، وفيها نِيَابَاتُ)

النِّيَابَةُ الْأُولَى - نِيَابَةُ حَمَصَ .

وقد تقدّم أَنَّهُ كانت نِيَابَةً جَلِيلَةً ، كان يَلِيهَا في الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ «محمد بن قلاوون»
 مُقَدَّمُ أَلِفٍ ، وأنه ذكر في «التَّحْقِيفِ» أَنَّهُ صارت الآن طَبَلْخَانَاهُ . وحينئذٍ :
 فإن كان بها مُقَدَّمُ أَلِفٍ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ النِّصْفِ بـ «المجلس العالی» . وإن
 كان طَبَلْخَانَاهُ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ الثَّلْثِ بـ «المجلس السَّامِيُّ» بالياء .

وهذه نسخة مَرَسُومِ شَرِيفِ بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِحَمَصَ :

الحمد لله مُقَدَّرِ كُلِّ أَجَلٍ إِلَى حِينٍ ، ومُقَرَّرِ أُمُورِ الْمَمَالِكِ في عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ ؛ الَّذِي
 جَعَلَ بِنَا أَوْلِيَاءَنَا مِنَ الرَّاحِمِينَ ، وَحَفِظَ مَا اسْتَرَعَانَا مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ بَوْلَايَةِ النَّاصِحِينَ .

نحمده على اختياره لا يصل إليه قدح القادحين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون بها في غمرات الحروب على السوايح ساجدين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم المائحين ، وأعظم الفاتحين ، وأشرف من ولى الأعمال الكفافة الوفاة المكافحين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزال فيها الحفظه على أعمالنا ممتسين ومصابحين ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن مر اسمنا الشريفه وإن تأخر وقتها إلى أجل معدود ، وأمد ممدود ؛ ومضت أيام وليال ولها باب مسدود ، وعمل سببه غير مشدود - فإننا كالسيف يتلاهى ثم إذا صمم لا يرجع ، وكالغمام تمادى مدد مدته ثم يجود فلا يقلع ؛ ولم نزل منذ فوض الله أمور بلاده إلينا ، وصرف أمور جمهور عباده بيدنا ؛ نرى أن نحى غاباتها بأشد الأسود ، ونرى غاياتها بمن هو لأمر ما يسود ؛ ونحوط جنباتها بمن لا يستبيح حرمة إلا الوفود ، ونحط ركائب رعاياها منه على من هو المقصود ؛ وننيب إلى ما يتربح من مصالحهم لدينا ، ونستنيب لمن يترجى الحسنى إذا عرضت متجددات أمورهم علينا ؛ وإذا انفرد بحكم لا يظن إلا أنه بسمع من أذنيه ، ومرأى من عينينا ؛ لأن ثواب الممالك الشريفه فروع عدلنا الشريف ونحن أصلها ، وأسباب إحسان بأوامرنا المطاعة قطعها ووصلها .

وكانت حمص المحروسه من أكبر الممالك القديمه ، والمدين العظيمه ؛ تغرق الأقاليم في مدنها ، وتمتد عساكرها فتعد حماة حماة من جندها ؛ وهى من الشام المحروس فى مائتى مواكبه ، ومجر عواليه ومجرى سواقه وجميع كتابه ؛ طالما كان بها الحرب سجالا ، وطالما سابت بها الرجال أجالا ؛ وكان لنا بها فى الحرب يومان عوضنا الله أدناهما بما حفظت المعارك ، وضاعت الأرض بدماء القتلى ففاض إلى

السَّيِّءُ مَا أَلْتَقَى بِالشَّفَقِ مِنْ [تلك المسالك] ^(١) ، وَأَتَّصَتِ بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ جَانِبَيْهَا ؛
وَأَتَّصَفَتْ بِأَنهَا مَهَبُ الرِّيحِ ، وَمَرْكَزُ الرَّمَّاحِ ؛ لِمَا يَهْبُ لَنَا مِنْ بَشْرَى النُّصْرِ وَيُخَفِّقُ
مِنْ عَصَائِبِنَا الْمَنْصُورَةِ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا تَطَاوَلَ الْأَمْدُ عَلَى خُلُوقِهَا مِمَّنْ يَنْوِبُ عَنِ السَّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَحْكَامِهَا ،
وَيُثَوِّبُ إِلَى تَسْدِيدِ مَرَامِي سِهَامِهَا ؛ لَمْ تَزَلْ آرَافُنَا الْعَالِيَةَ تُجُولُ فِيمَنْ يَصْلُحُ أَنْ
يُقَدِّمَ قَدَمَهُ إِلَى رُتْبَتِهَا الْعَلِيَّةِ ، وَيُجَرِّدَ مِنْهَا عِزَّائِمَهُ الْمَشْرِيفِيَّةَ ؛ وَيَجْمَعُ بِهَا عَلَى طَاعَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْقَبَائِلِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالطَّوَائِفِ الْمَذْكُورَةِ ،
وَيَسْطُرُ بَسَاطَ الْعَدْلِ فِي كَافَّةِ جُنُودِهَا وَرِعَايَاهَا فَإِنَّهَا بِهَيْؤَلِئِهِ مَحْرُوسَةٌ وَبِهَيْؤَلِئِهِ
مَعْمُورَةٌ - فَرَأَيْنَا أَنَّ أَوْلَى مِنْ حَكْمٍ فِي عَاصِيهَا وَالْمُطِيعِ ، وَأَتَّخَذَ لِسُورِيَا السُّورَ الْمُنِيعَ ؛
مَنْ هُوَ الْمَوْثُوقُ بِمَا أَمْضَتْ السِّيُوفُ مِنْ هِمَمِهِ ، وَأَرْضَتِ التِّجَارِبُ مِنْ سَوَائِقِ
خِدْمَتِهِ ؛ وَطَارَتْ سُمْعَةٌ شُكْرِهِ فِي الْآفَاقِ ، وَطَابَتْ أَثْنَيْتُهُ بِخَاءَتِهَا بِمَا يُعْرِفُ مِنَ
الطَّرْبِ لِإِسْحَاقَ ؛ وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ لَهُ فِي عَيْنَتَابِ ^(٢) ، نِيَابَةً كَمْ أَصَابَهُ فِيهَا رَجُلٌ بِالْعَيْنِ
ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ الْعَيْنِ تَابَ ؛ وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِي كِفَلَاءِ مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةِ حَاجِبًا ، وَفَهَمَ مِنْ
أَحْكَامِهِمُ الَّتِي تَلَقَّوْهَا مِنَّا مَا أَصْبَحَ لَهَا صَاحِبًا ؛ فَمَا لِلنِّيَابَةِ إِحْكَامُ أَحْكَامِ إِلَّا وَهُوَ
بِهِ عَالِمٌ ، وَلَا تَوْلِيَةَ حُكْمٍ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّهَا لِقُرْبِ مَا بَيْنَ الْحَاجِبِ وَالْحَاكِمِ .

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُرْتَضَى لِلْبَيْتِ هَذِهِ الْمَقَاحِرِ ، وَالْمُنْتَظَرُ الَّذِي كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ فِيهِ
لِلْآخِرِ - فَاقْتَضَتْ مَرَامِينَا الْمَطَاعَةَ أَنْ يُزَانَ جِيدُهُ بِهَذَا التَّقْلِيدِ ، وَتُلْقَى إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ ؛
وَيَمْدِيدُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ لِتَلْقِيهِ ، وَتَخَضَعُ عَنْقُ هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ لِتَرْقِيهِ ؛ وَتَحْوِلُ إِلَيْهِ هَذِهِ النِّعْمَةَ

(١) بياض بالأصل .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي معني الخلفاء المشهور .

التي أَلْحَقَتْ قَدْرَهُ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَهَلَّتْ هِمَمَهُ لِلْكَتِفَاءِ ، وَشَرَّفَتْ مَكَانَهُ بِمَا أَجْمَعَتْ
عَلَيْهِ آرَأُونَا الشَّرِيفَةَ لَهُ مِنَ الْأَصْطَفَاءِ ، وَأَحْسَنْتَ بِهِ الظَّنَّ لَمَّا رَأَتْ نَيْتَهُ الْجَمِيلَةَ
مُمَثَّلَةً مِنْ خَاطِرِهِ فِي مِرَاةِ الصَّفَاءِ .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ مَرْفُوعًا بِهِ كُلُّ عِلْمٍ ، مَمْنُوعًا بِهِ حِمَى كُلِّ حَرَمٍ -
أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ السَّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِمَحْضِ الْحُرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا ؛ وَجُنْدِهَا وَعُمَلَّهَا ،
وَعَسَاكِرِهَا وَعَشَائِرِهَا ؛ وَعَامِرِهَا وَغَامِرِهَا ، وَأَوْلِيَّهَا وَآخِرِهَا ؛ وَدَانِيَهَا ، وَقَاصِيَهَا ؛ وَكُلِّ
مَا فِي حُدُودِهَا الْأَرْبَعَةِ ، وَدَاخِلِ فِي جِهَاتِهَا الْمُتَمَنِّعَةِ ؛ عَلَى أَكْلِ مَا جَرَّتْ بِهِ عَوَائِدُ مَنْ
تَقَدَّمَه ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدُ الْمُتَقَدِّمَةُ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أُمُورِكَ ، وَاجْعَلِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ مِسْكَاتَةَ نُورِكَ ، وَعَظْمَ حُكْمَاهُ ،
وَنَفْذَ أَحْكَامِهِ ، فَهُمْ أَمْنٌ سُوْرِكَ . وَأَعْدِلْ فَهُوَ قَرَارُ خَوَاطِرِ جُمْهُورِكَ ، وَتَيَقُّظُ
لِسَدَادِ سِدَادِ نُغُورِكَ ، وَارْفُقْ لِتَطْلُقَ بِهِ نُطْقَ نِطَاقِ سُكُورِكَ . وَأَقِمْ الْحُدُودَ فَإِنَّهَا
زِيَادَةٌ فِي أَجُورِكَ . وَأَمَّا الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ ، فَبِمَلِّ بِهَمٍ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مَوَابِكِكَ ،
وَكُلِّ بَعْرَائِمِهِمْ مَضَارِبِكَ ؛ وَلَا تَسْتَخْدِمْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُسْرُكُ أَنْ تَرَاهُ فِي يَوْمِ الْعَرْضِ ،
وَتَعْقِدُ هَوَادِي جِيَادِهِ السَّمَاءَ بِالْأَرْضِ ؛ وَأَحْمِ أَطْرَافَ بِلَادِكَ مِنْ عَادِيَةِ الرِّجَالِ ،
وَأَحْفَظْ جَانِبَيْهَا مِنْ تَحْطِيفِ الْغَارَاتِ فَسِرْ قِيَامَهَا [لَا يَدْفَعُهُ] غَيْرَ احْتِيَالٍ ؛ وَأَهْتَمَّ بِالْجِهَادِ
تَحْتَ صَنَاجِحِنَا الْمَنْصُورَةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ مَتَى أَجْمَعُوا ، وَضَرَسَهُمْ بِأَنْيَابِ أَسِنَّتِكَ فَأَنْتَ
صَاحِبُ الْعِصَا وَهِيَ تَتَلَقَّفُ مَا صَنَعُوا ؛ وَعَمَّرْ بِلَادَهَا بِمَلَا حَظَّتِكَ الْجَمِيلَةَ ، وَنَمِّ أُمُورَهَا
فَهِيَ قَوَامُ الْجُنُودِ وَهَمُّ إِلَى الثَّقَةِ فِي النَّصْرِ الْوَسِيلَةَ ؛ وَسَارِعْ إِلَى مَا تَرُدُّ بِهِ مَرَامِنَا
الشَّرِيفَةَ عَلَيْكَ لَتَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَعَجِّلِ الْبَرِيدَ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ بِهِ مَا لَسْتَ بِعَلِيمٍ ؛

وَبَقِيَّةِ الْوَصَايَا لِاحْتِاجَةِ إِلَيْهَا مَا تَعْرِفُهُ مِنْ قَدِيمٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعَكَ بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ؛
وَالخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ

النِّيَابَةُ الثَّانِيَةُ — نِيَابَةُ الرَّحْبَةِ .

وهذه نسخةٌ بِنْيَابَتِهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَدَّنَا بِنَصْرِهِ ، وَشَمِلَ بِجُودِ سُلْطَانِنَا أَهْلَ عَصْرِهِ ؛ وَأَيْدَهُ بِجُنُودِ أَوْلِيَّهَا
مُتَّصِلٌ بِأَقْوَالِ عِرَاقِهِ وَأَخْرَجَهَا بِأَحْرِمِ مِصْرِهِ ، وَفَرَّقَ بِسِهَامِهِ الْأَعْدَاءَ فِي حَوَاصِلِ الطَّيْرِ بَيْنَ
حِضْنِهِ وَخَصْرِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ، وَيَحَافِظُ عَلَيَّ حُسْنَ ذِكْرِهِ ، وَيُسْتَعَاذُ بِهِ إِلَّا مِمَّا يَدْمُرُ
عَلَى الْعِدَاءِ مِنْ عَوَاقِبِ مَكْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُرَغَمُ
مَنْ جَادَلَهُ بِكُفْرِهِ ، وَتُمَزَّقُ بَيْنَ كُلِّ نَابِ سَيْفٍ وَظُفْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ أَرْسَلَهُ مُقِيمًا لِأَمْرِهِ ، وَمُدِيمًا فِي الْجِهَادِ لِأَعْمَالِ بَيْضِهِ وَسُمْرِهِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حَمَلَةَ سِرِّهِ ، وَنَقَلَةَ هَدْيِهِ بِأَسْرِهِ ؛ صَلَاةً بَاقِيَةً فِي الْوُجُودِ بَقَاءَ
دَهْرِهِ ، رَاقِيَةً أَرْتَقَاءَ زُهْرِهِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الثُّغُورَ بِسِدَادِهَا ، وَالْبُحُورَ بِأَمْدَادِهَا ، وَالنُّجُورَ لَا تَحْتَلِي بِأَحْسَنَ مِنْ
حَلِيَّةِ نِجَادِهَا ؛ وَالْمَمَالِكَ الْحُرُوسَةَ لَا تُحْرَسُ إِلَّا بِسُهْبِ خُرْصَانِهَا ، وَلَا تُسْقَى بِأَنْتَعِ
مِمَّا تُطْلَعُ مِنَ الدَّمَاءِ سَعْبُ فُرْسَانِهَا ؛ وَالْفُرَاتَ لَا تُنْجِي مَوَارِدُهَا إِلَّا بِأَمْشَالِ سَيُوفِهَا
الْقَوَاصِبِ ، وَلَا تَمْنَعُ مَحَاوِضَهَا إِلَّا بِأَيْدِمِ خَاضِبِ ، وَالْحِصُونَ لَا يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْجَنِيْقِ
غُضْبَانٍ إِلَّا بِوَصَالِ مُغَاضِبِ ، وَالْقَصَاعَ لَا تَتَطَّلَعُ عَيُونٌ دَيَادِبِهَا إِلَّا لِمَنْ مَاءُ الْكَرَى

(١) فِي الْأَصْلِ مَخَالِصَهَا .

في جُفُونِهِ نَاصِبٌ ، وَالْمَعَاقِلَ لَا تَسْمَحُ بِعَقَائِلِهَا إِلَّا لِمَنْ هُوَ عَلَى خِطْبَتِهَا مُوَظَّبٌ ؛
وَكَانَتْ الرَّحْبَةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ أَوْسَعُ مَكَانٍ رِحَابًا ، وَأَدْنَى إِلَى مَطْرِ سَحَابًا ؛
وَأَوْثَقُ مَا أَعْلَقَ عَلَى الْبِلَادِ بَابًا ، وَأَقْرَبُ مَا سَمِعَ حُرَّاسُهَا فِي السَّمَاءِ دُعَاءَ مَجَابًا ؛
قَدْ مُلِئَتْ سَمَاوُهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ، وَمَدَّتْ كَوَاكِبَ الدُّلُوحِ وَاسْتَقَّتْ مِنَ الْغَامِ
قُلُوبًا ؛ وَعَدَّتْ مَا وَرَاءَ الْمَجْرَةِ فُعِمَّتْ دُونَهَا الْمَسَالِكُ ، وَحُسِبَتْ لِمَلِكٍ وَنُسِبَتْ إِلَى
مَالِكٍ ؛ وَمَالِكٌ - لَا أَعْنِي إِلَّا ابْنَ طَوِيقٍ - خَازِنُهَا ، وَمَنْزِلُ أَمِينٍ وَفِي غَابِ الْأَسَدِ
مَسَاكِنُهَا ؛ قَدْ وَقَفَتْ لِبَغْدَادَ فِي فَيْمِ الْمَضِيقِ ، وَهَمَّتْ بِلَادُ الْعِدَا أَنْ تَحْوِضَ الْفُرَاتَ
إِلَيْهَا فَقَالَتْ : مَالِكٌ إِلَى طَرِيقٍ ؛ قَدْ أَفْتَرَّ فِي وَجْهِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ نَعْرُهَا الضَّاحِكُ ،
وَرَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فَرَعُهَا الْمُتَمَّاسِكُ .

فَلَمَّا أُعْهِدَ حُسَامُهَا الْمَسْلُولُ ، وَأَقْلَعَ عَمَامُهَا وَكُلَّ هُدْبٍ بِالْبِكَاءِ عَلَيْهِ مَبْلُولٌ -
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نَجِدَّ لِعُرُوسِهَا زِفَافًا ، وَلِيَبُوتَهَا أَفْوَافًا ؛ وَلِسُيُوفِهَا جِلَاءٌ ،
وَلِسُقُوفِهَا إِعْلَاءٌ ؛ وَنُؤْيَاهَا لِمَنْ تَكُونُ هِمَّتُهُ فِيهَا جَدِيدَةَ الشَّبَابِ ، أَكِيدَةَ الْأَسْبَابِ ؛
لِيَكُونَ أَدْعَى لِمَصَالِحِهَا ، وَأَرْعَى لِمَنَاجِحِهَا ؛ وَأَوْعَى لِمَا يَجْمَعُهُ سَمْعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا ،
وَأَسْعَى فِي حِمَايَةِ مَمَاسِيهَا وَمَصَالِحِهَا ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ أَصْلَبُ مَنْ فِي كَنَائِنَا الشَّرِيفَةِ
عُودًا ، وَأَنْجَزُ وَعُودًا ؛ وَأَصْدَقُ رُعودًا ، وَأَيْمَنُ إِذَا طَلَعَ نَجْمُهُ فِي أَفْقِ سَعُودًا .

فَرَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفُ أَنْ تَفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه
وَقَاعِدَتِهِ ؛ [فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ] مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهُ وَالْعَمَلَ بِمَا شَرَعَ ، وَأَتْبَاعَ مَرَامِنَا الشَّرِيفَةِ
فَمِثْلَهُ مَنْ أَتَّبَعَ ؛ وَحِمَايَةَ أَطْرَافِهَا ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِحَيْرٍ ، وَصِيَانَةَ أَكْثَافِهَا ،
مِنْ كُلِّ عَصَابَةٍ مُحَلَّقَةٍ إِلَى جَوْهَا كَالطَّيْرِ ؛ وَحِفْظَهَا مِنْ عَادِيَةٍ كُلِّ أَفَّاكٍ وَسَفَّاكٍ ، وَبَادِيَةٍ
أَعْرَابٍ وَأَثْرَاكٍ ؛ وَكُلِّ فَارِسٍ فَرَسٍ وَرَاكِبٍ بَعِيرٍ ، وَكُلِّ وَقْفَةٍ مُحَاصِرٍ وَحَقْقَةٍ مُغِيرٍ ؛

وَجَائِيٌّ بِرُوحٍ: فِي أَحَدِهِمَا الْمَسَالِكُ تَعْمَى وَالْآخَرَ لَا يُعَامُ ، وَصَاحِبِي سِرٌّ وَجَهْرٌ :
هَذَا تَحْشَى لَهُ عَاقِبَةَ كَلَامٍ وَهَذَا مُعَاقِبَةُ كَلَامٍ .

وَلِيَتَخَطَّفَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا تَلَمَّعَ لَدَيْنَا بِوَارِقِهِ ، وَيَتَقَطَّفَ مِنَ الْأَقْوَالِ ثَمَرَاتِهَا
وَلَا يَدْعُ كُلَّ مَا تَجَمَّعَ حَدَائِقُهُ ، وَلِيَجْعَلَ لَهُ مِنَ الْمُنَاصِحِينَ طَلَائِعَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ
فِي أَسْتِهَابِ الْأَخْبَارِ أَبُو الْغَارَاتِ ، وَمَنْ إِذَا أَلْجَمَهُ الْخَوْفُ كَانَ لَهُ فِي لَمْعِ الْبُرُوقِ
إِشَارَاتٌ ؛ وَلِيَتَّخِذَ مِنَ الْكَشَافَةِ مَنْ يَسْبِقُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، وَمَنْ الْخِيَالَةَ مِنْ
لَا يَرْتَدُّ عَنْ وَقْدِ الرَّمَاحِ طَرْفُهُ ؛ وَمَنْ الْقَصَادَ مَنْ لَا يَطْوِي عَنْهُ خَبْرًا ، وَمَنْ الدِّيَادِبَ
مَنْ يُعِيرُهُ وَقَلَّ أَنْ تُعَارَ الْعَيُونُ نَظْرًا ؛ وَلِيَحْفَظَ التُّجَّارَ فِي مَذَاهِبِهِمْ غُدُوًّا وَرَوَاحًا ،
وَمَسَاءً وَصَبَاحًا ؛ وَلِيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ طَالَمَا أزدَانَتْ بِهِمْ صُدُورُ الْخَزَائِنِ عَلَى
أَمْتِلَائِهَا أَنْشِرَاحًا ، وَلِيَأْخُذَ مِنْهُمْ مَا لَبِيتَ الْمَالِ فَكَمْ وَجَدُوا بَعْطَائِهِ أَرْبَاحًا ؛ وَلِيُوصِّلَ
إِلَى أَرْبَابِ الْقَرَارَاتِ مَا لَهُمْ مِنْ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ ، وَلِيُعْطِيَهُمْ مَا تَصَدَّقْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ
مَشْكُورٌ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ وَهُوَ مَدْمُومٌ ؛ وَلِيُعْمَرَ الْبِلَادَ بِتَوَطُّينِ أَهْلِ الْقُرَى ، وَإِنَامَتِهَا
بِالْعَدْلِ مَلَائِنَةَ الْحُقُوفِ مِنَ الْكِرَى ؛ وَلِيَكُنَّ لِلْفَرَاتِ مَتِيقَظًا لثَلَاثًا يَطْعَنُ بِهَا التِّيَّارُ ،
وَيَغْلَبُ بِمَدِّهَا الْمُخْمَرُ عَلَى سَكْرِهَا مِنَ السُّكْرِ الْخُمَارُ ؛ وَيَقْوَى عَلَى سَدِّهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدِرَ
عَلَى مُقَاوَاةِ الْبِحَارِ ؛ وَيَتَفَقَّدُ مَبَانِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ أَسْنَى مَا تَتَفَقَّدُهُ الْأَبْصَارُ ، وَلِيغْلِقَ
زُرُوعَهَا لِتَكُونَ : ﴿ كَمَثَلِ زَرْعٍ أَنْجَحَ شَطْأَهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ
يُعِجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ وَلِيَعِفَّ فَإِنَّ الْعَفَافَ هُوَ الْغِنَى ، وَلِيُؤْمِنَ مِنْ يَلِيهِ
فَإِنَّ الْأَمَانَ هُوَ الْمُنَى ؛ وَلِيُقِرَّ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ مِنْ صُلْحٍ أُكِّدَتْ أَوْأَخِيهِ ،
وَأَصْبَحَ كُلُّ مَنْ أَهْلُ الْجَانِبَيْنِ لَا يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ ، وَلَا يَرْخِصُ لِأَحَدٍ فِيمَا يَنْقُضُهُ
لَا فِي عَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا فِي تَرَاخِيهِ ؛ حَتَّى إِذَا كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَشَدَّتْ عَقْدَ
نِطَاقِهَا ؛ فَلْيَكُنْ بِحَسَبِ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ اعْتِمَادُهُ فِي شَنْ كُلِّ غَارِهِ ، وَسَنْ كُلِّ مَاضٍ

مُرْهَقًا غِرَارَهُ ، وَجَوِسَ خِلَالَ دِيَارِ الْعِدَا وَآخِطَافَ كُلِّ قَمَرٍ مِنْ دَارِهِ ، وَالْمُحْرِقَاتِ
الَّتِي لَا تُحْرِقُ نَبَاتًا حَتَّى تَسْبَبَ فِي ضُلُوعِهِمْ ، وَالْعِيَّارَةَ فِيهِ الزَّلَازِلُ الَّتِي تَتَسَاقَطُ مِنْهَا
مَبَانِي رُبُوعِهِمْ ، وَمُؤَالَاتُ الْبُعُوثِ : فَإِنَّ كُلَّ بَعِثٍ يَتَكَفَّلُ بِسِتَاتِ جُمُوعِهِمْ ، وَالْعَمَلِ
بِكُلِّ مَا تَرُدُّ بِهِ مَرَّاسِمُنَا الْعَالِيَةِ ، وَالْمُؤَاصَلَةَ بِكُتُبِهِ الَّتِي نَرْفُضُ مَا سِوَى أَخْبَارِهَا
الْمُتَوَالِيَةِ ، وَإِرْسَالَ كُلِّ بَرِيدٍ وَحَامٍ مُخَلَّقٍ بِهِمَا : إِمَّا رِيحَ ظَاهِرَةٍ وَإِمَّا رِيحَ عَادِيَةٍ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْرُبُ لَهُ الْغَايَاتِ الْمُنَادِيَةِ بِمَنْنِهِ وَكِرَمِهِ ! .

النيابة الثالثة — نيابة مضاف .

وهذه نسخة مرسوم بنيابتها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَّفَ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فِي الْمَمَالِكِ ، وَشَرَّفَ بِنَا كُلِّ حِصْنٍ
لَا تَعْرِضُ لَهُ الْحَجَرَةُ فِي الْمَسَالِكِ ، وَعَرَّفَ بِالْتَّرِيَةِ فِي خِدْمَةِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى أَيْنَ
يَنْتَهَى السَّالِكُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي نَعْتَدُّ بِهَا الْحَمْدَ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَرْغَبُ أَنْ نَلْقَى اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ الْأَمَانَةِ
فِيهَا كَذَلِكَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا هُوَ مَالِكٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ كُلَّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأُنْجَى بِهِ مِنْ مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ،
وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ مَا وَهَى وَهَى كَالْعَقْدِ الْمَتَهَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً يَجِدُ بِهَا قَائِلُهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلَّ هِنَاءٍ هُنَالِكَ ؛ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ النَّظَرَ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَقْدَمُهُ الْمَلِكُ ، وَأَوَّلَى مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ
مَنْ سَلَكَ ؛ وَبِمَمْلَكَةِ بَيْتِ الدَّعْوَةِ هِيَ مِنْ أَجْلِ مَا تَفَرَّدَتْ بِهِ مَمَالِكُنَا الشَّرِيفَةِ ،
وَأَمْتَدَّتْ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الْخَافِيَةِ ؛ وَأُرْسَلَتْ مِنْ قِلَاعِهَا مَنْ يَقْتَلِعُ الْعِدَا بُوْثُوبَهُ ،
وَيُسَابِقُ السَّهْمَ إِلَى مَطْلُوبِهِ ؛ وَيَتَعَبَّدُ بِمُؤَالَاتِنَا الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ سَلْفِهِ فِي طَاعَةِ أُمَّتِهِمْ ،

وَعَلِمُوا بِهَا أَنَّ الدَّوْلَةَ الْعُلُويَّةَ مَا انْقَضَتْ حَتَّى انْتَقَلَتْ إِلَيْنَا الْوِلَايَةَ عَلَى شِعْبَتِهِمْ ؛
وَأَنَّ الْمُلْكَ الْإِسْمَاعِيلِيَّ فِينَا قَدْ آنَحَصَرَ مِيرَاثُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
- رَحِمَهُمُ اللَّهُ - نَحْنُ وَرَثَتُهُ ؛ فَهَمُّ بِهَذَا يَبْدُلُونَ نَفْسَهُمْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَرَوْنَهَا
فَرْضًا عَلَيْهِمْ ، وَيَبْلُغُونَ بِنَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ : لِأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا أَرَاؤُهُ
بِيَدَيْهِمْ ؛ كَمَا هَجَمُوا عَلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ هَجْمَةً طَيْفًا ! ، وَكَمَا اسْتَطَالُوا بِسِكِّينٍ
لَا يَتَطَاوَلُ إِلَى مُبَارَاتِهَا سَيْفٌ ! ، وَكَمَا أَوْقَدُوا لَهُمْ بَارِقَةَ عَزِيمٍ فَقِيلَ : هَذِهِ سَحَابَةٌ
صَيْفٌ ! ، وَكَمَا وَرَدُوا بِالْدَّمَاءِ خَدًّا غَدًّا يَنَادِي : يَا كِرَامَ الْوَرْدِ ضَيْفٌ ! . وَكَانَتْ
مُضِيافًا - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ كُرْسِيٌّ هَذِهِ الْمَمْلُوكَةُ ، وَقَلْعَتُهَا هِيَ الَّتِي بَدَوَائِبُ
الْجَوَازِئِ مُتَمَسِّكَةٌ ؛ وَأَقْتَضَتْ مَرَّاسِمَنَا الْمُطَاعَةَ نَقَلَ النَّائِبُ بِهَا إِلَى مَا رَسَمْنَا بِهِ الْآنَ ،
نَخَلَتْ مِمَّنْ يَتَرَقَّى فِيهَا إِلَى أَعَزِّ مَكَانٍ ، وَاحْتَاجَتْ إِلَى مَنْ تَعْنَى بِهِ عَمَّا يُقَالُ : مَنْ
أَعْتَقَالَ رُحْجًا وَتَجَرَّيدَ سِنَانًا .

فَخَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ تَقَدَّدَهُ هَذِهِ النِّيَابَةُ ، وَيَتَقَلَّدُ أَمْرَ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ؛
وَيَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِهَا بِمُقْتَضَى مَا تَرَدَّدَ بِهِ مَرَّاسِمَنَا الْمُطَاعَةَ ، وَيُعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ شِعْبَتِنَا :
لِأَنَّهُ دَاعِيَانَا فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّ أَحَقَّ [النَّاسِ بِهَا] مَنْ قَدَّمَهُ وَلَاؤُهُ ، وَعَظَّمَهُ
أَتْمَأُؤُهُ ؛ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ أَهْتَامُ هِمَمِهِ الَّتِي لَا تُشَاهِبُهَا الْكَوَاكِبُ فِي سَيْرِهَا ، وَعَزَائِمُهُ الَّتِي
طَالَمَا كَانَ بِهَا فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ «يَطْلُ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا» ؛ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ مَسَاعِيهِ
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَنَزِيدِ ، وَأَسْرَعَ لَهُ الشَّيْبُ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ : لِأَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
[كَانَ] يَسْمَعُ قَعْقَعَةَ لِحَامِ الْبَرِيدِ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِوَصْفِهِ ،
وَدَلَّ عَلَيْهِ شَأْنُهُ بِعَرَفِهِ .

فَرَسَمَ أَنْ تَفَوَّضَ إِلَيْهِ النِّيَابَةَ بِمُضِيافٍ وَأَعْمَالِهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ وَقَاعِدَتِهِ .
فَلْيَقْدِمَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَوَلِيَّهُ ، وَلْيُنْشُرْ جَنَاحَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ عَلَى مَنْ يَلِيهِ ، وَلْيَعْمَلْ

بالأحكام الشرعية في كل ما يقضيه ؛ وليسلك في أهلها أوضح المرشد ، وليبين لهم أنه يدعوهم إلى سبيل الرشاد إلا ما آدعاه راشد ؛ وليوصل إلى المجاهدين أرزاقهم التي هي أمان نفوسهم ، وثمار مادي القطف من رؤوسهم . وأهل من مات أو يموت منهم على طاعتنا الشريفة فكن عليهم متعطفًا ، ومن طاب منك الإنصاف فكن له منصفًا ؛ وأفعل معهم أحسن الأسوة ، وقل لهم عنا : إن الصدقات الشريفة قد استجابت لكم يا أهل الدعوة ؛ وخذ بقلوبهم ، لتراداد من حبهم ، وقل للمجاهدين : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . والأموال فضنها من الضياع ؛ وعمارة البلاد عليك بها فإن القلعة لا تكون إلا بالمدينة والمدينة لا تكون إلا بالضياع ؛ وأمثال مراسمنا الشريفة وكل ما يرسم به سارع إلى اعتماده ، وطائفة المجاهدين لا تدع منهم إلا من هو معتد لجهاده ؛ والكتان الكتان ! فبه تسأل المطالب ، وتذكر المارب ؛ وعليك بقمع المفسدين ، وردع المعتدين ، وإقامة الحدود : فإن بها أقام الله هذا الدين ؛ ونحن نغتنى بما فيك من المعرفة ، وبما أنت عليه - بحمد الله تعالى - من كمال كل صفة ، عن استيعاب الوصايا التي لم تبرح سبحانك بها متصفه ، والله تعالى يزيدك من كل نوع أشرفه ؛ والخط الشريف أعلاه



وأما الصفة الشمالية ، فالذي يولى بهذه الصفة عن الأبواب السلطانية ، نيابة بعلبك فقط . وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة الشامية أنها كانت أولاً إمرة عشرة ، ثم صارت طبليخانا ، وأن نائب الشام يولى بها ، وربما وليت من الأبواب الشريفة السلطانية . وحينئذ يكون مرسوم نائبها في قطع الثلث بـ « المجلس السامي » بالياء .

وهذه نسخة مرسوم نبياية بعلبك :

أما بعد حمد الله على أملٍ حَقَّقَ مُنَاهُ ، وَصَدَّقَ غَنَاهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ سُبْحَ أَعْتِنَاءِ
أُورَقَ بِهِ عُدُّهُ وَطَابَ جَنَاهُ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَمَّلَ بِنَاهُ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا شِيدَ مَعْقِلِ نَخَارِ مَبْنَاهُ - فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الشَّامِ الْقَدِيمَةِ ، وَدُورِ
الْمُلْكِ الَّتِي ذَهَبَ مِنْ يَحُلُّهَا مِنَ الْمُلُوكِ وَبَقِيَتْ آثَارُهُ مُقِيمَةً ، مَدِينَةَ بَعْلَبَكِ وَهِيَ الَّتِي
تَحْصِنُ الْإِسْلَامَ بِقَلْعَتِهَا ، وَتَحْصِلُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ [بِمَنْعَتِهَا] ^(١) بَنِيَتْ عَلَى عَهْدِ
سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَاتَّقَنَ بِنَاؤُهَا ، وَهَالَتْ أَسْوَارُهَا حَتَّى نُسِبَ إِلَى صَنْعَةِ
الْحِجْنَ بِنَاؤُهَا ؛ وَدَعَمَتِ السَّمَاءَ عَمْدُهَا ، فَطَالَتْ شَرْفُهَا حَتَّى كَادَتْ تُخَضِّخُضُ فِي سَجَلِ
السَّحَابِ يَدُهَا ؛ وَجَمَعَتْ مَحَاسِنَ فِي سِوَاهَا لَا تُوجَدُ ، وَتَقَرَّرَ بِمُلْكِهَا مِنَ الْمُلُوكِ :
تَارَةً سَعِيدًا وَتَارَةً أَمْجِدًا ؛ وَمَا خَلَّتْ مِنْ عُلَمَاءٍ عَظِيمِي الشَّانِ ، وَصُلَحَاءٍ يَلْمُهُمْ
الْجَبَلَانُ : سَيْسُ وَلُبْنَانُ ؛ وَهِيَ بَابُ دِمَشْقِ الْمَفْتُوحِ ، وَسَحَابُ الْأَنْوَاءِ الْمَسْفُوحِ
بِالسَّفُوحِ ؛ وَبَابُ الْبُرُوقِ الَّتِي آلَتْ أَنَّهَا بِأَسْرَارِهَا لَا تَبُوحُ ، وَمَابُ السَّفَارَةِ الَّتِي تَغْدُو
مُحَمَّلَةً أَوْقَارَ رِكَابِهَا وَتُرُوحُ ؛ وَهِيَ الْعَيْنُ الْمُسْبَلَةُ الرَّوَاتِبِ ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَةُ الْوَقَارِ
لِمَفْرِقِهَا الشَّائِبِ ، الْعَالِيَةِ الدَّرِيِّ مِنْ قِطْعِ السَّحَابِ ؛ وَ[لَمَّا] كَانَ مِنْ فِيهَا الْآنَ
مَنْ لَا تَسْتَعْنِي الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ عَنْ قُرْبِهِ ، وَلَا تَسْتَنْبِي أَحَدًا مَعَهُ فِي تَجْرِيدِهِ سَيْفَهُ
الْمَشْهُورَ مِنْ قُرْبِهِ ، أَجَلْنَا الرَّأْيَ فِي كُفِّ لَعْرُوسِهَا ، وَمِمَّا نَلَّ لِمَرْكَزِ تَأْوُدِ غُرُوسِهَا ،
فَلَمْ نَجِدْ أَدْرِي بِأَحْوَالِهَا ، وَأَدْرَبَ بِمَا يُؤَلَّفُ عَلَى الطَّاعَةِ قُلُوبَ رِجَالِهَا ، كَمَنْ آسْتَقْرَبَهُ
فِيهَا مَعَ أَبِيهِ الْمَاضِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْوَطْنَ [وَنَالَا مِنْهُ الْوَطْرَ] ، وَمَرَّتْ [عَلَيْهِمْ فِيهِ]

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

(٢) » » ولعله : التي كأنها منلفعة من الخ .

سنون وأيام هتف بها داعي قصر؛ ولا غنى [عنه] مع ماله من ولايات صعب فيها
الناس وفارقهم على وجه جميل، ورافقهم ثم أنصرف وأنصرفوا عنه وما ذمه في النازلين
نزيل؛ وكان فلان هو المتوقد الشهاب، المتوقل في تلك المضاب؛ المشكور قولاً
وديناً، المشهور بوضع كل شيء في موضعه شدةً ولينا .

فلذلك رسم ... - لا زال إحسانه أحمد وأختياره مقدماً - أن يرتب في نيابة
بعلبك على عادة من تقدمه وقاعدته، مبتدئاً حسن النظر في الأمور العامة، لا يدع
ظلامه، ولا يدع سالك طريق إلى سلامه، ولا يعد سمعاً إلا لسمع شكر لا ملامه؛
ولينظر في المظالم نظراً ينجلي به سدنها، وليشكر العشير توطياً يوطأ به هدفها؛ وليلاحظ
الأموال الديوانية بما ينمي به أموالها، ويندى بسحابه المتدفق أحوالها . والأوقاف
فليشارك واقفيها في إحسانهم، وليجر حسنتها على ما كانت عليه في زمانهم؛ وليكن
لها نعم الكفيل في دوام المحافظة ولتفقد ما فيها من الحواصل والزرذخانة مما
يدخر لوقته، ويؤخر لقرط الشغف به لالمقته . ومن أهم ما يحتفظ به قلوب الرجال،
وعمارة الأسوار فإنها للفرسان المقاتلة مجال، وعليها تنصب المجانيق وتخطف
الآجال . وأما الشريعة المطهرة : فإن من تعدى غرق أو أوشك أن يغرق،
وتتبع أوامرها : وإلا فقيم يعدب من يعدب ويحرق من يحرق؛ وتقوى الله
تعالى هي الوصية الجامعة، والتذكرة التي ترتد بها الأبصار خاشعة؛ وليفهم هذه
الوصايا ولا يخرج شيئاً منها من قلبه، وليتبين معانيها ليكون بها على بينة من ربه؛
والله تعالى يكشف عنه غطاء حجبته، ويزعه عما يأخذه ويؤاخذه من نيتته؛
إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني^(١)

(ممن [هم] خارج دمشق : ممن يؤتى عن الأبواب السلطانية -
أمراء العربان ، وهم على طبقتين :)

الطبقة الأولى

(من يُكْتَبُ له منهم تقليدٌ في قَطْعِ النَّصْفِ بـ«المجلس العالى» وهو أمير آل
فَضْلٍ خَاصَّةً : سواءً كان مستقلاً بالإمارة أو شريكاً لغيره فيها)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة الشامية نقلا عن "مسالك الأبصار"
أن ديارهم من حصص ، إلى قلعة جعبر ، إلى الرحبة ، آخذين على شقي الفرات وأطراف
العراق .



وهذه نسخة تقليد بإمرة آل فضل : كُتِبَ به لأمير شجاع الدين « فضل بن
عيسى » عوضاً عن أخيه مهناً ، عند ما خرج أخوه المذكور مع قرا سنقر الأفرم
ومن معهما من المتسحجين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يفارق الخدمة ، في شهر
سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي منح آل فضل في أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلاً ، وقدم عليهم
بقديم الإخلاص في الولاء من أنفسهم شجاعاً يجمع لهم على الخدمة ألفاً وينظم لهم
على المخالصة شملاً ، وحفظ عليهم من إعزاز مكان بيتهم لدينا مكانة لا تنقص
لها الأيام حكماً ولا تنقص لها الحوادث ظلاً .

(١) لم يتقدم تقسيمه الى اصناف ولعل مراده أن ما تقدم من التولية في الصفقات صنف أول وهذا
صنف ثان . فليتبه .

نجدُه على نِعْمه التي شَمِلت بِرِّنا، الحَضْر والَبْدُو، وألْهجتْ بِشُكرنا، ألسِنَةَ العَجْم
 في الشَّدُو والعَرَبِ في الحَدُو، وأعمَّتْ في الجهادِ بين يدينا من اليعمَلاتِ ما يبارى
 بالنصِّ والعنقِ الصَّافِناتِ في الحَبِّبِ والعَدُو؛ ونشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده
 لا شريكَ له شهادةً ندرأُ بها الأمورَ العظامَ، ونقلدُ بِمِثْلِها ما أهدمَ من مصالحِ الإسلامِ لمن
 يجرى بتدبيره على أحسنِ نِظامٍ؛ ونشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ المبعوثُ من أعلى
 ذوائبِ العَرَبِ وأشرفها، المرجوُّ الشَّفاعةِ العُظمى يومَ طُولِ عَرَضِ الأُممِ وهولِ
 موقِفها؛ صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه الذين كُرمَت بالوفاءِ أنسابُهُم، وأضاعت
 بتقوى اللهِ وجوهُهُم وأحسابُهُم؛ صلاةً لا تزالُ الألسُنُ تُقيمُ نِداءَها، والأقلامُ تُرقمُ
 رِداَها؛ وسلَّم تسليماً كثيراً .

وبعدُ، فإنَّ أولى من أجتته الطاعةُ ثمرةً إخلاصه، ورَفَعته المخالصةُ إلى أُنسَى
 رَبِّ تَقريبه وأختصاصه؛ وألَّف بمبادرته إلى الخِدمة الشريفة قلوبَ القبائلِ وجمعَ
 شملها، وقلده حُسْنَ الوفاءِ من أمرِ قومه وإميرتهم ما يُستشهدُ فيه بقولِ اللهِ تعالى:
 ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ - من أرتقى إلى أُنسَى رَبِّ دنياه بحِفْظِ دينه، ودَلَّ
 تمسُّكه بإيمانه على صحَّةِ إيمانه وقُوَّةِ يقينه؛ ولا حظَّته عيونُ السَّعادةِ فكان في حِزبِ
 الله الغالبِ وهو حِزبنا، وقابلته وجوهُ الإقبالِ فأرته أن المغبونَ من فاته تقريُّبنا
 وقربنا؛ ورأى إحساننا إليه بعينٍ لم يطرُقها الجُودُ، ولم يطرُقها إعراضُ السُّعودِ؛
 فسلكَ جادةَ الوفاءِ وهي من أئمن الطُّرُقِ طَريقاً، وأقتدى في الطاعةِ والولاءِ بمن قال
 فيهم بمثلِ قوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقاً﴾ .

ولمَّا كان المجلسُ العالِي ... هو الذي حازَ من سعادةِ الدنيا والآخرةِ بحُسْنِ الطَّاعةِ
 ما حازَ، وفازَ من برِّنا وشُكرنا بحمِلِ المبادرةِ إلى الخِدمةِ بما فازَ؛ وعلمَ موافقَ إحساننا

إليه فَعَمِلَ على أَسْتِزَامَةِ وِجْهَيْهَا ، وَأَسْتِرَادَةِ فَضْلِهَا ؛ وَالْأَرْتِوَاءَ مِنْ مَعْرِوْفِهَا الَّذِي بَاءَ بِالْحَرَمَانِ [منه] مِنْ خَرَجٍ عَنْ ظِلِّهَا ؛ مَعَ مَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ : مِنْ شَجَاعَةٍ تَبَيَّتْ مِنْهَا أَعْدَاءُ الدِّينِ عَلَى وَجَلٍ ، وَمَهَابَةٍ تَسْرِي إِلَى قُلُوبٍ مِنْ بَعْدٍ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ سُرَى مَا قَرَّبَ مِنَ الْأَجَلِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَمُدَّ عَلَى أَطْرَافِ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ مِنْهُ سُورًا مَصْفَحًا بِصَفَاحِهِ ، مَشْرَفًا بِأَسِنَّةِ رِمَاحِهِ .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَضْلًا ، وَيَمَلَأُ مَمَالِكَهُ إِحْسَانًا وَعَدْلًا - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَسْبَابِ تَقْدِيمِهِ ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ عِنَايَتِنَا بِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ سِرٌّ حَدِيثُهُ وَقَدِيمُهُ ؛ وَلِعَلِّمْنَا بِأَوْلِيَّتِهِ الَّتِي قُطِبَهَا الشَّجَاعَةُ ، وَفَلَكُهَا الطَّاعَةُ ؛ وَمَادَّتْهَا الدِّيَانَةُ وَالتَّقْوَى ، وَجَادَّتْهَا الْأَمَانَةُ الَّتِي لَا تَسْتَرِهُمُ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَسْتَفْرِزُهَا الرُّقَى .

وَلِيَكُنْ لِأَخْبَارِ الْعَدُوِّ مَطَالِعًا ، وَلِنَجْوَى حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَاتِهِمْ عَلَى الْبُعْدِ سَامِعًا ، وَلِدِيَارِهِمْ كُلِّ وَقْتٍ مُصَبِّحًا حَتَّى يَظُنُّوهُ مِنْ كُلِّ تَنْبِيَةٍ عَلَيْهِمْ طَالِعًا ، وَلِيُدِمَّ التَّأَهُبَ حَتَّى لَا تَفُوتَهُ مِنَ الْعَدُوِّ غَارَةٌ وَلَا غِرَّةٌ ، وَيُلْزِمَ أَصْحَابَهُ بِالتَّيَقُّظِ لِإِدَامَةِ الْجِهَادِ الَّذِي جَرَّبَ الْأَعْدَاءَ [منه] مَوَاقِعَ سَيُوفِهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ ؛ وَقَدْ خَبَرْنَا مِنْ شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ ، وَسِيَاسَتِهِ فِي تَقْضِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِبْرَامِهِ ؛ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصَايَا الَّتِي مَلَكَهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ سَجَايَاهِ الَّتِي وَصِفَتْ ، وَخَصَائِصِهِ الَّتِي أُلْفِتْ وَعُرِفَتْ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا مِرْآةَ ذِكْرِهِ ، وَفَاتِحَةَ فِكْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! : إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسومة بشريف بامرأة آل فضل ، كتبت بها للا مير حسام الدين «مهتأ بن عيسى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذى أرهف حسام الدين فى طاعتنا بيد من يمضى مضاربه بيديه ،
وأعاد أمر القبائل وأمرتهم إلى من لا يصاح أمر العرب إلا عليه ، وحفظ رتبة
آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة فى سائر الأحوال منسوبات
إليه ، وجعل حسن العقبي بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو إلى أطراف البلاد المحروسة
إلا وردته الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقيبه .

نحمده على نعمه التى ما زالت مستحقة لمن لم يزل المقدم فى ضميرنا ، المعول عليه
فى أمور الإسلام وأمورنا ، المعين فيما تنطوى عليه أثناء سرائرنا ومطوى صدورنا ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب على قائلها حسن التمسك
بأسبابها ، وتقتضى للإخلاق فيها بذل النفوس والنفائس فى المحافظة على مصالح أربابها ،
وتكون للحافظ عليها ذخيرة يوم نتقدم النفوس بطاعتها وإيمانها وأنسابها ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلا وفرعا ، المفروضة
طاعته على سائر الأمم دينًا وشرعا ، المخصوص بالأئمة الذين بشوا دعوته فى الآفاق
على سعتها ولم يضيقوا لجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين حازوا بصحبته الرتب الفاعره ، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا
والآخرة ، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يزحزحهم عن ظاهها الركون إلى
الدنيا الساخره ، صلاة تقطع الفلوات ركائبها ، وتسرى بسالكى طرق النجاة نجائبها ،
وتتصر بإقامتها كئاب الإسلام ومواكبها ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من تلقته رتبته ، التى توهم إعراضها بأيمن وجه الرضا ،
وآستقبلته مكائته ، التى تحيل صدودها بأحسن مواقع القبول التى تضمنت الاعتداد
من الحسنات بكل ما سلف والإغضاء من الهفوات عما مضى ، وآلت إليه إمرته

التي خَافَتِ الْعَطْلَ مِنْهُ وَهِيَ بِهِ حَالِيهِ ، وَعَادَتْ مُزَلَّتُهُ إِلَى مَا أَلْفَتَهُ لَدِينَا : مِنْ
 مَكَانَةٍ مَكِينَةٍ وَعَرَفْتَهُ عِنْدَنَا : مِنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ - مِنْ أَمْنَتِ شَمْسِ سَعَادَتِهِ فِي أَيَّامِنَا مِنْ
 الْغُرُوبِ وَالزُّوَالِ ، وَوَثِقَتْ أَسْبَابُ نِعَمِهِ بِأَنْ لَا يَرُوعَ مَرِيرُهَا فِي دَوْلَتِنَا بِالْإِنْتِقَاضِ ،
 وَلَا ظِلَالُهَا بِالْإِنْتِقَالِ ، وَأَغْتَتَّهُ سَوَابِقُ طَاعَتِهِ الْمَحْفُوظَةُ لَدِينَا عَنْ تَوْسُطِ الْوَسَائِلِ ،
 وَأَحْتَجَّتْ لَهُ مَوَاقِعَ خِدْمَتِهِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ مَوَاقِفُهَا فِي نِكَايَةِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تُشْكِرُ شُهُرُهَا
 فِي الْقِبَائِلِ ، وَكَفَلَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِنَا فِيهِ بِمَا حَقَّقَ مَطَالِبِهِ ، وَأَحْمَدَ عَوَاقِبَهُ ، وَحَفِظَ
 لَهُ وَعَلِيهِ مَكَانَتَهُ وَمَرَاتِبَهُ ، فَمَا تَوَهَّمُوا الْأَعْدَاءُ أَنَّ بَرَقَهُ ، خَبَا حَتَّى لَمَعَ ، وَلَا ظَنُّوا أَنَّ
 وَدَقَّهُ ، أَفْلَحَ حَتَّى هَمَى وَهَمَعَ ، وَلَا تَحَيَّلُوا أَنَّ حُسَامَهُ نَبَأَ ، حَتَّى أَرْهَفْتَهُ عِنَانُنَا فَيَسِمَا
 حَلًّا مِنْ أَوْصَالِهِمْ قَطَعَ ، وَكَيْفَ يُضَاعُ مِثْلُهُ ؟ وَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَنْزِلُ
 الْأَهْوَاءُ وَلَا تَرْتَقِي الْأَطْعَامُ مِثْلَهَا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ^(١) (؟) الْأَعْدَاءُ عِنْدَ جِهَادِهَا وَأَجْتِهَادِهَا
 فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ حَسْبِهَا وَدِينِهَا .

ولما كان المجلس العالى ... هو الذى لا يحول اعتقادنا فى ولائنا ، ولا يزول اعتمادنا
 على نفاذه فى مصالحنا ومضائنا ، ولا يتغير وثوقنا به عما فى خواطرننا من كمال دينه
 وصحة يقينه ، وأنه ما رفعت بين يدينا راية جهاد إلا تلقاها عرابة عزمه يمينه ، فهو
 الولي الذى حسنت عليه آثار نعمنا ، والصفي الذى نشأ فى خدمة أسلافنا ونشأ
 بنوه فى خدمنا ، والتقى الذى يأبى دينه إلا حفظ جانب الله فى الجهاد بين يدي
 عزيمتنا وأمام هممنا - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نصرح له من الإحسان بما هو
 فى مكنون سرائرنا ، ومضمون ضمائرنا ، ونعلن بأن رتبته عندنا بمكان لا تتطاول
 إليه يد الحوادث ، ونبين أن أعظم أسباب التقدم ما كان عليه من عنايتنا وأمتناننا
 أكرم بواعث .

(١) لعله "ولا تستقل" .

فلذلك رُسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ، ومشايخهم ومقدمهم ،
وسائر عربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم ، على عادته وقاعدته .

فليجبر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها ، ولا محيد عن مبدئها في مصالح
الإسلام ومآلها ؛ أخذًا للجهاد أهبتَه من جمع الكلمة واتحادها ، واتخاذ القوة
وإعدادها ، وتضافر الهمة التي ما زال الظفر من موادها والنصر من أمدادها ؛
وإلزام أمراء العربان بتكميل أصحابهم ، وحفظ مراكزهم التي لا تُسد أبوابها إلا بهم ؛
والتيقظ لمكائد عدوهم ، والتنبه لكشف أحوالهم في رواحهم وغدوهم ؛ وحفظ
الأطراف التي هم سُورها من أن تسورها مكائد العدا ، وتخطف من يتطرق إلى
النجور من قبل أن يرفع إلى أفقها طرفًا أو يمد على البعد إلى جهتها المصونة يدا ؛
وليبت في الأعداء من مكائد مهايتهم ما يمنعهم الفرار ، ويحسن لهم الفرار ، ويحول
بينهم وبين الكرى لأشترك اسم النوم وحد سيفه في مسمى الفرار .

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ،
فهو ابن بجدتها ، وفارس بجدتها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضارها ، فيفعل
في ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحمد من إعلانه وسريته ؛ وقد جعلنا في ذلك وغيره
من مصالح إمرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورسوله ، ويبلغ
به من جهاد الأعداء أمله وسوله ؛ والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتماد

الطبقة الثانية

(من عرب الشام - من يكتب له مرسوم شريف)

وهم على مرتبتين :

المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ، وهم ثلاثة :

الأول - أمير آل علي ، ورتبته « السامي » بالياء . وقد تقدم أن منازلهم مرج دمشق و غوطتها ، بين إخوانهم آل فضل و بني عمهم آل مرء ، ومنتاهم إلى الحوف و الجابنة ، إلى السكة ، إلى تيماء ، إلى البرادع . وأنه ذكر في « التعريف » : أنهم إنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى مهنا بن عيسى .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل علي ، كتبت به للأمر عز الدين « جواز » بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كل و سبيله ، وأحسن بنا الخلف عن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله ، و مضى و خلى ولده رسيه ، وأمسك به دمة السيوف في خدودها الأسيه ، و أمضى به كل سيف لا يرد مضاء مضار به بحيله ، و أرضى بتقليده كل عنق و حمل كل جميله .

نحمده على كل نعمة جزيله ، و موهبة جميله ، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُرشد من اتخذ فيها نجوم الأسته دليله ، و تجعل أعداء الله بعز الدين ذليله ، و أن محدا عبده و رسوله الذي أكرم قبيله ، و شرف به كل قبيله ، و أظهر به العرب على العجم و أنجد من نارهم كل قبيله ، صلى الله عليه و على آله و صحبه صلاة بكل خير قبيله ، و سلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن دولتنا الشريفة لما خفق على المشرق والمغرب جناحها، وشمل البدو والحضر سمحها، ودخل في طاعتها الشريفة كل زاحل ومقيم في الأقطار، وكل ساكن خيمة وجدار - ترعى النعم بإبقائها في أهلها، وإلقائها في محلها، مع ما تقدم من رعاية توجب التقديم، وتودع بها الصنائع في بيت قديم، وتزين بها المواكب إذا تعارضت بحاجاتها، وتعارفت شعوبها وقبائلها، واستولت جيادها على الأمد وقد سبقت أصائلها، وتداعت فرسانها وقد أشتهت مناسبها ومناصبها ومناصلها، وكانت قبائل العربان ممن تعمهم دعوتنا الشريفة، وتضمهم طاعتنا التي هي لهم أكل وظيفه، ولهم النجدة في كل بادية وحضر، وإقامة وسفر، وشام وحجاز، وإنجاد وإنجاز، ولم يزل (لال علي) فيهم أعلى مكانه، وما منهم إلا من توسد سيفه وأقترش حصانه، وهم من دمشق المحروسة رديف أسوارها، وفريد سوارها، والنازلون من أرضها في أقرب مكان، والنازحون ولهم إلى الدار بها أقطار وأوطان، قد أحسنوا حول البلاد الشامية مقامهم، واستغنوا عن المقارعة على الضيفان لما نصبوا بقارعة الطريق خيامهم، وبأهوا كل قبيلة بقوم كثر النجوم عيديهم، وأوقدوا لهم في اليفاع نارا إذا همى القطر شبتها عيديهم، وهم من آل فضل حيث كان عليها، وحديثه في المسامع حليها، فلما آتته الإمرة إلى الأمير المرحوم شمس الدين، محمد بن أبي بكر رحمه الله - جمعهم على دولتنا القاهرة، وأقام فيهم يتنغي بطاعتنا الشريفة رضا الله والدار الآخرة، ثم أمده الله من ولده بمن ألقى إليه هممه، وأمضى به عزمه، ونفذ به حكمه، ونفل قسمة.

وكان الذي يتحمل دونه مشقات أمورهم، ويتلقى شكاوى أمرهم ومأمورهم، ويرد إلى أبوابنا العالية مستمطرا لهم سخائب نعمنا التي أخصب بها مرادهم،

وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم ؛ وتفرد بما جمعه من أبوته وإبائه ،
وركز في كل أرض مناخ مطيه ومرسى خبائه ؛ وضاهى في المهاجرة إلى أبوابنا
الشريفة النجوم في السرى ، وحافظ على مراضينا الشريفة فما أنفك من نار الحرب
إلا إلى نار القرى ؛ وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من السهم
في مضائه . كم له من مناقب لا يعطى عليها ذهب الأصيل تمويها ؛ وكم تنقل من
كور إلى سرج ومن سرج إلى كور فتمنى الهلال أن يكون هُما شيها ؛ كم أجمل
في قومه سيره ؛ وكم جمل سيره ؛ كم أثمر لها أملا ؛ كم أحسن عملا ؛ كم سدّد
خللا ؛ كم جمع في مهماتنا الشريفة كل من امتطى فرسا وركب جملا ؛ وكم صفوف
به تقدمت ، وسيوف أقدمت ، وحتوف حمام الجمام بها على الأعداء ترمّت !! .

وكان المجلس السامى الأميرى ، الأجلّى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ،
العصدي ، النصيرى ، الأوحدي ، المقدّمى ، الذخري ، الظهيري ، الأصيلي :
مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ؛ همام الدولة ، حسام الملة ؛
ركن القبائل ، ذخ العشاير ؛ نصره الأمراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين
« جواز بن محمد » أدام الله نعمته - : هو المراد بما تقدم ، والأحق بأن يتقدم ،
والذى لو أنّ الصباح صوارم والظلام جحافل لتقدم ؛ فلما مات والده رحمه الله نحّا
إلى أبوابنا العالية ، ونور ولأئه يسعى بين يديه ، ووقف بها : وصدقنا الشريفة
تُرفرف عليه ؛ فرأينا أنه بقية قومه الذين سلقوا ، وخلف آباءه الذين عن زجر
انحليل ماعزفوا ؛ وكبيرهم الذى يعترف له والدهم ووليدهم ، وأميرهم الذى به تُرعى
عهودهم ؛ وشجرتهم التى تلتف عليه من أسابهم فروعها ، وفريدهم الذى تجتمع عليه
من جحافلهم جموعها .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة آل عليّ : تامّة عامّة ، كاملة
شاملة ؛ يتصرف في أمورهم ، وأمرهم ومأمورهم ؛ قُرباً وبعداً ، وغوراً ونجداً ؛
وظعنًا وإقامه ، وعِراقًا وتِهَامَه ؛ وفي كلّ حقيرٍ وجليل ، وفي كلّ صاحب رُغَاءٍ
وئُغَاءٍ وصرييرٍ وصليل ؛ على أكل عوائد أمراء كلّ قبيله ، وفي كلّ أمورههم
الكثيرة والقليلة .

ونحنُ نأمرُك بتقوى الله فيها صلاحُ كلّ فريق ، وإصلاحُ كلّ ريفيّ ، ونجاحُ
كلّ سالكٍ في طريق . والحكمُ : فليكنُ بما يوافق الشرع الشريف . والحقوقُ :
نخلصها على وجه الحق من القويّ والضعيف . والرفقُ بمن وليته من هذا الجَمِّ الغفير ،
والجمع الكبير ، وإلزامُ قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض
اللازمة عليهم ، والقيامُ في مهمّاتنا الشريفة التي تبرزها مراسمنا المطاعة إليك
وإليهم ؛ وحفظُ أطراف البلاد والذّبُ عن الرعايا من كلّ طارق يطرقهم إلا بخير ،
والمسارعةُ إلى ما يرسم لهم به مادامت الأسفار في عصاها سير ؛ والإفراجُ لعربك
لا تسمعُ به إلا لمن له حقيقةٌ وجود ، وله في الخدمة الشريفة أثرٌ موجود ؛ ومنعهمُ :
فلا يكونُ إلا إذا توجه منعهم ، أو توانت عزائمهم وقَلَّ نفعهم ؛ والمهابةُ : فأنشرها
كسُمتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها تُسام بالشام وديمها تُراق بالعراق ؛ وخيولُ
التّقدم : فارتدّ منها كلّ سابقٍ وسابقة تقف دونها الرياح ، ويحسُدُهما الطير إذا
طارا بغير جناح ؛ ولا تتخذُ دوننا لك بطانةً ولا وليجَه ، ولا تقطعُ عنا أخبارك
البيجَه ؛ وليعرفِ قومُه له حقّه ، ويؤفوه من التعظيم مُستحقّه ؛ فإنه أميرهم وأمره
من أمرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والإجماع ، والله تعالى يُوفقه
ما استطاع ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف

(١)
[الثاني - أمير آل فضل] .

وهذه نسخة مرسومة شريفة بالتقدمة على عربى آل فضل وآل عليّ ، كتب به
للأمير نحر الدين « عثمان بن هبة » وهو :

الحمد لله الذى خصّ من وآلى هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها
بالمدة والقهر ، ومدّ فى عمر أيامها حتى يُستنفد الدهر ، وحتى تُوصف أيامها -
وإن قصرت - بالمسار : كلُّ شهرٍ يمرّ منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده على ما منحنا : من تأييد وظفر ، وطوى دعوة من عاندنا بعد النشر ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إن دخلت شواهدا تحت الإحصاء
فلا تدخل فوائدها تحت الحصر ، وأنّ محمدا عبده ورسوله الذى جعل الله به الهداية
فى المبدأ والشفاعة فى المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد
بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر .

وبعد ، فإنّ الله سبحانه وتعالى لما مكّن لنا فى الأرض ، وجعل بيدنا البسط
والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل
فى أيامنا جبره بعد الصّدع ، وكيف تُصبح أنجم ذوى الأقدار فى سماء مملكتنا
نيرة المطالع ، وكيف نلقى الخير فى عراضها من رامة إذا كان على الخير فى غير أيامنا
مانع ، وكيف نُحلُّ التقدمة فيمن إذا عقل فى حلّها قيل : هذا هو أحقُّ بها ممن
كان ، وهذا الذى ما برحت التقدمة فى بيته فى صدر الزمان ، وهذا الذى إذا ذكر
آل فضل وآل عليّ كانت له مرتبة الشرف ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف

لُعْثَان، وَأَنَا لَا تُمَطِّي صَهْوَةَ الْعِزِّ إِلَّا لِأَهْلِهَا، وَلَا نَنْسَخُ الْآيَةَ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّقَدُّمَةِ إِلَّا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا؛ وَلَا نُسَلِّمُ رَأْيَهَا، إِلَّا لِمَنْ تُعَقَّدُ عَلَيْهِ الْخِنَاصِرُ، وَلَا يَتَسَمَّ ذُرْوَتَهَا، إِلَّا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ.

ولما كان المجلس السَّامِي، الأَمِيرِي، نَحْرُ الدِّينِ، عُثْمَانُ بْنُ مَانِعِ بْنِ هَبْصَةَ :
هو المُرَادُ بِهَذَا الْقَوْلِ الْحَسَنُ، وَالْمَمْدُوحَ بِحَشْدِ هَذَا الْمَدْحِ الَّذِي يَسُرُّ السَّرَّ وَالْعَلَنَ،
وَالْحَقِيقَ مِنَ الْإِحْسَانِ بِكَلِمَا وَالْخَيْرِ بِأَنْ؛ وَالْخَصِيصَ مِنْ سَوَالِفِ الْخِدْمِ بِمَا
وَالْمُفْضَلَ عَلَى سَائِرِ النَّظَرَاءِ وَلَوْ قَيْسَ بِنِ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفَ، أَنْ رُسِمَ
بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ ذُو الْقَدْرِ فِي أَيَّامِهِ يَرْتَفِعُ، وَذُو الْفَضْلِ فِي دَوْلَتِهِ لَا يَعْزُّ عَلَيْهِ
مَطْلَبٌ وَلَا يَمْتَنِعُ، وَذُو الْأَصَالَةِ الَّتِي يَجْتَمِعُ لَهَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ مَا لَا يَلْتَمُّ لَهَا فِي غَيْرِهَا
وَلَا يَجْتَمِعُ - أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ التَّقَدُّمَةَ عَلَى الْعُرْبَانِ بِالشَّامِ الْحَرُوسِ، وَهَمٌّ مِنْ يَأْتِي
ذِكْرَهُ، عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ فِي تَرْبِيئِهِمْ؛ وَأَنَّ مَنَازِلَهُ الدَّارُومَ: بَعْدًا وَقُرْبًا، حَضْرًا
وَبَدْوًا، عَامِرًا وَغَامِرًا، رَأْحًا وَغَادِيًا، مِنَ الرَّسْتَنِ إِلَى الْمَلُوحَةِ. وَالْعَرَبُ: آلُ فَضْلِ
وَأُلُّ عَلِيِّ حَيْثُ سَارُوا نَزَلُوا مَنْزِلَةَ الْمَذْكُورِ، أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ
أَبِي بَكْرٍ، وَالْخِدْمَةُ وَاحِدَةً، وَالْكَلِمَةُ عَلَى اتِّفَاقِ الْمَصَالِحِ مُتَعَاضِدَةٌ.

فَلِيَكُنْ لِلْقَوَى جَسَدَ رُوحِهَا لِأَبْلِ رُوحِ جَسَدِهَا، وَمَجْمُوعَ الْقِبَائِلِ أَوْحَدَ عَدَدِهَا
إِذَا صَحَّ الْأَوَّلُ مِنْ عَدَدِهَا؛ وَقُطِبَ فَلِكِهَا الَّذِي عَلَى تَدْيِيرِهِ مَدَارُهَا، وَعَلَى تَقْرِيرِهِ
أَقْتِصَارُهَا؛ وَعَلَى تَقَدُّمَتِهِ تَعْوِيلُهَا، وَإِلَى نِسْبَةِ إِمَارَتِهِ جُمْلَتُهَا وَتَفْصِيلُهَا؛ وَلِيَجْمَعَهُمْ
عَلَى الطَّاعَةِ فَإِنَّ الطَّاعَةَ مَلَكَ الْأَمْرِ لِلْأَمْرِ، وَأَسُّ الْخَيْرِ لِلْبَادِي وَالْحَاضِرِ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ
لِكُلِّ مِنْهُمْ نِقَابَةً تُعْرَفُ، وَعِلْمِيَّةَ أَصَالَةٍ بِهَا يُعْرَفُ؛ وَمَنْزِلَةً يَرْتَبُّهَا الْوَالِدُ عَنِ الْوَالِدِ،
وَمَشِيخَةً تَرْجِعُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى ذَلِكَ الْوَاحِدِ، فَلِيَحْفَظْ لَهُمُ الْأَنْسَابَ، وَلِيَرْعَ لَهُمْ

الأسباب ، وإذا أمرُوا بأمرٍ من مَهَامِّ الدَّوْلَةِ يتلَو عليهم : (أَدْخُلُوا الْبَابَ) .
والألزام له ولهم مَخَاوِضٌ تُحْفَظُ ، وَمَفَاوِزٌ تُلْحَظُ ، وَمَطَارِحٌ لَا تُلْفَظُ ؛ وَمَشَاتٍ
وَمَصَائِفٍ ، وَنَفَائِضٌ وَمَصَارِفٌ ؛ وَمَرَابِعٌ ، وَمَرَاتِعٌ ؛ وَدُنُوءٌ وَأَقْتِرَابٌ ، وَتَوَطُّنٌ
وَأَعْتِرَابٌ ؛ وَإِغَارَةٌ وَمَهِيضٌ ، وَبَرْقٌ وَوَمِيضٌ .

فليرتب ذلك أجمل ترتيب ، وليسلك فيه خير مذهب وتهذيب ، وليدع العادي ،
ويلاحظ الرائج والغادي ، وليؤمن ذلك الجانب فأمننا تطرب أبياته المحذو
والحادي ؛ وعليهم عداد مقتر ، وقانون محتر ، وليكن على يد شادته شادا ، ولسبب
تأسيدهم مادا ؛ ويعلم أنه وإن كان قد أغمض من جفونه فيما مضى ، وأعرض
عنه في الزمن الأول الذي أنقض ؛ وقدم عليه من كان دونه ، فقد رد الله له أبكار
الأمر وعونه ؛ فلا يجعل لقائل عليه طريقا ، ولا يدخل في أمرٍ يقال عنه فيه :
كان غيره به حقيقا ، بل يفوق من تقدم في الخدمة والهمة ، والصرامة والعزمه ،
والله يوزعه شكر هذه النعمة ؛ والخط الشريف :

الثالث — أمير آل مرء ، ورتبه « السامى » بالياء .

وقد تقدم أن منازلهم حوران . وعن « مسالك الأبصار » أن ديارهم بين بلاد
البيدور والجولان ، إلى الزرقاء ، إلى آخر بصرى . ومشرقا إلى حرة كشت ، على
القرب من مكة المشرفة ، زادها الله شرفا .

وهذه نسخة مرسومة شريف بإمرة آل مرء ، كتب بها للأمر بدر الدين
« شطى بن عمر » وهى :

الحمد لله الذى زين آفاق المعالى بالبدر ، ورفع بأيامنا الشريفة خير ولى أضحى
بين القبائل جليل القدر ، ومنح من أخلص فى خدم دولتنا الشريفة مزيد الكرم

فأصبح بإخلاصه شديد الأزر؛ وأجزل بره لأصائل العرب العرباء فوفر لهم الأقسام،
وأسبغ ظلال كرمه على من يرعى الجار ويحفظ الدمام .

نحمده على نعيم هطل سحابها ، ومنن تفتحت بالمساز أبوابها ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقرب صاحبها يوم الفزع الأكبر، من المحل
الأمين ، وتورده نهر الكوثر، الذي ماؤه غير أسن ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي بعثه الله من أشرف القبائل ، وأوضح بنور رسالته الدلائل ، فأنقذ الله به
هذه الأمة من ضلالها ، وبوأها من قصور الجنان أعلى غر فيها وأشرف ظلالها ،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أوصحوا مناهج الإيمان ، وشيدوا قواعد الدين
إلى أن علت كلمته في كل مكان ، [فكان] عصرهم أجمل عصر وقرنهم خير أوان ،
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أديننا من بساط الأضطفاء محله ، وأرتشف من سحاب
معروفنا طله فوبله ، ونال من عواطينا منزلة القرب على بعد الدار، وحكم له حسن
نظرنا الشريف بتوالى عزيز كرمنا المدرار .^(١)

ولما كان المجلس الفلاني : هو المشار إليه بهذا النعت الحسن ، والموصوف
بالشجاعة في السر والعلن - رسم بالأمر الشريف - لا زال بدؤه ، ساطع الأنوار ،
وبره ، هامع القطار، وخيره يشمل الأولياء بجزيل الإيثار وجميل الآثار - أن يستقر
المشار إليه في كيت وكيت : لأنه البطل الشديد ، والفارس الصنديد ، وليث
الحرب المذكور، ومن هو عندنا بعين العناية منظور .

(١) لم يذكر خيرا لأن ولعه سقط من قلم الناسخ والأصل « من كرم أصلا ومحتدا ، وسل سيف عزيمته

حتى خضعت له رقاب العدا » أو نحو ذلك .

وَلِيَتَّقِ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةَ بِمَا يُؤْمَلُ وَيَعَهَدُ ، وَلِيَتَحَقَّقَ قُرْبَهُ مِنْ مَقَامِنَا
الشَّرِيفِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ؛ وَلِيَتَلَقَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِقَلْبٍ مُنْشَرِحٍ ، وَأَمَلٍ مُنْفَسِحٍ ؛
وَلِيَجْتَهِدَ فِي أَمْرِ عُرْبَانِهِ الَّذِينَ فِي الْبِلَادِ ، فَإِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِمُ الْأَعْتَادَ ،
وَقَدْ أَقْنَاهُ أَمِيرًا عَلَى عَرَبِ آلِ مِرَاءَ ؛ فَلْيُشَمِّرْ عَنِ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِنَا
الشَّرِيفَةِ بِغَيْرِ زُورٍ وَلَا مِرَاءَ ؛ وَلِيَقْمَعَ الْمُفْسِدَ مِنْ عُرْبَانِهِ وَيَقَابِلَهُ بِالنَّكَالِ ، وَالصَّالِحَ
الْخَيْرَ مِنْهُمْ يُجْزِلُ لَهُ النَّوَالَ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةً وَلِيُثْلِثَ لِأَتْقَالِ ؛ وَانْخَطِ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ
حِجَّةً فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنصف إمرة آل مراء، كتبت به لقناة بن نجاد،
في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة . من إنشاء المقر
الشمهاني بن فضل الله، وهي :

الحمد لله الذي استخدم لَنَصْرِنَا كُلَّ سَيْفٍ وَقَنَاءَ ، وَكُلَّ سُرْعَةٍ وَأَنَاءَ ، وَكُلَّ مُتَّقِفٍ
تُسَلِّيُ جَنَائِيَّتَهُ وَيَعْدُبُ جَنَاءَهُ ، وَكُلَّ مَاضٍ لَا يُعَوِّقُهُ عَنِ مَقَاصِدِهِ الصَّالِحَةِ يَعْوُقُ
وَهُوَ عَبْدٌ مَنَاءَ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَغْنَاهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَمِدُّ
مِنْ قِبَالِهَا فَاتَّقُ الصَّبَاحَ سَنَاءَهُ ، وَيُفَكُّ مِنْهَا مِنْ قَبْضَةِ السُّيُوفِ عُنَاءَهُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي [بَوَّأَهُ مَنَازِلَ الشَّرَفِ] وَبَنَاءَهُ ، وَأَحَلَّهُ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَكَانٍ يَخْضَعُ
لَهُ رَأْسُ كُلِّ جَبَّارٍ وَيُخْشَعُ بَصْرُهُ وَتَسْمَعُ لِمَا يُوحَى أُذُنَاهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ صَلَاةً تُخْضَعُ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ بِأَسْمَاءِهِ وَأَسْنَاهُ ، وَسَلْمٍ تَسْلِيمًا .

(١) تسلي جنائياته - ترك فلا يقتص منه .

وبعد، فإن لكل ناكلة قرارا، ولكل هاجرة مزارا، ولكل معصم سوارا لا يليق
إلا بزنده، ولكل عني درّا لا يصلح إلا لعقده، ولكل سيف طال هجوعه في غمده
أنسلا، ولكل قنّاة لم تُعتقل مُدّة اعتقلا، وكانت إمرة آل مرّاء قد ثبتت من
البيت الأحمدي بأوثق أوتادها، ووصلت منه في الرّفة إلى نجادها، ولم تنزل تنقل
في آفاقها بدورهم الطالع، وتضيء عليها من صفائحهم بروقهم اللامع، وتجول فيها
من سوابقهم السحب الهامع، وتغني في حروبها عزائمهم إذا وقعت الواقعة،
وتقدّمت للجلس السامى، الأميرى، الفلاني، بركابنا الشريف ضجبة حمد فيها
السرى، وخدمة أوقدت له نار القري، وهاجر إلينا في وقت دلّ على وفائه، وسهر
إلى قصدنا الليل وله النجم يحيط المقل باغفائه، وأقطع إلينا بأمله، ولازم من
عهدنا الشريف صالح عمله، وأستحق تعجيل نعمنا الشريفة وإن تأخرت لأجل
موقوت، وأمل نجاحه لا يقوت.

فلما آن أن تُفاض عليه ثيابها، ويضاف إليه ثوابها، ويصرف في قومه أمره،
ويشرف بينهم قدره، ويعرف من لم يعرف المسك أنه عندنا ذكره، ومن جهل
البر: أنه على ما يحمد عليه شكره، ومن أنكر أن شيئا أصعب من الموت: أنه في مجال
الموت صبره، ومن خالف فيما هو أمضى من القضاء: أنه في البيعة صدره، ومن
ادّعى أنه لا تصيبه البيض والسمر: أنها مثقفته وبتره، وزال من هذا البيت العريق
الطود وهو ثابت، ونزع منه السن لولا أنه في قنّاته نابت، و[لولا] لهاجت
هذه القبيلة إلى من يقبل على نباتها، ويقبل بها: تارة يُجِد في نجدها وأخرى يُجول
في جولاتها - رسم بالأمر الشريف أن يُقلد من إمرة آل مرّاء ما كان الأمير «ثابت
ابن عساف» رحمه الله يتقلده إلى آخر وقت، ويرفع فيها إلى كل مسامحة وسمت،
ليُكل ما نقص من التمام وصفه، ويعلم أنه خلق إليه حتى أتى دون نصف البدر

فاختطف النصف وذلك النصف هو نصفه ؛ ليكون لهم إحدى اليدين ، وأخرى
تقع لسيف بحدين .

وتقوى الله أربك ما آسملت عليه عودها ، وانتخبته له زبيدها ؛ فليتخذها له ذروة
يبتدى بها أتى سلك من الفجاج ، وأقتحم من حلك العجاج . وعليه بحسن الصحبة
لرفيقه ، ويمن القبول على فريقيه ، وإقامة الحدود على ما شرع الله من دينه القويم ،
وإدامة التيقظ [للثأر] المنيهم ؛ وإنزال عربه ومن ينزل عليه أو ينزل عليهم
في منازلهم .

وليجمع قومه على طاعتنا الشريفة كل الجمع ، ويقابل ما ترد به مراسمنا المطاعة
عليه بما أوجب الله لها من الطاعة والسمع ؛ وليأخذ للجهاد أهبتة ، ويعجل إليه
هبتة ؛ وليقف من وراء البلاد الشامية المحروسة دريئة لأسوارها المنيعه ، ونطاقا على
معاقلها الرفيعه ؛ وسدا من بين أيديها وخلفها لباب كل ذريعه ، وخذقا يحوط بلادها
الوسيعه ، وحجابا يمنع فيها من تعدى الحق وخاص الشريعة ؛ ولا يفارق البلاد
حتى يعبس في وجوهها السحاب ، ولا يعود حتى تؤذن زروعها الخيمة بذهاب ؛
والكرم هو فيه سجايا ، والعزم ما برح لوشان (؟) أسنته بكل قناة لحايا ، والحزم بيده
المراوية من آل مرء يظهر له الخفايا ، والشجاعة هو في رباها المنيرة «ابن جلا وطلاع
الثنايا» ؛ وما رضع المرميل كأفويق الوفاق ، ولا وضع شيئا في موضعه كمدارة الرفاق ؛
فليكن لرفيقه أكثر مساعدة من الأخ لأخيه ، وأكبر معاضدة من المصراع لقسيمه
والحفن لحنه والشئ لما يؤاخيه . هذا يجب ويتعين وليس يجمعهما فرد طاعه ،
ولا يلزمهما لشيء واحد أستطاعه ؛ فكيف وهو [و] رفيقه إلينا أعتراؤهما ومنا
إعزازهما ، وهما فرعان معتقان : لدينا إجنأؤهما وبيدنا إهرازهما .

(١) يريد لجا بالهمز فاضطر للقلب مراعاة للسجع .

وليحصل من الخليل كل سابقة تليق أن تقدم إلينا، وسأجده في كل مهمه حين يقدم علينا . والشرع الشريف يكون إليه مأبك ، وعليه عفوك وعقابك ؛ وبمقتضاه عقد كل نكاح لا يصح إلا على وجه المرضي وإلا فهو سفاح ، والميراث على حكمه لمن جره إليه وإلا فهو ظلم صراح ، وبقية ما نوصيه به إذا انتهى منه إلى هذه التبدية فما عليه في سواها جناح . وسبيل كل واقف على تقليدنا هذا أن ينب إلى نوصيه ، ويؤوب إلى عمومه وخصوصه ؛ والحذر من الخروج عنه بقول أو عمل ، فالسيف أسبق من العدل ؛ والله تعالى يمتعه بما وهبه من العز في الثقل ، والمحاسن التي هي يد المسامح والأفواه والمقل ؛ والخط الشريف أعلاه

المرتبة الثانية

(من أرباب المراسيم من العرب - من يكتب له في قطع الثلث بـ«السامي»

بغيرياء ، مفتحا بـ«أما بعد» وهم ثلاثة أيضا)

الأول - أمراء بني مهدي ، وهي مقسومة بين أربعة . ورتبة كل منهم

«مجلس الأمير» .

وقد تقدم أن منازلهم البلقاء ، إلى مائر ، إلى الصوان ، إلى علم أعقر .

وهذه نسخة مرسوم شريف برقع إمرة بني مهدي ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي حقت في كرمنا المأرب ، وأجزلت من آلائنا المواب ، وقربت لمن رجانا بإخلاص الطاعة ما يأتى عليه من المطالب ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أشرف ذوائب لؤي بن غالب ، الخصوص باللواء الذي لا يضحى من أوى إلى ظلّه والحوض الذي لا ظمأ بعد وروده

لشَارِب ، وعلى آله وصحبه الذين فازوا من حُبِّه وطاعته بأسمى المراتب وأسنَى المناقب - فَإِنَّ أَوْلَى من رَفَعَت رعايتنا قَدْرَه ، وأطلعت عنايتنا في أفق السعادة بَدْرَه ، وحققت آلاؤنا سُؤلَه ، وبلغته صدقاتنا مرامَه ومأمولَه - من أحكم في طاعتنا أسباب ولائِه ، وأتقن في خدمتنا آنتساب بعيدِه وأتمائه ؛ وتقرَّب إلينا بإخلاصِه في آجتاده ، ومَتَّ بما يُرضينا من آحتفاله بأُمورِ جهاده ؛ مع ما تميَّز به من أسباب نَتَقاضِي كرمنا في تَقديمه ، وتَقْتَضِي إجراءه على ما أَلَف أولياءُ الطاعة من حَدِيث إحساننا وقديمه .

ولما كان فلانٌ هو الذي آختصَّ بهذه المقاصد ، وعُنيَ بما ذكر من المصادر والموارد - رُسمَ أن يُرتب في رُبْع إمرةِ نبي مَهديّ .

فليُرتب فيما رُسم له به من ذلك قائماً من وظائفها بما يجب ، عالمًا من مصالحها بما يأتي وما يجب ، واقفًا لأعتماد ما يرد عليه من المراسم وقوف المتظر المرتقب ، ملزمًا عربيَه من الخدم بما يُؤكِّد طاعتهم ، ومن إعداد الأهبَة بما يُضاعف آستطاعتهم ، ومن الحفاظة على أسباب الجهاد بما يجعل في رضا الله تعالى ورضانا قوتهم وتبجاعتهم ؛ وليُقدِّم تقوى الله تعالى بين يديه ، ويجعل توفيقه العُمدَة فيما آعتمد فيه عليه ؛ والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بُرُج إمرة نبي مَهديّ أيضا :

أما بعد حمد الله على نِعِمِه التي جدَّدت لمن أخلص في الطاعة رُتب السُّعود ، ورفَعَت من نهض في الخدم الشريفة حقَّ النهوض إلى مناصب الجُدود ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بلِواءِ الحمدِ المعقود ، وظلِّ الشفاعة الممدود ،

والحوِضُ الذى لا يَنْضَبُ على كثرة الورد ، وعلى آله وصحبه الذين وفوا بالعهود ،
وبدت سيماهم في وجوههم من أثر السجود - فإن أولى من آجتلى وجوه النعم ،
وآجتلى ثمرة ما غرس من الخدم ، وأرتقى إلى ما أنعم به عليه من التقدّم الذى أقامه
السعدُ لاستحقاقه على أثبت قدم - من نشأ في طاعتنا الشريفة يدين بولائها ،
ويتقلب في خير نعيمها وآلائها ، ويتعبّد بما يؤهل له من خدمها ، ويبادر إلى
ما يندب له من المهام الشريفة بين يدي مراسمتنا أو تحت علمها .

ولمّا كان فلان هو الذى ذكرت طاعته ، وشكرت خدمته وشجاعته - رهم ...
أن يرتب في ربيع إمرة بنى مهديّ ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

فليرتب في ذلك ، قائماً بما يجب عليه من وظائفها المعروفة المألوفة ، وخدمها
التي هي على ما تبرز به أوامرنا الجارية موقوفة ، وليكن هو وعمره بصدد ما يؤمرون
به : من خدمة يبادرون إليها ، وطاعة يثابرون عليها ، وتأهب للجهاد ، حيث سرت
الجيش المنصورة لم يبق لهم عائق عن التوجه بين يديها ، وسياسة تأخذهم من
الطرائق الحميدة بسؤالك ما يجب ، ويعرف بها سلوك ما يسلك واجتناب ما يخبئ
والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .

الثاني - مقدم زبيد . ومنازل بعضهم بالمرج وغوطة دمشق ، وبعضهم
بصرخدا ، وحوران .



وهذه نسخة مرسوم شريف بتقدمة عرب زبيد ، وهي :

أما بعد حمد الله الذى أبى بنا للنعم تأييدا ، وأحسن العاقبة لأحسن عاقبة آدم
لهم فيها تخليدا ، وأحيا به منهم حيا نكتب لأميرهم وإمرتهم في كل حين تقليدا ،

وَنَقَلَ مِنْهُمْ نَوْفَلًا فَلَا نَزَالَ نَجِدُّ فِيهِمْ وَلَا يَسُ الْفَخَّارُ بِذِكْرِ اسْمِهِ تَجْدِيدًا ، وَرَعَى بَنَاءُ أَبْنَاءِ
 بَيْتٍ تَنَاسَقُوا أَبْنَاءَ وَجُدُودًا ، وَتَبَاشَرُوا بَوْلِدٍ لَمَّا خَلَفَ وَالِدَهُ بَاتَّ ابْنُ سَعِيدٍ
 لَا يَكُونُ إِلَّا سَعِيدًا ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَهْلَكَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَاشِمٍ ،
 وَأَمْجَلَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَمَامٍ لَوْجِنَةَ الرِّيَاضِ وَأَشِيمٍ ، وَأَسْعَدَ بِسَيْفِهِ نَوْفَلًا وَعَبْدَ شَمْسٍ
 بِأَخَوْتِهِمَا لَهَا شِمٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خُلَاصَةَ الْعَرَبِ ، صَلَاةً لَا يَعُدُّ ضَرْبًا
 لَهَا الضَّرْبَ ، وَسَلَمًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَسَاكِرَ الْمَنْصُورَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ : مِنْهُمْ حَاضِرَةٌ أَهْلُ جِدَارٍ ، وَبَادِيَةٌ
 فِي قَفَّارٍ ، وَقَوْمٌ هُمُ الْمُدُنُ الْمُسَدَّنَةُ وَقَوْمٌ عَلَيْهَا أُسُورٌ ، وَهَمُ صِنْفَانٌ : صِنْفٌ لَا تَمَلُّ
 السُّيُوفَ عَوَاتِقُهُمْ ، وَصِنْفٌ سِيُوفُهُمْ تُحْبَسُ بِهَا مَنَاطِقُهُمْ ، وَالْعَرَبُ أَكْرَمُ [أَهْلُ]
 الْبَوَادِي ، وَأَعْظَمُ قِبَائِلُهُمْ تَضَرَّمَا كَالْبَرْقِ مُبَارَاةً لِلشُّحْبِ الْغَوَادِي ، قَدْ نَصَبُوا بِقَارِعَةَ
 الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ ، وَسَرَّحُوا مَعَ أُسْرَابِ الظُّبَاءِ سَوَامَهُمْ ، وَوَقَفُوا دُونَ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ
 كَتَائِبَ مَصْفُوفَةٍ ، وَمَوَاكِبَ بِمَا تُعْرَفُ بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الشَّجَاعَةِ مَوْصُوفَةٍ ، وَزُبَيْدٍ
 مِنْ أُخْرَاهَا قَبِيلَةٍ ، وَأَكْثَرَهَا فَوَارِسَ : [فَأَمَّا أَحْسَابُهَا] فِكْرِيْمَةٌ وَأَمَّا وَجُوهُهَا بِخَمِيلَةٍ ،
 شَامِيَّةٌ أَعْرَقَتْ أَنْسَابًا فِي يَمِينِهَا ، وَأَتَهَمَتْ بِسَطْوَةِ أَسْتِنَابِهَا مَا تَفْتَحُ فِي الْحَجْرَةِ مِنْ سَوْسِنِهَا ،
 فَمَا يَبِيْتُ بَطْلٌ مِنْهُمْ عَلَى دِمْنٍ ، وَلَا يُعْرَفُ فَارِسٌ إِلَّا إِذَا تَمَلَّى فِي الْخَلِيطَيْنِ مِنْ شَامٍ
 وَمِنْ يَمِينٍ ، كَمْ فِيهِمْ بِمَوَاقِعِ الطَّعَانِ فَطْنُ ذُو كَيْسٍ ، وَكَمْ صَبَغَ مِنْهُمْ بِالْدمَاءِ رَايَةَ حَمْرَاءِ
 يَمِينِيٍّ لَا يُنْسَبُ إِلَى قَيْسٍ ، كَمْ كَرَّبَ عَلَى مَعْدِيكَرَبٍ مِنْهُمْ فَارِسٌ ، وَنُسِبَ إِلَى زُبَيْدٍ
 وَهُوَ خَشِنُ الْمَلَابِسِ ، مِنْهُمْ صَاحِبُ الصَّمْصَامَةِ يَقِي مِثْلَهَا السَّيْفِ فَرْدًا ، وَكَمْ قَتَلَ مِنْ
 أَقْرَانِهِ الشُّجْعَانَ مِنْ أُخِي صَالِحٍ وَبَوَّاهُ فِي الْعَجَاجِ بِيَدَيْهِ لِحْدًا ، وَمِنْ نَجْمِهِمُ الزُّوَاهِرُ
 السَّرَاهُ ، وَغِيومُهُمُ الْأَكْبَرُ السَّرَاهُ ، مِنْ لَمْ يَزَلْ حَوْلَ دِمَشْقَ وَمَا يَلِيهَا مِنْ حَوْرَانَ ،
 مَنَارَةَ مَنَازِلِ وَأَوْطَانَ ، حَامُوا عَنْ جَنَابِهَا الْمَصْبُونِ ، وَحَامُوا حَوْلَ غُوطَتِهَا تَسْبَهًُا بِجَمَائِمِهَا

على الغصون ، وما تلوا بسيوفهم أنهارها ، ورماحهم حول دوحات الأيك أشجارها ،
 وأستلاموا بمثل غدرايها دروعا ، وحكوا بما أطلوا من دماء الأعداء شقائق رؤسها ،
 وبما جروا من حلهم المسهمة سيلا ؛ ولم يزل لهم من البيت التوفلي من يجمع جماعتهم ،
 ويضم تحت راية الدولة الشريفة طاعتهم ؛ يخلف ابن منهم لأبيه أو أخ لأخيه ،
 وينظم كل فرقة مع من يناسبه وينضاف كل كوكب إلى من يؤاخيه .

وكان مجلس الأمير الأجل ، فلان بن فلان الزبيدي - أدام الله عزه - هو بقية
 من سلف من آباءه ، وعرف مثل الأسد القسورة ببايائه ؛ وأنحصر فيه من استحقاق
 هذه الرتبة ميراث أبيه ، وأستغرق جميع ما كان من أمر قومه وإمرتهم يليه .

فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى شرفا ، وذخر به لكل سالف خلفا -
 أن يرتب في إمرة قومه من زبيد النازلين بظاهر دمشق وبلاد حوران المحروس ،
 على عادة أبيه المستقره ، وقاعدته المستمره ؛ إلى آخر وقت ، من غير تنقيص له عن
 نجم سعده في سمة ولا سمت ؛ تقديمه تشمل جميعهم ممن أعرق وأشام ، وأنجد
 وأتهم ؛ لا يخرج أحد منهم عن حكمه ، ولا ينفرد عن قسمه ؛ لا ممن هو في جدار ،
 ولا ممن هو مضر في قفار ؛ يمشي على ما كان عليه أبوه ، ويقوم فيهم مقامه الذي
 كان عليه هو وأولوه .

ونحن نوصيك بتقوى الله تعالى ، واتباع حكم الشريعة الشريفة ما أقمت على
 بلد أو أزمعت أرتجالا ، وجمع قومك على الطاعة فوسانا وربكنا ورجالا ؛ واتباع
 أوامرها الشريفة وأمر نوابنا الذين هم بإزائهم ، وما اعتزاز من قبلك إلا لما مالوا
 إليه في اعترائهم ؛ والتأهب أنت وقومك لما رسم به في ليل أو نهار ، وحماية حمي
 أتم حوله في صحراء مضرحة أو من وراء جدار ؛ والمطالعة بمن يتقل من أصحابك

بالوفاء، والوصايا كثيرة ومثلك أيسر ما قال له أمرؤ كفاه، والله تعالى يوفقك لما
يرضاه، ويؤثرُك في كلِّ أمرٍ للعمل بمقتضاه، وسبيل كلِّ واقفٍ عليه العملُ به
بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه؛ إن شاء الله تعالى.

النيابة الثانية

(من نيابات البلاد الشامية - نيابة حلب . ووظائفها التي يكتبها

من الأبواب السلطانية على نوعين)

النوع الأول

(من بحاضرة حلب، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(منهم أرباب السُيوف، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد، وهو نائب السلطنة بها؛

وتقليده في قطع الثلثين بـ«الجناب الكريم»)

وهذه نسخة تقليد شريف نيابة السلطنة بحلب، كُتِب به للامير استدمر،

من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله حافظ ثغور الإسلام في أيامنا الزاهرة، بمن يفتّر عن شنب النصر سيقه،

وناظم نطاق الحصون في دولتنا القاهرة، على همم من لم يزل يغزو عدو الدين قبل

طلوع طلائعه طيفه، وناسر لواء العدل في أسنى ممالكنا بيد من لا يؤمن في الحق قوته

ولا يرهَّب في الحُكْم حَيْفُهُ ، ومدَّحِر [أجر] الرِّباط في سَيْدِهِ لمن لم يَبْتَ لَيْلَةً إِلَّا والتَّأْيِيدَ
 نَزِيلَهُ والنَّصْرَ سَمِيرَهُ وَالظَّفْرُ ضَيْفُهُ ؛ الذي جعل الجهاد في أطراف الممالك المحروسة
 سُورًا لعواصِمِهَا ، والصَّعَادَ في مَقَاتِلِ أعداء الدِّين شَجَنًا في صُدُورِهَا وشَجَى في غَلَاصِمِهَا ؛
 والسُّيُوفَ الحِدَادَ تُرْهِى بِمِشَارِكْتِهَا لِأَسْمٍ من بُلَيْتٍ منه أجساد أهل الكُفْرِ بقاصِمِهَا ،
 ورُمِيَتْ منه أَعْمَارُهُم بِقاصِمِهَا ؛ وأرْهَفَ لهذا الأمرِ من أوليائِنَا سَيْفًا تُحَلِّي الشَّهْبَاءَ
 بِجِوَاهِرِ فِرْنِيدِهِ ، وتَتَوَقَّعُ الأعداءُ مَواقِعَ فَتَكَاتِهِ قَبْلَ تَأْتِي بَرَقِهِ من سُحْبِ غَمَدِهِ ؛
 ويعرِفُ أهل الكُفْرِ مَضارِبَهُ التي لا تُطِيقُ مَقَاتِلَهُم جَحْدَهَا ، وتَتَفَرَّقُ عَصَبُ الضلالِ
 فَرَقًا من مَهَابَتِهِ التي طالما أَغَارَتْ على جِيُوشِهِم المتعدِّدة وحَدَاها .

نَحْمَدُهُ على نِعْمِهِ التي جعلت النَّصْرَ لِأَجْيَادِ مَمَالِكِنا عَقُودًا ، والكُفْرَ لِلْهَيْبِ صَوَارِمِنا
 وَقُودًا ، والتَّأْيِيدَ من نَتائِجِ سِيفِنا التي تَأْنُفُ أن تُرَى في مَضاجِعِ العُمُودِ رُقُودًا ؛
 ونَشْهَدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له شَهادَةً تُعَلِّي مَنارَ الهدى ، وتُطْفِئُ أنوارَ
 العِدا ، وتُحَلِّي أجسادَ أهل الكُفْرِ من قُوَى أرواحِهِم فَتَغْدُو كِديارِهِم التي لا يُجِيبُ
 فيها إلا الصِّدْقَ ؛ ونَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ الذي أَعْلَى اللهُ بِنِاءِ الإيْمَانِ بِتَأْيِيدِهِ ،
 وأَيَّدَنَا في الدِّبِّ عن مِلَّتِهِ ، بكلِّ وَليٍّ يَتَلَقَّى رَايَةَ النَّصْرِ بِيَمِينِهِ ، وَأَعَانَنَا على مِصَالِحِ
 أُمَّتِهِ ، بكلِّ سِيفٍ تَتَأَلَّقَى نارَ الأَجَلِ من زَنْدِهِ ويَتَرَقِّقُ ماءَ الحِياةِ من مَعِينِهِ ؛ صَلَّى اللهُ
 عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الذين وَسَمَتْ أَسِنَّتُهُم من وجوه الكُفْرِ أَغْفالًا ، وكانت سِوْفُهُم
 لِمَعاقِلِ أهلِ الشُّركِ مَفاتِحَ فَلَمَّا فُتِحَتْ غَدَّتْ لها أَغْفالًا ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ فَازَ بِمِزْيَةِ السَّبْقِ
 إلى تَصْديقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كانَ الشَّيْطانُ يُنْكِبُ عن طَرِيقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِإِعْمادِ
 سِيفِ الانتِصارِ لَدَمِهِ عن مِريقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حازَ رُبَّةَ أختانِهِ وصِهرِهِ دونَ أُسْرَتِهِ
 الكِرامِ وفَرِيقِهِ ؛ صِلاةً دائِمةً الخُلُودِ ، مُسْتَمِرَّةً الإِقامةِ في التَّهائمِ والنُّجُودِ ؛ وسَلَّمَ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أولى من حُلِيَّتِ التَّقَالِيدُ بِلَايِ أَوْصَافِهِ، وَمَلَأَتْ الْأَقَالِيمُ بِمَوَاقِعِ مَهَابَتِهِ وَإِنْصَافِهِ، وَرِيَعَتْ قُلُوبُ الْعِدَا بِطُرُوقِ خَيَالِهِ قَبْلَ خَيْلِهِ، وَخَافَ الْكُفْرُ كُلَّ شَيْءٍ أَشْبَهَ ظُبَاهُ مِنْ تَوَقُّدِ شَمُوسِ نَهَارِهِ أَوْ حِكَايِ أَسِنَّتِهِ مِنْ تَأَلُّقِ نَجُومِ لَيْلِهِ، وَمَدَّ عَلَى الْمَمَالِكِ مِنْ عَزَمَاتِهِ سُورَ مَصْفَحٍ بِصَفَاحِهِ، مُشْرِفٍ بِأَسِنَّةِ رِمَاحِهِ بِسَامِيَةِ عَلِيٍّ مِنْطَقَةَ الْجُوزَاءِ مِنْطَقَةَ بَرْوَجِهِ، نَائِيَةً عَلَى أَمَانِي الْعِدَا مَسَافَةَ رِفْعَتِهِ فَلَا يَقْدِرُ أَمَلٌ بِأَخِ عَلَى ارْتِقَانِهِ وَلَا رَجَاءٌ طَافِحٌ عَلَى وُلُوجِهِ - مِنْ تَهَدَّتْ بِسَدَادِ تَدْيِيرِهِ الدُّوَلُ، وَشَهِدَتْ بِسَيْرِ مُحَاسِنِهِ السَّيْرِ الْأَوَّلِ، وَتَوَطَّدَتْ الْمَمَالِكُ عَلَى أَسِنَّتِهِ فَحَقَّقَتْ أَنَّ أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا بَنِي عَلَى الْأَسَلِ، وَسَارَتْ فِي الْأَفَاقِ سَمْعَتُهُ فَكَانَتْ أَسْرَى مِنَ الْأَحْلَامِ وَأَسْبَقَ مِنَ الْأَوْهَامِ وَأَسِيرَ مِنَ الْمَثَلِ، وَصَانَتْ الثُّغُورَ صَوَارِمُهُ فَلَمْ يَسْمَعْ بِرَقَبِهَا إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا بَصَرَهُ أَنْقَلَبَ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ، وَزَانَتْ الْأَقَالِيمُ مَعْدَلَتَهُ فَلَا ظَلَمَ يَغْشَى ظَلَامُهُ، وَلَا جَوْرَ يَحْشَى إِمْلَامُهُ، وَلَا حَقَّ تَدْحُضُ حِجَّتِهِ وَلَا بَاطِلَ يَعْلُو كَلَامُهُ، فَالْبِلَادُ حَيْثُ حَلَّ بَعْدَلُهُ مَعْمُورَةٌ، وَبِيَايَتِهِ مَعْمُورَةٌ، وَسُيُوفُ دَوَى الْأَقْلَامِ وَأَقْلَامُهُمْ بِأَوَامِرِهِ فِي مَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ مَنِيَّةٌ وَمَأْمُورَةٌ.

ولما كان الجَنَابُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي عَانَقَ الْمَلِكَ الْأَعَزَّ نِجَادُهُ، وَاللَّيْثَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِغَارَتُهُ وَإِنْبِجَادُهُ، وَالْكَبِيَّ الَّذِي كَمَّ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنْ مَوْقِفِ صِدْقٍ يَضُلُّ فِيهِ الْوَهْمُ وَتَزِلُّ فِيهِ الْقَدَمُ، وَالْهَمَامَ الَّذِي إِنْ أَنْكَرَتْ أَعْنَاقُ الْعِدَا مَوَاقِعَ سَيُوفِهِ «فَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ»؛ وَالْمُقَدَّمَ الَّذِي لَا تُتَكَّرُ مَشَاهِدُهُ فِي إِرْغَامِ الْكُفْرِ وَلَا تُكْفَرُ، وَالرَّعِيمَ الَّذِي حَمَّتْ مَهَابَتُهُ السَّوَاخِلَ نَخَافَ الْبَحْرُ: وَهُوَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ، مِنْ بَأْسِهِ الْأَحْمَرُ، عَلَى بَنِي الْأَصْفَرِ؛ وَالْمُقَدَّمَ الَّذِي كَمَّ ضَاقَتْ بِسَرَايَا شَيْعَتِهِ الْفِجَاجُ،! وَكَمْ أَشْرَقَتْ نُجُومُ أَسِنَّتِهِ مِنْ أَفُقِ النَّصْرِ فِي ظَلَمِ الْعِجَاجِ،! وَكَمْ حَمَى الْعَدْبَ الْفِرَاتِ عَلَى الْبُعْدِ بِسُيُوفِهِ وَهِيَ مَجَاوِرَةٌ لِلْمَلْحِ الْأَجَاجِ!!؛ مَعَ سَطْوَةِ أَنْامَتِ الرِّعَايَا فِي مِهَادِ أَمْنِهَا،

ورأفة عمّرت البرايا بعاطفة إقبالها ويمّنها، ورفق تكفل لسهل البلاد وحرّتها بإعانة
مُرّنها، وشجاعة أعدت الجيوش التي قبّله فعدت أحادها ألوفاً، وفتكات عودت
الطير الشيع من وقائعه فباتت على راياته عكوفاً، ومعدلة عمّت من في إيالته فأصْحى
الضعيف في الحق قوياً عنده والقوي في الباطل ضعيفاً .

وكانت البلاد الحليّة المحروسة هي المملكة التي لا تجارى شهبأؤها في حلبة نخار،
والرئبة التي لا يؤهل لها من خواص الأولياء الأعزّة إلا من أستخرنا الله تعالى
في تقليد جيد مفاخره بلائى كفالتها نخار، فهى سور المالك الذى لا تتسوره
الخطوب، وأمّ الثغور التي ما برح يسفر بائسائها عن شنب النصر وجه الزمن
القطوب، وموطن الرباط الذى كل يوم وليلة [فيه] خير من الدنيا وما فيها،
وعقيلة الأقاليم التي تمّ أشجى قلوب الملوك الأكبر صدودها وأسهر عيون العطاء
الأكاسرة تجافيا، بل هي عقد دره حصونه، وروض سيوف الكماة جدائله
ورماح الحمّة غصونه، وحمى لم تزل عيون عنايتنا بعون الله تحفه وأيدى تأييدنا
بقوة الله تصونه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نرهف بجمايتها هذا السيف الذى
تسابق الأجل مضاربه، وتبطل الحيل تجاربه، ويتقدّم خبر عزائمها خبرها فلا
يدرئ: هل ربح الجنوب أسرى وأسرع أم جنائبه، وتبث مهابته أمام سراياه إلى
العدا سرايا رعب تفل جمعهم، وتسبق إلى التحرز من بأسه بصرهم وسمّهم،
وتسفر بكل أفق عن تعتها مغيره، أو كتيبة تجعلها لمعالى النصر الكامنة مثيره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى - لا زالت أوامره مبسوطه في البسيطة،
وممالكه محوطة بمهابته الشاملة ومعدلته المحيطة - أن تفوض إليه نيابة السلطنة
الشريفة بالمملكة الحليّة: تفويضاً يعودها من عيون العدا بآيات عزائمها، ويعودها

(١) كذا في نسختين ولعل الصواب "عن شيعة" الخ .

أَجْتَنَاءَ ثَمَرِ الْمُنَى وَالْأَمْنِ مِنْ وَدَقِ صَوَارِمِهِ ؛ وَيُنْظِمُ دَرَارِيَّ الْأَسِنَّةِ مِنْ أَجْيَادِ حُصُونِهَا فِي مَكَانِ الْقَلَائِدِ ، وَيَجْعَلُ كَيْدَ أَعْدَائِهَا خَوْفَهُ أَوْعَفَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَجْبَنَ مِنَ الْوَالِدِ ؛ وَيَجْرُدُ إِلَى مُجَاوِرِيهَا مِنْ هَمَّتِهِ طَلَائِعَ تَحْصُرُهُمْ فِي الْفَضَاءِ الْمَتَّعِ ، وَتَسُدُّ عَلَيْهِمْ مَجَالَ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ فَيَغْدُو لَهُمْ حَزْنُهَا الْحَزْنَ الشَّامِلَ وَسَهْلُهَا السَّهْلَ الْمُتَمَتِّعَ .

فَلْيَتَقَلَّدْ هَذِهِ الرِّتَبَةَ الَّتِي يَمِثِّلُهَا تُرْهَى الْأَجْيَادِ ، وَبِتَقَلُّدِهَا يَظْهَرُ حَسَنُ الْإِتِّقَاءِ لِجَوَاهِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِتِّقَادِ ، وَبِتَقْوِيَتِهَا إِلَى مِثْلِهِ يَعْلَمُ حَسَنَ الْإِرْتِيَادِ لِمَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ؛ وَلِيَزِدَّ جِيوشَهَا الْمَنْصُورَةَ إِرْهَابًا لِعَدُوِّهِمْ ، وَإِرْهَابًا لَصَوَارِمِ الْجِهَادِ فِي رَوَاحِهِمْ وَغُدُوِّهِمْ ، وَإِدَامَةً لِلنَّفِيرِ الَّذِي حَبَّبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَقُوَّةً عَلَى مُجَاوِرِيهِمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ يَجْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ فُرْسَانُ الْحِلَادِ الَّذِينَ أَلْفَوْا الْوَقَائِعَ ، وَأَسْوَارِ الْفُرَاتِ الَّذِينَ عُرِفُوا فِي الذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِمْ بِحِفْظِ الشَّرَائِعِ ، وَكَشَافَةِ الْكُرْبِ الَّذِينَ لَا يَزَالُ لَهُمْ فِي سَائِرِ بِلَادِ الْعِدَا سِرَايَا وَعُلَى جَمِيعِ مَطَالِعِ دِيَارِ الْكُفْرِ طَلَائِعَ ؛ وَهُمْ بِتَقَدُّمَتِهِ تَنْضَاعُفُ شَجَاعَتِهِمْ ، وَتَزِيدُ أَسْطِعَاتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ ؛ وَلِيَأْخُذَهُمْ بِمَضَاعِفَةِ الْأَهْبِ وَإِدَامَةِ السَّعْيِ فِي حِفْظِ الْبِلَادِ وَالذَّبِّ ، وَالتَّشْبُهَةِ بِأَسْوَدِ الْغَابَاتِ الَّتِي هَمَّتْهَا فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ ؛ وَلِيَهْتَمَّ بِكَشْفِ أَحْوَالِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ لِيَبْرَحَ أَمْنًا عَلَى الْأَطْرَافِ مِنْ حَيْفِهِمْ ، مَتَبَقِّظًا لِمَكَائِدِهِمْ فِي رِحْلَتِي شَتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ ؛ مُفَاجِئًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ بِسَيْرٍ يَرُوعُ سِرْبَهُمْ ، وَيَكْدُرُ شِرْبَهُمْ ؛ وَيَجْعَلُ رُوحَ كُلِّ مَنْهُمْ مِنْ خَوْفِ قُدُومِهِ نَافِرَةً عَنِ الْجَسَدِ ، وَيَسْلُبُهُمْ بِتَوَقُّعِ مُفَاجِئَتِهِ الْقَرَارَ « وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ » ، وَلَا تَزَالُ قُصَادُهُ بِأَسْرَارِ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مُنَاجِيهِ [وَلَا تَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عَيْونِهِ بَيْنَ الْعِدَا فِرْقَةَ نَاجِيهِ] ^(٢) وَلِيَحْتَفِلَ بِتَدْرِيجِ الْحَمَامِ الَّتِي هِيَ رُسُلُ أَعْتَبِهِ ،

(١) مراده ليبقى على الدوام آمنا الخ إلا أن هذه المادة لا تؤدي هذا المعنى إلا بسبق النفي . تأمل .

(٢) الزيادة مما يأتي قريبا ليستقيم الكلام .

وإقامة الدياب الذين إذا دعوا همهمةً بالسنة النيران لبثهم السنة أسنته ، وليمت قلوب أعدائه بوجل لقاءه قبل الأجل ، وليزد في الحزم على ابن مزيد الذي لم يرفى الأمن إلا في درع مضاعفة « لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل »^(١) ، وليجعل أحوال القلاع المحروسة دائما برأى منه ومسمع ، ويسيدها من ملاحظته باحتفال لا يدع لشائم برقتها وحمول أموالها [مطمعا] فقد استكمل حُسن النظر في مصالحها أجمع ، وليقيم منار الشرع الشريف بمعاودة حكامه ، والالتقياد إلى أحكامه ، والوقوف مع تقضيه وإبرامه :

فليجعل حكم الشريعة المطهرة أمامه وإمامه ، وليقيم أمر الله فيمن اقتاده الشرع إلى حكمه بفادب زمامه ، وليعظم حملة العلم الذي أعلى الله مناره ، وأفاض على الأمة أنواره ، وحفظ بهم على الملة سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وآثاره ، وليكن لأقدارهم رافعا ، ولمضارهم دافعا ، ولأوقافهم بجمل الاحتفال عامرا ، وفي مصالحهم بتخلية الأحوال آمرا ، ولينشر لواء العدل الذي أمر الله بنشره ، ويشقعه بالإحسان الذي هو مالوف من سجاياه ومعروف من طلاقة بشره ، ويمد على الرعايا ظل رافته الذي يضيئ في النعم لباسهم ، ويديم إلفهم بالرأفة واستئناسهم ، ويقم حكم سياسته على من لم يستقيم ، ويقف مع رضا الله تعالى في كل أمر : فإذا رحم الله فليرحم وإذا أنتم فليغير الله لا ينتقم ، وليعتن بعارة البلاد بسط العدل الذي ما احتفى به ملك إلا صانه ، والرفق الذي لم يكن في شيء إلا زانه ، وتوخي الحق الذي من جعله نصب عينيه وفقه الله له وأعانه . وكذلك أمر الأموال : فإنها ذخيرة الملك وعتاده ، ومادة الجيش الذي إذا صرفت إلى مصالحهم هممه لم يحش عليه أنقطاعه ولا

(١) يشير إلى بيت من قصيدة لمسلم بن الوليد يمدح بها يزيد بن مزيد الشيباني وهو :

تراه في الامن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

تفادُهُ ؛ وجميعُ الوصايا قد ألفنا من سيرته فيها فوق ما نقترح ، وخبرنا من مقاصده فيها ما يقولُ للسانِ قلمها : قد عرفتُ ما أومأت إليه من مقاصدك فاسترح ؛ وملاكها تقوى الله تعالى ورضانا ، وهو المألوف من عدله وإنصافه ؛ والله تعالى يديمها بتأييده وقد فعل ، ويجعله من أركان الإسلام وأعلام المسلمين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه ، والاعتمادُ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخةٌ تقليدٍ شريفٍ بِنِيبَةِ حَلَبَ أيضا ، كُتِبَ بها عن السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» للأمر شمس الدين «قراستقر» باعادته إليها . من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي جعل العواصم بإقامة فرض الجهاد في أيامنا الشريفة مُعْتَصِمَةً ، والثغور بما تفتقر عنه من شنب النصر في دولتنا القاهرة مُبْتَسِمَةً ، والصوارم المرهفة في أطراف الممالك بأيدي أوليائنا لأرواح من قرب أو بعد عنها من الأعداء مُقْتَسِمَةً ، والحصون المصفحة بصفاحنا بأعلام النصر معلمةً وبسيا الظفر متسمة ؛ معلية قدر من أحسن في مصالح الإسلام عملا ، ورافع ذكر من يبسط إلى عز طاعة الله ورسوله وطاعتنا أملا ، ومجدد سعد من تلبس الأقالم من أوصافه أنخر الحلل إذا خلعت من المحامد على أوصافه حلا ، ومفوض زعامة الجيوش بمواطن الرباط في سبيله إلى من إذا فلتت مقاتل العدا سيوف الحلال كانت عزائم من السيوف المرهفة بدلا .

نحمده على نعمه التي جعلت طاعتنا من آكد أسباب العلو ، وخدمتنا من أنجح أبواب الرفعة بحسب المبالغة في الخدمة والعلو ، ونعمنا شاملةً للأولياء بما يربى على

طَوَامِجِ الآمَالِ فِي البُعْدِ والدُّنُوْبِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تُسْتَنْزَلُ بِهَا مَوَادُّ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، وَتُسْتَجْزَلُ بِهَا ذَخَائِرُ التَّايِيدِ الَّتِي كَمْ أَسْفَرُ عَنْهَا وَجْهٌ
سَفَرٌ ، وَتُرْهَفُ بِهَا سِيُوفُ الْجِهَادِ الَّتِي كَمْ آلَفَتْ مِنْ آمَنٍ وَكَفَّتْ مِنْ كَفَرٍ ، وَنَشْهَدُ
أَنَّ مَجْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَزَوَّيْتْ لَهُ الْأَرْضَ فَرَأَى مِنْهَا
مَا يَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ إِلَيْهِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ كُنُوزُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ عَمَّا وُضِعَ مِنْ مَقَالِيدِهَا
بِيَدَيْهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، وَتَهَضُّوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ
مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الظَّلَالِ ، أَمْنَةً
شَمْسُ دَوَامِهَا مِنَ الزَّوَالِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ طَوْقِ أَجْيَادِ الْمَمَالِكِ بِفِرَائِدِ أَوْصَافِهِ ، وَفُوقَتْ إِلَى مَقَاتِلِ
العِدَا سِهَامُ مَهَابَتِهِ الَّتِي تُحَوَّلُ مِنْهُمْ بَيْنَ كُلِّ قَلْبٍ وَشِغَافِهِ ، وَخُصَّتْ بِهِ أُمُّ النُّغُورِ الَّتِي
دَرَّ لَهَا حَلَبُهَا ، وَمَدَّتْ عَلَيْهَا أَفْيَاءَ النَّصْرِ الْمَمْدُودَةَ ذَوَابِلُهَا وَقُضِبُهَا ، وَأَهْدَى أَرْجَ التَّبَلُّجِ
اِقْتَرَارُهَا وَشَنْبُهَا - مَنْ تَقَوْمُ مَهَابَتِهِ مَقَامَ الْأُلُوفِ ، وَتَجَنَّبَنِي سُمُوعُهُ مِنْ ذَوَابِلِ الْعَزَائِمِ ثَمَرِ
النَّصْرِ الْمَالُوفِ ؛ وَيَسْبِقُ خَيْالَهُ سَرَايَا خَيْلِهِ الَّتِي هِيَ أُسْرَى مِنْ هُوَجِ الرِّيَّاحِ إِلَى هَزْمِ
الْجُمُوعِ وَتَفْرِيقِ الصُّفُوفِ ، وَتَنْظِمُ أُسْسَةَ رِمَاحِهِ فِي الْوَعْيِ قُلُوبَ العِدَا نَظْمَ السُّطُورِ
وَتَنْثُرُ صَفَاحَهُ رُءُوسَهُمْ نَثْرَ الحُرُوفِ ؛ وَيُحِيطُ بِنِطَاقِ الْمَمَالِكِ الْمُنْتَرِفَةِ صَوَارِمُهُ إِحَاطَةَ
الْأَسْوَارِ بِالْحُصُونِ ، وَانْتِمَائِلِ بِالْفُصُونِ ، وَالْهَالَاتِ بِالْأَنْفَارِ ، وَالْجَوَانِحِ بِالْأَسْرَارِ ؛
وَلَا تَبِيْتُ مُلُوكَ العِدَا مِنْهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ ، وَلَا يُرَى فِي الْأَمْنِ إِلَّا فِي دِرْعِ مُضَاعَفَةٍ
«لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى عَلَى نَجَلٍ» ؛ وَلَا يَخْفَى عَنِ الْمَعِيَتِ مَا يُضْمَرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ
الْحَرَكَاتِ قَبْلَ إِظْهَارِهَا ، وَلَا يَبْعُدُ عَلَى عَزَمَاتِهِ مَا هِيَ مَلِيَّةٌ بِهِ مِنْ بَدَارِهَا أَعْدَاءَ الدِّينِ

بَدَارِهَا؛ وَإِذَا جَلَسَ لِنَشْرِ الْمَعْدِلَةِ تَبَرَّأَ الظُّلْمَ مِنْ فِكْرٍ ^(١) [البغى والجور على إنسان،
وَشَفَعَ مَا تَصَدَّى لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

ولما كان الجَنَابُ الْعَالِي الْفُلَانِيّ هُوَ الَّذِي مُلِئَتْ قُلُوبُ الْعِدَا بُرْعِيهِ، وَأَنْطَوَتْ
قُلُوبُ الرِّعَايَا عَلَى حُبِّهِ، وَتَهَلَّتْ وَجْوهُ الْمُتَى فِي سَلْمِهِ وَأَسْتَهَلَّتْ سَحْبُ الْمَنِيَا فِي حَرِّهِ،
وَجَمَعَ بَيْنَ حِدَّةِ الْبَاسِ وَطُفِّ الثَّقِيّ، فَكَانَ هُوَ الْكَيِّ الَّذِي شَفَعَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ
لِرَبِّهِ؛ وَحَاطَ مَاوَلِيَّهِ مِنَ الْأَقَالِمِ بِسُورَى بَأْسِهِ وَعَدَلِهِ فَبَاتَ كُلُّ أَحَدٍ وَادِعًا فِي مِهَادِهِ
أَمْنًا فِي سِرِّهِ؛ وَأَغَارَتْ سَرَايَا مِهَابَتِهِ قَبْلَ طُلُوعِ طَلَائِعِهِ فَأَصْبَحَ كُلُّ مِنَ الْعِدَا أَسِيرَ
الدُّعْرِ قَبْلَ إِمْسَاكِهِ - قَتِيلَ الْخَوْفِ قَبْلَ ضَرْبِهِ؛ مَعَ أَحْتِفَالِ بَعَارَةِ الْبِلَادِ، أَعَانَ
السُّحْبَ عَلَى رِيَّهَا، وَأَشْتَمَلَ عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ، قَامَ فِي تَيْسِيرِ أَرْزَاقِهِمْ مَقَامَ وَسْمِيِّ الْغَنَائِمِ
وَوَلِيَّهَا؛ وَتَيَقَّظَ لِمَصَالِحِ الثُّغُورِ أَنَامَ عَنْهَا عَيُونَ الْخُطُوبِ، وَإِشْرَاقِ فِي أَفْقِ الْمَوَاكِبِ
كَسَا وَجْهَ الدِّينِ نُورَ الْبِشْرِ وَوَجْهَ الْكُفْرِ ظِلَامَ الْقُطُوبِ .

وكانت المملكة الحليّة عقيلة المعاقيل ، وعصمة العواصم ، وواسطة عقود
الممالك ، وسلك فرائد النصر التي كم أضاعت بها إلى الكفر وجوه المسالك ، لا تدرك
في مضمار الفخار شهبأؤها ، ولا ترى إلا كما ترى النجوم في عيون العدا حصبأؤها ؛
ولها من الحصون المصونة كل قلعة يتهيب الطيف سلوك عقابها ، ويتقاصر لوح
الجوع عن منال عقابها ؛ فهي عزيزة المنال ، إلا على كريم كفاءته ، بعيدة مجال الآمال ،
إلا على ما ألفت من إيالة كفايته ؛ سامية الأفق إلا على شمسه ، نايبة الطرف
إلا على ما عرفت من سلوكه في أمسه ، ظامية الغروس التي أنشأها في مصالحها
إلى ما اعتادته من سقيا غرسه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيدها إشراقاً بشمس

(١) بياض بالأصل .

جَلَالِهِ ، وَأَعْتَلَاءَ بَسِيفِهِ الَّذِي رِيَاضُ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ؛ وَأَنْ نَعِيدَ أَمْرَهَا إِلَى مَنْ
طَالَمَا حَسَنَ عَدْلُهُ بَقَعْتَهَا ، وَحَصَّنَ بَأْسُهُ قَلْعَتَهَا ؛ وَأَطَارَتْ مَهَابَتُهُ سُمْعَتَهَا ، وَأَطَالَتْ
سِيرَتُهُ سُكُونَ رَعَايَاهَا فِي مِهَادِ الْأَمْنِ وَهَجَعَتَهَا ؛ وَأَعَادَ وَجُودُهُ أَحْوَالَ مُجَاوِرِيهَا مِنَ الْعِدَا
إِلَى الْعَدَمِ ، وَأَبَادَ سَيْفُهُ أَرْوَاحَ مُعَانِدِيهَا : فَلَوْ أَنْكَرْتَهُ أَعْنَاقُهُمْ لَمْ يَكُنْ بِالْعَهْدِ
مِنْ قَدَمٍ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ شَمْسُ عَدْلِهِ ، مُشْرِقَةً فِي الْوُجُودِ ، وَغَيْثُ
فَضْلِهِ ، مُسْتَهْلٌ الْجُودِ فِي التَّهَامِ وَالنُّجُودِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ تَفْوِيضًا
يُجَدِّدُ أَرْتِفَاعَهَا ، وَيَعْمُرُ وَهَادَهَا وَيَقَاعَهَا ، وَيُؤَيِّدُ أُنْدِفَاعَ مَضَارِّهَا وَأَنْتِفَاعَهَا ؛ وَيُعِيدُ
الْإِشْرَاقَ إِلَى مَطَالِعِهَا ، وَالْأُمُورَ إِلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ سَدَادِ التَّدْبِيرِ وَمَوَاضِعِهَا ؛ وَالْإِقْدَامَ
إِلَى جِيُوشِهَا وَأَبْطَالِهَا [وَالشُّجَاعَةَ إِلَى حِمَاتِهَا وَرَجَالِهَا] .

فَلْيَطْلُعْ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِهَا طُلُوعَ نَعْتِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُجْرِ فِي جَوَانِبِهَا مَا أَلْفَتَهُ مِنْ مَوَارِدِ
عَدْلِهِ الَّذِي فَارَقَهَا عَمَامُهُ وَأَثْرَسِيلُهُ مُقِيمٍ ؛ وَيُعَاوِدُ مَصَالِحَ تِلْكَ الْمَمْلُوكَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ
أُمُورُهَا إِلَّا عَلَيْهِ ، وَيُرَاجِعُ عِصْمَةَ تِلْكَ الْعَقِيلَةِ الَّتِي لَا تَطْمَحُ أَبْصَارُ عَوَاصِمِهَا إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَيُلْقِي فِي قُلُوبِ مُجَاوِرِيهَا ذَلِكَ الرَّعْبَ الَّذِي نَعَى إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَأَسْلَاهُ عَمَّا
فِي يَدَيْهِ ؛ وَيُنَبِّتُ تِلْكَ الْمَهَابَةَ الَّتِي جَعَلَتْ مَنَايَا الْعِدَا بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا ،
وَيُنْشِرُ فِي الرَعَايَا تِلْكَ الْمَعْدِلَةَ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ : لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ مَثَلَةً عِنْدَهُمْ
وَلَا جَاهًا ؛ وَلِتُسَكِّنَ أَحْوَالَ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ بِمَرَأَى مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِ وَمَسْمَعٍ ، وَيَكُفِّ
أَطْعَامَ الْكُفَّارِ عَلَى قَاعَدَتِهِ فَلَا يَحْدُثُ لَهُمْ إِلَى شَيْمِ بَرْقِ التُّغُورِ مَطْمَعٌ وَلَا فِي الْعِلْمِ
بَسْنَهَا مَطْمَعٌ ؛ وَلِيَكُنْ مِنْ أَرْصَادِهِ ، نَهَارُ عَدُوِّ الدِّينِ وَلَيْلُهُ ، وَمِنْ أَمْدَادِهِ ، مَجَازُ الْجِهَادِ
وَحَقِيقَتُهُ فَلَا يَبْرَحُ بَيْتَهُمْ خِيَالَهُ إِذَا لَمْ تُصَبِّحْهُمْ خَيْلُهُ ؛ وَلَا يَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ

بين العدا فِرْقَةً نَاجِيَةً ، وطائفةً بِأَسْرَارِ قُلُوبِ الْقَوْمِ مُنَاجِيَةً ، لتكونَ لَهُ مَقَاتِلُهُمْ عَلَى طُولِ الْأَبَدِ بَادِيَةً ، وَتَعْدُو مَنَازِلَهُمْ خَاوِيَةً بَيْنَ سَرَايَاهُ الرَّائِحَةِ وَالغَادِيَةِ . وَلِيَتَعَاهَدَ أَحْوَالَ الْجِيُوشِ بِإِدَامَةِ عَرْضِهَا ، وَإِقَامَةِ وَاجِبَاتِ الْقُوَّةِ وَفَرْضِهَا ، وَإِطَالَةَ صِيَتِ السَّمْعَةِ الْمَشْهُورَةِ لِكَمَاتِهَا فِي طُولِ بِلَادِ الْعِدَا وَعَرْضِهَا ؛ وَإِزَاحَةَ أَعْدَارِهَا لِلرُّكُوبِ ، وَإِزَالَةَ عَوَائِقِ آرْتَادِهَا لِلوُثُوبِ ، وَإِعْدَادِ الْعَدَدِ الَّتِي لَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ طُلُوعٌ [فِي] مَقَاتِلِ أَعْدَائِهِمْ غُرُوبٌ . وَلِيَتَفَقَدَ أَحْوَالَ الْحُصُونِ الْمَصُونَةِ بِسِدَادِ ثُغُورِهَا ، وَسِدَادِ أُمُورِهَا ؛ وَإِزَاحَةَ أَعْدَارِ رِجَالِهَا ، وَإِرْهَافَ هِمَمِ حُمَاتِهَا الَّتِي تَضِيقُ عَلَى آمَالِ الْعِدَا سَعَةَ مَجَالِهَا ؛ وَتَوْفِيرَ ذَخَائِرِهَا ، وَتَعْمِيرَ بَوَاطِنِهَا وَظَوَاهِرِهَا ، وَتَحْصِينَ مَسَالِكِهَا الَّتِي يَرْهَبُ الْخِيَالُ الْمَتَوَلِي إِلَى الْعِيُونِ سُلُوكَ مَحَاجِرِهَا .

وَلِيُعَلِّمَ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِتَشْيِيدِ مَنَارِهِ وَإِحْكَامِهِ ، وَتَنْفِيذِهِ لِقَضَايَا قُضَايَاتِهِ وَأَحْكَامِ حُكْمِهِ ؛ وَالْوُقُوفِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مَعَ نَقْضِهِ فِي ذَلِكَ وَإِبْرَامِهِ ، وَرَفْعِ أَقْدَارِ حَمَلَةِ الْعِلْمِ عَلَى مَا لِقُوَّةِ مِنَ الرَّفْعَةِ وَالسُّمُوفِ فِي أَيَّامِهِ . وَلِتَكُنْ وَطْأَةٌ بِأَسِهِ عَلَى أَهْلِ الْفَسَادِ مُسْتَدَّةً ، وَأَوَامِرُهُ مُتَقَدِّمَةٌ بَوَضْعِ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا : فَلَا تُوضَعِ الْحِدَّةُ مَوْضِعَ الْأَنَاءِ وَلَا الْأَنَاءُ مَوْضِعَ الْحِدَّةِ . وَلِيَرَاعَ عُهُودَ الْمَوَادِعِينَ مَهْمَا اسْتَقَامُوا ، وَيَجْمَعُ عَلَيْهِمْ إِنْ يَكْفُؤُوا أَنْامِلَ بِأَسِهِ الَّتِي هُمْ فِي قَبْضَتِهَا رَحَلُوا أَوْ أَقَامُوا ؛ وَلِتَخْبِرَ أَلْسِنَةُ النَّيْرَانِ بِشَبَّهَا عَلَى الْبِقَاعِ [وَالْآكَامِ] مَنْ قَدِمَ لِمَكِيدَةِ أَوْ طَعَنَ بِمَطَارِ الْحَمَامِ - وَجَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ السَّنِيَّةِ مِنْ قَوَاعِدَ فَإِلَى سَالِفِ تَدْيِيرِهِ يُنْسَبُ ، وَمِنْ سَوَابِقِ تَقْرِيرِهِ وَتَحْرِيرِهِ يُحْسَبُ ؛ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا ، وَفَارِسُ بَجْدَتِهَا ؛ وَمُؤْتَلُّ قَوَاعِدِهَا ، وَمُؤَثَّرُ مَا حَمِدَ مِنْ أَمْتِدَادِ عَضْدِهَا إِلَى مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَسَاعِدِهَا ؛ فَلْيَفْعَلْ فِي ذَلِكَ مَا يَشْكُرُهُ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ عَلَيْهِ ، وَيُثَبَّتِ الْحِجَّةَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِلْقَاءِ الْمَقَالِيدِ إِلَيْهِ ؛ وَمَلَائِكُ

الوصايا تقوى الله وهي سجيّة نفسه ، وثمرّة ما أجتى في أيام الحياة من غرسه ،
ونشر العدل والإحسان فيهما تظهر مزيّة يومه الجميل على أمسه ؛ والله تعالى يجعل
نعمه دائماً الاستقبال ، وشمسه آمنة من الغروب والزوال ؛ والاعتماد ... : ... :

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثلث بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نيابة القلعة بها)

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة قلعة حلب :

الحمد لله معلّى قدر من تحلى بالأمانة والصون ، ورافع مكانة من كان فيما عرسه
من العوارض نعم العون ؛ ومؤهل من أرشدنا إليه للاجتماع حسن الاختبار ، ومبلغ
الإيثار من شكرت عنه محامد الآثار .

نحمده حمد الشاكرين ، ونشكره شكر الحامدين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة مخلص في اعتقاده ، مبرراً من افتراء كل جاحد وإلحاد ؛ ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذى أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وأيده بسطان منه وطهر [به]
الأرض من دنس الضلال تطهيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال علم
العالم بها منشوراً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن العناية بالحصون توجب أن لا يُختار لها إلا من هو ملى بحفظها ؛
مؤفراً [لها] من حسن الدب غاية حطها ؛ حسن المرابطة ، مبرراً من دنس الأفعال

السَّاقِطَه ؛ ذوقَ قَلْبٍ [قوى] وَقَالِبَ ، وَعَزَمَ مازال لمهمات الأمور أشجع مُغَالِبَ ؛ إذ هو
لِلرَّايِطِينَ بها أوثقُ حَرَزِ حَرِيْرٍ ، وَأَصَوْنُ حِجَابِ لُبَارِزَةِ ذَوِي التَّبَرِيْزِ ؛ [فتصبح به] مستورا
عَوَارِهَا ، كَاتِمَةً لِأَسْرَارِهَا أَسْوَارِهَا ؛ تخاطبُ مُنَازِلِهَا من مَجَانِيْقِهَا بِأَبْلَغِ لِسَانٍ ، وَتُسَافِهُ
مَلَاجِيْهَا من أَنْفَةِ أَنْفِهَا إِلَّا أَنَّهُ بِأَعْلَى مَكَانٍ .

ولما كانت القلعة الفلانية بهذه المترلة الرفيعه ، والمكانة التي كل مكانة بالنسبة
والإضافة إلى علو مكانها المكانة الوضعية - أَخْتَرْنَا لها وَابْتَعَيْنَا ، وَاسْتَوْعَبْنَا بِالتَّاهِيلِ
لِنِيَابَتِهَا ولم تترك في آسْتِعَابِنَا ولا أَبْقَيْنَا ؛ فلم نجد لولايتها كُفَاءً إِلَّا من نَظَمَتْ عُقُودَ
هذا التَّقْلِيدِ لِتَقْلِيدِهِ ، وَرَتَلَتْ سُورَ هذه المحامد بِمَبْدِئِ لِسَانِ تَقْرِيطِهِ وَمُعِيدِهِ ؛ إذ هو
أَوْثَقُ من يُلْقَى إِلَيْهِ إِقْلِيدُهَا ، وَأَكْفَأُ من يُجْزِئُ بِهِ مَوْعُودُهَا ؛ إذ كان المَكِينِ ،
وَالثَّقَّةَ الْمُتَحَلِّيَّ إذ كان التَّحَلِّيَّ مِمَّا يَزِينُ العاطِلَ المَشِينِ ؛ إن ذَكَرَ الرَّأْيُ فهو المَتَّصِفُ
بِسَدِيدِهِ ، أَو العَزْمُ فهو المَوْسُومُ بِسَدِيدِهِ ؛ أَو التَّنَبُّهُ فهو من صِفَةِ شَجَاعَتِهِ ، أَو حُسْنُ
المُظَافَرَةِ فهو البادل فيها جُهْدَ اسْتِطَاعَتِهِ .

ولما كانت هذه المناقب مناقبه ، وهذه المذاهب مذاهبه ؛ رُسمَ بالأمر الشريف
العالى - زاده الله مَضَاءً وَنَفَاذًا ، وَأَسْتِحْوَاءً وَأَسْتِحْوَاذًا - أن تَفَوَّضَ نيابة السُّلْطَنَةِ
بِالْقَلْعَةِ الفلانيَّة وما هو منسوبٌ إليها من رُبُضٍ وَنَوَاحٍ ، وَقُرَى وَضَوَاحٍ ، لِلجَاسِ
السَّامِي فلان .

فليرق إلى رتبتها المنيّف قدرها ، المِهْمُ سرها وجهرها ؛ وليكن من أمر مصالحها
على بصيره ، ومن تفقد أحوالها على فطنة مازالت منه محبوره ؛ وليأخذ محرزها
من الجند وغيرهم بالملازمة لما عُدق به من الوظائف ، ويتقدم إلى واليها مع
طوافها أول طائف ؛ وليتفقد حواصلها من الذخائر ، وإصلها من التبذير بن

يرتبه على حفظها من الأخير؛ ومهما عرَض يُسرع بالمطالعة بأمره، والإعلام
بنفعه وضره .

هذه نبذة كافية للوثوق بكفائته، والعلم بسديد كفالته ؛ والله تعالى يحسن له
الإعانة، ويجزل له الصيانة ؛ والخط الشريف أعلاه ... :

الوظيفة الثانية

(شدُّ الدواوين بحلب)

وهذه نسخة توقيع شدِّ الدواوين بحلب :

الحمد لله الذي أرهف في خدمة دولتنا كل سيف يزهى النصر بتقليده ، ويروى
نبأ الفتح عن تجربته في مصالح الإسلام وتجريده ، ويروى حده إذا قابله عدو الدين
من قلب قلبه وموارد وريده .

نحمده على نعمه السابعة حمد متعرض لمزيده، ونشكره على مننه السائغة شكر مستزِل
مواد تأبيده ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقر بتوحيده ، مسر
مثل ما يظهر من الخضوع لكبرياء تقديسه وتمجيدته ، مصر على جهاد من الحد
في آياته بنفسه وجنوده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من دعت دعوته
الأمم إلى الاعتراف بخالقها بعد مجوده ، وأنجز لأمته من الاستيلاء على الكفر سابق
وعوده ، وأمال به عمود الشرك فأهوى إلى الصعيد بعد صعوده ؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين ما منهم إلا من بذل في طاعة الله وطاعته نهاية مجهوده ، وأطفا نار
الكفر بعد وقودها بإيقاد لبّ الجهاد بعد مجوده ؛ صلاة تقترن بركوع الفرض
ومجوده ، وتقام أركانها في أغوار الوجود ومجوده ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أجمَلنا في مصالحه النَّظَر ، وأعمَلنا في آرتياد الأَكْفَاء له
بوادِر الفكرِ ، وأخترنا له من الأولياء من كان معدودا من خواصنا ، محبوا بمزيد
تَقَرُّبنا ومَـيَّةٍ أختصاصنا ، أمرُ الأموال الديوانية بالمملكة الحليية وتفويض شدِّ
دواوينها المعمورة إلى من تُضَاعِفها رتبته المكيته ، ونزاهته المتينه ؛ ويده التي
هي بكال العفة مهسوطه ، وخبرته التي يمثلها يحسن أن تكون مصالح الدولة القاهرة
منوطه ؛ ومنزلة التي تكف عن الأموال الأَطَاع العاديه ، ومهابته التي تكفي
الأولياء من ضبط الأعمال بما يروى الآمال الصادية ؛ لأنها مواد الثغور التي ما برحت
عن شنب النصر مفرته ، وأمداد الجيوش التي جعل الله لها أبداً على أعدائه الكره ؛
ورياض الجهاد التي تُجتنى منها ثمرات الظفر الغصه ، وكنوز الملك التي يُنفق منها
في سبيل الله القناطير المُقنطرة من الذهب والفضه .

ولما كان فلان هو الذي اخترناه لذلك على علم ، ورجحناه لما أجمع فيه من
سرعة يقظة وأناة حلم ؛ وندبناه في مهماتنا الشريفة فكان في كل موطن منها سيفاً
مرهفاً ، وأخترناه فكان في كل ما عدقناه به بين القوى والضعيف منصفاً ؛ وعلمنا
من معرفته ما يستثير الأموال من مكائنها ، ومن نزاهته ما يظهر أشتات (؟) المصالح من
معادنها ، ومن معدلته ما يمتع الرعايا بأجتناء ثمر المنى من إحسان دولتنا القاهرة
وأجتلاء محاسنها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نحلي جيد تلك الرتبة بعقود صفاته
الحسنه ، وأن ننبه على حسن هممه التي ما برحت تسرى إلى مصالح الدولة القاهرة
والعيون وسنه .

فذلك رسم أن يفوض إليه ذلك تفويضاً يبسط في مصالح الأموال لسانه
ويقرر على مضاعفة ارتفاع الأعمال يومه الحاضر وغده ، ويحسن بسد الخلل

وتتبع الإهمال مصدره الجميل ومورده ، ويجعل [له] في مصالحتها العقد والحل ،
والتصرف النافذ في كل مادق من الأموال الديوانية وجل .

فليأشر ذلك بهمة علمنا في الحق مواقع سيفها ، وأمننا على الرعايا بما أتصفت به
من العدل والمعرفة من مواقع حنفها ، وأيقظت العيون الطامحة لسلك ما [لا] يجب بمالم
تزل نتخيله من روائع طيفها ، وليشمر الأموال بالجمع في تحصيلها بين الرغبة والرهبه ،
ويجعل ما يستخرج منها بركة العفة والرفق : (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة) . وليعف أثر الحمايات ورسمها ، ويزل بالكلية عن تلك الممالك الحسنة
وسمها القبيح وأسماها ، وليكن مهم الثغور هو المهم المقدم لديه ، والنظر في كلف
القلاع المحروسة هو الفرض المتعين أدائه عليه ، فيحمل إليها من الأموال والغلال
ما يعم حواصلها المصونة ، ويكفي رجالها الفكر في المئونة ، ويضاعف ذخايرها
التي تعد من أسباب تحصينها ، ويصبح به حمل عامها الواحد كفاية ما يستقبله مع
موالاة الجمول من سينها ، وما عدا ذلك من الوصايا فقد ألقينا إلى سمعه ما [عليه]
يعتمد ، وعرفناه أن تقوى الله أوفى ما به يستبد وإليه يستند ، بعد الخط الشريف :

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الدينية)

وهم على طبقتين أيضا :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف)

منها - قضاء القضاة . وبها أربعة قضاة : من كل مذهب قاض ، كما في الديار
المصرية والشام . والشافعي منهم هو الذي يولى بالبلاد كما في مصر والشام .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية :

الحمد لله الذي رفع منار الشريعة الشريف وأقامه ، ونور به كل ظلام وأزال به كل ظلامه ، وجعله صراطاً سويّاً للإسلام والسلامه ؛ الذي جعل القضاة أعلاماً ، بهم يهتدى ، ونصّبهم حكّاماً ، بمراشدهم يقتاد ويقتدى ، وأخذ بهم الحق من الباطل حتى لا يعتلّ في قضية ولا يعتدى ؛ والصلاة على سيدنا محمد الذي أوضح الله به الطريق ، وأبدي به بين الحلال والحرام التفرّيق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكفل لرغبات قائلها بالتحقيق .

وبعد ، فإن أحق ما وجهت الهمم إلى تصريفه وجهاً مسفراً ، وقربت إلى يد الأقطاف من شجرته المباركة غصنا ثمراً ، وسهدت في الاختيار له والأصطفاء لحظاً ما زال للفكر في مصالح الأمة مسهراً - الشرع الشريف الذي حرس الله به حومة الدين وحمي جانبه ، وحفظ به أقوال الهدى عن المجادلة من المبتدعين وأطرافه من المجاذبه ؛ وكانت حراسته معدوقه باختيار الأئمة الأعلام ، وموقوفة على كل من يطاعن البدع عند الاستفتاء برماح الخط وليست رماح الخط غير الأعلام ؛ ومصرفه إلى كل منصف في قضاياها حتى لو ترافعت إليه الليالي لأنصفها من الأيام .

ولما كان فلان هو مداول هذه العبارة ، ومرتمى هذه المشارة ، ومرتمق هذه الإشاره ؛ وقد حلّ من المادح في محل صعب المرتقى على متوقله ، وطلع من منازل سعودها في بروج بعيدة الأوج إلا على سير بدره وتنقله ؛ وطالب حكم فأحكم ؛ وفصل ففصل ؛ وروجع فما رجع وعدل فعدل ؛ وشهدت مراتبه الشريفة بأنه خير من تنولها ميراثاً وأستحقاقاً ، وأجل من كادت تزهو به مطالع النجوم إشرافاً وإشرافاً ؛ وكانت حلب المحروسة مركز دائرة لأيامه ، وسلك جوهر تصريفه الذي

(١) في الأصل «وصلت» ولم تفهم له معنى يناسب .

طلما تقلدت أحسن العقود بنظامه ؛ وقد آفتخرت به أفتخار السماء بسمسها ،
والرؤضة بغرسها ؛ والأفهام بإدراك حسها ، والأيام بما عملته من خير في يومها
وأسلفته في أمسها ؛ وقد آشتاقت إلى قربه شوق النفس إلى تردد النفس ، والليلة
إلى طلوع النجم أولا فإلى إضاءة القبس .

فلذلك خرج الأمر الشريف بأن يُجدد له هذا التوقيع بالحكم والقضاء ، بالملكة
الحليية وأعمالها وبلادها ، على عادته .

فليستخر الله تعالى وليستصحب من الأحكام ما همته مليّة باستصحابه ،
ويستوعب من أمورها ما توضع المصالح باستيعابه ؛ ويقم بها منار العدل والإحسان ،
وينهض بتدبير ما أقعده منها زمانة الزمان . وعنده من الوصايا المباركة ، ما يستغني به
عن المساهمة فيها والمشاركة ؛ لكن الذكرى النافعة عند مثله نافقه ، فإن لم يكن
شعاع هلال فبارقه ؛ وليتق الله ما أستطاع ، ويحسن عن أموال اليتامى الدفاع ،
ويحرس موجود من غاب غيبة يجب حفظ ماله فيها شرعا ، ويقطع سبب من رام
لأسباب الحق قطعا ، ولا يراع لحائف حرمته فإن حرمات الحائفين لا تُرعى ؛ وينظر
في الأوقاف نظرا يحرسها ويصونها ، ويبحث عنها بحثا يظهر به كمينها ؛ والله تعالى
يسدده في أحكامه بمنه وكرمه ! .

قلت : وعلى ذلك تكتب توابع بقية القضاة بها من المذاهب الثلاثة الباقية .

ومنها - وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتب بها لمن لقبه « كمال الدين » وهي :

الحمد لله الذي جعل كمال الدين موجودا ، في اقتران العلم بالعمل ، وصلاح بيت
المال معهودا ، في استناده إلى من ليس له غير رضا الله تعالى وبراءة الذمة أمل ،

وَأَرْتِقَاءَ رَتَبِ الْمُتَّقِينَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ بَارْتِقَاءِ مِثْلِهِ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَّةِ تُرْهِى مَنَاصِبُ الدُّوَلِ، وَالْأَكْتِفَاءَ بِالْعُلَمَاءِ مَحْضُورًا فِي الْآرَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنَ الْخَلَلِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ مُصَالِحَ الْإِسْلَامِ، مُقَدِّمًا لَدَيْنَا، وَأَخْتِصَاصَ الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ بِالْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ، مُحِبِّبًا إِلَيْنَا؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَ الْجِهَادُ عَالِمَهَا، وَأَمْضَى الْأَجْتِهَادُ كَلِمَهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَشْرَقَتْ سَمَاوَاتُ مِلَّتِهِ، مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ، بِأَضْوَاءِ الْأَهْلَةِ، وَنَطَقَتْ أَحْكَامُ شَرْعِيَّتِهِ، عَلَى أَلْسِنَةِ حَمَلَةِ سُنَّتِهِ، بِأَوْضَاعِ الْأَدْلَةِ، وَبَزَغَتْ شَمْسُ هِدَايَتِهِ فِي تَهَائِمِ الْوُجُودِ وَنُجُودِهِ فَانْطَوَتْ بِهَا ظُلْمُ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَثَرُوا رِضَاهُ عَلَى نَفْسِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُرَادٌ سِوَى مُرَادِهِ وَلَا سُؤْلٌ غَيْرُ سُؤْلِهِ؛ وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ تَلَقَّاهُ كَرَمًا بَوَجْهِ إِقْبَالِهِ، وَأَخْتَارَتْ لَهُ الْآؤُنَا مِنَ الرَّتَبِ مَا صَدَّهُ الْإِجْمَالُ فِي الطَّلِبِ عَنْ تَعَلُّقِهِ بِبَالِهِ؛ وَرَأَى إِحْسَانُنَا مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَعَدَّقَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَتْرُكْهُ أَوْلًا إِلَّا مُوَافَقَةً لَهُ لَا رَغْبَةً عَنْ خِيَالِهِ، وَرَعَى بِرْنَا وَفَادَتَهُ فَاقْتَضَى إِعَادَتَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ إِلَى مَا لَمْ يَزَلْ مُشْرِقَ الْأَفُقِ بِكَمَالِ طَلْعَتِهِ وَطَلْعَةِ كَمَالِهِ - مَنْ ظَهَرَتْ لَوَامِعُ فَوَائِدِهِ، وَبَهَرَتْ بِدَائِعِ فَرَائِدِهِ؛ وَتَدَقَّقَتْ بِحَارِ فَضَائِلِهِ، وَتَأَلَّقَتْ أَشْعَةَ دَلَائِلِهِ؛ وَتَنَوَّعَتْ فُنُونُهُ: فَهُوَ فِي كُلِّ عِلْمٍ أَبْنُ بَجْدَتِهِ، وَفَارِسُ نَجْدَتِهِ، وَحَامِلُ رَأْيَتِهِ، وَجَوَادُ مِضْمَارِهِ الَّذِي تَقِفُ جِيَادُ الْأَفْكَارِ دُونَ غَايَتِهِ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ هَذَا الْبَحْرَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى تَدَقُّقِهِ، وَالْبَدْرَ الَّذِي أُومِيَ إِلَى كَمَالِ مَا تَأَلَّقَى بِهِ مِنْ أَفْقِهِ؛ وَكَانَتْ وَكَالَتْ بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ بِحَلْبِ الْمَحْرُوسَةِ مِنَ الْمَنَاصِبِ الَّتِي لَا يَتَعَيَّنُّ لَهَا إِلَّا مَنْ تُعَقَّدُ الْخِنَاصِرُ عَلَيْهِ، وَيُشَارُ بِبَنَانِ الْأَخْتِصَاصِ إِلَيْهِ، وَيُقَطَّعُ

بجميل فهو فيه فيما يوضع من المصالح الإسلامية بيديه ، وله في مباشرتها سوابق ،
 وآثار [إن] لم تصفها السنة الأفلام أوحث بها تلك الأحوال الخالية وهي نواطق -
 اقتضت آراؤنا الشريفة إنعام النظر في الإنعام عليه بمكان ألفه ، ومنصب رفيع
 ما أسلفه فيه من جميل السيرة قدره عندنا وأزلفه .

فرسم بالأمر الشريف - لازل بابُه ثَمَال الآمال ، وأفق السعد الذي لو أمه البدر
 لما فارق رتب الكمال - أن يفوض إليه كذا : لما ذكر من أسباب عينته ، وفضائل
 تزيت به كما زينته ، ووفادة تقاضت له نزل الكرامه ، واقتضت له مواد الإحسان
 وموارده في السرى والإقامة .

فليل هذه الرتبة التي على مثله من الأئمة مدار أمرها ، وبمثل قوته في مصالحها
 يتضاعف در احتلايها ويترادف احتلاب درها ، مراعيًا حقوق الأمة فيما جره
 الإرث الشرعي إليهم ، مناقشًا عن المسلمين فيما قصره مذهبه المذهب من الحقوق
 المالية عليهم ، وأقفا بالحق فيما ثبت بطريقه المعتبر ، تابعًا لحكم الله فيما يختلف
 سبيله [و] فيما يحتر بالعيان أو يحقق بالخبر ، محفظًا على ما يسول إلى بيت المال بلطف
 تدقيقه ، وحسن تحقيقه ، وقبول الدافع بوجهه ودفعه بطريقه ، ولا يمنع الحق
 إذا ثبت بشروطه التي أعذر فيها ، ولا يدفع الواجب إذا تعين بأسبابه التي يتقاضاها
 الشرع الشريف وبقضيتها ، وهو الوكيل عن الأمة فيما لهم وعليهم ، ومتولى
 المدافعة عنهم فيما يقره الشرع في يديهم ، فليؤد عنهم أمانة دينه ، ويجهدهم فيما
 وضعناه من أمر هذه الوكالة الشريفة بيمينه ، وملاك هذا الأمر الوقوف مع الحق
 الجلى ، والتمسك بالتقوى التي تظهر بها قوة الأمين وأمانة القوى ، والله تعالى يوفقه
 ويسدده .

قلتُ : وفي معنى ما تقدم من قطع الورق والألقاب الحسبة ، ونظر الأوقاف
الجبار ، وخطابة الجوامع الجليلة ، و كبار التدريس ، وما يجرى مجرى ذلك : إذا
كُتِبَ به من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالبُ كتابةُ ذلك جميعه عن نائب
السلطنة بها .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة «بالسامي» بغيرياء ، أو «بمجلس القاضي»)

قال في «التثقيف» : وهم من عدا القضاة الأربعة من [أرباب] الوظائف الدينية .
فيدخل في ذلك قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، وما يجرى مجرى ذلك ، حيث
كُتِبَ من الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الديوانية ،

وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ«السامي» بالياء . وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السر . ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية - بصاحب
ديوان المكاتب ، وربما قيل : صاحب ديوان الرسائل . قال في «التثقيف» :
وربما كُتِبَ له في قطع النصف .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك، وهي :

الحمد لله الذي زان الدولة القاهرة، بمن تغدو أسرارها من أمانته في قرار
مكين، وحلأ أيامنا الزاهرة، بمن تبدو مراسمها من بلاغته في عقد ثمين، ومجمل
الكتب السائرة، بمن إذا وشتها براعته ويراعته قيل : هذا هو السحر البياني إن لم
يكن سحر مبین .

نحمده على نعمة التي خصت الأسرار الشريفة بمن لم يرثها عن كلاله، ونصت
في ترقى مناصب التنفيذ على من يستحقها بأصالة الرأي وقدم الأصاله، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رقم الإخلاص طروسها، وسقى الإيمان
غروسها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي آتاه جوامع الكلم، ولوامع الهدى
والحكم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كتب في قلوبهم الإيمان، وكتب
بهم أهل الطغيان، صلاة يشفعها التسليم، ويتبعها التعظيم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بارتداد من تعقد على أولوياته الخناصر، ويعتمد على
أصالته التي ما برحت في الاتصال والاتصاف بها ثابتة الأواصر، ويعتقد في أمانته
التي تأوى بها الأسرار إلى «صخرة أعيان الرجال أنصداؤها» ويعتقد بفضائله التي يقل
في كثير من الأكفاء أجتاعها، ويعول فيها على بلاغته، التي أعطت كل مقام حقه
من الإطناب والإيجاز، ويرجع فيها إلى بديته، التي جرت بها سوابق المعالي إلى غاية
الحقيقة في مضمار المجاز - رتبة هي خزانه سرنا، وكأنة نهيما وأمرنا، فلا يتعين
لبلوغها إلا من ومن، ولا يعين لتلقيها وترقيها إلا أفراد قل أن يكثر مثلهم في زمن،
ولا يحسن أن تكون إلا في بيت عريق في أنسابها، وثيق في تمكن عمرا أسبابها،
علم بقواعدها التي إذا اشتبهت طرق آدابها كان أدرى بها .

ولما كان فلان هو الذي ذُكرت أسباب تعينه لهذه الرتبة وتعيينه ، وفُتحت أبواب أولويته بتلقى راية هذا المنصب بيمينه ؛ مع أدوات كَلَّتْ مفاخره ، وصفاتٍ جَمَلت مآثره ؛ وكتابة ، إذا جادت أنوارها أرض طرس أخذت زُحرفها ، وإذا حادَتْ أنوارها وجه سماءٍ ودَّت الدَّراري لو حَكَتْ أحرُفها ؛ وبلاغةٍ ، إن أطرت بوصفٍ أغارت الفرائد ، وأعارت دُررها القلائد ، وأتت من رِقة المعاني بما هو أحسن من دُموع التصابي في خُدود الخرائد ؛ وإن أغرت بعدو أعانت على مقاتله السيوف ، ودلَّت على مكائمه الخُتوف ؛ وديانةٍ ، رفعته عند الله وعندنا إلى المكان الأسمى ، وصيانةٍ ، جمعت له من الآثنا واعتنائنا بين الزيادة والحسنى ؛ وأمانةٍ ، أغتته بجوهري وصفها الأعلى عن التعرض إلى العرض الأذنى ، وبراعةٍ ، اعتضد بها يراعُه في بلوغ المقاصد اعتضاد الرِّقص بالمعنى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا فليُشر بتلقّي هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، وليتلق عقود هذا الامتنان ، الذي طالما قد نخره الأعناق ؛ وليباشِر ذلك مباشرة يسر خبرها ويسرى خبرها ، ويسنف الأسماع تأثيرها وأثرها ؛ وليسلِّك فيها من السداد ، ما يؤكِّد حمده ، ومن حسن الاعتماد ، ما يؤيد سعده ؛ والوصايا كثيرة وهو بها خيرٌ عليهم ، حائزٌ منها أوفر الأجزاء وأوفى التقسيم ؛ وملاكها تقوى الله فليجعلها حمدته ، وليتخذها في كلِّ الأمور ذخيره ؛ والله تعالى يضاعف له من لدنا إحسانا ، ويرفع له قدرا وشانا ؛ والاعتماد في ذلك على الخطِّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

ومنها - نظر المملكة الحليَّة القائم مقام الوزير .

(١) في الاصل : وأوفى التقصير ، ولا معنى له .



وهذه نسخة توقيع من ذلك : كُتِبَ به لعبد الدين « سعيد بن ريان » بالعود إليها ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من جعل عليه اعتمادا ، ومجدد سعِد من غدا في كل ما يُعَدَّقُ به من قواعد النظر الحسن عمادا ، ومسنى حمد من تكفل له جميل التصرف أن لا يُبْعَدَ الأيام عليه مرادا ، ومجزل مواد النعم لمن إذا استمطر قلبه في المصالح هبى فاقنأ أفنانا وأينع تثيرا وأتمر سدادا ، وإذا أيقظ نظره في ملاحظة الأعمال استجلى وجوه المصالح انتقاء لما خفى منها وانتقادا .

نحمده على نعمه التي لا تزال النعم بها مُجَدِّدَة ، والقواعد موطَّءة ، والكرم مُعَادَا ، والآية التي جعل لها الشكر أزديانا على الأبد وأزديادا ، ومنينه التي لا يقوم بها ولا باداء فرضها الحمد ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام أو كان البحر مدادا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تألو هممنا أجتهدا في إعلاء منارها وجهادا ، ولا تكبو جياد عزائنا ، دون أن تُسْكِنَها من الجاحدين قلوبا ومُجْرَى بها من المنكرين ألسنة وتقلدها من المشركين أجيادا ، ولا تذبو صوارمنا ، حتى نتخذ لها من ورديد كل مُعَانِدٍ مَوْرِدًا ومن قيم كل ناكث أعمادا ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أسرى الله به إليه فبلغ في الارتقاء سبعا شدادا ، وأنزل عليه أشرف كتبه بيانا وأعجزها آية وأوصحها إرشادا ، وبعثه إلى الأحمر والأسود فسعد من سعد به إيمانا وشقى من شقى به عنادا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين لم يالفوا في طاعة الله وطاعته مهادا ، صلاة لا تستطيع لها الدهور نقادا ، ولا تملأها الأسماع تعدادا وتردادا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من سما به منصبه الذي عرف به قديما، وزهيت به رتبته، التي لم يزل فيها لاقتناء الشكر مستديما، وتحلت به وظيفته، التي لم يبرح يلبس بها ثوب الثناء قشيبا ويحزبها رداء السعد رقيما، وتقاضت له عوارفا معارفه التي لم يزل عقدها في جيد المراتب السنية نظيا، وتطلع إليه مكانه فكانه بقدم هجرته لم يبرح فيه وإن بعد عنه مقيما - من لم يزل قلمه بصرفه في أسنى ممالكا الشريفة كاسمه سعيدا، وطرف نظره فيما يليه من المناصب السنية يريه من المصالح ما كان غائبا ويذني إليه من أسباب التدبير ما كان بعيدا، فما أعمل في مصالح الدولة القاهرة قلمًا إلا وأقبلت نحوه وجوه الأموال سافره، ولا لحظ في مهمات وظائفها أمرا إلا وعادته أسباب التشمير النافره، ولا أعترض قلمه بنطقه وفكره إلا وغدت الثلاثة على كل ما فيه عمارة ما يفوض إليه من الأعمال متضافره، وذلك لما أجمع فيه من عفة نفسه وكال معرفته وطهارة يراعه، وأتصف به من حسن اضطلاعيه وجميل اطلاعه، وجيلت عليه طباعه من نزاهة زانت خبرته ومن يتقل مشكورا عن طباعه.

ولما كان فلان هو الذي حنت إليه رتبته وتلفت إليه منصبه ودعته وظيفته النفيسة إلى نفسها، وأعتدرت بإقبالها إليه في يومها عن شوزها عنه في أمسيها، وأشتاقت إلى التحلي بفضائله التي لم تزل تزهي بما ألقته منها على نظرائها من جنسها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نجمل لها عاداتها ونجدد له من الإحسان بمباشرتها السعيدة إعادته، ونعيد إليه بمباشرة نظره الجميل مسرته التي ألقها وسعادته.

فلذلك رسم ... لا زال بره لعاد الدين رافعا، وأمره بالإحسان شافعا - أن يفوض إليه نظر المملكة الحلية على عادة من تقدمه.

فليباشر هذه المملكة التي هي من أشهر ممالكنا سُمعته ، وأيمنها بُقعته ؛ وأحسنها
 يِلادًا ، وأخصبها رُبًا ووهادًا ، وأكثرها حصونًا شواهِق ، وقلاعًا [سوامي] ^(١) سوامق ،
 وتُغورًا لا تشييم ما أفتَر منها البروق الخوافق ؛ مباشرةً تزيد مصالحها على ما عرفته ،
 وتُريها من خبرته فوق ما ألفتَه ؛ وتدُل على ما فيه من كفاءة هديتها التجارب ، وهديتها
 الأنوار الثواقب ، وصرقتها الأفكار المطلعة على الطوالع من المغارب ، وسددها
 إلى الأعراض الجميلة الخلو من الأعراض ، ووقفها على جواهر الصواب عدم
 اعتراض النظر إلى الأعراض ؛ وأراها التوفيق ما تأتي من وجوه التدبير وما تدر ،
 وعرفتها المعرفة الأحتراس من مخالفة الصواب فما تزال من ذلك على حذر ، وفتح
 لها الدربة أبواب التثمير فما لحظت أمرًا من الأمور الديوانية إلا وبدت البدر ؛
 ولتكن نعم المصونة المقدم لديه ، والنظر في مصالح القلاع المحروسة هو الغرض
 المنصوص عليه ؛ فليضاعف ذخائرها ، ويتفقد موارد أمورها ومصادرها ؛ وفي معرفته
 بقواعد هذه الوظيفة ما يغني عن الوصايا ، لكن ملاكها تقوى الله ، فليجعلها نجى
 نفسه ، وسمير أنسه ؛ وانخط الشريف



ومنها - نظر الجيش بها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش بالمملكة الحليية ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أفق السعادة بطلوع شمسه منيرا ، وأقر في رتب العلياء من
 يغدو ناظرها بحسن نظره قريرا ، وحلّ مفارق المناصب السنية بصدر إذا تعالى

(١) الزيادة مما يأتي بعد نحو عشر صفحات .

اللسان في وصفه كان بنان البيان إليه مُشيرًا ، واختار لأمصاري ممالكنا الشريفة من
إذا فُوض إليه نظرُها كان ينسبته إلى الإبصار حقيقًا به وجديرًا .

نجمده وهو المحمود ، ونشكره شكرًا مُشرق السُعود ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة عذبة الورد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أضحى به
شيوخ الإسلام منشورة البنود ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود ،
وأولج نهار السيوف في ليل الغمود ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد ، فإن الله تعالى لما خصَّ كلَّ مملكةٍ من ممالكنا الشريفة بكثرة الجيوش
والأنصار ، وجعل جيوشنا وعساكرنا تُكثر عدد النجوم في كلِّ مِصرٍ من الأمصار ،
وكانت المملكة الشريفة الحليية هي ركنٌ من أركان الإسلام شديد ، وذخر مادعاهم
داعٍ إلا ولبَّاه منهم عددٌ عديد - وجب أن يُختار للنظر عليها من الأَكفء من سما
في الراسة أصله وزكافرعه ، فاستحقَّ بما فيه من المعرفة تمييز قدره ورفعته ، وفاق
في فضل السيادة أبناء جنسه ، وأشرقَت أفلاك المعالي بطلوع شمسه ، وأقرَّ [بنظره] نظر
الجيوش المنصوره ، وسارت الأمثلة بما اتفق عليه [فيه] من حُسنِ خبرة وخيره ، وكان
فلان هو الذي طلع في أفق هذا الثناء شمسا منيره ، واختبر بالكفاية والدراية واختبر
لهذا المنصب على بصيره ، وهو الذي له من جميلِ المباشرة في المناصب السنية
ما هو كالشمس لا يخفى ، والذي أحسن النظر في الأوقاف المبرورة حتى تمتئ كل
منصبٍ جليلٍ أن يكون عليه وقفا ، وهو الذي حوى من الفضائل ما لا يوجد له
نظير ولا شبيه ، والذي سما إلى رتبة من المعالي ربيعةً وكان ذا الحد النبهي
والأب النبيه .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُقرُّ الناظرُ بِجُوده ، وَيُحسِنُ النظرَ في أمرِ جِيوشه
وَجُنوده - أن يفوض إليه كذا : عالماً بأنه أحقُّ بذلك وأولى ، وأن كفايته لا يُستثنى
فيها بيلاً ولا بلولاً ، وأنَّ السدادَ مقترنٌ بحسنِ تصرُّيفه ، وعلمه قد أغنى عن تعليمه
بمواقع التَّسديدِ وتوفُّيفه .

فليباشِرْ ذلك بصدرٍ مُنشرح ، وأملٍ مُنفسح ، عاملاً بالسُّنة من تقوى الله تعالى
والفرض ، عالماً بأنَّه عند وُصولنا إلى البلاد نأمرُ بعرضِ الجيوش : فليعملَ على
ما بيضُ وجهه يوم العرض ، وليزِمَ عدَّةً من المباشرين بعملَ ما يلزمهم من التَّفريع
والتَّأصيل ، والتَّجريد والتَّزِيل ، وتحريرِ الأمثلة والمقابلة عليها ، وسُلوِكِ الطَّريقِ
المُسْتقيم التي لا يتطرَّقُ الدَّمُ إليها ، والملاحظة لأُمورِ الجيوش المنصورة في قبيلِ
الإقطاعات وكثيرها ، وجلبِها وحقيرتها ، بحيثُ يكونُ علمه محيطاً بذلك إحاطةً
اللَّيل ، ويشترطُ على من يتعيَّن تنزيلُه ما أستطاع من قُوَّةٍ ومن رباطِ الخيل ؛
ويقابلِ الأمورِ المضطربةَ بالإضراب ، ويسلكُ أحسنَ المسالك في سيره وسيرته :
فإننا فوضنا إليه الجيوشَ المنصورةَ من جُنْدِ المملِكةِ الحليَّةِ ومن أهلِ المدينة ومن
حوطهم من الأعراب . والوصايا كثيرةٌ وإن كثرتُ فعلمها عنده ، وقد ضربَ له منها
مثلٌ فليكنْ على سياقته فيما لم يُذكر في العده ، وأهمُّ الأمورِ أن يتمسكَ من خَشيةِ الله
بالسَّببِ الأقوى ، ويجعلَ تقوى الله عماده في كلِّ الأمورِ : فإنَّ خيرَ الزادِ التَّقوى ؛
والخطُّ الشريفُ أعلاه حجةٌ فيه .

الطبقة الثانية

من يكتب له من أهلِ المملِكةِ الحليَّةِ في قَطعِ العادةِ مفتتحاً بـ «رسم» إمَّا مع
«مجلسِ القاضي» أو مع «القاضي الأجل» ككُتابِ الدَّرج ومن في رُتبهم ، إن كُتب

لأحد منهم من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالبُ استبدادُ نائبِ السلطنة بها بالكتابة في ذلك . فإن كُتِبَ شيءٌ منها من الأبواب السلطانية ، فيمَشَّ فيه على نحو ما تقدم في الديار المصرية والمملكة الشامية التي قاعدتها دمشق .

النوع الثاني

(من أرباب الوظائف بالمملكة الحلبية - من هو خارج)

عن حاضرتها ، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم غالبٌ من يكتب لهم عن الأبواب السلطانية)

وقد تقدم أنَّ العادةَ جاريةٌ بتسمية ما يكتب لمن دون أرباب النيابات العظام : من دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحمّة ، وصقّ ، وغزّة ، والكرّك - مراسم . وأنَّ التقاليدَ مخصصةٌ بالنواب العظام المقدم ذكهم . ولا يخفى أنَّ النيابات الداخلة في المملكة الحلبية : مما هو تحت أمر نائب السلطنة بحلب أكثر من كل سائر الممالك الشامية .

وبالجُملة فأمرهم لا يخرج عن ثلاثة أضرب : إما مُقدّم ألف ، ككاتب البيرة ، ونائب قلعة الروم المعبر عنها في ديوان الإنشاء بقلعة المسلمين ، ونائب مطية ، ونائب طرسوس ، ونائب البلسطين ، ونائب البهنسي ، ونائب آياس المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية . وإما طببخاناه ، ككاتب جعبر ، ونائب درندة ونحوهما . وإما أمير عشرة ، ككاتب عين تاب ، ونائب الراوندان ، ونائب كركر ، ونائب بغراس ، ونائب الشغروبكاس ، ونائب الدر بساك ، ونائب سرفندكار ، ومن في معناهم .

وقد تقدم في الكلام على المكاتبات نقلاً عن «التتقيف» : أن هؤلاء النواب تختلف أحوالهم في الارتفاع والانحطاط : فتارة تكون عادة تلك النيابة أمير طبلخاناه ، ثم يولى فيها عشرةً وبالعكس . وقد تكون عادتُها طبلخاناه فيستقر بها مقدم ألف وبالعكس . والضابط في ذلك أن من يكتب له المرسوم : إن كان مقدّم ألف ، كتب مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبلخاناه ، كتب له مرسومه في قطع النصف أيضاً بـ «السامى» بالياء . وإن كان أمير عشرة كتب مرسومه في قطع الثلث . فأما ما يكتب في قطع النصف ، فإنه يفتح بـ «الحمد لله» سواء كان صاحبه مقدّم ألف أو أمير طبلخاناه .



وهذه نسخة مرسوم شريف نياية آياس ، وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية ، يستضاء بها في ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى جعل من أولياء دولتنا الشريفة كل سيف لا تنبو مضاربه ، وأصطفى لبوادر الفتوحات من أنصارنا من محمد آراؤه وتجاربه ، وألمنا حسن الاختيار لمن تؤمن فى المحافظة مآربه ، وتعدب فى المخالطة مشاربه ، وحقق آمالنا فى مضاعفة الفتح التى أغنى الرعب فيها عما تدافعه سيوف الإسلام وتجاربه .

نحمده حمداً يضاعف لنا فى التأييد تمكيننا ، ونشكره شكراً يستدعى أن يزيدنا من فضله نصرًا عزيزًا وفتحًا مبينًا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُخلص فيها يقينًا من المخاوف يقينًا ، ونرد من نهلها معينًا ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أيدته الله بالملائكة والروح ، وزوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها وترجو أن يكون ما زواه له مدخرًا لنا من الفتوح ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين هم خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلإِسْلَامِ ، والذين ما زال الإيْمَانُ بهم مرفوعَ الأُلُويَّةِ والأَعْلَامِ ، والذين لم يبرح دَاعِي الضَّلَالَةِ تَحْتَ قَهْرِ سِيوفِهِمْ : فإذا أَعْفَى «جَرَّتْ عَلَيْهِ سِيوفُهَا الأَحْلَامُ» ؛ صَلَاةً يَطِيبُ اللِّسَانَ مِنْهَا فَيُطْرِبُ ، وَيُعْرِبُ عَنْ صِدْقِ الإِخْلَاصِ فِي تَكَرُّرِهَا فَيُعْرِبُ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ تَسْتَنْدُ أُمُورَ المَمَالِكِ لِعَزَمَتِهِ ، وَيُلْقِي أَمْرَ بَوَادِرِ الفِتْوَاحِ السَّعِيدَةِ لِهِمَّتِهِ ، وَيَعْتَمِدُ فِي تَدْيِيرِ أَحْوَالِ البِلَادِ وَالعِبَادِ عَلَى يَمِينِ تَصَرُّفِهِ وَمُتَمِّدِ نَهْضَتِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا سَادِدًا رَأْيَهُ ، مَشْكُورًا فِي الخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ حُسْنُ سَعْيِهِ ؛ مَوْيِدًا [فِي] عَزْمِهِ ، مَظْفَرًا فِي حَزْمِهِ ؛ مَأْمُونًا التَّائِيرِ ، مَيُونُ التَّسْدِيرِ ، كَافِيًا فِي المِهْمَاتِ ، كَافِلًا بَعْلُو المِهْمَاتِ ، إِذَا هَمَّ أَلْتَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ [صَادِق] عَزْمُهُ ، وَإِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي مِهْمٍ تَلَقَّاهُ بِهَمَّتِهِ وَحَزْمِهِ ؛ وَإِذَا جُرَّدَ كَانَ هُوَ السَّيْفُ أَسْمًا وَفِعْلًا ، وَإِذَا دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ الزُّبُونُ فَهُوَ الشَّهْمُ الَّذِي لَا يَخَافُ سَهْمًا وَلَا يَرْهَبُ نَصْلًا .

وَمَا كَانَ ^(١) هُوَ بَدْرَ هَذَا الأَفْقِ ، وَمُقَلَّدَ هَذَا العِقْدِ وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الطَّوْقِ إِلا هَذَا العُنُقُ ؛ وَهُوَ الَّذِي فَاقَ الأَوْلِيَاءَ أَهْتَامًا ، وَرَاقَ العُيُونََ تَقَدَّمَ وَإِقْدَامًا ؛ وَأَرْضَى القُلُوبَ نَصْحًا وَوَفَاءً ، وَأَنْضَى المِهْمَ أَحْتِفَالًا لِلصَّالِحِ وَأَحْتِفَاءً ؛ طَالَمَا جَرَّبَ حُجْمِدَ عِنْدَ التَّجَارِبِ ، وَجُرَّدَ فَأَعْفَى عَنِ القَوَاضِبِ ؛ وَأَخْتَبَرَ فَخْتَبَرَ ، وَنَظَرَ فِي خِصَائِصِهِ فَلَمْ يُوجِدْ لَهُ نَظِيرًا - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نَقَلَّدَهُ فِتْوَاحَاتِ أَنْقَذَهَا اللهُ تَعَالَى مِنَ شَرِّكَ الشَّرِّكِ ، وَأَخْرَجَهَا إِلَى النُّورِ بَعْدَ ظِلَامِ الإِفْكِ ؛ وَبَشَّرَهَا أَنَّ هَذِهِ سَحَابَةٌ نَصِيرٌ يَأْتِي وَآيِلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ رِذَائِهِ ، وَأَنَّهَا مَقْدَمَةٌ سَعِدَ نَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَّكُمْ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ .

(١) بياض بالأصل والمراد المولى بأسمه ولقبه .

فذلك رُسم ... لا زال الفتح في دولته يزهُو بانتظام سلكه ، وأيامه الشريفة تسترد مغتصب البلاد من يد الكفر إلى بسطة ملكه وقبضة ملكه ، وإحسانه يجي الحصون بسيف يروع العدا ببأسه وفتكه - أن يفوض ... اعتماداً على مضائه الذي لا ينكر مثله للسيف ، وركونا إلى هيمته التي تسرى برعيتها إلى قلوب الأعداء سرى الطيف .

فليباشر النيابة المذكورة : مُعملاً رأيه في تمهيد أحواله ، وتقرير أمورها التي راق الأولياء وراع الأعداء ما كان من مألها ، مجتهداً في حفظ ما بها من القلاع والحصون ، مُبادراً [إلى] كل ما يجي حماها ويصون قائماً حق القيام في مصالح تقريرها ، وأحوال تحريرها ، وأمور تمهدها ، ومنافع تُسيدها ، وحواصل تكفيها ، وأسباب مصلحة توافيها بمزيد الأهتمام وتوفيتها ، وليكن بأحكام الشرع الشريف مقتدياً ، وبنور العدل والإحسان مهتدياً ، وبتقوى الله عز وجل متمسكاً ، وبحشية الله متمسكاً ، وهو يعلم أن هذه الفتوحات [قدي] في حدقة العدو المخذول وسجاً في حلقهم ، وعلّة في صدورهم وحسرة في قلوبهم .

فليكن دأبه الاجتهاد الذي ليس معه قرار ، والتحرز الذي يحلها أو يجيها فيكون عليها بمنزلة سورٍ أوسوارٍ ، ويصفحها من عزمه بالصفاح ، ويجعل عليها من شرفات حزمه ما يكون أحد من أسنة الرماح ، ثم لا يزال احتياطه محيطاً بها من كل جانب ، وتيقظه لأحوالها بمنزلة عين مراقب ، واحتفاله الاحتفال الذي بمثله يضان رداؤها من كل جاذب ، ثم لا تزال قصاده وكشافة وطلائعه لا يقربهم السرى ، ولا يعرفون طعم الكرى ، يطلعون من أخبار العدا على حقائقها ، وتحميل كل فرقة منهم على معرفة الأحوال بينهم بمكرٍ من تعدد طرقها واتساع طرائقها ، لتكون المتجددات عنده بمنزلة ما يراه

في مِرَاةِ نَظَرِهِ، وَسِرِّ أُمُورِ الْعِدَا لَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشِيْعَ بَيْنَهُمْ ذِكْرُ خَبْرِهِ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا يَحْتَاجُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ إِلَى تَبَيُّرِهِ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَعَ حَسَنِ بَصِيرَتِهِ إِلَى تَذَكُّرِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا وُلَّاهُ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

وَأَمَّا مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِ«مَجْلِسِ الْأَمِيرِ» وَهِيَ الْعَشْرَاتُ [فَقَدْ ذَكَرَ فِي «التَّعْرِيفِ» : أَنَّهُ يَكْتُبُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْوَابِ السَّلْطَانِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ .

قلت : وقد تقدّم في الطبقة السابعة أنّ الكُخْتَا، وَكَرْكُرًا، وَالذَّرْبَسَاكَ، قد تكون عشرةً أيضاً . وفي معنى ذلك نيابة عينِ تاب ، والرَاوَنْدَانَ ، وَالْقَصِيرَ، وَالشُّغْرُوبَكَسَ، إِذَا كَانَتْ عَشْرَةٌ . وَنِيَابَةُ دَبْرَكِي إِذَا كَانَتْ عَشْرَةٌ ^(١) [فِيَفْتَحُ فِيهَا] «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» عَلَى عَادَةِ مَا يُكْتُبُ لِلْعَشْرَاتِ .



وهذه نسخةُ مرسومِ شريف من هذه الرتبة، كُتِبَ بِهِ لِنَائِبِ حَجَرِ شَغْلَانَ مِنْ مَعَامِلَةِ حَلَبَ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي شَيَّدَ الْمَعَاقِلَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِأَكْفَائِهَا، وَصَانَ الْحُصُونَ الْمَحْرُوسَةَ مِنْ شُكْرَتِ هِمَّتِهِ فِي إِعَادَتِهَا وَإِبْدَائِهَا، وَحَمَى سَرْحَهَا مِنْ أَيْقُظِ [فِي] الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عِيُونَ عَزْمِهِ فَمَا أَلَمْتُ بَعْدَ إِيقَاطِهِ بِإِغْفَائِهَا، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَنْتَضَى سَيْفَ التَّائِيدِ فَأَعَزَّتِ الْهَدْيُ وَأَذَلَّتِ الْعِدَا حِينَ انْتِضَائِهَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا بَدَّتِ النُّجُومُ فِي ظُلُمَائِهَا، وَسَرَّتِ الْغُيُومُ فِي فَضَائِهَا - فَإِنَّ مِنْ شُكْرَتِ هِمِّهِ، وَثَبَّتَتْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَمَهُ، وَأَشْبَهَ عَزْمَهُ فِي مَضَائِهِ صَارَمَهُ، وَأَضْحَتْ

(١) ما بين القوسين المربعين [] وجد ملحقا بها مش نسخة ومؤشرا عليها بالتصحيح فأثبتناه في الصلح

ثُغُورِ تَقْدِيمِهِ بِاسْمِهِ ؛ أَوْلَىٰ بِأَنْ تَرْفَعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ مَحَلَّةٍ ، وَتَنْشُرَ عَلَيْهِ [مِنْ] تَكْرِيمِهَا وَارْفَ ظِلِّهَا ؛ وَتَرْتَضِيَهُ لِقَلَاعِ الإِسْلَامِ وَتَشْيِدِيهَا ، وَتَجْتَبِيَهُ لَصَوْنِهَا وَتَأْيِيدِهَا ، وَتَجْعَلُهُ قُوَّةَ عَيْنِهَا وَحِلْيَةَ جِيدِهَا ؛ وَتُمْضِي كَلِمَتَهُ فِي مَصَالِحِهَا ، وَتَعْدُقُ بِهِ أَسْبَابَ مَنَاجِحِهَا ؛ فَيُصْبِحُ وَقَدْرُهُ مَنَّا إِعْلَاءً وَإِعْلَانًا ، وَيُؤَسِّسُ لَهُ شُغْلَ بَطَاعَتِنَا الْعَالِيَةِ الشَّانِ ؛ وَشُغْلَ بِالْمَعْقِلِ الَّذِي يُجَرِّزُ بَعْزِمَهُ وَيُصَانُ ، فَلَأَجْلِ ذَلِكَ غَدَا وَلَهُ مِنْ هَذِهِ النِّيَابَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شُغْلَانٌ .

وَكَانَ [فُلَانٌ] هُوَ الَّذِي جَادَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُنَا الزَّاهِرَةُ بِسَحَائِبِهَا ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى حَظْوِظِهِ سُعُودُ كَوَاكِبِهَا ؛ وَأَسْمَتْ لَهُ قَدْرًا ، وَجَعَلَتْ لَهُ إِمْرَةً وَأَمْرًا ؛ وَصَرَفَتْهُ إِلَى نِيَابَةِ مَعْقِلٍ مَعْدُودٍ مِنْ قَلَاعِ الْمَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ وَحُصُونِهَا ، وَمَعَاقِلِهَا الَّتِي عَلَتْ مَحَلًّا فَالْجِبَالُ الشَّمُّ مِنْ دُونِهَا ؛ قَدْ أَصْبَحَ شَاهِقًا فِي مَبْنَاهُ ، مَمْنَعًا فِي مَغْنَاهُ ، مُحْصَنًا بِرِجَالِهِ ، مَصُونًا مِنْ مَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ فِي مَضَائِهِ وَالْعَزْمِ فِي آخِتِفَالِهِ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوقِّعَ رَتَبَةَ هَذِهِ النِّيَابَةِ ، وَنُنْشُرَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِنَا سَحَابَهُ .

فَلذَلِكَ رَسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ أَنْ يَسْتَقَرَّ

فَلْيَحُلَّ هَذِهِ النِّيَابَةَ الْمُبَارَكَةَ مُظْهِرًا مِنْ عَزْمِهِ مَا تُنْجِدُ عَوَاقِبُهُ ، وَتَعْلُو مَرَاقِبُهُ ؛ وَتَسْمُو مَرَاتِبُهُ ، وَتَتَوَسَّعُ سَبِيلُهُ وَمَذَاهِبُهُ ؛ مُحْصَنًا لِسَرْحِهِ ، مَعَزَّزًا مَوَادَّ بُجْحِهِ ؛ مُرَاعِيًا أحوَالَ رِجَالِهِ ، الْمُعَدِّينَ مِنْ حِمَاتِهِ وَأَبْطَالِهِ ؛ حَتَّى يَغْدُوا يَقِظِينَ فِيمَا يَنْدُبُهُمْ إِلَيْهِ وَيَسْتَنْهَضُهُمْ فِيهِ ، مَبَادِرِينَ إِلَى كُلِّ مَا يَحْفَظُ هَذَا الْحِصْنَ وَيَحْمِيهِ ؛ وَمَنْ بِهِذَا الْمَعْقِلِ مِنَ الرَّعِيَةِ فَلْيَرْتَفِقْ بِضَعْفَائِهِمْ ، وَلْيُعَامِلْهُمْ بِمَا يَسْتَجِيبُ لَنَا بِهِ صَالِحَ دُعَائِهِمْ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَلْيَغْرِسْهَا فِي كُلِّ

(١) فِي نَسَخَةٍ : مَرْتَقِبًا وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

قول يُدِيهِ ، وَفِعْلٌ يَرْتَضِيهِ ، فَإِنَّ غُرُوسَهَا لَا تَدْوَى . وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ لِصَالِحِ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ ، وَيُصَوِّنُهُ مِنَ الْخَطِّ وَالْخَطَلِ ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ عَنِ السَّلْطَانِ مَرْسُومٌ بِنْيَابَةٍ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ ،
لَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِجُنْدِيٍّ وَهُوَ دُونَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ إِنَّمَا يُكْتُبُ عَنِ نَوَابِ
الْمَمَالِكِ .

الصنف الثاني

(مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنِ حَاضِرَةِ حَلَبَ - الْوِظَائِفُ الدِّيْنِيَّةُ بِمَعَامِلَتِهَا :

مِنَ الْقِلَاعِ وَغَيْرِهَا)

وَهِيَ فِي الْغَالِبِ إِتْمَا تَصْدُرُ الْكِتَابَةُ فِيهَا عَنِ نَائِبِ حَلَبَ أَيْضًا أَوْ قَاضِيهَا ، إِنْ كَانَ
مَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَيْهِ . فَإِنْ صَدَرَ شَيْءٌ مِنْهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، كَانَ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ
مَفْتَحًا بِ«رُسْمٍ» .

وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَوْقِيعٍ مِنْ هَذَا النَّمَطِ يُنْسَجُ عَلَى مَنَوَالِهِ ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي قَلْعَةَ
الْمَسَامِينِ ، وَهِيَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ عَدْلُهُ مُؤَيَّدًا لِلْحُكْمِ ، وَرَأْيُهُ مَسَدَّدًا فِي النَّقْضِ
وَالْإِبْرَامِ ، وَسُلْطَانُهُ يَخْتَارُ لِلنَّاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ مَنْ نَطَقَتْ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ - أَنْ
يَسْتَقَرَّ فِي كَذَا : لَمَّا أَشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَدِينٍ ، وَظَهَرَ مِنْ حُسْنِ سِيرَةٍ آقْتَضَتْ
لَهُ التَّعْيِينَ .

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة بالحقِّ حاكما ، وللرفقِ مُلازما ، وللتقوى مداوما ؛
وهو غنيٌّ عن الإسهاب في الوصايا ، مليٌّ بسُلوِك تقوى الله في القضايا ؛ والله تعالى
يزيده تأييدا ، ويضاعف له بموادِّ السعادة تجديدا ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ،
حجة بمقتضاه .

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الديوانية)

وهي إما تصدر في الغالب أيضا عن نائب حلب . فإن كُتِب شيءٌ منها عن
الأبواب السلطانية ، كان في قطع العادة مفتتحا بـ «رُسم بالأمر» .

وهذه نسخةٌ توقيع من ذلك ، يستضاء به فيما يُكُتِب من هذا النوع ، كُتِب بها
بنظر جعبر ، من مُعاملة حلب ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال مُنهل الندى ، مُستهلَّ الجدى ، مُعيدا للإحسان
كما بدا - أن يُعاد فلانٌ إلى وظيفته : لما ألفت من سيرة له لم تزل تُحمد ، وسِما
خيرٍ منه على مثل الشمس تشهد ؛ ولأمانته التي لم تزل تفتت بها الثغور ، وتَحضُرُها
المعاهد : تارة في طوق النَّحر وتارة في نُحور البحور ؛ وأصالة أمتد ظلها الظليل ،
وعُرف منها في العصر حسن الأصيل ، وأينعت أكرم فرج زكا منبته^(١) في الأرض
المقدسة وجوار الخليل ؛ وليا أسلف في هذه المباشرة من عملٍ صالح ، وسداد
اعتقادٍ لم يخرج عن تحرير تقريرٍ وتقريرٍ مصالح ؛ وكتابةٍ رآها الرائي ونقلها الناقل ،
وكفاية حقت عليه مثل العروس المجلوة من عقائل المعامل .

(١) في الأصل « منبتها » بالتأنيث .

فليأشِرْ هذه العروسَ فقد أنقدها سالف الخدم وأمهرها ، وليثأرِ سقياً العروس
التي أنشأها في هذه الجهة ومهرها ، وليسلك مسلكه الذي لم يزل محيماً على رؤوس
القسن ، ومهووماً به طرف الأمن للبقظة الذي لا يلمُّ به الوسن ؛ محولاً في وظيفته
المبرات ، مستقبلاً لسرات ، مفتخرًا بمبشراتة التي تجرى بحارى البحار : تارة الملح
الأجاج وتارة العذب الفرات ؛ وهو أعرف بما يقدمه من أمانة بها يتقدم ، وديانة
يرجى بها استكفاؤه ويحكم ؛ وتقوى الله جماعها فليكن بها متمسكا ، وبمشاغلها
متمسكا ؛ والله تعالى يجعل عطاءه موقرا ، وعمله متدفقا ليرد جعبرا جعفرا .

النيابة الثالثة

(نيابة طرابلس ، ووظائفها التي جرت العادة بالكتابة فيها)

من الأبواب السلطانية على نوعين)

النوع الأول

(ما هو بحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد)

وهو نائب السلطنة بها . ومرسومه في قطع الثلثين ، ولقبه « الجناب العالى »
مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

(١) الذى ورد فى القاموس وغيره أن النقد بمعنى الاعطاء من باب الثلاثى فعمل الهمز من زيادة
الناح فنبه .

وهذه نسخة تقليد شريف بنياتها :

الحمد لله الذي جعل لنا التأييد مددا ، والنصر عتادا لا تفقد مع وجوده من
الأولياء أحدا ، والعز وزرا تضم شبهه مسمع العدا : (فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا) . والفتح ذخرا حيث ما نشاء مددنا إليه بقوة الله يدا ، وشددنا عليه
بمعونته عضدا .

نحمده على نعمه التي جعلت مراتب دولتنا فلکا تُشْرِقُ فيه رُتبُ الأولياء إشراق
البدور ، وتغور ممالكا أفقا حيثما شامتة العدا ضرب بينهم وبينه من سيوف
مهابتنا بسور ، وفواتح الفتوح النائية دانية من همم أصفائنا فإذا يعموا غرضا
طارت إليه سهامهم بأجنحة النُور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة يرفع الجهاد علمها ، وينصر الإيمان كلمها ؛ ويُرْجى الإيقان إلى رياض التأييد
ديمها ، ويستنطق التوحيد بإعلائها وإعلانها سيف أيامنا الزاهرة وقلمها ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ونبيه المخصوص
بالآيات والذكر الحكيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرنا الله فنصرهم ،
وأظهروا دينه فأعزهم وأظهرهم ، ويسروا لأمتهم سبيل الهدى فهداهم للسبيل
يسرهم ؛ صلاة لا يزال اليقين يقيم دعوتها ، والتوحيد يعصم من الأنفصام عروتها ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من تقرر الثغور بإيالتيه ، عن شذب النصر ، وترعى الحصون
بكفالتيه ، من شام من العدا برقها بسر كالقصر ، وتقسم السواحل بمهاتيه ، من جاور
من أهل الكفر بجرها بين الحصد والحصر ؛ وتمنع عزمانه شواني العدا أن تدب
عقار بها ، أو تتركب البلج بغير أيامه مراكبها ، أو ينتقل عن ظهر البحر إلى غير

(١) لعله « بغير أمانه » تأمل .

سيوفه أو قيوده مُحارِبها - من لم يزل في نُصرةِ الدينِ لامِعاً كالبرقِ شهابه ، زانِحاً كالبحرِ عبابه ، وأصبأ على الشُّركِ عذابُه ؛ ظامياً إلى مَوارِدِ الوَرِيدِ سَيْفُه ، سارِياً إلى قلوبِ أهلِ الكُفْرِ قبلِ جُفونهم طَيْفُه ؛ قائمَةً مقامَ شُرفِ الحُصونِ أسنَّةَ رِماحه ، غنيَّةَ بروجِ الثُّغورِ عن تَصْفِيحِها بالحمْدِ بصفا صفاحِه ؛ معِ خِبرةٍ بتقدِّمةِ الجيوشِ تُضاعِفُ إقدامَها ، وتُثبتُ في مَواطِنِ اللِّقاءِ أقدامَها ؛ وتُسدُّ إلى مِقاتلِ أهلِ الكُفْرِ سِهامَها ، وتُقرِّبُ عليها في البرِّ والبحرِ مَنالَها وتُبعِدُ مِرامِيها على مَن رَامَها ؛ ومعدِّلةٌ للرعايا السُّكونِ في مهادِ أمنِها ، والرُّكونِ إلى رُبا إقبالِها وهادٍ يَمُنُّها ؛ فِسرِبُ الرعايا مِصُونٌ بَعْدَهِ ، والعدُلُ مِكنونٌ بينَ قولِه وفِعلِه .

ولما كان فلانٌ هو اللَّيْثُ الَّذِي يُجْحَى بِهِ غَابُه ، والنَّيِّرُ الَّذِي يُزْهِى أُنْفُقُهُ تَأَلَّقَ فِيهِ شهابُه ؛ والهَمَامُ الَّذِي تُعْدَى هِمَمُهُ فِرْسَانَ الوَغَى فُتَعَدُّ أَحادُها بالألُوفِ ، والشُّجاعُ الَّذِي إِذا اسْتَعانَتْ سَواعِدُ الشُّجعانِ بِسُيوفِها اسْتَعانَتْ بِقُوَّةِ سَواعِدِ السُّيوفِ - أَقْتَضَتْ أراؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُحَلِّيَ بِهِ جِيدَ مَمْلَكَةِ أَنْتَظَمْتِ عَلَى وِشامِ البَحْرِ ، وَأَحاطَتْ بِما فِي ضَميرِهِ مِنْ بِلادِ العِدا إِحاطَةَ القلائِدِ بِالنَّحْرِ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت : لِمَا أُشير إليه من أسباب تَعينِهُ لِهذه الرِّتبةِ المِكينَةِ ، وتَحليلِهِ بما وُصِفَ مِنَ المِجاسِنِ الَّتِي تُزْهِى بِها عِقالُ الحِصونِ المِصُونَةِ .

فليلِ هذه النِّيايَةِ الجَليلَةِ بَعزْمَةِ مُجَمِّلِ مَواكِبِها ، وَهِمَّةِ تُكَلِّ مِراتِبِها ؛ وَمِهايَةِ تُحَوِّطُ مَمالِكِها ، وَصِرامَةَ تُؤمِّنُ مَسالِكِها ؛ وَمِعدِّلةٍ تُعَمِّرُ رِباعِها وَرِباعِها ، وَيَقْطَعُ تِصُونِ حُصونِها وَقِلاعِها ؛ وَشِجَاعَةَ تُسَرِّى إِلى العِدا سَرايَا رُعيِها ، وَسَطوَةَ تُعْدِي السُّيوفَ فلا تَسْتَطِيعُ الكِجاءُ الدُّنُوَّ مِنْ قُرْبِها ، وَسَمِعَةَ تُرْهبُ مُجاوِرِيهَ حَتى يُنْخِيلَ البَحْرَ [أَنه] مِنْ أَعوانِهِ عَلَى حَرَبِها .

وَلِيُؤْتِ تَقْدِيمَةَ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَقَّهَا مِنْ تَدْيِيرٍ يَجْمَعُ عَلَى الطَّاعَةِ أَمْرَهَا
وَأَمْرَاءَهَا، وَيَرْفَعُ فِي مَرَاتِبِ الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى مَا يَجِبُ أَعْيَانَهَا وَكِبْرَاءَهَا؛ وَيُرْهَبُ
بِإِدَامَةِ الْأَسْتِعْدَادِ قُلُوبَ أَعْدَائِهَا، وَيُرْبُطُ بِأَيْزَانِهَا شَوَانِي الْبَحْرِ حَتَّى تَعْتَدَّ الرِّبَاطَ
فِي ذَلِكَ مِنَ الْفُرُوضِ الَّتِي يُتَعَبَّدُ بِأَدَائِهَا؛ فَلَا يَلُوحُ قَلْعٌ فِي الْبَحْرِ لِلْعِدَا إِلَّا وَهُوَ يَرْهَبُ
الْوَقُوعَ فِي حَبَالِهَا، وَلَا تَلْحَظُ عَيْنُ عَدُوِّنَا الْبِرَّ إِلَّا وَهِيَ نَتَوَقَّعُ أَنْ تُكْحَلَ بِنِصَالِهَا؛
وَلْيُقِمَنَّ مَنَارَ الْعَدْلِ بِنَشْرِ لَوَائِهِ، وَيَعْضُدَّ حَكْمَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِرُجُوعِهِ إِلَى أَوْامِرِهِ
وَأَتْمَائِهِ؛ وَلْيَكْفِ يَدَ الظُّلْمِ [عِنهَا] فَلَا تَمْتَدَّ إِلَيْهَا بِنَانٌ، وَلْيَشْفَعْ الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى
الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ؛ وَفِي سِيرَتِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ صَفْوَةَ الْأَخْتِيَارِ، وَنُجْبَةَ
مَا أَوْصَحَتْهُ الْحَقِيقَةَ مِنَ الْأَخْتِبَارِ؛ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصِيَّةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ قَدَرَ الْمُؤَقِنِينَ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلْيَجْعَلْهَا أَمَامَ
أَعْيُنِهِ، وَإِمَامَ إِصْدَارِهِ وَإِيرَادِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ مَوَادَّ تَأْيِيدِهِ وَإِسْعَادِهِ؛ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى.

الطبقة الثانية

(من يُكْتَبُ لَهُ مَرْسُومٌ شَرِيفٌ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ «بِالْمَجْلِسِ

السَّامِي» بِغَيْرِ يَاءٍ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى وِظَائِفٍ)

منها — شُدُّ الدَّوَابِينِ بِطَرَابُلُسَ .

وهذه نسخةٌ تَوْقِيعُهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُجَدِّدِ الرَّتَبِ لِمَنْ نَهَضَ فِيهَا إِخْلَاصَهُ بِمَا يَجِبُ، وَمَوْلَى الْمَنِّ لِمَنْ إِذَا
أَعْتَمَدَ عَلَيْهِ مِنْ مُهَمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ فِي أَمْرِ عَرَفَ مَا يَأْتِي فِيهِ وَمَا يَحْتَجُّبُ؛

وَمَوْكِدِ النَّعَمِ لَمَّا إِذَا أَرْتَيْدَتِ الْإِكْفَاءَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ خَيْرَةً مَن يُجْتَارُ وَمُجَبَّةً
مَنْ يُنْتَجَبُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي سَرَّتْ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ عَوَارِفُهَا ، وَأَشْتَمَلُ عَلَى الْأَصْفِيَاءِ وَإِفْرُ
ظِلَالِهَا وَوَارِفُهَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُزَلَّفُ لَدَيْهِ ،
وَتَكُونُ لِقَائِهَا ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ
مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَّمِ ، وَأَكْرَمُ مَنْعُوتٍ بِالْفَضْلِ وَالكَرَمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ وُلُّوا أَمْرَ الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَسَلَكُوا سُنَنَ سُنَّتِهِ فَمَا مَالُوا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا اخْتِيرَ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلِّ ذِي هِمَّةٍ عَلَيْهِ ، وَعَزْمَةٍ بِمَصَالِحِ
مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَلِيَّةٍ ، وَخَبْرَةٍ بِكُلِّ مَا يُرَادُ مِنْهَا وَفِيهِ ، وَيَقْظَةً
تَلَحُّظُ فِي كُلِّ مَا قَرِبَ وَنَأَى مِنَ الْمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ ، وَصِرَامَةٍ
تُوَيْسُ مِنْ أَسْتِلَانَةِ جَانِبِهِ ، وَنَزَاهَةِ تُؤْمِنُ مِنْ إِمَالَةِ رَأْيِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَنِ سُلُوكِ
وَاجِبِهِ ، وَمَعْرِفَةٍ مُطَّلِعَةٍ ، وَنَهْضَةٍ بِكُلِّ مَا إِنْ حُمِّلَهُ مِنْ أَعْيَابِ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ
مَضْطَلِعَةٍ - أَمْرُ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ : فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَوَادُّ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ
عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَخَزَائِنُ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَوْ مَلَكَتْهَا الْغَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ،
وَذَخَائِرُ الثُّغُورِ الَّتِي مَوَاقِعُهَا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَوَاقِعُ الشَّجَا فِي الْقُلُوبِ وَالْقَدَى
فِي الْأَحْدَاقِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِي هُوَ الَّذِي سَمَّيْتُمْ بِهِ هِمْمَهُ ، وَرَبَّخْتُمْ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ
الْقَاهِرَةِ قَدَمَهُ ، وَتَبَارَى فِي مَصَالِحِ مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنَ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ ،
وَكَانَتْ الْمَمْلُوكَةُ الطَّرَابُلُسِيَّةُ مِنْ أَشْهُرِ مَمْلُوكَاتِ سَمْعِهِ ، وَأَيُّهَا بَقَعَهُ ، وَأَعْمَرَهَا بِلَادًا ،

وأخصبها رباً ووهاداً، وأكثرها حصوناً شواهيق، وقلاعاً سوامي سوامق، وثوراً
لا تسيم ما أقتَر من تُغورها البروق الخوافق، ولها الخواص الكثره، والجهات
الغزيره، والأموال الوافره، والغلات المتكاثرة المتكاثرة - أقتضت آراؤنا الشريفة
أن ترتاد لها من يسد خلل عطلها، ويشد عضد ميدها وميائها، وينهض من مصالحها
بما يراد من مثله، ويعيد لها بحسن المباشرة بهجة من فقدته من الأكفاء^(١)
من قبله .

فلذلك رسم أن يفوض إليه شد الدواوين المعمورة بالمملكة الطرابلسية
والحصون المحروسة، على عادة من تقدمه في ذلك .

فليباشر ذلك بعرفة تستخرج الأموال من معادنها، وتشتير كوامن المصالح من
مكائنها، وتتمر أموال كل معاملة بحسن الأطلاع عليها، وصرف وجه الاعتناء إليها،
وتفقد أحوال مباشريها، ومباشرة ما يتجدد من وجوه الأموال فيها، وضبط ارتفاعها
بعمل تقديره، وحفظ متحصّل ضياعها من ضياعه وصون بذارها عن تبذيره،
وليجهتد في عمارة البلاد بالرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه، والعدل الذي
ما أتصف به ملك إلا صانه، والعفة التي ما كانت في امرئ إلا وفقه الله تعالى
في مقاصده وأعانه، وليقدم تقوى الله بين يديه، ويعتمد على توفيقه فيما اعتمد فيه
عليه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك يكتب شد مراكز البريد ونحوها .

(١) لعله "ما فقدته من عمل الأكفاء" .

الصنف الثاني

(من الوظائف بطرأئلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -

الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف)

منها - القضاء . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بها ، يُنسخ على منواله ، وهي :

الحمد لله الذي أعزَّ الدين بعلمائه ، وعصَّد الحكم بالمتقين من أوليائه ؛ وأوضح
الرشد للمتقين بمن جعلهم في الهداية كنجوم سمائه ، وجعل لكل من الأئمة من
مطالع الظهور أفقا يهتدى فيه بأنواره ويُقتدى بأنوائه .

نحمده على أن جعل سبهم أجتهدانا في الارتياح للأحكام مُصيبا ، وقسم لكل من
أفقى ممالكا من بركة علماء قسيمه الآخر نصيبا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعصم من الهوى في الحكم لعباده ، وتفصم العرا من جاهر فيها
بعناده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاعت أنوار ملته ، فاستشف العلماء
لوامعها ، ووضحت آثار سنته ، فأحرز أئمة الأمة جوامعها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين دُعوا إلى الله فأجابوا ، ودعوا إلى الحكم بسنته فأصابوا ؛ صلاة لا تزال
الألسن تُقيمها ، والإخلاص يُديمها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أدى فيه الاجتهاد جهده ، وبلغ فيه الارتياح حدّه ؛ وأستضيء
فيه بنور التوفيق ، وأستصحب فيه من استخارة الله خير رفيق - أمر الحكم العزيز

وَتَفْوِيضُهُ إِلَى مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى مَجَالَ عِلْمِهِ ، وَسَدَّدَ مَنَاطَ حُكْمِهِ ، وَطَهَّرَ مَرَامَ قَلْبِهِ ، وَنَوَّرَ بَصَرَهُ فِي الْحُكْمِ وَبَصِيرَتَهُ فَأَصْبَحَ فِيهِمَا عَلِيٌّ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّهِ ، فَأَجْرَى الْحَقَّ فِي الْبَحْثِ وَالْقِتْيَا عَلَى لِسَانِهِ وَيَمِينِهِ ، وَتَزَهَّهَ عَنْ إِرَادَةِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَنَبَّهَهُ عَلَى آبْتِغَاءِ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وَمَا خَلَا مَنْصِبُ قَضَاءِ الْقُضَاةِ بِطَرَابُلُسَ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي يُضِيءُ بِالْأُمَّةِ الْأَعْلَامَ أَفْقَهُ ، وَتَلْتَقَى بِالْفَضْلَاءِ الْكِرَامِ طُرُقُهُ ، وَتَحْتَوِي عَلَى أَرْبَابِ الْفُنُونِ الْمُتَعَدِّدَةِ مَجَالِسُهُ ، وَتَزْكُو بِالْفَوَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ مَغَارِسُهُ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى خِصَائِصِ فَضْلِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى أَنَّ الْأَجْتِهَادَ لِلْأُمَّةِ أَفْضَى إِلَى إِسْنَادِ الْحُكْمِ مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ وَاحِدُ زَمَانِهِ ، وَعَلَّامَةُ أَوَانِهِ ، وَجَامِعُ الْفَضَائِلِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَقَامِعُ الْبِدْعِ عَلَى اقْتِرَاقِ شُبُهَاتِهَا مِنْهُ وَأَتْلَافِهَا ، وَحَاوِي الْفُرُوعِ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي ، وَالْمُرَبِّي عَلَى رَبِّ كُلِّ فَضِيلَةٍ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَأْلُفُ سِوَاهَا - أَفْتَضْتُ آرَاؤَنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْزِمَ مِنْ آرْتِيَادِهِ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ بِهَذَا الرَّأْيِ [السَّيِّدِ] ، وَأَنْ نُقَرِّبَ سُرَاهُ إِلَى هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي نَادَاهُ بِلِسَانِ الرَّغْبَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ كَالْبَدْرِ ، يَمَلَأُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَيُرِيهِ كَالْبَحْرِ ، يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ الْجَوَاهِرَ وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ السَّحَابَ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا .

فَلِيَطَّلِعَ بِذَلِكَ الْأَفَقَ الَّذِي يَتَرَقَّبُ طُلُوعَهُ رِقْبَةَ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ ، وَيُسْرِعَ إِلَى تِلْكَ الرَّتْبَةِ الَّتِي تَكَادُ تَسْتَطِيعُ أَنْبَاءَهُ مِنَ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ ، وَيُنَشِّرُهَا قَرَائِدَهُ الَّتِي هِيَ أَحَقُّ

أن تطوى إليها المراحل ، ويقدم بها على الأسماع الظامية لعذب فوائده قدوم الغمام
على الرّوض الساحل ؛ ويل هذا المنصب الذي هو فيه بين عدل ينشره ، وحق
يظهره ، وباطل يزهقه ، وغالب يرهقه ، ومظلوم يتضره .

وليكن أمر أموال الأيتام المهمّ المقدم لديه ، وحديث أوقاف البرّ من أول وأولى
ما يصرف فكره الجميل إليه ؛ ويتعاهد كشف ذلك بنفسه ، ولا يكتفى في علمه
فعل اليوم باطلاعه عليه بأمره في أمسه ؛ وهو يعلم أن الله يجعله بذلك مشاركا
للوافقين في الأجر المختصّ بهم والشكر المنسوب إليهم ، خارجا من العهدة في أمر
اليتامى باستعمال الذين يحشون لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ؛ وليقم
منار الحق على ما يجب وإن سرقوما وساء قوما ، ويقم بالعدل على ما شرع : فإن
« عدل يوم خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما » .

وأما ما عدا ذلك من أحوال الحكم وعوائده ، وآداب القضاء وقواعده ، فكل
ذلك من خصائصه يستفاد ، ومن معارفه يستتراد ؛ وملاك ذلك كله تقوى الله
وهي من أطهر حلاه الحسنة ، وأشرف صفاته التي تتداولها الألسنة ؛ فليجعلها
وسيلة تسديده في القول والعمل ، وذخيرة آخرته التي ليس له في غيرها أمل ، ويقلد
العلّي فيما حدثته من أسباب نقلته فإن كمال العز في النقل ؛ والله تعالى يمدّه بمواد
تأييده وقد فعل ، ويجعله من أوليائه المتقين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه ! ، إن شاء
الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك تكتب توابع القضاة الثلاثة الباقين .

ومنها - وكالة بيت المال .

(١) لعله « على أمره في أمسه » .



وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى عمّر بيت مال المسلمين بسداد وكيّله ، ونمّو تحصيله ومزيده
تمويله ، وتمسكه بالصدق من قبيله ، وسلوكه ماتبين [من] سبيله ، وأعتاده الحق
فى دليله ، ودفعه المضارّ وجلبه المسارّ بتحويله .

نحمده على برّه وتفضيله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن
نده ومثيله ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه الله لتمام هذا الدين وتكميله ؛
وأنزل عليه المعجزات فى تنزيله ، وحفظ به الذكر الحكيم من تبديله ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وقبيله ؛ وسلم تسليماً .

وبعد ، فإن بيت المال المعمور هو نظام الإسلام ، وذخر الأمان ، وفيه محصول
المسلمين تحت نظر الإمام ، وفيه مادّة المجاهدين فى سبيل الله على تطاول الأيام ؛
وإليه تُجى القناطير المقنطرة من الأموال ، وعنه تصدر المبيعات من الأملاك ما بين
أراض وأبنية ومحال . والوكيل على ذلك عنّا بالملكة الطرابلسية المحروسة هو الذاب
عن حوزته ، القائم بتأمين روعته ، المجتهد فى تمييز رجعتيه ؛ وينبغى أن يكون من
العلماء الأعلام الاثمة ، المعول عليهم فى الأمور المهمة ، البصير بما يترجى به
جانب بيت المال المعمور ويكشف كلّ عُمه ، العريق فى السيادة التى آتقادت إليها
السجايا الجميلة بالأزمه .

ولما كان فلان هو الرأقى هضبة [هذه] المائر ، الطالع كوكب مجده السافر ،
المستحقّ لكلّ ارتقاء على المنابر ، ويُعدّ سلفاً كريماً نصيراً فى المفانر ، ويمت بيت

بحره زاهر؛ وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحث فاق به الأشباه والنظائر، وعنده علم بالمسائل المضروب مثلها السائر - فلذلك رسم

فلبيا شر هذه الوظيفة مُحْتَرِزًا في كل ما يأتيه ويذرُه، ويقصده ويحزُه، ويورده ويصدره، ويبينه ويقدره، ويخفيه ويظهره، ويديه ويستره، ويذنيه ويحضره؛ ويقتر جانب بيت المال المعمور، بما فيه الحظُّ المؤفَّر، والغبطة في كلِّ الأمور، وهو عالم بما فيه صلاح الجمهور؛ ومن رغب في آتباع أراض وقراح، وأبنية وأملاك ورحاب فساح؛ مما هو جار في ملك بيت المال فليوفِّر جانب القيمة على ما فيه الصَّلاح، وهو بحمد الله من بيت الدين والصَّلاح والإصلاح، وهو يقوى بإسناده الأحاديث الصَّحاح؛ ومن له حق في بيت المال فليسمع دعوى مدعيه، ولا يصرف درهما ولا شيئا إلا بحق واضح فيما يثبت فيه، وهو وكيل مأمون في تأتية، [ومعنى الوكيل الذي يوكل إليه الأمر الذي يليه .

والوصايا كثيرة وأجلها تقوى الله بالسَّمْع والبصر واللسان، فمن تمسك بها من إنسان فإنه يفوز بالإحسان؛ وهو غني عن الوصايا بما فيه من البيان، والله يجعله في كلاءة الرحمن؛ بمنه وكرمه! . والخط الشريف أعلاه . . . ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوكالة بيت المال ونحوها بالافتتاح بـ «أما بعد» على قاعدة أصل الكتابة في قطع الثلث . والكاتب في ذلك على ما يراه بحسب ما يقتضيه الحال .

المرتبة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الدينية بطرابلس - من يكتب له
في قطع العادة ، مفتتحاً بـ «رسم»)

وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بوظيفة قراءة الحديث النبوي ، على قائله
أفضل الصلاة والسلام ، لمن أسمه « يحيى » يستضاء به في ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال رميم الفضل بأرواح عنايته يحيا ، وأحاديث مننه
الحسان تعيها أذن وأعية من طيب السماع لا تعيا ، ولا برحت أولياء خدمه تُثنى
على صدقاته بالسنة الأفلام ، وتدير على الأسماع من رحيقها كئوسا مسكية
الختام - أن يستقر في كذا استقرارا ترشف الأسماع ، كئوس روايتها فلا تروى ،
ورتب كماله يقصر عن طلوعها كل باع ، فمناواته لا تنوى ، ورُبوع معروفه لا تبيد ،
وآيات صلاحته ينطق بتلاوتها كل بليغ فيبدي ويعيد ، لأنه العالم الذي أحيا من
مدارس العلوم مدارس ، والفاضل الذي أضاء ببصر علمه ليل الجهل ولا غرو :
« فطرة الصبح تمحي آية الغلس » ، والكامل الذي لا يسوب كماله تقيصه ، والأمثل
الذي أنته المعالي رخيصة ، والإمام الذي تاتم وراءه الأفاضل ، وتأنر عصره ففاق
الاولئ ، مدارس إلا وجمع من فوائد « أبي حنيفة » و « ابن إدريس » ، ولا عرس
بليل الطلب إلا حمد عند إدراك طلبه ذلك التعريس ، ولا أعاد الدروس للطلبة
إلا وترشحت منه بالفوائد ، ولا جمع ما فصله العلماء إلا وأنى بالجمع الذي لا نظيره
في الفرائد .

(١) في الأصل : وقد مر وهو محريف واضح .

فليأشِرْ هذه الوظيفة مباشرةً أنوار هداها لا تَحْمَدُ ، وليُلازِمها ملازمةً تشكره
 عليها الألسنة وتَحْمَدُ ، وأنت - أدام الله تعالى فوائده - لا تحتاج إلى الوصايا إذ
 أنت بها عالم ، وبأسبابها متمسكٌ وبالقيام بها يقظٌ غير نائم ؛ لكن التقوى [أولى]
 من عرف الأمور ، ولبأس سوايغها يُعِدُّ كلَّ محذور ؛ والاعتماد على الخطِّ
 الشريف أعلاه .

الصنف الثالث

(من الوظائف بطرابلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -
 الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثالث بـ «المجلس السامي» بالياء ،
 وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السرِّ ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بـ «صاحب
 ديوان المكاتبات» .

وهذه نسخة توقيح من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأسرار عند الأحرار ، وطوى الصحف على حسنات
 الأبرار ، وأجرى الأقلام ترجماناً للأفكار ، وجعل الحفظة يكتبون الأعمال مع
 تطاول الأعمار ، آناء الليل وأطراف النهار ، وبسط المعاني أرواحا ، والألفاظ لها
 أشباحا ، مع التكرار ، وأبهج الصدور بصدور الكتب والإيراد والإصدار .

(١) في القاموس نحدت النار كنصر وسمع .

نحمده على فضله المذرار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إقرار ، وعمل بالحوارج بلا إنكار ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى من مضر بن نزار ، المخصوص بالمهاجرين والأنصار ، التأوي بأشرف بقعة تزار ، المشرف كتاب الوحي : فهم يكتبون بما يُمليه عليهم المختار ، وجبريل يُلقي على قلبه الآيات والأذكار ، عن رب العزة المسيل الأستار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما نفع روض معطار ، وسخ صوب أمطار ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن ملاك الملك الشريف حفظ سره ، والاحتفال بكتبه الشريفة ولفظها ودرة ، وخطابها ونثره ، وخطها ونشره ، وختمها وعطره ، وتجهيزها مع الأمان الثقات الذين تؤمن غائلة أحدهم في كل أمره ، وما ألقى السر الشريف إلا لأجل الأعيان ، وصدر الزمان ، وبلغ كسحبان ، وفصبح كقس في هذا الزمان ، وأصيل في الأنساب ، وعريق في كرم الأحساب ، وفاضل يعنوله فاضل بيسان ، وينشئ لفظه الدر والمرجان ، وكاتب السر فلا يفوه بلسان .

ولما كان فلان هو واسطة عقد الأفاضل ، ورأس الرؤساء الأماثل ، وحافظ السر في السويداء من قلبه ، وناظم الدر في سطور كتبه ، والمورد على مسامعنا الشريفة من عبارته ألقاظاً عذبا ، القائل صوابا ، والمجيد خطابا ، وإذا جهز مهماً شريفاً راعاه بعينه عوداً وذهاً ، وإذا استعطف القلوب النافرة عادت الأعداء احباباً ، وإذا أردد وأبرق على مازق أغنى عن الجيوش وأبدى عجباً عجاباً ، وإذا كتب أنبت في القرطاس رياضاً خصاباً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا . فليحل هذا المنصب الشريف حلول القمر هالته ، وليعد إليه أيام سره وسروره الفاتية ، وليعرب عن أصول ثابتته ،

وَفُرُوجٍ فِي مَنَابِتِ الْخَيْرِ نَابِتَةٍ ، وَلِيَنْفِذَ الْمَهْمَاتِ الشَّرِيفَةَ أَوَّلًا فَأَقُولَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْدِقَ
 مُهْمًا بغيره أَوْ يَبِيَّتَهُ إِلَى غَدِهِ ، وَلِيَجَرَّ الْبَرِيدَ الْمَنْصُورَ بِيَدَيْهِ غَيْرَ مُعْتَمِدٍ فِيهِ عَلَى غَيْرِ
 رَشِيدِهِ ، وَلَا يَغْبُ عَنْ وَظِيفَتِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ بَلْ يَكُونُ كَالنَّجْمِ فِي رَصَدِهِ لِمُرْتَصِدِهِ ،
 وَيُؤَوِّصُ كِتَابَ الْإِنشَاءِ لَدَيْهِ ، وَالْمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، بِكَيْفِ السَّرِّ فَإِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا
 أَقْبَضَ أَحَدًا مِنَ السَّرِّ كَلِمَةً ، فَلْيَرْجُرْهُ وَلْيَأْمُرْهُ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ ، وَيُعْطِ كُلَّ قَضِيَّةٍ
 مَا اسْتَحَقَّهَا مِنْ تَنْفِيذِ كَلِمَةٍ ، وَالْأَبْتِدَاءِ وَالْأَجْوِبَةَ فَلْتَكُنْ ثَغُورَهَا بِالْفَاظَةِ مُتَشَبِّهَةً
 وَعُقُودُهَا بِإِمْلَانِهِ مُنْتَظَمَةً ، فَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ فَهُوَ عَلَى اقْتِرَاحِهِ ، وَأَمَّا الْجَوَابُ فَهُوَ عَلَى
 مَا يَقْتَضِيهِ الْكِتَابُ الْوَاردُ بِاصْطِلَاحِهِ ، وَلَا يَمِيلُ إِلَّا إِلَى ثِقَاتِهِ وَنُصَاحِهِ ، وَالْكِتَابُ
 الْمُلُوكِيَّةِ فليُوفِّهِهَا مَقَاصِدَهَا ، وَلِيَرَاعِ عَوَائِدَهَا ، وَالتَّقْوَى فَهِيَ الْهَامُّ [مِنْ] أَمْرِهِ ، وَخِتَامُ
 عِطْرِهِ ، وَتَمَامُ بَدْرِهِ ، وَالْوَصَايَا فَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِ وَفِي صَدْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْمَلُ بِهِ
 أَوْقَاتَ عَصْرِهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! وَالخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ

ومنها - نظر الملكة ، القائمة بها مقام الوزارة .

وهذه نسخة توقيح من ذلك ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفِيضِ حُلَلِ الْإِنْعَامِ عَلَى مَنْ أَخْلَصَ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ،
 وَمَوْلَى فَضْلِ الْإِنْيَا الْعَمِيمَةِ عَلَى مَنْ أَرْهَفَ فِي مَصَالِحِهَا آلَةَ عَزْمِهِ وَبَنَانَهُ ، وَمَحَلِّ
 رُتَبِ عَلَيَانَا الشَّرِيفَةِ بَيْنَ أَشْرَقِ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي بَدْرِهِ وَإِنْسَانَهُ ، وَأَيْنَعَتْ فِي غُصُونِ
 الْأَمَانِ قُطُوفَهُ وَأَفْنَانَهُ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْلُغُ [بِهِ] أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ مَنْ تَبَسَّمَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ الثُّغُورِ ، وَتَعَتَّمَ بِجَمِيدِ
 خَبَرِهِ وَخَيْرِيَةِ الْأُمُورِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُشْرِقُ بِهَا

البُدر، ويعتمد عليها في الأيام والُدهور؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادى إلى الحق وإلى طريق مُستقيم، والنَّاشِرُ لواء العدل بسننه الواضح وشرعه القويم؛ وعلى آله وصحبه الذين أهدى بهم ذُور البصائر والأبصار، وأرشدى بأرديتهم المُعلّمة مقتضى الآثار من النُّظار، وسلّم تسليماً.

وبعد، فإنَّ أولى من أسندنا إلى نظره الجميل رُتبة عزٍّ ما زالت بُو الآمال عليها تحوم، وعدقنا بتدبيره الجميل منصب سيادة ما برحت الأمانى له تروم؛ واعتمدنا على هممه العلية فصَدَق الخُبر الخُبر، وركنا إلى حميد رأيه فشهد السمع له وأدى النَّظر.

ولما كان فلان هو الذى رقى في ذرورة هذه المعالى، وانتظم به عقد هذه الآلى، وحوى بقضيلة البيان واللسان ما لم تدركه المرهفات والعوالى؛ فما حل ذرورة عنز إلا حلاها بنظره الجميل، ولا رقى رتبة سيادة إلا وأسفر في ذروتها وجهه صبحه الجميل، ولا عدق بنظره كفالة رتبة إلا وكان لها خير كفيل.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال ينتضى للرتب العلية خير منجد ومغير، ويختار للناصب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يفوض إليه كذا فإنه القوى الأمين، والمتمسك من تقوى الله تعالى وكفائته بالسبب المتين، والمستند بجميل كفالتة وحميد ديانتة إلى حصن حصين، والمستدرى بأصالتة الطاهرة وإصابته إلى الجنة الواقعة والحرم الأمين.

فليقدم خيرة الله تعالى ويأشر الجهة المذكورة بعزم لا ينبو، وهممة لا تنجو، وتدبير يتضاعف على ممر الأيام ويربو؛ ونظر لا يعزب عن مباشرته مثقال ذرة إلا وهى من خاطره فى قرار مكين، وضبط لا تمتد إليه يد ملتمس إلا ويجد من مرهفه

ما يُكْتَفَى كَفَّهَا بِالْحَدِّ الْمَتِينِ . وَلِيُضَافَ هِمَّتَهُ ، فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي عَدَقْنَاهَا
نَظْرَهُ السَّعِيدِ ، وَلِيُؤَفِّرَ عَزَمَتَهُ ، فَإِنَّ الْحَازِمَ مِنَ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْوَصَايَا
كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يُدَلُّ عَلَيْهَا ، وَالتَّنْبِيهَاتُ وَاصِحَّةٌ وَهُوَ - وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَهْدَى مِنْ أَنْ
يُرْشَدَ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُصَاحِبُ بِجَمِيلِ تَدْبِيرِهِ وَحَمِيدِ تَأْتِيلِهِ كُلَّ
خَلَلٍ ، وَالْإِعْتِمَادَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - نظر الجيش بها :



وهذه نسخة توقيع بها لمن لقبه «شمس الدين» وهي :

الحمد لله الذي أطلع في سماء المعالي شمساً منيرة ، وأينع غروس أولي الصدارة
بِعَهَادِ سُحُبِ عَوَارِفِهِ الْغَزِيرَةِ ، وَأَبْدَعَ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ قَدَّمَهُ الْإِخْتِبَارُ وَالْأَخْتِيَارُ
عَلَى بَصِيرَةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى بَعْمِهِ الَّتِي عَمَّ فَضْلُهَا ، وَمَدَّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ظِلُّهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُزَلَّفُ لَدَيْهِ ، وَتُسَلِّفُ مَا يَجِدُهُ الْمَتَمَسِّكُ
بِهَا يَوْمَ الْعُرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْأُمَمِ
كَافَّةً ، وَأَكْرَمُ مَنْ غَدَتْ أَمْلَاكُ النَّصْرِ بَايَتَهُ حَافَّةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الشَّرْفَ ، وَفَازُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الْجَنَانِ بِعُرْفٍ مِنْ
فَوْقِهَا عُورَفٌ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا عَدِقَ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَحَقُّ مَا صَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْأَعْتِنَاءِ ،
وَأَجْدَرُ مَا أَوْقَطَ لَهُ طَرْفَ كَافٍ لَا يُلْمُ بِالْإِغْفَاءِ - أَمْرُ الْجَيْوشِ الْمَنْصُورَةِ بِطَرَابُلسِ

المحروسة التي لا ينهض بأعباء مصالحتها إلا من عُرف بالسداد في قلبه وكمه، وألف منه حُسن التصرف فيما يُسديه من نزاهته ويظهره من هممه؛ بخبرة مؤكده، وآراء مسدده؛ ومعرفة أوضاع ترتيبها وأحوالها، وقواعد مُقدميها وأبطالها، وكفاية تفتح رحاب حالها.

ولما كان فلان هو الصدر الملى بوافي الضبط ووافر الأهتمام، والكافي الذي نطقت بكفائته ألسنة الحرصان وأفواه الأقلام، والضابط الذي لا يعجز فهمه عن إحاطة العلم بدوى الآلام.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدم للراتب، كافيًا مشكورًا، ويرشح للمناصب، صدرًا أصحى بالأمانة مشهورًا - أن يفوض إليه كذا: لأنه الصدر الذي تراحمت ألسنة الثناء عليه، وترادفت بين أيدينا محامدُه فقرنا العوارف لديه؛ وشكرت عندنا هممه في سداد كل ما يباشره، وذُكرت لدينا بالخير سيرته وسرايره.

فليباشر هذه الوظيفة الجليلة متحليًا بين الأنام بعقودها، مُطلعًا شمس نزاهته في فلك سُعودها؛ ناهضًا بأعباء منصبه السعيد، ضابطًا قواعده بكل تحرير تليد؛ متقنًا ديوان الجيوش المنصورة، مُعملاً في ملاحظتها نافذ البصر وحسن البصيرة؛ مُحررًا أوراق العدة والعدده، باذلاً في ضبط الحلل أهتمامه وجهده؛ والله تعالى يسعد جدّه، ويجدد سعده؛ والخط الشريف أعلاه ... إن شاء الله تعالى.

قلت: وربما كُتب مفتتحًا في هذه الرتبة بـ«أما بعد» فإنها أصل ما يكتب في قطع الثلث.

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب الوظائف الديوانية بطرابلس - من يكتب له في قطع
العادة بـ «مجلس القاضي»)

وهو قليل الوقوع . والغالب في ذلك أن يكتب عن نائب السلطنة بها .

وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بكتابة الدست بطرابلس ، يقاس عليه ما عداه

من ذلك ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لزال أمره الشريف ، يزيد من يصطفيه شرفاً ، ويره
المنيف ، يفيد من يجتبه تحفاً ، وخيره المطيف ، يجيد لمن يختاره جوداً ، ويسر قلب
من رفعه إلى صدر الدست صعوداً ، فيبوءه من جنات العلاء عرفاً - أن يستقر
في كذا : استقرراً تجتني منه ثمار الخيرات ، وتجلي عليه عروس المسرات ؛ لأنه
الرئيس الذي تفتخر هذه الوظيفة بانتسابها إليه ، وتتمل حلها وألويتها إذا نشرت
عليه ؛ والفاضل الذي ألفت إليه البلاغة زمامها ، والكامل الذي ملك بيانها ونظامها ؛
والأديب الذي لا يدرك في الآداب ، واللبيب الذي يقصر عنه طول عامة الطلاب ؛
ثم له من كتابة حسنة الأساق ، وبلاغة حصل على فضلها الاتفاق ، وديانة أطلق
فيها لسانه ويده فشكرها الناس على الإطلاق ؛ فهو مستند الرأسه ، وابن من حاز
كل نغار ورأسه ؛ والعلم المشهور علمه ، وصاحب القلم المشكور رفته ؛ فالمناصب
بارتفاعه إليها مفتخره ، والمراتب بعلاؤه مستبشره ؛ والأسماع بفضائله مشتهه ،
والأشجاع بكلمه مشرفه .

فليباشر هذه الوظيفة ، وليسلك فيها طريق نفسه العفيفة ؛ وليدبج القصص
بأفلامه ، وليبهج التواقيع بما يوقع مبرم فصيح كلامه ؛ وليزين الطروس ، بكتابه ،

وَلِيُنْعِشَ النَّفْسَ ، بِبَلَاغَتِهِ ، وَلِيَجْمَلَ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ مَا تُصْبِحُ مِنْهُ مَطَالَعُ شَرَفِهِ
مُنِيرِهِ ، وَتُحْسَى بِهِ عَيْنُ حُبِّهِ قَرِيرِهِ ، وَالْوَصَايَا فَهِيَ خَطِيبُ مَنَبَرِهَا ، وَلِيَبُ مَوْرِدِهَا
وَمَصْدَرِهَا ، وَالتَّقْوَى فَيَلِازِمُ فِيهَا شِعَارَهُ ، وَلِيَدَاوِمَ بِهَا عَلِيٌّ مَا يَبْلُغُ بِهِ أَوْطَارَهُ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَجْعَلُ سُعُودَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي آزْدِيَادٍ ، وَيَسْهَلُ لَهُ مَا يَرْفَعُ ذِكْرَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، بِمَنْنِهِ
وَكَرَمِهِ ! . وَالْإِعْتَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الوظائف بطرابلس - ما هو خارج عن حاضرتها ،

وهم عليّ ثلاثة أصناف أيضا)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وقد تقدّم أنّه ليس بها مقدّم ألف سوى نائب السلطنة بها ، وحينئذ فالنيابات

بمعاملتها عليّ طبقتين :

الطبقة الأولى

(الطَّبَلْخَانَاةُ)

وَمَرَّاسِيهِمْ تُكْتَبُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِ«السَّامِيِّ» بِالْيَاءِ ، مَفْتَحَةً بِ«الْحَمْدِ لِلَّهِ» .

وهذه نسخة مرسوم شريف من ذلك بناية قلعة ، تصلح لنائب الأذقية ،

يُنْسَجُ عَلَيَّ مِنْوَالِهَا ، وَهِيَ :

الحمد لله الذي جعل الحصون الإسلامية في أيامنا الزاهرة ، مصفحةً بالصّباح ،
والثغور المصونة في دولتنا القاهرة ، مشرفةً بأسنّة الرّماح ، والمعاقل المحروسةً مخصوصةً
من أوليائنا بمن يعدُّ بأسه لها أوقى الجنّ وذبه عنها أقوى السّلاح .

نحمده على نعمة التي عوارفها عميمه ، وطوارفها كالتالدة للزّيد مُستدّيمه ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق الضمائر قبل الألسنة بإخلاصها ،
وتُشرق القلوب بعموم إحاطتها بها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي
أشرفت بنور ملته الظلم ، وآرتوت بفور شريعته الأمم ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين أمتطوا إلى جهاد أعداء الله وأعدائه غارب الهمم ، صلاةً ساريةً
كالرياح هاميةً كالديم ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما عقد عليه في صيانة الحصون الخناصر ، وأعتمد على مثله
في كفاية المعاقل إذا لم يكن غير تأييد الله وحد السّيف ناصر - من هو في حفظ
ما يليه كالصدور التي تصون الأسرار ، والكائم التي تحوط الثمار ، مع اليقظة التي تدود
الطيف أن يلمّ بحماة حماه ، والفطنة التي تصدّ الفكر أن يتخيل فيه ما أشتمل عليه
وحواه ، والأمانة التي ينوي فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا
الشريفة ولكل أمرئ ما نواه .

ولما كان فلان هو السيف الذي تروق تجرّبته ويروع تجريده ، وإذا ورد
في الوغى منهل حرب فشرعه من كل كبي وریده - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نرهف
حدّه بحفظ أسنى الحصون عندنا مكاناً ومكانه ، وأسمى المعاقل رفعةً وعزّةً وصيانته .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه النيابة بقلعة كذا .

فليباشر هذه النياية السامى قدرها ، الكامل فى أفق الرتب بدرها ، مباشرة تصد
الأفكار ، عن توهيمها ، والأبصار ، عن توشيمها ، والخواطر ، عن تحييل مغناها ،
والسرائر ، عن تمثيل صورتها ومعناها .

وليكن لمصالحها متمما ، ولنجوى رجالها متصفحا ، ولأعدار حماها مزيحا ،
ولخواطر من أسباب كفايتها مزيحا ، ولمواطنها عامرا ، وبما قل وجل من
مصالحها آمرا ، ولوظائفها مقيما ، وللنظر فى الكبير والصغير من أمورها مديما ،
ولخدمتها مضاعفا ، ولكل ما يتعين الاحتفال به من مهماتها واقفا ، وملاك الوصايا
تقوى الله : وهى أول ما يقدمه بين يديه ، وأولى ما ينبغى أن يصرّف نظره إليه ،
فليجعل ذلك خلق نفسه ، ومزينة يومه على أمسه ، والخير يكون . والخط الشريف
أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(العشرات)

ومراسيمهم إن كتبت من الأبواب السلطانية فى قطع الثلث بـ «السامى» بغير
ياء ، مفتوحة بـ «أما بعد» إلا أن الغالب كتابتها عن نائب السلطنة .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة بلاطنس ، من معاملتها وهى :

أما بعد حمد الله على نعيم توالى رفدنا ، ووجب شكرها وحمدها ، وعذب لذوى
الآمال وردنا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى رفع به لقرئش مجدها ،
فعلا جدها ، وعلى آله وصحبه صلاة لا يحصى عددها ولا يحصر حدها - فإنه لما كان
فلان ممن قدمت تقادم خدمه ، وتعالى به إلى العلياء سامى هممه ، وترفع به حسن

ولأنه حتى أعلت الدولة من شأنه ورفعت من علمه ؛ وأستكفته لمصون الحصون ،
وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فأضحت نصره الغصون ؛ وكانت قلعة
فلانة هي القلعة التي شمخت بأنفها على القلاع علواً ، وسامت الجوزاء سُمواً ؛ فوجب
أن لا يستحفظ عليها وفيها ، إلا من عرف بحسن المحافظة وتوفيقها ؛ وكان المشار
إليه هو عين هذه الأوصاف ، والوارد من حُسن الطاعة المورد الصاف - أقتضى
حسن الرأي الشريف أن ننوه بذكره ، ونرفع من قدره .

ولذلك رسم ... - لا زال ... أن تفوض إليه النيابة بهذه القلعة المحروسة ،
وأن تكون بأوائس صفاته مأنوسه .

فليكن فيما أستحفظ كفواً ، وليورد الرعية من حُسن السيرة صفواً ، وإذا
تعارض حكم الانتقام وكان الذنب دون الحد فليقدم عفواً . وعليه بالعدل ، فإنه
زمام الفصل ، والقلعة ورجالها ، وذخايرها وأموالها ، فليمنع النظر في ذلك بكرة
وأصيلاً ، وإجمالاً وتفصيلاً ، وتخصيماً وتخصيلاً . وعليه بالتمسك بالشريعة المطهرة ،
وأحكامها المحررة ؛ وليردع أهل الفساد ، ويقابل من ظهر منه العناد ، بما يؤمن
المنهج ، ويجدد المباحج ؛ والوصايا كثيرة ، فليكن مما ذكر على بصيره ؛ أعانه الله على
ما أولاه ، ورعاه فيما أسترعاه ؛ وانلحظ الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ والخير يكون
إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة طرابؤس - الوظائف الدينية ،)

والغالب كتابتها عن نائب السلطنة بطرابؤس . فإن كتب شيء منها عن الأبواب
السلطانية ، كان في قطع العادة «يجلس القاضي» مفتتحاً بـ«رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك بنظر وقف على جامع بمعاملة طرابلس، كتب به لمن لقبه «زين الدين» وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال كريم نظره يستنيب عنه بمصالح بيوت الله تعالى من ترداد بنظره شرفاً وزينا، ويعين لها من الأعيان من تسر به خاطراً وتقر به عينا، ويمتحها من إذا باراه مبار ووجد بينهما بونا وبيننا، ويقرر لها كل كاف إذا فاه راء بوصف آرائه المموحة عين صوابها ولا يجد عليها عينا - أن يستقر بالنظر على كذا : استقراراً يرى الوقف بنظره على ربه طلاوه، ويجد مباشرة في صحته حلاوه، ويعرب عن استمراره على حسن الشاء، ويجد من نيل ربه أكل وفاء، لأنه الناظر الذي لا يمل إنسانه، من حسن النظر، ولا يكل لسانه، عن الأمر بالمصالح ولفظه عن إلقاء الدرر، والشريف الذي وجدت محابيل شرفه من فضل خلاله، والجواد الحائز بجوده قصب السبق على أمثاله، والكامل الذي لا توجد في صفاته تقيصه، والفاضل الذي أنته الفضائل على رعمها رخصه .

فليباشر هذا النظر مباشرة ما تكحل ناظره فيها بالوسن، وليقابلها من جميل سلوكه بكل وجه حسن، وليبدأ أوقاف الجامع المذكور بالعارة، وليقطع بمدية أمانته يد من يشن على ماله الغاره، وليأمر أرباب وظائفه باللزوم، وليخصص كلاً منهم من فضله بالعموم، وليتق الله تعالى في القول والعمل، وليجتهد على أن لا يتخلل مباشرته الخلل، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة طرابُلس - أرباب الوظائف الديوانية)

وقل أن يُكتب فيها شيء عن الأبواب الشريفة السلطانية، وأنَّ الغالب كتابة ما يكتب فيها من نائب السلطنة بطرابُلس . فإن اتفق كتابة شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية ، مَشَى الكاتب فيه على نهج ما تقدم في الوظائف الدينية : من كتابته في قطع العادة بـ «مجلس القاضي» مفتتحاً بـ «رسم» لا يختلف الحال منه في ذلك إلا في الفرق بين التعلقات الدينية والديوانية . والكاتب الماهر يصرف قلمه في ذلك وفي كل ما يحدث من غيره على وفق ما تقتضيه الحال ، وبالله المستعان .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة . ووظائفها التي تُكتب بها من الأبواب السلطانية ،

ما بحاضرتها خاصة ، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة . ويكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد بنبابة حماة :

الحمد لله ذي التدبير اللطيف ، والعون المطيف ، والحياطة التي تستوعب كل تصرف وكل تكليف .

نحمده بحماد جميلة التفويف ، حسنة التأليف ، مكملة التكيف ، بريّة من
 الطّيفيف ، حرّية بكلّ شكرٍ منيف ، وذكري شريف ، ونشهد أنّ لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له شهادةً خلص تحريرها عن كلّ تحريف ، وتزّه مقالها عن تسويد
 تنفيذ أو تسويق ، ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صاحب الدين الحنيف ،
 والمبعوث بالرحمة والتّخفيف ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً متناوبةً تتأوب
 الصّيرير والصّريف ، والشّفاء والمصيف ، وسلّم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنّ من شيم الدولة وسجاياها ، وأحكامها وقضاياها ، تقديم الأهمّ فالأهمّ ،
 وتحتيم الأهمّ من الرأى وتحكيم التدبير الأعمّ ، وفعل كلّ ما يحوط المالك ويحفظها ،
 ويذكرى العيون لملاحظتها ويوقظها : لما أوجبه الله من حقوقها ، وحظّره من
 عُقوقها ، ولا يكون ذلك إلا باختيار الأولياء لضبطها ، والتّعويل على الأملاء بالقيام
 بشرطها ، والاستناد من الرّعماء إلى من يوقّ من الخراجة والعيون وآفى قسطها .

ولما كانت المملكة الحمويّة جديرةً بالالتفات ، حقيقةً بالحياطة من جميع الجهات ،
 مُستدعيةً من جميل النظر كلّ ما يحرس ربّعا ، ويديم نفعها ، ويحفل ضرعها ،
 ويلم شعنها ويسعب صدعها ، ويسرّ سمعها ، ويفعم شرعها ، ويعظم شرعها ،
 ويكتنفها آكتناف السور والسوار ، والهالة للبدر والأكمام للثمار ، وكان فلان هو
 المنتشع سحاب هذا الوصف عن بدره المنير ، والمتقلع ضباب هذا التفويض عن نور
 شمسه المنعشة قوى كلّ نبت نضير ، والذي بأهليته لرتبة هذا التفويض ما خاب
 المستخير ، ولا ندم المستشير ، والذي يفردّه استحقاقه بهذه الرتبة فلا يقول أحد من
 كبير ولا صغيرٍ أمثالاً للرّاسيم الشريفة في حقّه : « منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ » - آقتضى

(١) فى القاموس "رجل خراج ولاج كثير الظرف والاحتبال" ولعله المراد هنا .

جميل الرأي المنيف ، أن خرج الأمر الشريف - لا برح يُحسِن التَّعْوِيل ، ويَهْدِي إلى سواء السبيل ، ويمضى مضاء القضاء المنزَّل والسيف الصَّقِيل - أن تقوِّض إليه نيابة السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا .

فليقدِّم خيرة الله قائلاً وفاعلاً ، ومُقيماً وراحلاً ، ومُوجِّهاً ومواجهاً ومُسَجِّلاً وساجلاً ، وعالمياً وعاملاً ، ومعتمداً على الله في أمره كله . وليكن من هذه المعرفة قريباً ، وعلى كلِّ شيءٍ حتَّى 'على' نفسه رقيباً ، وإذا اتقى الله كفاه الله الناس ، وإن اتقى الناس لم يغنوا عنه من الله شيئاً فليقس على هذا القياس ، ويقتبس هذا الاقتباس .

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم غلب الظفر وظفره ، وبهم يُكشَف من كل عدوِّ سره ، ويُنحَى وطنه ووكره ، ويضربُ زيده وعمره ، ويبددُ جمعه ، ويُساء صنعه ، ويعمى بصره ويصمُّ سمعه ، وهم أسوارُ تجاه الأسوار ، وأمواجُ تندفع وتندفق أعظم من أندفاق البحار ، وما منهم إلا من هو عندنا من المصطفيين الأخيار ، فأحسِن استجلابِ خواطرهم ، واستخلابِ بواطنهم وسرائرهم ، واستخلابِ الشائع من طاعتهم في مواردِهِم ومصادِرِهِم ، وكن عليهم شفوفاً ، وبهم في غير الطاعة والاستعباد رفوفاً ، وأوجب لهم بالجهاد والاجتهاد حقوقاً ، وأصرف لهم حملاً لأعباء المهام والمهمات مطبقاً ، واستشر منهم ذوى الرأي المصيب ، ومن أحسن التجريب ، ومن تتحقَّق منه النصح من الكهول والشيب ، ممن كلال بغيرة منه ما شبَّ فإنَّ المرء كثير بأخيه ، وإذا اجتمعت عُصونٌ في يدٍ أيدَّ عست^(٢) على قصفه وقصف كلِّ واحدة فواحدة لا يعنيه .

(١) في الأصل "السامع مع من" الخ وهو تحريف كما لا يخفى .

(٢) في اللسان "عسى القضيبي يس" . وهو مناسب للقام .

(١) والجهادُ فهو ملائِكُ كلِّ استِحْواءٍ واستِحْواءٍ ، وبه تميّزُ أفعال الكُفَّار بالنَّفادِ
وأفعالُ الدِّين الحنيف بالنَّفادِ ؛ وما جعل اللهُ للدافِعِين عن دِينِ اللهِ سِوَاهُ ، ولا مُزجِي
صَوْبِ صِوَابٍ ، إلا إِيَّاهُ ؛ وعلى ذلك جعل اللهُ أرزاقَهُمْ ، وهباً لهم به إِرْفاقَهُمْ ؛
فليكرِمَهُمْ بأخذِ الأُهبَةِ ، في الاعتلاءِ والأنصِبِ ؛ في كلِّ هَضْبَةٍ ، والأستعدادِ رِباطِ
الْحَيْلِ وكلِّ قُوَّةٍ .

ومن الوصايا التي ينبغي أنها ترسَمُ في جبهاتِ الفِكرِ [دونِ تِوانٍ] أَوْ كُونٍ ؛ أن
لا يَسْتَحْقِرَ عَدُوًّا ، ولا يَسْتَهْزِئَ بِقَلْبِهِ لا رِوَاحًا ولا عُدُوًّا ، وليَكُنْ للاسْتِظْهَارِ مُسْتَوْعِبًا ،
ولِإِعْمَالِ المِكايدِ مُسْتَوْشِبًا ، ولِلْكَشْفِ بَعْدَ الكَشْفِ مُسْتَصْحِبًا ؛ وغير ذلك من
الأمورِ ، التي بها صلاحُ الجُمهورِ .

والشَّرعُ الشَّرِيفُ وتنفيذُ أَحكامِهِ ، وتَقْوِيَةُ أيدي حُكَمائِهِ ؛ فهو ميزانُ الإسلامِ
والسَّلامَةِ ، وقِوَامُ الصَّلاحِ والأسْتِقامَةِ ، وأخُوهُ المُرتَضِعُ من ثَدْيِ الحَقِّ ، العَسَدُ
الذي كَمَّ شاقٌّ وكَثِيراً ما دَلَى أَهْلَ الباطلِ شَقٌّ ؛ وعمَّ القَريبَ والبَعِيدَ ، والسَّائِقِ
والسَّهِيدِ ، والمُريدِ والمُريدِ ، وكلِّ ذِي ضَعْفٍ مُبِيدٍ ، وكلِّ ذِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وكلِّ
مُسْتَشِيرٍ ومُسْتَرِيدٍ ؛ فإنَّ ذلكَ إذا شَمِلَ حاطَ ، وتمَّ به الأرتِبادُ والأرتِباطُ ، وهَدَى
إلى أَقْوَمِ صِراطٍ .

والحدودُ فهي حياةُ النَمُوسِ ، وبها تَزَالُ البُوسُ ؛ فأقْمِها ما لم تُدْرَأْ بالشُّبُهاتِ
الشَّرِيعَةِ ، والأُمُورِ المَرَعِيَّةِ .

والأموالُ فهي مَجَلِبَةُ الرِّجالِ ، ومَحَلِبَةُ الأَمالِ ؛ وبها يُنْسَدُ الأُزْرُ ، وَيَقْوَى
الاسْتِظْهَارُ [و] الظَّهْرُ ، فيسُدُّ من الذين أمرها بهم معدوق ، ويقوى أيديهم بكلِّ
طريقٍ في كلِّ طُرُوقٍ ، بحيث لا يُؤخَذُ إلا الحقُّ ولا يتركُ شَيْءٌ من الحقوقِ .

(١) في الأصل "والاجتهاد" وهو غلط .

والرعية فهم عند والي الأمر ودائع: ينبغي أنها تكون محفوظة، وبعين الاعتناء
مأخوطة؛ فأحسن جوارهم، وأزل نفارهم، وأكف عنهم مضارهم، ولا تعاملهم
إلا بما لا تسأل عنه غداً بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم، وأعد جواباً لذلك
فكل راع مسئول.

وأما غير ذلك فلا بد أن تطلعك المباشرة على خفايا تغنيك عن المؤامره، وستتوالى
إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتب الواردة والصادرة، والله يوفقك في كل
منهج تسلكه وتقتضيه، ويسدّدك فيما من ذلك تنتجيه.

قلت: أما سائر أرباب الوظائف بها: كشدّ الدواوين، وشدّ مراكر البريد
وغيرهما، فقد جرت العادة أن النائب يستقل بتوليتهما. فإن قدر كتابة شيء من ذلك
لأحد بها، كتب لمن يكون طبليخانه في قطع النصف بـ«السامي» بغيرياء، ولن
يكون عشرة في قطع الثلث بـ«مجلس الأمير» كما في غيرها.

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية، وهم على مرتبتين)

المرتبة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث بـ«السامي بالياء». وهم قضاة
القضاة الأربعة.

المرتبة الثانية — من يكتب له في قطع العادة: إما في المنصوري، مفتتحاً
بـ«أما بعد» وإما في الصغير مفتتحاً بـ«رسم». وعلى ذلك تكتب توابع قضاة
العسكر بها، ومفتي دار العدل، والمحتسب، ووكيل بيت المال، ووظائف

التدريس والتصدير، ونظر^(١) إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية،
وإلا فالغالب كتابة ذلك عن النائب بها.^(٢)

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد)

قد تقدم في الكلام على المكاتب أنها في رتبة نيابة طرابلُس وحماة في المكاتب،
وأنها تُذكر بعد حماة في المطلقات .

وظائفها التي تولي من الأبواب السلطانية على ثلاثة أصناف .

الصف الأول

(أرباب السيوف ، وفيه وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(نيابة السلطنة بها ، ويكتب تقليده في قطع الثلثين)

وهذه نسخة تقليد بنيابة السلطنة بصَفَد ، كُتِبَ به لسيف الدين «قطلتمش»
السلحدار الناصري ، في سابع رمضان سنة عشر وسبعائة ، من إنشاء الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي صان الثغور المحروسة من أوليائنا بسيف لا تنبو مضاربه ، وخص
أسنى الممالك المصونة من أصفينائنا بعصب لا يقل غربه محاربه ، وقدم على زعامة

(١) بياض بالأصل ولعله الأحياس .

(٢) ترك الكلام على الصف الثالث وهم أرباب الوظائف الديوانية كما يؤخذ من نظائره السابقة واللاحقة .

الجيش من خواصنا لئلا يسكن إليه كل أسد من أسد ذائلة^(١) تغالبه ، حافظ نطاق البحر من أبطال دولتنا بكل كمي تصد البحر مهابته أن يستقل برا كبه أو تستقر على ظهره مرا كبه ، وناشر لواء عدلنا في أقاليمنا بما يعني كل قطر [عن] أن تتدفق جداوله أو تستهل به سخائبه .

نحمده على نعمه التي جعلت سيف الجهاد رائد أوامرنا ، وقائد جيوشنا إلى مواقف النصر وعساكرنا ، وذائد أعداء الملة عن أطراف ممالكنا التي أسبق إليها من رجح النفس في الدجى تألق نجوم ذوابلنا ، وفي الضحى تبهج غرر صوارمنا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستظل الإيمان ، تحت لوائها ، وتعبق الأكوان ، بما تنطق به الألسنة من أروائها ، ويشرق الوجود بما يسدو على الوجوه من روائها ، وتجادل أعداءها في الآفاق لرفع كلمة ملتها على الملل وإعلائها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم الأنبياء ، وأشرف حملة الأنبياء ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المخصوصين بأسمى مراتب الاجتباء ، صلاة دائمة بدوام الأرض والسماء ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من فوضت إليه زعامة الجيوش بأسمى الممالك ، وعُدق به من تقدم العساكر ما يرجف بمهابته هناك أرض العدو هنالك ؛ وعقد به للرعايا لواء عدل تجلأ بإشراق ليل الظلم الحالك ، وعول عليه من جميل السيرة فيما تعمم به البلاد وتأمم به الرعايا وتطمئن به المسالك - من لم يزل في خدمة الدولة القاهرة سيفا ترهب العدا حده ، ويخاف أهل الكفر فتكاته تحققا أن آجالهم عنده ، ويتوقع كل كمي من عطاء الشرك أن رأسه سيكون غمده ؛ مع سياسة تشمل على الرعايا

(١) ذائلة طويلة الذيلة .

(٢) حق التركيب « وحفظ عطا على صان » ... ونشر لواء .

ظلالها الممتدة، وسيرة تضع الأشياء مواضعها فلا تضع الحدة موضع اللين ولا اللين موضع الحدة؛ وتوفّر على عمارة البلاد يعين على ريبها طلّ الأنواء والوايل، وبراءة تجعل ما يودع فيها بالبركة والنماء: (كمثل حية أنبتت سبع سنابل).

ولما كان الجناب العالى هو السيف الذى على عاتق الدولة نجاده، والليث الذى لم يزل فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والغيث الذى يُحصبُ بمعدّته البلد الساحل، والأسد الذى تصدّ ساكنى البحر مهايته فيتحققون أن العطب لا السلامة فى الساحل - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيد حدّ عزمه إرهافا، وأن نرهب العدا بآسه الذى يردّ آحاد ما تقدّم عليه من الجيوش آلافا، وأن نفوض إليه من أمور رعايانا ما إذا أسند إليه يؤسّسهم عدلا وإنصافا.

فذلك رسم بالأمر الشريف: أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة: تفويضا يعلى قدره، ويمضى فى عموم مصالحها وخصوصها نهيه وأمره، ويُرهب فى حفظ سواحلها وموانئها بيضه وشمّره، ويضلي مجاورها من ساكنى الماء من بآسه المتوقّد بجمره.

فليتلق هذه النعمة بباع شكره المديد، ويترقّ هذه المرتبة بمزية اعترامه التى ليس عليها فيما يعدّ به من مصالح الإسلام مزيد؛ وينشر بها من عموم معدّته ما لا يحصّ دون قوم قوما، ويعمر بلادها بالعدل: فإن «عدل يوم واحد خير للرّض من أن تمطر أربعين يوما»؛ ويسطّ فيها من مهايته ما يكفّ أكفّ البغاة أن تمتد، ويمنع رخاء أهوية أهلها أن تشتدّ؛ ويؤمن المسالك أن تخاف، والرعايا أن يجار عليهم أو يخاف؛ وليكن من فى تقدّمته من الجيوش المنصورة مكملّى العدد والعدد،

(١) فى الأصل "رعايا أسند إليه ما" الخ وهو خط من النسخ.

ظَاهِرِي اللَّامِيَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَجَالِدَةِ وَعَوْنُ الْجِلْدِ ؛ مُزَاحِي الْأَعْدَارِ فِيمَا يُرْسَمُ لَهُمْ بِهِ مِنْ
الرُّكُوبِ ، مُزَالِي الْعَوَائِقِ فِي التَّأَهُبِ لِمَا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنَ الْوُثُوبِ ؛ حَافِظِي مَرَآكِرِهِمْ
حَفِظَ الْعِيُونَ بِأَهْدَائِيهَا ، آخِذِي أَخْبَارَ مَا يَشْغُلُ الْبَحْرَ مِنْ قِطْعِ الْعِدَا فِي حَالِ بُعْدِهَا
كحَالِ اقْتِرَابِهَا ؛ بِحَيْثُ لَا يُشْرِفُ عَلَى الْبَرِّ مِنْ قِطْعِ الْمَخْدُولِينَ إِلَّا أُسِيرَ أَوْ كَسِيرٌ ،
أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّوَاوِحِلِ يَتَقَلَّبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَلِيَكُنَّ
أَهْلُ الْجِبَالِ بِمَهَابَتِهِ كَأَنَّ [هَلْ أَلَسَّهَلُ فِي حُسْنِ أَنْقِيَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ ، وَيَصَدَّ عَنْهُمْ
بَسْطُوتِهِ بِجَمَالِ الْأَوْهَامِ الْمُتَّصِلَةِ فَلَا تَتَصَرَّفُ إِلَى غَيْرِ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَوَاقِعُ بِأَسْمِهِمْ
وَسِبْجَاتِهِمْ ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ : وَهِيَ مِنْ أَحْصَى أَوْصَافِهِ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَهُمَا مِنْ نَتَائِجِ إِنْصَافِهِ ؛ فَلْيَجْعَلْهُمَا عِمْدَتِي حُكْمَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ فَعَلَ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثانية

(نِيَابَةُ قَلْعَةِ صَفَد)

وهذه نسخة مرسومة شريف بنياية قلعة صفد المحروسة ، من إنشاء المقر الشهابي
أبن فضل الله ، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ «أَزَاقِ النَّاصِرِي» خَامِسَ الْحَرَمِ سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ الْحِصُونَ بِرِفْعَةٍ دُرَاهَا ، وَتَمَعَّةٍ مِنْ فِيهَا مِنْ رِجَالٍ تَحْمِي
أَهَا ، وَتَحْطَفُ أَبْصَارَ السِّيُوفِ بَسَنَاهَا ، وَتُصِيبُ بِرَمِيهَا حَتَّى قَوْسٌ قُزَحَ إِذَا رَامَاهَا .
نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَبَرُّزُ بِهِ الْمَعَاوِلُ فِي حِلَالِهَا ، وَتَفْخَرُ بِهِ عَقَائِلُ الْقِلَاعِ عَلَى سَوَاهَا ؛
وَتَشْرَفُ بِهِ شُرَفَاتُهَا حَتَّى تَجْرِي الْمَجْرَةُ فِي رُبَاهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَطِيبُ جَنَاهَا ، وَيَطْنِبُ فِي السَّمَاءِ هُرَّتَقَاهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا

مجداً عبده ورسوله الذي كتب به للأمم هداها ، وكبت عداها ، وبوأها مقاعد
 للقتال تقصر دونهما النجوم في سراها ، صلى الله عليه على آله وصحبه صلاة لا ينقطع
 عنهم قرأها ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن صفد صفت ، ووقت ووقت ، وكفت وكفت ، وجاورت البحر
 فما غمضت عنه لدايديها عيون ، ولا خيطة لسيوفها بالكرى جفون ، ولا وئت
 لرماحها عزائم شابت لممها ، ولا أنتشت من السهام نبال تفيض ديمها ، ولا أطالت
 مجانيقها السكوت إلا لتهدر شقاشقها ، وتهد بها من الجبال شواهدقها ، وتهول العدا
 بما تريهم من التهويل ، وترمي به من كفاتها الحجارة من سجيل .

وهي القلعة التي يضرب المثل بحصانتها ، ويطمئن [أهل] الإسلام في إيداع
 أموالهم وأهلهم إلى أمانتها ، قد أطلت على الكواكب نزولا ، وجردت على منطقة
 بروجها من البروق نصولا ، وأتعبت الرياح لما حلققت إليها ، وأخافت الهلال حتى
 وقف رقيباً عليها ، وفيها من جنودنا المؤيدة من يزيدهم بها مددا ، وتطيب قلوبهم
 إذا خرجوا لجهاد أعداء الله وخلوا لهم فيها مالا وولدا . وكانت النيابة بهذه القلعة
 المحروسة قد كادت تنطق بشكواها ، وتتظلم ممن أساء صحتها لما تولأها ، وأقنضت
 آراؤنا العالية أن نزعزح ظلامه ، عن صباحها ، ونقوض خيامه ، عما فرش على القلک
 الشاهقة من بطاحها ، وفكرنا فيمن له بالقلاع المحروسة دربة لا يخفى عليه بها سلوك ،
 ولا يخاف معه على هذه الدرّة الثمينة في سلوك ، ممن حمد في دولتنا الشريفة مساء
 صباح ، ومن كان في أبوابنا العالية هو الفتاح ، ومن له همه تناط بالثريا مطالها ،
 وعزومة ما القضاء إلا قواضبها ، ومعرفة ما الریح المثقف إلا تجارها ، وكفاية ما الغر
 الزواهر إذا عددت إلا مناقبها .

وكان المجلس السامى - أدام الله عزّه - هو المحقق إلى هذه المرتبة، والمحقق بالأصيل أزديتها المذهب، والمحقق في صفاته الورع، والمنزه عن تدنيس طباعه بالطمع، وله في الأمانة اليد المشكورة، وفي الصيانة ما يمتنع به ذبول السحاب الجروره، ومن التقوى ما قرب عليه المطالب الباطية، ومن الفروسية ما اتخذ كل ذروة صهوة وكل جبل مطية، ومن الاستحقاق ما يسهل له من صدقاتنا الشريفة صفد: وفي اللغة أن الصفد هو العطيّة.

فرسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه، وأحكمه وحكمه - أن يرتب في النيابة بقلعة صفد المحروسة: على عادة من تقدم وقاعدته في التقرير، وأما كيف يكون اعتماد، فسنرشد منه بصبح منير.

فقدم تقوى الله في سرك وجواك، وأقصر على القناعة رجواك، وأحفظ هذه القلعة من طوارق الليل والنهار، وأعد من قبلك للقتال في قرى محصنة أو من وراء جدار، وأملأ سماءك حرصاً شديداً، وشهباً وكثر رجالتها لتبارى بهم النجوم في أمثالها من بروج السماء عديداً، وخذ إلى طاعتنا الشريفة بقلوبهم وهم على ذلك ولكنا نريد أن نزيدهم توكيدا، وتالفهم على موالاتنا حتى لا تجد أنت ولاهم إلى المزيد مزيدا، وتفقد الذخائر والآلات، وتيقظ لما تلجئ إليه الضائقة في أوسع الأوقات، وحصن مبانيها، وحصن فيها من الذخائر فوق ما يكفيها، ومن السلاح ما هو أمتع من أسوارها، وأنفع في أوقات الحاجة مما تكثره الخزائن من درهمها ودينارها، من مجانيق كالعقارب شائلة أذنانها، دافعة في صدر الخطب إذا نابها، ترمي بشرر كالقصر، وتنزل من السماء آيات النصر، ومن قسي: منها ما تدافع بالأرجل مرامي

(١) مراده واقصر رجاءك على القناعة ولكن اضطره السجع فاستعمل مصدرا للرجاء ليس فيما بأيدينا من كتب اللغة فتنه.

سهامه ، ومنها ما تدور بالأیدی كأس حمامه ؛ ومنها ما يسكت إذا أطلق حتى لا يسمع
كلام كلامه ، ومنها ما يترتم إذا غنى بالحمام صوت حمامه ؛ و [من] ستائر يستر بها
وجها المصون ، ومنها يشاهد منها أقرب من يكون أبعد ما يكون ؛ و رهيبة تجلي بها
في كل ليلة عروسها المنع ، و دراجة تحاط بهم من جهاتها الست و حدودها الأربعة ؛
و أقر نوب الحمام الرسائل فيها تسقط علينا و عليك الأخبار ، و يطوى المدى البعيد
في أول ساعة من نهار ؛ و أفتح الباب و أغلقه بشمس ، و أحترز على ما أشتمت عليه
من مال و نفس ؛ و بقيمة الوصايا أنت بها أمس ، و الله تعالى يزيل عنك اللبس ؛
و الأعتاد

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذين يكتب لهم من الأبواب السلطانية صاحب ديوان الرسائل ، و ناظر
المال ، و ناظر الجيش ، و وكيل بيت المال . و ما عدا ذلك فإنه يكتب عن نائبها ،
و ربما كتب عن الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

([أرباب] الوظائف الدينية ، و هي على مرتبتين)

المرتبة الأولى : ما يكتب في قطع الثالث بـ « السامى » بالياء ، و هم القضاة
الأربعة .

المرتبة الثانية : من يكتب له في قطع العادة ، و تشمل على قضاء العسكر ،
و إفتاء دار العدل ، و الحسبة ، و وكالة بيت المال .

الصنف الرابع^(١)

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذي يكتب به من الوظائف الديوانية بها - ثلاث وظائف، يُكْتَبُ لكلِّ منهم في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء؛ وهم: صحابة ديوان المكاتبات، ونظراً المال، ونظراً الجيش. فإن كُتِبَ لأحد غير هؤلاء، كتب له في قطع العادة.

النيابة السادسة

(نيابة غزّة)

وقد تقدّم أنها تارة تكون نيابةً، وتارة تكون مقدمة عسكر، ومقدّم العسكر بها يراجع نائب الشام في أموره. وبكلّ حال فالوظائف التي تُؤْتَى بها من الأبواب السلطانية على صنفين:

الصنف الأول

(أرباب السيف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة إن كانت نيابةً، أو مقدّم العسكر إن كانت مقدمة عسكر. فكيفما كان فإنه يُكْتَبُ له تقليدٌ في قطع الثميين بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بدوام النعمة.

وهذه نسخة تقليد بنياتها: كُتِبَ به للأمير «علم الدين الجاولى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهو:

(١) هذا الصنف زائد على ما في التقسيم ومع ذلك هو بمعنى الصنف الثاني وغاية ما في هذا أنه بين فيه

اللقب وقطع الورق فتنبه.

الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع رتب التقديم في دولتنا القاهرة، لمن تفرقت الثغور بين تفرق عدله وتألق صرامته، وقاطع أطباع المعتدين بمن يتوقد بأسه في ظلال رفقته توقد البرق في ظلال غمامته، وقامع أعدائه الكافرين بتفويض تقدمه الجيوش بأوامرنا إلى كل ولى يجتنب النصر ويجتلى من أفنان عزماته ووجاهة زعامته .

نحمده على نعمة التي سددت ما يصدُر من الأوامر عنا، وقلدت الرتب السنينة بتقليدها أعز الأولياء منا منا، وربحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا نعدق أمورها إلا بمن يُعقد عليه الخناصر نفاسة به وضنا؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها متدينه، والألسنة بإعلانها مترينه، والأسننة والأعنة متبارين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البينة إلى البينة؛ ونشهد أن مجدا عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم، وأكرم منعوت بالفضل والكرم، وأعز منصور بالرعب الذي أعمدت سيوفه قبل تجريدها في القمم؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم، وسروا لفتح ما زوى له من الأرض على جياذ العزائم ونجائب الهمم، وبدلوا نفائسهم ونفوسهم للذب عن دينه فلم تسترل أقدامهم حمر النعم، ولم يثن إقدامهم بيض النعم؛ صلاة لا يمل السامع نداءها، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبداءها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإننا من حين مكن الله لنا في أرضه، وأنهضنا بمسنون الجهاد وفرضه؛ وقلدنا سيف نصره الذي انتصاه، وأقامنا لنصرة دينه الذي ارتضاه؛ لم يزل مهم كل نغر مقدما لدينا، وحفظ كل جانب جاور العدو برا وبحرا متعينا على اعتنائنا

وَمُحِبِّاً إِلَيْنَا ، فَلَا نُزْهِفُ لِإِيَالَةِ الْمَمَالِكِ إِلَّا مِنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ أَعْمَدَهُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ
 الْعِدَا ، وَمَنْ إِنْ لَمْ تَسْلُكِ الْبَحْرَ خَيْلَهُ بَثَّ فِي قُلُوبِ سَائِرِ كِنِيهِ سَرَايَا مَهَابَةٍ لَا تَرْهَبُ
 مَوْجًا وَلَا تَسْتَبْعِدُ مَدَى ؛ وَمَنْ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْجِيُوشِ أَعَادَ آحَادَهَا إِلَى رُتَبِ الْأُلُوفِ ،
 وَجَعَلَ طَلَانِعَهُمْ رُسُلَ الْحُتُوفِ ؛ وَأَعْدَاهُمْ بَأْسَهُ فَاسْتَقَلُّوا أَعْدَاءَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا ،
 وَأَغْرَاهُمْ بِمَعْنَى النَّكَايَةِ فِي كِتَابِ الْعِدَا : فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ بِالرِّمَاحِ قَدْ نَظَمُوا وَمَنْ
 هَامَ بِالصَّفَاحِ قَدْ نَثَرُوا .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَازَالَ الدِّينَ يَرْفَعُ عِلْمَهُ ، وَالْإِقْدَامُ وَالرَّأْيُ يَنْتَانَ
 فِي مَقَاتِلِ الْعِدَا كَلُومَهُ وَكَلِمَهُ ، وَالْعَدْلُ وَالْبَأْسُ يَتَوَلَّيَانِ أَحْكَامَهُ فَلَا يُضْمِيَانِ إِلَّا بِالْحَقِّ
 سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ فَكَمْ نَكَسَ رَايَةَ عَدُوِّكَ كَانَتْ مُرْتَفَعَةً ، وَأَبَاحَ عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ مَعَاوِلَ
 شِرْكَ كَانَتْ مُتَمَتِّعَةً ؛ وَمَنْ زَلَزَلَ ثَبَاتَهُ قَدَّمَ كُفْرَ فَاذَاهَا ، وَهَزَمَ إِقْدَامَهُ جِيُوشَ بَاطِلِ
 تَرْهَبِ الْآسَادِ نِزَالَهَا ؛ فَهُوَ الْعَلْمُ الْفَرْدُ ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لِأَوْلِيَائِهِ الْإِقْبَالُ وَالثَّبَاتُ
 وَلَا عُدَائِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ؛ وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَوْلَا أَحْتِفَانَا بِنَكَايَةِ الْعِدَا لَمْ نَسْمَحْ بِمِثْلِهِ ،
 وَالْهَامُ الَّذِي مَا عَدَقْنَا بِهِ أَمْرًا إِلَّا وَقَعَ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ وَأَسْنَدَ إِلَى أَكْمَلِ أَهْلِهِ .

وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةَ وَالسَّاحِلِيَّةَ وَالجَبَلِيَّةَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمَنْزِلَةِ السُّورِ الْمَشْرِفِ
 بِالرِّمَاحِ ، الْمَصْفَحِ بِالصَّفَاحِ ؛ مُرُوجُهُ الْجَمَّاهُ ، وَقَلْلُهُ الْكِبَاهُ ؛ لَا يَشِيمُ بَرْقَهُ مِنْ سَاكِنِ
 الْبَحْرِ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ كَسِيرًا ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ طَرَفَهُ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصْرُ خَاسِتًا
 وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَبِهَا الْجَيْشُ الَّذِي كَمَّ لِسَيْفِهِ فِي رِقَابِ الْعِدَا مِنْ مَوَاقِعِ ، وَلَسْمَعَتِهِ
 فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ إِغَارَةِ تَرَكْتَهَا مِنَ الْأَمْنِ بِلَاقِعِ ؛ وَبِهَا الْأَرْضُ الْمَقْدَسَةُ ،
 وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَالْمَعَابِدُ الَّتِي لَا تُعَدُّ أُمُورَهَا إِلَّا بِمِثْلِهِ مِنْ
 أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ أَدْرَى بِهَا يَأْتِي مِنْ مَصَالِحِهَا وَأَدْرَبُ بِهَا

يَدَعُ - أَقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَعْدُقَ بِهِ نِيَابَةَ مُلْكِهَا ، وَنَزِينَ بِلَايٍ مَفَاخِرِهِ
عُقُودَ سَلْكِيهَا ؛ وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ زَعَامَةَ أَبْطَالِهَا ، وَتَقْدِيمَةَ عَسَاكِرِهَا الَّتِي تَلْقَى الْبَحْرَ
بِأَزْحَرٍ مِنْ عِبَائِهِ وَالْأَرْضَ بِأَثْبَتٍ مِنْ جِبَالِهَا ؛ وَأَنْ نَرْمِيَ بِجَرِّهَا مِنْ مَهَابَتِهِ بِأَهْوَلٍ
مِنْ أَمْوَاجِهِ ، وَأَمْرٍ فِي لَهَوَاتِ سَاكِنِيهِ مِنْ أَجَاجِهِ ؛ لَتَغْدُوَ عِقَاتِلُ أَهْلِهِ ، أَرْقَاءَ سَيْفِهِ
الْأَبْيَضِ وَذَابِلِهِ ، وَيَتَبَّرَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ ، خَوْفُ بَأْسِهِ الْأَحْمَرِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : تَفْوِضًا يَحْقُقُ
فِي مِثْلِهِ رَجَاءَهَا ، وَيَزِينُ بَعْدْلَهُ أَرْجَاءَهَا ؛ وَيَصُونُ بِبَأْسِهِ قَاطِنَهَا وَظَاعِنَهَا ، وَيَعْمُرُ
وَيَغْمُرُ بِرَفِقَةٍ وَإِنْصَافِهِ مَسَاكِنَهَا وَسَاكِنَهَا .

فَلْيَبِاشِرْ هَذِهِ الرَّتَبَةَ الَّتِي يُجَمَّلُ بِهَا سُعُودُهَا ، وَيُجَمَّلُ بِهَا عُقُودُهَا ؛ بِمَبَاشِرَةِ يُحْيِفُ
بِأَسْمَاءِ اللَّيُوثِ فِي أَجْمَاتِهَا ، وَيُعِينُ عَدْلُهَا الْغِيُوثَ عَلَى دَفْعِ أَرْمَاتِهَا ؛ وَيَغْدُو بِهَا الْحَقُّ
مَرْفُوعَ الْعَلَمِ ، مَسْمُوعَ الْكَلِمِ ، مَاضِيَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، مَمْدُودَ الظِّلِّ عَلَى مَنْبِهَا
مِنْ أَنْوَاعِ الْأُمَمِ . وَلْيَأْخُذِ الْجِيُوشَ الَّتِي بِهَا مِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُزِيلُ أَعْدَادَهُمْ
عَنِ الرُّكُوبِ ، وَيُزِيحُ عَوَائِقَهُمْ عَنِ الْوُثُوبِ ؛ وَيَجْعَلُهُمْ أَوَّلَ مَنْبِّ لِدَاعِي الْجِهَادِ ،
وَأَسْرَعَ مُجِيبِ لِنْدَاءِ أَلْسِنَةِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ ؛ وَيَنْظُمُ أَيْزَاكِهِمْ عَلَى الْبَحْرِ أَنْتِظَامِ
النُّجُومِ فِي أَفْلَاكِهَا ، وَالشُّدُورِ فِي أَسْلَاحِهَا ، فَلَا تَلُوحُ لِلْأَعْدَاءِ طَرِيدَةٌ إِلَّا طُرِدَتْ ،
وَلَا قِطْعَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ ؛ وَلَا غُرَابٌ إِلَّا حُصَّتْ قَوَادِمُهُ ، وَلَا شَاخِ عِمَارَةٍ إِلَّا وَأُتِيحَ
لَهُ مِنَ اللَّهَادِمِ هَادِمُهُ . وَلْيُعَلِّ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِإِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ ، وَمُعَاضَدَةِ
حُكْمِهِ ، وَالْأَقْبَادِ إِلَى أَوَامِرِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَوَارِدِ نَهْيِهِ وَمَصَادِرِهِ ؛ وَلْتَكُنْ وَطْأَتُهُ
عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مَشْتَدَّةً ، وَمَعْرِفَتُهُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا : فَلَا تَضَعُ الْحِدَّةَ مَوْضِعَ
الَّذِينَ وَلَا الَّذِينَ مَوْضِعَ الْحِدَّةِ ؛ وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّهُ وَإِنْ بَعُدَ عَنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَخْصُوصٌ مَنَّا

بمزية قُربِه ، مختصّ بمنزلة إخلاصه التي أصبح فيها على بيّنة من ربّه ؛ وجميع ما يذكر من الوصايا فهو مما يُحكى من صفاته الحسنه ، وأدواته التي ما برحت الأفلام في وصف كمالها فصيححة الألسنه ؛ وملاكها تقوى الله وهي في خصائصه كلمة إجماع ، وحلية أبصار وأسماع ؛ والله تعالى يعلي قدره وقد فعل ، ويؤيده في القول والعمل ؛ والاعتماد



وهذه نسخة تقليد بتقدمة العسكر بغزة المحروسة :

الحمد لله مُبدئ النعم ومُعِيدها ، ومؤكّد أسبابها بتجديدها ، ومُعَلِّ أقدارها بمزايا مزيدها ؛ الذي زين أعناق الممالك من السيوف بتقليدها ، وبين من ميامنه ما ردت إليه بمقلديدها .

نحمده بحامده التي تفوت الدراري في تنضيدها ، وتفوق الدرّ فيتمنى منه عقد فريدها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لشهيدها ، جامعة لتوحيدها ، نافعة لأهل الجحود مما يورد الأرض بالدماء من وريدها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كثر الأمم بأتمته في عديدها ، وظاهر على أعداء الله بمن يفل بأس حديدها ، فيرسل من أسنته نجوما رجوما لمريدها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنظافر بتأييدها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن من عوائد دولتنا القاهرة أن تعود بإحسانها ، وتجد بثبوت كل قدم في مكانها ؛ وإذا ولت عرف سحابها عن جهة عادت إليها ، أو سلبت لها رونقا أعادت بهجته عليها ؛ وكانت البلاد الغزاوية وما معها قد تمتعت من قدماء ملوك

(١) في الأصل «ممالك» وهو لا يناسب المقام .

بيتنا الشريف بسيف مشهور، وبطل نسام بوارق عزمه في الثغور؛ وهو الذي عم بصيئه بلادها سهلاً وجبلاً، وعمر روضها بعدل أغناها أن يسقي ظل طلاً؛ وجمع أعمالها براً وبحراً، ومنع جانبيها شاماً ومضراً؛ وألف أهلها منه سيرة لولا ما استأثرنا الله به من سره لما أفقدناهم في هذه المدة حلاوة مدايقها، وسريرة لا نرضى معها بكف الثريا إذا بسطت لأخذ ميثاقها؛ ولم نرفع يده إلا لأمر قضى الله به لأجل موقوت، ومضى منه ما يعلم أنه بمرجوعه القريب لا يفوت؛ لأن الشمس تغيب لتطلع بضوء جديد، والسيف يغمد ثم يتنصت فيفقد القدر والحيد؛ والعيون تشهد ثم يعاودها الرقاد، والماء لو لم يفقد في وقت لما وجد لموقعه برد على الأجداد.

فلمّا بلغ الكتاب أجله، وأخذ حقه من المسأله؛ وانتقل من كان قد استقر فيها إلى جوار ربّه الكريم، وفارق الدنيا وهو على طاعتنا مقيم - اقتضت آراؤنا الشريفة أن يراجع هذه العقيلة كفؤها القديم، وترجع هذه الأرض المقدسة إلى من فارقتها وما عهدت بدميم؛ من لم تزل به عقائل المعاقيل تُصان، وخصُور الحُصون بمجائل سيوفه تُران، ومباسم الثغور تُحمى في كل ناحية من أسننته بلسان؛ وحمى الثغرين وما بينهما من الفجاج، وجاور البحرين فمنع جانبيهما: فهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج؛ وله في العدا وقائع زلزلت لمواقعها الألوف، ومواقف لولا ما نعتت فيها من غربان البين لظال على الديار الوقوف؛ وهو الذي مدحت له في بيتنا المنصور المنصوري من الخدمة سوابق، وحمّدت طرائق؛ وكثرت محاسن، وكبرت ميامن؛ ولمعت كواكب، وهمعت سحاب؛ وصدحت حمام، وفتحت كرائم؛ وعزت جيوشنا المؤيدة له بمضارب، وهزّت سيوفاً حداداً وهو بالسيف ضارب.

وكان المجلس العالی - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي حُمدت له آثاره، وحسنت أخباره، وعمت مدح، وتمت منح، فرسمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف^(١) في محله، وإعادته إلى صيب وبه، وإقامة أهلها مطمئنين في عدله، وإقرار عيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سيروته من فضله.

فرسم بالأمر الشريف - لازالت ملابس نعمه، تُخاع وتلبس برودها، وعرائس كرمه، تُفارق ثم تُراجع غيدها - أن تفوض إليه أمور غزاة المحروسة وأعمالها وبلايدها، والتقدمة على عساكرها وأجنادها، والحكم في جميع ما هو مضاف إليها من سهل ووعر، وبر وبحر، وسواحل وموانئ، ومجرى خيول وشواني، ومن فيها من أهل عمدة، ورعايا وتجار وأعيان في بلد، ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعقد في صف كتيبة وكتاب، على عادة من تقدم في ذلك، وعلى ما كان عليه من المسالك.

وسنخصر له الوصايا لأنه بها بصير، وقد تقدم لها على مسامحة تكرير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأيد الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب مبير، والأطلاع على الاحوال ولا يبتك مثل خبير.

والعدل فهو العروة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقا، والعفاف فإن التطلع لما في أيدي الناس لا يزيد رزقا، والاتصاف بالذكر الجميل هو الذي يسوق، وعرض العسكر المنصور ومن ينضم إليه من عربيه وتركانه وأكراده، وكل مكبر في بحافله ومكثر لسواده، وأخذهم بالتأهب في كل حركة وسكون، والتيقظ بهم لكل سيف مشحود وفلك مشحون، والاحتراز من قبيل البر والبحر، وإقامة كل يرك في موضعه كالقلادة في التحر، ولا يعين إقطاعا إلا لمن يقطع باستحقاقه،

(١) في الأصل «من اقراره في» وهو تصحيف الآن يكون الأصل فرسمنا مارسمنا من الخ.

ويُقَمِّعُ العِدا بما يَعْرِفُ في صَفَحَاتِ الصِّفاحِ من أخلاقِهِ ؛ ولا يُخِلُّ المباشِرِينَ من عنايةٍ تَمُدُّ إليهم ساعِدَ المِساعدَةِ ، فلا يُخَلُّوا في البلادِ بِعِمارَةٍ تَعُدُّو في حِلِّها ما نَدَّه ؛ وليحفظَ الطُّرُقَاتِ حَفْظًا تكونُ به مَمْنوعه ، ويمسكُ المسالكَ فَإِنَّه في مَفَرِّقِ طرقاتِها المجموعه ؛ وليقدِّمَ مُهَمَّاتِ البَرِيدِ وما يَنْطِقُ على جِناحِ الحِمامِ ، وليتَّخِذْهُما نُصْبَ عَيْنِهِ في اليَقْظَةِ والمَنامِ ؛ فُرْبَ غَفْلَةٍ لا يَسْتَدْرِكُ فَائِثَها رَكْضَ ، ورسالةٍ لا يَبْلُغُها إِلَّا رسولٌ يَنْزِلُ من السَّماءِ وآخِرُ يَسِيحُ في الأَرْضِ ؛ ويرصدُ ما تَرَدُّ بِهِ مِراسِمُنا العالِيَةِ لِيَسارِعَ إليه مُمْتِثِلًا ، ويَطالِعُنا بما يَتَجَدَّدُ عنده حَتَّى يَكُونَ لَدِينا مُمْتِثِلًا ؛ وهو يَعْلَمُ أَنَّهُ واقِفٌ من بابِنا الشَرِيفِ بِالْمِجْازِ ، وَقُدَّامَ عَيْنِنا حَقِيقَةً وإن قِيلَ على طَرِيقِ المِجْازِ ؛ فليؤاخِذْ نَفْسَه مِؤاخِذَةً من هو بين يَدِنا ، ويعمَلُ بما يَسْرُهُ أن يقدِّمَ فيما يُعْرَضُ من أَعْمالِهِ علينا ؛ واللهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ حُظُوةً لَدِينا ، وَيؤيِّدُ بِهِ الإِسلامَ حَتَّى لا يَدَعَ على أَعْداءِ اللهِ لِلدِّينِ دِينًا ، والأَعْتادَ

الصنف الثاني

(الوظائف الديوانية بغزة)

وبها ثلاثُ وظائفٍ : يُكْتَبُ لِكُلِّ منها في قِطْعِ العادَةِ بـ«السامى» بغيرِ ياء .
وهي : كِتابَةُ الدَّرَجِ القائِمَةُ مِقامَ كِتابَةِ السَّرِّ ، ونظَرُ المِمالِ ، ونظَرُ الجِيشِ . قال في «التثقيف» : أما قاضيها ومحتسبها ووَيْكِلُ بَيْتِ المِمالِ بها ، فإنَّهم نَوابُ عن أربابِ هذه الوظائفِ بِالسَّامِ ، فلا يَكْتَبُ لأحدٍ منهم شَيْءٌ عن المواقِفِ الشَّرِيفَةِ .
قلتُ : وما ذَكَرَهُ بِناءٍ على أَنَّها تَقَدِّمُهُ عَسْكَرًا . أمَّا إِذا كانت نِيابَةً فإنَّ هذه الوظائفَ يَكْتَبُ بها عن الأَبوابِ السُّلْطانيةِ . وقد يَكْتَبُ حينئِذٍ بوِكالَةِ بَيْتِ

المال والحسبة عن النائب ، ويكون ذلك جميعه في قطع العادة ، مفتتحاً بـ «أما بعد» في المنصوري ، أو بـ «رسم» في الصغير ، على حسب ما يقتضيه الحال .
على أنه قد حدث بها في الدولة الظاهرية قاض حنفي يكتب له من الأبواب السلطانية .

النيابة السابعة

(نيابة الكرك . وأرباب الولايات بها من الأبواب السلطانية على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم غير نائب السلطنة ، ويكتب له تقليد في قطع الثلاثين بـ «المجلس العالي» .

وهذه نسخة تقليد نيابة السلطنة بالكرك ، كتب به للأمير «سيف الدين ايتمش» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي خصّ بعرائمتنا معاقِلَ الإسلام وحُصُونَهُ ، وبصرنا باختيار من نُرتبُهُ
في كلِّ معقلٍ منها من أمجاد الأُمراء ليحفظه ويصونه ، وجعلها بعنايتنا روضاً تجتلي
أبصار الأولياء من بيض صفايحنا نُوره وتجتني من سُمرِ رمايحنا عُصُونَهُ ، وعوذها
من آيات الحرس بما لا تزالُ هُمَاتُها وكُتْمُها يروون خبره عن سيفنا المتّضئ الحفظها
ويُقصونه .

نحمده على نِعْمِهِ التي أعلت بنا بِنَاءِ الممالك ، وحاطتها من نبل مهايتنا ، بما لو تسَلَّتْ
بينه الأوهام ضاقت بها المسالك ، وصَفَحَتْها من صفايح عنايتنا ، بما يُجولُ برُوقه

بينها وبين ما يستر طيف العدا من الظلام الحالك ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من أوى إلى حريم إخلاصها ، وتنجي غداً من غداً من أهل تقريتها وأختصاصها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت ملته ، فلم تخف على ذي بصر ، وعلت شرعته ، فغداً باع كل ذي باع عن معارضتها ذاق قصر ، وسمت أمته ، فلو جالدها معاد أوبقه الحضر أو جادلها مناو أو ثقه الحصر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانت معاقبتهم صهوات جياهم ، وحضونهم عرصات جلاهم ، وخيامهم ظلال سبوفهم وظلالهم أفياء صعادهم ، صلاة لا يزال الإخلاص لها مقياً ، والإيمان لها مديماً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى الحصون الإسلامية بأن تحوط عنايتنا أركانها ، وتعاهد رعايتنا مكانه ، وتلاحظ مهايتنا أحواله فتخليها ، وتشاهد أوامرنا قواعده فتشيد بها بجمل النظر وتعليقها ، وتحول سطواتنا بين آمال الأعداء وتوهمهم ، ونحجب مخافة بأسنا أفكار أهل العناد عن تأمل ما في الضمير وتوسميه - حصن انعقد الإجماع على انقطاع قرينه ، وأمتناع نظيره فيما خصه الله به من تحصينه ، فهو فرد الدهر العزيز مثاله ، البعيد مثاله ، المستكنة في ضمائر الأودية الغوامض بقعته ، المستجنة بقلل الجبال الشواهد بقعته ، السائر في أقطار الأرض صيته وسمعته .

ولما كانت قلعة الكرك المحروسة هي هذه العقيلة التي تم ردت آمال الملوك راعمها ، ومنعت أهواء النفوس أن تمثلها في الكرى الأجفان الحالمه ، وكان فلان ممن ينهض مثله بحفظ مثلها ، ويعلم أن أماتها التي لا تحملها الجبال قد أودعت منه إلى كنفها ووضعت كفايتها في أهلها ، فهو سيفنا الذي يحوطها دبابه ، وولينا الذي من طمخ بصره إلى أفق حله أحرقه شهابه ، ونشو أيامنا التي تنشى كل لث يقنص

الظفر ظفره وينبو بالسيوف نابه ، وغذى دولتنا الذي ما اعتمدنا فيه على امرٍ إلا
كرم به فهو ضه وحسن فيه منابه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نخصها بمهابة سيفه ،
ونخصها بما فيه من قوة في الحق تكف كل باغ عن حيفه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت الحصون المصونة تحتل من ملكه في أبهى
الحلل ، وتعلو معاقل الكفر بسطانه علو ملة الإسلام على الملل - أن تفوض إليه
نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس تفويضا يعلي قدره ، ويطلع في أفقها
بدره ؛ ويطلق في مصالحها سيفه بالحق وقلمه ، ويمضي في حمايتها أفعاله وكلمه ،
ويسدد في أمورها آراءه المقرونة بالصواب وهممه .

فليأشر هذه الرتبة العلية صورة ومعنى ، المليّة إذا طاولت الكواكب بأن
لا يعلم لها أسمى^(١) وأسنى ؛ وليجتهد في مصالحها اجتهادا يوالى له من شكرنا المنح ،
ويأتي فيه من مواضينا بالعرض المقترح ؛ ويزيدها إلى خصائصها حصانة وقوة ،
ويزينها بسياسته التي تغدو قلوب أهل العناد بخافتها مغزوه . ولينظر في مصالح رجالها
فيكون لحمايتهم مقدما ، ولتقدميهم مكرما ؛ ولأعدائهم منيحا ، ولخواطريهم بتيسير
مقرراتهم منيحا . وليكن لمنار الشريعة الشريف معظما ، ولأحكامه في كل عقد محكما ؛
ولما قرب وبعد من بلاد نيابته عامرا ، ولأكف الجور عن الرعية كافا : فلا يبرح
عن الظلم ناهيا وبالعدل آمرا ؛ وملاك الوصايا تقوى الله فيجعلها حلية نفسه ،
ونجى أنسه ، ووظيفة اجتهاده التي تظهر بها منية يومه على أمسه ؛ والله تعالى
يسدده في أحواله ، ويعضده في أفعاله وأقواله ؛ بمنه وكرمه ! .

(١) لعله « بأن لا يعلم أسمى منها وأسنى » .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كتب به للأ مير «تلكتمر الناصري»
عند ما كان المقرّ الشهابي أحمد ولد السلطان الملك الناصر بالكرك ، وهو :

الحمد لله الذي جعل بنا المالك مُحَصَّنَةَ الحُصُونِ ، حَمِيَّةً بِكُلِّ سَيْفٍ يَقْطُرُ مِنْ
حَدِّهِ الْمَنُونُ ، مُنْعَةً لَا تَخْطِي إِلَيْهَا الظُّنُونُ ، مُجَبَّةً لَا تَرَاهَا مِنَ النُّجُومِ عِيُونَ ، رَافِلَةً
مِنَ الْكَوَاكِبِ فِي عَقْدِ ثَمِينٍ ، مَنِعَةً أَشْبَهتِ السَّمَاءَ وَأَشْتَبَهتِ بِهَا فَأَصْبَحَتْ هَذِهِ
الْبُرُوجُ مِنْ هَذِهِ لَا تَبِينُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي رَفَعَتِ الْأَقْدَارَ ، وَشَرَّفَتِ الْمَقْدَارَ ، وَحَلَّتْ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ
كُلَّ عَقِيلَةٍ مَا كَانَ مِعْصَمُهَا الْمُتَمَدُّ إِلَى الْهَلَالِ لِيُتْرِكَ بَغَيْرِ سِوَارٍ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَتْ لِلْحُصُونِ الْعَالِيَةِ رُتَبًا ، وَمَلَأَتْ بِهَا سَمَاوَهَا
حَرَسًا وَشُهَبًا ، وَأَعْلَتْ مَكَانَهَا فَاقْتَبَسَتْ مِنَ الْبَرَقِ نَارًا وَوَرَدَتْ مِنَ السَّحَابِ قُبًا ،
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بَعَثَ وَلاةً عَلَى الْأَمْصَارِ ، وَكُفَاةً عَلَى
الْأَقْطَارِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا صَدَحَتْ الْحَمَائِمُ ، وَسَفَّحَتْ الْغَمَائِمُ ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ حُمِيَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ ، وَحُدَّتْ - وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ - مِنْهُ الْمَسَالِكُ ،
وَأَرْتَقَتْ هِمَمُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مَنْ حَصَلَ الْوُثُوقُ بِهِ
فِي أَشْرَفِ مَمْلَكَةٍ لَدَيْنَا ، وَأَفْضَلِ مَا يُعْرَضُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ أَعْمَالِهَا الصَّالِحَةِ
عَلَيْنَا : وَهِيَ الَّتِي قَعَدَتْ مِنَ الْجِبَالِ عَلَى مَفَارِقِهَا ، وَاتَّصَلَتْ مِنَ النُّجُومِ بِعَلَائِقِهَا ،
وَتَحَدَّرَتْ الْغَمَائِمُ مِنْ ذُبُولِهَا ، وَطَفَّتْ عَلَى السَّمَاءِ وَطَافَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ بِفَرْتِ الْمَجَرَّةِ

من سيولها . وكان الكرك المحروس هو المراد ، ومدينته التي لم يُحَاقَ مِثْلُهَا في البلاد ، وَقَلْعَتُهُ تَشْكِي الرِّيحَ لَهَا طُلُوعَ وَادٍ وَزُورَ وَادٍ ، وَهِيَ أَرْضٌ تَمَّتْ بِأَنَّهَا لَنَا سَكَنٌ ، وَتَمَّتْ مَنَاقِبُهَا بِمَا فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ الْوَطَنِ ، وَاسْتَقَرَّتْ لِلقَمَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ - فَانْتَقَلَتْ مِنْ يَمِينٍ إِلَى يَسَارٍ ، وَتَقَابَلَتْ بَيْنَ شُمُوشٍ وَأَفْئَارٍ ، وَجَادَ بِهَا الْبَحْرُ عَلَى الْأَنْهَارِ .

فَلَمَّا خَلَّتْ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الْمَعْظَمَةِ بِهَا عَرَضْنَا عَلَى آرَائِنَا الشَّرِيفَةِ مَنْ تَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَيَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ ، وَتَجْرِي الْأُمُورُ بِهِ عَلَى الْحُسْنَى فِيمَا يُنُوبُ ، وَتُبَارَى عِزَائِمُهُ الرِّيحَ بِمَرْمَى كُلِّ مَقْلَةٍ وَهَرَّةٍ جَيِّدٍ ، وَلَا يُشْكُ فِي أَنَّهُ كُفُوُ هَذِهِ الْعَقِيلَةِ ، وَكَافِي هَذِهِ الْكِفَالَةِ الَّتِي مَا هِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَنَا قَلِيلَةٌ ، وَكَافِلُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي كَمَّ بِهَا بَنِيَّةٌ أَحْسَنُ مِنْ بَنِيَّةٍ وَنَحِيلَةٌ أَحْسَنُ مِنْ نَحِيلَةٍ ، مَنْ كَانَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَطَّلَعُهُ ، وَبَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُهُ ، طَالَمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ الصَّفُوفَ ، وَتَجَمَّلْتَ بِهِ الْوَقُوفَ ، وَحَسَّنَ كُلَّ مَوْصُوفٍ ، وَلَمْ تَخْفَ مَحَاسِنُهُ الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ، كَمَّ لَهُ شَيْئَةٌ عَلَيْهِ ، وَهَمَّةٌ جَالِيَةٌ ، وَتَقَدِّمَاتُ إِقْدَامٍ بِكُلِّ نَهَائَةٍ غَايَةِ مَالِيَةٍ ، وَعِزَائِمٌ لَهَا بِنَعْنَةِ مَضَاءِ السَّيْفِ وَبِاسْمِهِ قُوَّةُ الْحَدِيدِ وَهِيَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ مُلْكِيَّةٌ ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ لَا يَسَ هَذِهِ الْبُرُودِ الَّتِي رُقِمَتْ ، وَالْعُقُودِ الَّتِي نُظِمَتْ ، وَجَامِعَ هَذِهِ الدَّرَرِ الَّتِي قُسِمَتْ ، وَالدَّرَارِيَّ الَّتِي سَمَتْ إِلَى السَّمَاءِ لَمَّا وُسِمَتْ ، وَهُوَ مِنَ الْمَلَائِكِ فِي الْوَقَارِ ، وَلَهُ حُكْمُ كَلِمَاتِ وَبَأْسُ يَقْطَعُ الْأَشْجَارَ ، وَهُوَ مَلِكٌ نِصْفُهُ الْآخَرُ مِنْ حَدِيدٍ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ نِصْفُهُمْ مِنَ النَّجِّجِ وَنِصْفُهُمْ مِنْ نَارٍ ، وَهُوَ الَّذِي أَقْتَضَتْ آرَائِنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْعَلَهُ فِي خِدْمَةِ وَلَدِنَا - أَمْتَعَهُ اللَّهُ بِبِقَائِنَا - نَائِبًا بِهَا ، وَقَائِمًا بِحَسَنِ مَنَابِهَا ، وَالْمُتَصَرِّفَ فِيهَا بَيْنَ أَيْدِيهِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمُتَلَقِّ دُونَهُ لِأُمُورِهَا الَّتِي قَلَدْنَا بِهَا عُنُقَهُ أَمَانَةً عَظِيمَةً .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال به سيف الدين ماضيا ، ولا برح كل واحد بحكم سيفه في كل تجريد وقلمه في كل تقليد راضيا - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس وما معه على عادة من تقدمه فيها ، وقاعدته التي يتكفل لها بالإحسان وبكف العدوان ويكفيها ؛ وكل ما فيها من أمر فهو به منوط ، وكل عمل لها به محوط ، وحكمه في مصالحنا الشريفة في جميع بلادها مبسوط ، وله تطالع الأمور ومنه تصدر المطالعة ؛ وبه تزال كل ظلامه ، وتزاح كل ملامه ؛ ويؤيد الشرع الشريف ويؤبد حكمه ، ويثري علمه وينشر علمه ؛ وتقام الحدود بحده ، والمهابة بحده . ورجال هذه القلعة به تتألف على طاعتنا الشريفة قلوبهم ، والرعايا يعمهم بالعدل والإحسان وأيسر ما عندنا مطلوبهم ؛ وهؤلاء هم شيعتنا قبلك ، ورعيئتنا الذين هم لنا ولك ؛ فرفرف عليهم بجناحك ، وخذهم بسماحك ؛ والمسارعة إلى امتثال مراسمتنا الشريفة هي أول ما نوصيك باعتماده ، وأولى ما يقبس من نوره ويستمد من أمداه ؛ فلا تقدم شيئا على الانتهاء إلى أمره المطاع ، والعمل في السمع والطاعة باكر له ما يمكن أن يستطاع ؛ وخدمة أولادنا فلا تدع فيها ممكنا ، وأعلم بأن خدمتهم وخدمتنا الشريفة سواء لأنه لا فرق بينهم وبيننا ؛ وهذه القلعة هي التي أودعناها في يمين أمانتك ، وحميناها بسيفك وصنناها بصيانتك ؛ فالله الله ! في هذه الوديعة ، وأد الأمانة فإنها نعمت الدريعه ؛ وأحفظها بقوة الله وتحفظ بأسوارها المنيعه ، وعليك بالتقوى والتقوى والوقوف عند الشريعة ؛ والله تعالى يزيدك علوا ، ويبلغك مرجوا ؛ والأعتماد

قلت : وربما ولي نيابة الكرك من هو جليل الرتبة رفيع القدر ، من أولاد السلطان أو غيرهم ، فتعظم النيابة بعظمه ، ويرفع قدرها بارتفاع قدره ، وتكون مكاتبته وتقليده فوق ما تقدم ، بحسب ما يقتضيه الحال من «الجناب» أو غيره .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك، كُتِبَ بها عن السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» لولده الملك الناصر «أحمد» قبل سَلْطَنَتِهِ، وكتب له فيه بـ«الجناب العالی»، من إنشاء الشريف شهاب الدين، وهي :

الحمد لله الذي أسعدنا بوراثته الملك والممالك، وأرشدنا للرأى المصيب في أن نستنيب من نشاء من ذلك، وأيدنا بالعون والصون في حفظ ما هنا وحفظ ما هناك، وعودنا الإمداد بيمينه المتداول والإيجاد بمنه المتدارك، وسدّدنا بالفضل والإسعاف إلى أن نتبع من العدل والإنصاف أنجح السبل وأوضح المسالك، وعصّدنا من ذرّيتنا بكلّ نجلٍ معرق، ونجمٍ مشرق، يرشق شهابه، في الكرب الحالّ ويأتلق صوابه، في الحطب الحالك، وأفردنا بالنظر الجميل، والفكر الجليل، إلى أسعد تحويل تير بمرآته في الآفاق الشهب الطوالع وتسير بئسراه في الأقطار النجيب الروائك^(١).

نحمده ! وكيف لا يحمّد العبد المالك !، ونشكره على أن أهّلنا لإقامة الشعاع وإدامة المناسك، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في جبروته، عن مشايه وتعالى في ملكوته، عن مشارك، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أنجد جنوده من الملا الأعلى بالملائك، وأمد بعوته بالنصر والظفر في جميع المواقف والمعارك، وأيد أمتّه بولاية ملوك يجلسون في النعم على الأرائك، ويجرسون حمى الدين بجهادهم وأجتهدهم من كلّ فاتن وفاتك، صلى الله عليه وعلى آله سفن النجاة المؤمنيين من الخاوف والمتقدين من المهالك، ورضى الله عن أصحابه الذين نظموا شمل الإيمان، وهزموا جمع البهتان، بكلّ باتر وفاتك، صلاةً ورضواناً يضحى لقايلهما

(١) أى القريبات الخطا .

في اليوم العَبُوسِ الْوَجْهَ الطَّلُقِ وَالثَّغْرَ الضَّاحِكِ ، وَيُنْشَرُ فَيُحْشَرُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنُ أَوْلِيَاكَ ، مَا أَتَهَّلَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَنَاجِحِ الْإِسْتِدْعَاءِ ،
لَا يَأْمَنَّا كُلَّ عَابِدٍ وَنَاسِكَ ، وَعَوَّلَ حُسْنُ آرَائِنَا عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ هُوَ لَجْمِيلِ آثَارِنَا سَالِكِ ،
وَأَقْبَلَ بِالْإِقْبَالِ سَنَنَا شَهَابِهِ الْمُنِيرِ يَجْلُو مَا تُثِيرُ مِنْ لَيْلِ نَقْعِهَا السَّنَابِكِ ، فَحِصْلُ اللَّكْرِكِ
وَالشُّوْبِكِ هَذَا الْقُدُومَ نَحَارَ مَسِيرِكَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آثَرْنَا بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ ، وَبَسَّرْنَا مِنَ الْهُدَى إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ ؛
وَوَهَبْنَا فِي الْمَلِكِ النَّسَبَ الْعَلِيِّ الْعَرِيقِ ، وَالْحَسَبَ الَّذِي هُوَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّحْكِيمِ حَقِيقٍ ؛
وَقَدَدْنَا مِنْ عَهْدِ بَيْعَةِ السُّلْطَنَةِ الْمَحْمُودَةِ فِي الْإِفَاقِ تَطْرِيقٍ ، وَلِعَقْدِهِ فِي الْأَعْنَاقِ تَطْوِيقٍ ؛
فَفِيْنَا مِنْ شَجَرَةِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ النَّاصِرِيِّ الْمُنْصُورِيِّ كُلِّ غُصْنٍ وَرِيقٍ ، وَهِيَ
لِلْبَرِيَّةِ تَكْرِيْمًا عَمِيْمًا بِتَقْدِيمِ مَنْ لَهُ الْمَجْدُ يَتَعَيَّنُ وَبِهِ السُّؤْدُودُ يَلِيقُ ؛ وَأَطْلَعُ فِي أَفْقِ أَعْرَ
الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا مِنْ بَيْتِنَا شَهَابٌ عَلَا هُوَ لِلْبَدْرِ فِي الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ شَيْبُهُ وَشَقِيقُ ، وَأَطْعَنَا
أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعَامَلَةِ الْوَالِدِ الْبَارِ مَعَامَلَةَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ ؛ وَأَوْدَعْنَا لَدَيْهِ مَا أَوْدَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَدِينَا : مَمْلَكَةً مَرْتَفَعَةً مَتَسَعَةً لِيَرْتَفِعَ مَحَلُّهُ وَيَتَسَّعَ أَمَلُهُ وَلَا يَضِيقَ ، وَجَمَعْنَا
لَهُ أَطْرَافَهَا لِتَكُونَ لِكَلِمَتِهِ الْعُلْيَا بِهَا الْاجْتِمَاعُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ .

وَمَا كَانَ الْجَنَابَ الْعَالِيَّ ، الْوَالِدِيَّ ، الشَّهَابِيَّ ، سَائِلُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، خَلِيلِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : هُوَ الَّذِي تُسِيرُ رَبُّبِ الْكَفَالَةِ بِتَرْقِيهِ ، وَتَقَرُّ عِيُونُ الْأَوْلِيَاءِ بِتَعَيْنِهِ لِإِلْقَاءِ
أَمْرِنَا الْمَطَاعِ وَتَلْقِيهِ ؛ وَتَلْهَجُ الْأَلْسِنَةُ ضَارِعَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُخَلِّدَ مُلْكَ بَيْتِهِ
الشَّرِيفِ وَيُثَقِّبَهُ ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَوَاتِ دَعَوَاتُ الْأَتْقِيَاءِ أَنْ يُوقِيَهُ اللَّهُ مِمَّا يَتَّقِيهِ ؛
وَتُمْسِكُ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِسَانَ الْمَقَالِ عَنْ مَدْحِهِ أَدْبَا ، وَتَتْرُكُ الْإِفْتِخَارَ بِالْمَالِ
وَالْعَيْدِ إِثَارًا لِثَوَابِ اللَّهِ وَطَلْبًا ؛ وَتُدْرِكُ مَوْعِظَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ قَصْدًا وَأَرْبَا :

(١) (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا) . و بركة هذا القصد يتم لنا فيه المراد ، و يتم هذه المملكة النفع بهذا الأفراد ؛ فإنها معهد النصر والفتح ، ومشهد الوفر والمنح ؛ ومضعد العز الذي لما وطئنا صرحه تدكدك للعدا كل صرح ، وتملك للهدي كل سرح ؛ ونشقنا بها لقرب المزار من طيب طيبة أعظم نفع ، وقد بقينا بجاه الحال بها في تيسير التأيد فكان كاللح ؛ وجرى خلفنا السمع بعد ذلك على عادته في الحكم والصفح ، وسرى ذكرنا في الشرق والغرب وللخداة به أطرب صدح ، وآتى الله من فضله ملكا نعا تجل عن العد والشرح ؛ فيها منشأ دولة الدول ومنها فتح الفتوح ، وبإضافته إلينا تفاؤل خير مشهور مأموح ؛ كما قيل قبلها كرك نوح ، فبتطهير الأرض من الكفار ، عزائنا تغدو وتروح ، وبالاستناد بأطول الأعمار ، أمارة بادية الوضوح ؛ وآثار بركة الأسم الشريف المحمدي تظهر علينا في الحركات والسكات وتلوح ، ونحار هذه المملكة المباركة : لأختصاصها بالحرمين الشريقين عليها طلاوة وسعادة وفيها روح ؛ وكما قد سلكنا بهذا الولد النبيل ، سنة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل ، في ولده إسماعيل ، عليهما السلام التام في كل بكرة وأصيل ؛ حيث فارقه وأفرده ، وتفقدته في كل حين وتعهدته ؛ حتى شد الله تعالى به عضده ورفع هو وأبوه قواعد البيت وأعانه لما شيدته ، فأجمل الله لنا هذا القصد وأحمده ، وكل هذا الشروع وأسعده ؛ وأجزل [له] من فوائده أوفر هبة وأنجزله من عوائده أصدق عده ؛ فأحللناه في هذه المدة بمملكة الكرك فسلك من حسن السجايا أحسن مسلك ، وملك قلوب الرعايا وبما وهب من المنح تملك ؛ وبسنتنا في التواضع للحق مع الخلق تمسك ، وبشيمتنا وخلقنا في الجود تخلق فبدل وما أمسك .

(١) التلاوة «خير أملا» أما وخير عقبا فهو في آية قبلها .

ولما بلغ أشده وأستوى، وبزغ شهاب علاه الذى هو وبدر السماء سواها، وحاز مكارم الأخلاق وحوى، وفاز سلطنتنا فى نجاته بحسن النية: "وَأَمَّا لِكُلِّ أَمْرِيٍّ مَا نَوَى" - حكمناه فى هذه النيابة التى ألقها ودربها، وعرف أمورها وجرها، وأستمال خواطر أهلها وأستجلبها، وأدنى لهم لما دنا منهم الميامن ولما قرىبها منهم قرىبها، وأستحق كفالتها وأستوجبها، وأظهر الله تعالى فيه من الشائيل أمجها، ومن الخلائق أرحبها، ومن الأعراق أطيبها، ومن العوارف أنسبها، ومن العواطف أقرىبها، ومن البسالة أرهفها وأرهبها، ومن الجلالة أحبها إلى القلوب وأعجبها، ومن السيادة ما أخذت نفسه لها أهبها، ومن الزيادة ما يتعين [له] شكر الله الواهب الذى وهبها، ومن السعادة ما رفعت الأقدار على مناكب الكواكب رتبها، وأطلعت لحماته سماء العلياء شهبها، ورقت على هامة الجوزاء منصبها، وأستصجبت من العناية لهذا البيت مزينة فرض الله بها له الطاعة وكتبها، فاستخزنا الله تعالى الذى يختار لنا ويخير، وسألناه التأييد والتيسير، وفوضنا إليه وهو الكفيل لنا بالتدبير، فى كل مبدئ ومصير، واستعنا به وهو نعم النصير، وأقتضى حسن الراى الشريف أن نُسرح شهابه المنير، وننتج للأولياء يمين التائيل بحسن هذا التائير، وننرج فى ربه سبلا تقدمنا إليها كل ذى منبر وسرير، ونثلج الصدور ونقر العيون بسعيد هذا الإصدار وحميد هذا التقرير.

فذلك رسم بالأمر الشريف - لا برح أمره يصيب السداد فيما إليه يصير، وخبره يحمل الموافاة فلائسنة عن مكافاة ربه تفصير - أن تفوض نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس والشوبك للجناب العالى، الولدى، الشهابى، وما ينضم إلى ذلك وينضاف، من جميع الأقطار والأكاف، وجمعنا له من هذه المملكة الأطرف، وجعلنا له على سهلها وجبها إشراف، وصرفناه منها فيما هو عن علمه

الكريم غير خاف ؛ نيابةً كامله ، كافلةً شامله ؛ عامه ، تامه ؛ وافره ، سافره ؛
يستلزم طاعته فيها الافتراض ، ونحسم عنه فيها مواد الاعتراض ، وتتقد مراسمه
من غير توقف ولا انتقاض ، وتبسط يده البيضاء من غير انقباض ، ويرتفع رأيه
من غير انخفاض .

فلتقدر رعية هذه البلاد نعمة هذا التفويض قدرها ، وليسألوا الله أن يوزعهم
لحسن هذا التفويض شكرها ؛ فقد أنشأ لهم يسرها ، وأفاء لهم برها ؛ وألحق إليهم
جودها وخيرها ، وأبقى عندهم عزها ونصرها . وليتبعوا السبيل القويم ، وليجمعوا
على الطاعة التي تبيح عليهم نعمة العافية وتديم ؛ وليسمعوا ويطيعوا لما يرد إليهم
من المراسيم ، فمن لم يستقيم كما أمر لا يستمر بهذه البلاد ولا يقيم ؛ والعاقل لنفسه
خصيم ، والجاهل من عدم النعمة وحرم النعيم ؛ وفراسنتنا تلمح نتائج الخير من هذا
التقديم ، وسياستنا تصلح ما قرب منا وما بعد بتعريف أحكام التحكيم ؛ وكيف لا ؟
وهو الكريم بن الكريم بن الكريم ، المؤمل تمام الشؤدد قبل أن يعقد عليه التميم ؛
المشتمل على الخلال الموجبة له الفضل العميم ، المتوصل بمن حركاته إلى أن يكون
لمثل هذا الملك العظيم ؛ وإلى أمانته استيداع وإلى صيافته تسليم ، المقبل وجهدنا
الإقبال فتتلو الرجال : (ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) .

ونحن نأمرك من التقوى بما به من الله أمرنا ، ونبصرك من الهدى بما له هدينا
وبصرنا ، ونبقي لديك من بدائعها ما به خصصنا وأوترنا ؛ ونوصيك أتباعا للكتاب
والسنه ، ونؤتيك من الهداية ما لله في الإرشاد إليه المنه : فقد وعظ ووصى لقمان -
عليه السلام - أبنه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه
إلى اليمن فحقق الله تعالى في نجاحه رجاءه وفي فلاحه ظنه ؛ ونذكر جنابك ، ونرجو أن

تكون ممن تنفعه الذكرى، وسير شهابك، إلى أفق السعد ونأمل أن تيسر لليسرى،
 وتؤمرك فتزيد علم عزك رفعا ولواء مجديك تسرا، وتأمرك ثقة بحسن أخلاقك،
 فيتلو لسان وفائقك: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) . فملك
 من أيده العزم، وأصعدته الهمة، وحمدته الأتم، وأرشدته إلى الحكم ما عهدته
 فكرته من الحكم، وسدده أعراقه وأخلاقه فلا يزداد على ما فيه من كرم، فلا تذكر
 منك ناسيا، ولا تفكر لاهيا، ولا تأمر وتنهى إلا من لم يزل بالمعروف أمرا وعن
 المنكر ناهيا .

فاتق الله تعالى: فعلى التقوى مرباك، وراقب الله تعالى: فالمرابطة للولك من
 بيتك ملاك، وجد في نصره الحق ولا تأب: فقد أنجد الله تعالى بذلك جدك وأباك،
 وأعدل فبالعدل تعمر الدول وأقم منار الشرع، فهو الأصل الذي يرد إليه من القضايا
 كل فرع، ومجاله الرحب إذا ضاق الذرع، فأيد حاكمه، وشيد معلمه، وأكد
 الإلزام بأحكامه اللازمة .

والأمراء والجند فهم جناح النجاح، وصفاح الصفاح، فاعتمد أحوالهم بالصلاح،
 وأرد فيهم ما استطعت الإصلاح. والخيالة والرجالة الذين ينجي بهم مصون الحصون
 أن يستباح، فالخط أمورهم بعين فكر في كل مساء وصباح، فمن نهض في الخدمة
 تعين من النعمة أن يزداد ومن قصر في العزم قضى الخزم أن يراح . والرعايا فهم
 للإحسان ودائع، وللأمتنان صنائع، فأعذب لهم من المعدلة المشارع، وأنصب
 لهم من إقامة الحرمة الزواجر والروادع، وأخصب لهم من النعمة مربعا يرغب الجراح
 ويقرب الطائع . وأهل الذمة فأوهم إلى كنف العدل الواسع، وأحجمهم أن تمتد
 إلى أنفسهم يد جان وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأسا يحل بهم إذا اعتدوا

القواصم والقوارع ، وأدم لهم مهابة تسد من فساد الدرائع ، وعاود آراءنا الشريفة
 وراجع ، وواصل بأنبائك السارة وأفعالك البارة وتابع ، وبما نتطلع إليه خواطرنا
 العاطفة من متجدداتك المباركة أتخف وطالع ؛ والله تعالى يشف بحسن سيرتك
 المسامح ، ويشرف بحلول عدلك المحافل والمجامع ، ويوزعك شكر نعمته ويجعل لك
 من عصمته أعظم وازع ، ويمتلك بأيامنا التي فيها الخير الشامل والبر الجامع ،
 ويصون بخلاك الحسنى ما استطعت من أسنى الودائع ، ويزين سماء العلياء
 بجلاك فمنها لك قراها والنجوم الطوالع ، ويوفق بجميل قصدك إلى أن تأخذ
 من القلوب بالمجامع ، ويحقق في إسعاد جنابك المطالب ويشرق بإصعاد شهابك
 المطالع ؛ والعلامة

الصف الثاني — أرباب الوظائف الدينية . وبها قاض واحد شافعي ،
 وتوقيعه في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء .

الصف الثالث — الوظائف الديوانية . وهي ثلاث وظائف ، يكتب لكل
 منها توقيع في قطع العادة . الأولى كتابة الدرج . الثانية نظر المال . الثالثة
 نظر الجيش .

القسم الثالث

(مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية -

ما يكتب لأرباب الوظائف بالملكة المجازية)

وقد تقدم أنها تشتمل على ثلاث قواعد :

(١) لعله « ما استحفظت » .

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وبها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
وأنها كانت تُولى من أبواب الخلافة ببغداد إلى حين أنقراضها ، إلا ما تغلب عليه
الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك . ثم استقرت آخرًا من جهة ملوك مصر
إلى الآن . ويكتب له تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالى» بزيادة ألقاب
تُخصه ، وقد تقدمت ألقابه في أول هذا الطرف .

وهذه نسخة تقليد بإمرة مكة المشرفة : كُتب بها عن الملك الناصر « محمد بن
قلاوون » لأسد الدين « رميثة » بن أبي نمي ، بإمرة مكة المشرفة ، عوضًا عن أخيه
« عطيفة » عند قتل الأمير الدرمان دار وولده خليل ، من إنشاء المولى تاج الدين
أبن الباربارى رحمه الله ، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ، وهى :

الحمد لله الحكيم : فالشريف من أتبع أوامره ، العظيم : فالسعيد من أتقى غضبه
بأعماله الزاكية ونياته الطاهرة ، الكريم : فالفائز من سلك مراضيه في الدنيا ليأمن
في الآخرة ، ومن أخاف عا كف حرم الله وباديه فقد بآء بالأفعال الخاسره ، ومن عظم
شعائر الله فقد رفل في حلل الإقبال الفآخره .

نجمه على أظافه الباطنة والظاهره ، ونشكره ونرجوه وما زال يُنحج راجيه ويزيد
شآكره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من آتخذ الحق ناصره ،

وأودع إخلاصها ضمائرَه ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحرم
فألف القلوب النافرة، وفتح مكة فطهرها من الزمرة الكافرة، وقال في ذلك اليوم :
« من أغلق عليه بابه فقد أمن » فأمسى أهلها ونفوسهم بالأمن ظافره ؛ صلى الله عليه
وعلى آله نبي الزهراء العترة الزاهرة، وعلى صحبه النجوم السافره ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن الحكم [بالعدل] شعارنا ، وبالله أفتداؤنا وأقتدارنا ؛ وفي الإحسان
رغبنا، وفي كل عنق متنتنا ؛ نصفح ونمنح ، ونرعى من أمسى قديم الهجرة في ولايتنا
وأصبح ؛ ونقيم من أهل البيت لحفظ ذلك البيت الأصلاح فالأصلاح ، ونقدم من لم
يزل مقدماً وإلى صوب الصواب ينجح فينجح ، ونجى من الهلكة من لاح له
منهج الخير فسلكه فأفلح .

وكانت مكة المعظمة هي أم القرى ، والبلد الأمين المنجزل فيه القرى ؛ نشأ الإسلام
في بطحاءها ، وحرّمها الله فلا ينقر صيدها ، ولا يعصد شجرها ، ولا تحل لقطتها
إلا لمنشد تائيداً لتشريفها وإعلاها ؛ وطلعت شمس النبوة من شعابها ، وغسلت
الذنوب بوبل شعابها ؛ فيها زمزم وكرة جبريل ، وفيها بدأ الوحي والتنزيل ، وإليها
أعنت الركاب ففي كل أبطح للطى مسير ومسيل ؛ فكم أتى إليها من سائر الناس
سائر ، وكم أتى إليها الناس رجالاً وعلى كل ضامر ؛ فالرحمة مستقرّة بين نواحيها
والعيون تملأ بأنوار تلك الأستار حتى تجتليها ، والشفاة تتشرف بتقيل ذلك الحجر
الذي يشهد لما في غد ويقيها ؛ فطوبى لمتقيها ، وسحقاً لمن أخاف وقد الله فيها ؛ ونحن
قد بصرنا الله بخدمة بيتها المحرم ، وحرّمها المعظم ، وكرّر إليها حجنا وكرّمه : فله الحمد
أن كرّر حجنا وكرّمه ؛ وما برحنا نقيم في إمارتها من العترة النبوية كل شريف النسب ،

وكل من يكتسب فيها رضا الله تعالى : وكل أمرئ وما آكتسب ؛ فمن أصلح منهم أقمناه ، ومن حاد عن الطاعة وجمد النعمة أزلناه ؛ ومن أخاف فيه السبيل لم نجعل له إلى الخير سبيلا ، ومن استقام على الطريقة توكلنا على الله وولينا : وكفى بالله وكيلا .

وكان فلان هو الذي مازالت خواطرننا الشريفة تقدمه على بني أبيه ، وتحتاره أميراً وتجتبيه ؛ وربما سلفت من بيته هنات صفحنا عنها الصفح الجميل ، وما قابلناهم إلا بما يليق لمجدهم الحسن الحسن الأصيل ؛ والإمرة وإن كانت بيد غيره هذه المدة فما كان في الحقيقة أميراً عندنا سواه ، لأنه كبير بيته المشكور من سائر الأقبوا .

والآن قد اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقيمه في بلده أميراً مفرداً إليه يشار ، وأن نصطفيه ؛ وإنه عندنا لمن المصطفين الأخيار ، وأن نجعل الكلمة واحدة ليأمن التزليل والجار ؛ ومتى تجاذب الأمر كلمتان فسد نظامه ، ومتى أفرد الحكم حسنت أحكامه ؛ ومتى توحد الأمر زال الاختلاف ، وزاد الائتلاف ، وأقبلت أيامه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة مكة المشرفة ، على عادة والده . فليقلد ما فوضناه إليه من الإمرة والنيابة بمكة المعظمة : شاكراً ما أنعم الله به عليه من مراضينا التي لا نجاة لمن لم ينسل منها نصيباً موفوراً ، ولا فوز لمن لم يدرك منها حظاً كبيراً ؛ وليشرع في تمهيد البلاد من إزالة المظلمة ، وليطهرها من كل مجترئ على الله تعالى في البقعة المحرمة ؛ ولا يقرب من في قلبه مرض فيعديه ، ولا يرجع لمن فيه شقاق ظاهر في صفحات وجهه وقلبات فيه ؛ وليعلم أن هذا بلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وصير حج بيته على مستطيعه من القرض ؛ وجعله للناس معاداً ومعاداً ، وقال صلى الله عليه وسلم يوم

عَرَفَةَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ حُرْمَةً يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

فَلْيَمْنَعِ الدَّمَاءَ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَالْأَمْوَالَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ، وَالظُّلْمَ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ حَرَامًا ، وَبَنُو حَسَنٍ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَاتَّقِ اللَّهَ لِتَلْقَاهُ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَعْرَبِ ، وَاتَّبِعْ سُنَّةَ جَدِّكَ : فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَتٌّ وَأَمْرٌ ، وَأَلْقَ وَقَدْ آتَى اللَّهَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالْحُسْنَى فَهَمَّ أَضْيَافُهُ ، وَأَمَّنَ الْحَجَّ لَيْتَمَ نُسُكُهُ وَطَوَافُهُ .

هَذَا تَقْلِيدُنَا لِكَأَيِّهَا الشَّرِيفِ : فَطَبَّ نَفْسًا بِمَرَاضِينَا ، وَصَفَحْنَا عَمَّا مَضَى وَمَنْحَنَا الرِّضَا حَقًّا يَقِينًا ، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِينُنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف لأمير مكة المشرفة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَنَصَبَ فِيهِ لِلْقَاتِنِينَ رُكْنًا ، وَجَعَلَ أَرْضَ الْحَرَمِ لَا تَيْبُدُ بَرَكَاتُهَا وَلَا تَفْنَى ، وَجَعَلَ لِشَجَرَةِ النَّسَبِ الْمَشَاهِمِ فِيهَا أَصْلًا شَرِيفًا كَمْ أَخْرَجَ غُصْنَا ، وَآتَى نَبِيَّ الْحَسَنِ فِيهَا إِحْسَانًا مِنْ لَدُنْهُ وَحُسْنًا ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ أَمِيرًا فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْأَسْنَى .

نَحْمَدُهُ فُرَادَى وَمَنْثَى ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَامِلَةً اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَيَّدَ اللَّهُ بِهِ لِلدِّينِ خَيْرَ مَبْنَى ، وَأَضْحَتِ الصُّلُوعُ عَلَى مَحَبَّتِهِ تُحْنَى ، وَثِمَارُ الْخَيْرِ مِمَّا يَبِينُ رَوْضَتَهُ وَمِنْبَرُهُ تُحْنَى ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ بِالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدِّينِ الْأَهْنَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً فِي الصَّدُورِ لَهَا سُكْنَى ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإنَّ أمَّ القرى ، خير البلاد بلا مرآ ، قد جعل الله للناس إليها رحلةً
وسرى ، وهجرُوا في قَصْدِهِمْ إليها لَدَيْدَ الكرى ، ونصَبَ فيها بيتًا مَينَ العرى ، وأنبع
فيها بئرًا مأوها يشفي السَّقِيمَ وَيُرِيُّ الْوَرَى ، وجعل فيها للشرف بيتًا عالي الذرى ؛
فأميرها المطاع ، من أهل بيت النبوة لا يُحِبُّ ولا يُضَاع ، ذُوهُمَّةٌ تخافها السباع ،
ويرهبها البطل الشجاع ؛ يعدُّ من الآباء أسلافًا كراما ، كصباح السماء تجلو ظلاما ،
وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاؤروا مقاما .

ولما كان هو شريف العرب ، المعرق في النسب ، الطيب الحسب ،
المحي من آثار آباءه ما ذهب ، الشريف النفس : فلا يلتفت إلى العرض الأدنى
من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله ، وأثنى على صفاء سيرته الصفا وعلى مروءته
المروءة إذ طاب أصله ؛ قد آقفتني في الكرم أباه وجدته ، وأمن سبيل الحاج من جهة
البر ومن جهة البحر من جدته .

فلذلك رسم أن يفوض إليه فليحل البلد الحرام حاكما وأمرا ،
وليستجلب له من العاكف والباد شاكرا ؛ وليحسن للطائفين والعاكفين والرغم
السجود ، وليتبع آثار آباءه أهل الكرم والجود ؛ وليؤمن الخائف في تلك التهائم
والشجود ، وليردع الخائف عن حيفه فلا يعود ، وليعلم أنه بواد غير ذي زرع ولكن
فيه للبركات ظل ممدود ، وخير مشهود ؛ وبمكة مولد أشرف مولود ، وجدته الحسن
رضى الله عنه فليكن حسن الفعل فكما ساد يسود ، وليعرب عن الثناء الأبيض عند
ما يمسك بتلك الستور السود ؛ وليتلق المحمل الشريف في كل عام ، بالأحتفال
والإكرام ، والطاعة التي يبلغ بها المرام ، وليقف مع أمراء الحاج مقيا لحرماتهم
بجميل الاحترام ؛ وليكف الأشرار من العبيد والموالي ، عن النهب والتخطف لو فد
(١) الوري اسم للقيح يكون في الجوف .

الله الذي قَطَعَ السرى بالأيام والليالي ؛ وليلازم خدَمَةَ المحمّل الشريف على مايناسب شرفه ، حتى يقف بعرفه ، ثم يدفع إلى المزدلفه ، إلى أن يقضى الحجّ ويرحل من مكة المشرفة ؛ وليكن سياجاً على الحجّاج ، في تلك النجاج ، حتى لا يفقد أحدهم عقلاً ، ولا يحدّ احتراً ، ويرحلون عن مكة المعظمة من الذنوب خفافاً وبمنته ثقلاً . والوصايا كثيرة وهو غنى عن أن نُطيل له فيها مقالاً ، وتقوى الله فمن تمسك بها حسنّ حالاً ، وأتم أهلها كرمكم الله أهلاً وآلاً ، والله الله في حفظ جانب الصحابة رضى الله عنهم فليردع عن الخوض فيهم جهالاً ، والله يجعله مغموراً مسروراً بنعم الله تعالى ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأمير مكة ، أوردها في "التعريف" :

وليعلم أنه قد ولى حيث وُلد بمكة في سرة بطحاءها ، وأمر عليها ما بين بطن نعامها إلى بحوة روحائها ؛ وأنه قد جعلت له ولاية هذا البيت الذي به تم شرفه ، وعلت عرفه ، وعرف حقه له أبطحه ومعرفه ، إذ كان أولى ولاية هذا الحرم بتعظيم حرّماته ، وسرور جوانبه بما يلوح من البشر على قيماته ؛ ولأنه أحقّ بنبي الزهراء بما أبقته له أبأوه ، وألقته إليه من حديث قصي جدّه الأفضى أنبأوه ؛ وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أشياء يتره أن يلحق به حُش عابها ، وشنعاء هو يعرف كيف يتبعها «وأهل مكة أعرف بشعابها» .

فليتلق راية هذه الولاية باليمين ، ولينوق ما يتخوف به ذلك البسد الأمين ؛ وليعلم أنه قد أعطى الله عهدَه وهو بين رُكن ومقام ، وأنه قد بايع الله : والله عزيز دؤانتقام ؛ وليعمر تلك المواطن ، ويعمر ببره المارّ والقاطن ؛ وليعمل في ذلك

(١) في الأصل «نمرة» والنصح من "التعريف" (ص ١٠٤) .

بما يُبْحَثُ عَنْهُ نِجَارُهُ ، وَيَأْمَنُ بِهِ سُكَّانُ ذَلِكَ الْحَرَمِ الَّذِي لَا يُرْوَعُ حَمَامُهُ فَكَيْفَ جَارُهُ ؛ وَلِيُنْصِتَ إِلَى أَسْمِهِ [عَزَّوَجَلَّ] حَيْثُ يُعَانُ بِهِ الدَّاعِي عَلَى قُبَّةِ زَمْزَمَ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَيُعْرِفُ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَيُعَامِلُ مِنْ وُلَى عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيْقُ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ مِنْ وَقَفَتْ تَحْتَ مِزَابِ الرَّحْمَةِ ؛ وَقَدْ أَكَّدَ مَوْثِقَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي تَقْضِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ عَلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ يَمِينِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَلِيَتَبَصَّرَ أَيْنَ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آسْتَأْمَنَهُ عَلَى بَيْتِهِ الَّذِي بَنَاهُ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ بِمَشْعَرِهِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ خَيْفِهِ وَمِنَاهُ ؛ وَإِنَّهُ الْبَيْتُ الْمَقْصُودُ : وَكُلُّ مَنْ تَشَوَّقَ حَمِي لَيْلِيْ فَأَيُّمَا قَصَدَهُ أَوْ لَعَلَّعَ بَلَعَلَّعَ فَأَيُّمَا عَنَاهُ ؛ وَفِي جَمْعِهِ يَجْتَمِعُ كُلُّ شَيْئَةٍ ، وَفِي لَيْلِيْ مَنَاهُ يَطِيبُ الْمَيْتَ ؛ وَبِحُضْرَتِهِ تُقَامُ الْمَوَاسِمُ ، وَتَفْتَرُّ الثُّغُورُ الْبَوَاسِمُ ، وَتَهْبُّ مِنْ قَبْلِ نَعْمَانَ الرِّيَّاحُ النَّوَاسِمُ ؛ وَفِي عَقْوَةِ دَارِهِ مَحَطُّ الرَّحَالِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَمَقَرُّ كُلِّ ذَاتِ عُوْدٍ تُجَذَّبُ يَقْلَعُ وَعُوْدِيْ تُقَادُ بِزِمَامٍ ؛ وَإِلَيْهِ تَضْرِبُ التِّجَارُ الْبَرَارِيَّ وَالْبِحَارُ ، وَتَأْتِيهِ الْوُفُودُ عَلَى كُلِّ قِطَارٍ يُجَدِيْ مِنَ الْأَقْطَارِ ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَيُّمَا يَأْتُونَ فِي ذِمَامِ اللَّهِ بَيْتِهِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَإِلَى مَحَلِّ آبِنِ بِنْتِ نَبِيِّهِ الَّذِي يَلْزِمُهُ مِنْ طَرِيقِ بَرِّ الضَّيْفِ مَا أَخَذَ لَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَامِنًا .

فَلْيَأْخُذْ بِنِ اطَّاعِ مَنْ عَصَى ، وَلِيَرُدَّعْ كُلَّ مَفْسِدٍ وَلَا سِيَّيَا الْعَبِيدِ فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمَفْسِدَ لَا يُزْبِرُهُ إِلَّا الْعَصَا ؛ وَلِيَتَلَقَّ الْحَجَّاجَ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ ، فَهَمْ زُوَّارُهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى بَيْتِهِ وَإَيُّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دَعَاةٍ ؛ وَلِيَتَلَقَّ الْمَحْمَلَ الشَّرِيفَ وَالْعَصَابُ الْمَنْصُورَةَ ، وَلِيَخْدُمَ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْنَى وَمَعْنَى صُورِهِ ؛ وَلِيَأْخُذْ بِخَوَاطِرِ التِّجَارِ فَإِنَّهُمْ سَبَبُ الرَّفْقِ لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَتَوْسِعَةَ مَا لَدَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَجَابُ فِيهِمْ دَعْوَةُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِذْ قَالَ : ﴿ وَأَجْعَلْ أُنْفِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَىهِمْ ﴾ . وَلَا تُتَحَيَّفَ أَمْوَالَهُمْ بِغَرَامَةٍ يَقْلُ بِهَا الْغُيْمُ ، وَلَا بِظُلَامَةٍ فَإِنَّهُ بِإِزَاءِ هَذَا

(١) يُبْحَثُ يَسْتَخْرِجُ وَنِجَارُهُ أَصْلُهُ .

البيت الذي يردُّ دُونَهُ من أراد فيه إلحاداً بظلم ؛ ولينظر كيف حُيس دُونَهُ الفيل ،
 وليكف عادية من جاوره من الأعراب حتى لا يخاف ابن سبيل ؛ وليقيم شعائر
 الشرع المطهر ، وأوامر أحكامه التي قامت بأبويه : بحكم جدّه سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم وسيف أبيه حيدر . وليأمر طوائف الأشراف وأشياعهم وسائر أهل
 موالاتهم وأتباعهم بلزوم ما كان عليه صالح السلف وما عليه الإجماع ، وتجنب ما كانت
 الزيدية زادت فيه وكف الأَطَاع ، ولتق الله فإنه مسئول لديه عما آستره
 وقد أصبح وهو له راع ؛ وإياه أن يتكلم على شرف بلده ، فإن الأرض لا تقسِّد
 أحدا ، أو شرف محمّده ، فإن في يوم القيامة لا ينفع ولد والد ولا والد ولدًا .

الوظيفة الثانية

(قضاء مكة ، ويكتب به توقيع في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء)

وهذه نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة :

الحمد لله الذي أنفذ الأحكام ، بالبلد الحرام ؛ وأيد كلمة الشرع في بلده
 ومنشئه بين الركن والمقام ، وجعل الإنصاف الجزيل ، حول حجر إسماعيل ؛
 متسق النظام .

نحمده حمدا حسن الدوام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 عبد قائم بحقها أحسن القيام ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله السامي من ولد
 سام ، والذي قام لله حتى ورمت منه الأقدام ؛ وأسرى به من مكة إلى السماء
 مرتين : في اليقظة والمنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الصلاة والصيام ؛
 وسلم تسليما .

وبعد ، فإنَّ وظيفة القضاء بمكة المعظمة هي أجل منصب بتلك الأباطح ،
 ونورها في الحرمين لأبج ، فإنَّ الشرع نشأ منها والوحي أنزل فيها فزهيت البطائح ،
 وظهرت النصائح ، وأطربت الصوايح ، وأسكنت النوايح ، وغمرت المنائح ،
 وانتشرت المصالح ، فمن ولي الحكم بها وعدل فذلك هو العدل الصالح ، وكيف لا ؟
 وماء زمزم شرابه ، وأستار البيت تمسها أثوابه ، وعلى الله أجره وثوابه ، وفي ذلك
 الجناب الشريف كرم جنابه ، وإذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه .

ولما كان فلان هو فرع الدوحة المثمرة ، ومحصل من العلوم الشرعية المادة
 المؤفوه ، وله البحوث التي [هي] عن أحسن الفوائد وغرر الفرائد مسفره ، ورضى
 أهل الحرم ، لما جبل عليه من خير وكرم ، [تمسك] بالعروة الوثقى والقوى الأتقى
 فلا جرم .

فذلك رسم ... - لا زال ...

فليكن في أم القرى ، كالوالد المشفق على الوري ، وليتمسك من التقوى بأوثق
 العرا ، وليخش رب هذا البيت إنه سميع يسْمِع ويرى ، ووفد الله قطعوا إليه
 المراحل في السرى ، ليصالحوا كفه المضمخ عنبرا ، وليقض بين الخصوم بالحق فيثله
 من درأ الباطل : قد جعله الله جار بيت عالي الذرا ، وفي أرض شرف الله جبالها
 وقدس غيرانها فمنها غار ثور وغار حرا ، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد
 في غار حرا ، وأوى إلى غار ثور لما هاجر مؤيدا مظفرا ، والوصايا كثيرة وملاكتها
 تقوى الله فليتمسك بها من أمم وورا ، والله تعالى يجعل نهاره متورا ، وليله مقمرا ،
 بئنه وكرمه !

القاعدة الثانية

(المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

والأمر فيها على ما أمرت في إمارة مكة المشرفة .

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
ويكتب لها تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالي» أيضا بألقاب مخصوصة ،
وقد تقدم ذكر ألقابه .

وهذه نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية ، كتب به للأمير بدر الدين
«^(١) ودّي بن جماز» من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، سقى الله عهده :

الحمد لله الذي صرف أمرنا في أشرف البقاع ، وشرف قدرنا بملك ما أنعقد على
فضله الإجماع ، وعرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من تينات الوداع ؛
وأمدنا بؤدى صغر للتجيب وإلا فهو واد متدفق الأجرع .

نحمده على نعيمه التي أغنت مهابط الوحي عن ارتقاب البرد اللعاع ، وارتقاء النظر
مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة محمد من الضلال ما شاع ، ومن البدع ما استطار له في كل أفق شعاع ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من أنفت به حمية الأمتناع ، وألفت

(١) سبق ضبطه مرازا في ج ٤ بالتكدير تبعا لضبط النسخة والظاهر ما هنا .

بنا سنته أن ترعى لأهلها ولا تراعى، وعصفت ريحها بمن يمالى دينه فقال إلى
الابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ليس في فضل أحد منهم نزاع،
وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن الأهتمام بكل جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الدرّة الثمينة كرامة
صدفها، والكرامة بثمرها، والعمامة بمطرها، والهالة بما يجلو الدجى من قمرها،
والمدينة الشريفة النبوية لولا ساكنها ما عاجت إليها الركائب، ولا ناجت حدائقها
غرس السحاب، ولا وقفت بتأرج شدا الروضة الغناء بها الجنائب، ولا بكى مقيم
دمن العقيق بمثله من دم ذائب، ولا هاج إليها البرق متألقا، ولا هام صب فيها
بطيات سايح والنقا، ولكنها مئوى النبوة تراها، ومهوى الرسل جناها، ومأوى
كتاب الله الفسيح رحابها، دار الهجرة التي تعالت شمس الشريعة بأفقها، وتوالت
سحب الهدى من بين أبيرقها، وهي ثانية مكة المعظمة في فضلها إلا ما ذهب إليه
في تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى نؤارة كل نور وشعاع
كل قبس، وكانت لنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبق داريه، وأعلى سماء
حوت ثلاثة أقمار منه ومن جاريه .

ولما كان بها لبعض الولاة من الشيعة مقام، ولهم فيها تحامل لا يجوز معه
من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام، حتى إنه فيما مضى لما أكثر منهم على بغض
الصاحبين - رضى الله عنهم - الإصرار، وأشرأبوا في التظاهر بسبهما إلى هتك
الأستار، دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكل جدار، وأبت لها حمية
الغضب إلا أن يطهر ما سنته أيدي الروافض بالنار، فلما اتصل بنا الآن أن منهم
بقايا وجدوا آباءهم على أمه، واقتدوا بهم في مذهب الإمامية بما لا أراده الله تعالى

ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة ؛ وحضر المجلس العالى الأميرى ،
الأصلي ، الكبيرى العادى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الزعيمى ، المقدمى ، الذخرى ،
الكافى ، الشرفى ، الحسبى ، النسبى ، الأوحدي ، البدرى : عز الإسلام
والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ؛ جمال العترة
الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ؛ طراز العصبة العلوية ، كوكب الدرية الدرية ،
خلاصة البقية النبوية ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين ؛ ودى بن
جماز الحسينى - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدنا الشريفة بمحضر قضاة القضاة
الأربعة الحكام ، وتدمم بأن مع طلوع بدره المنير لا تبقى ظلامه ولا ظلام ؛ وتكفل
لأهل السنة بما أنشدنا الله به عليه ومن حضر ، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم
عليه : النبى صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ؛ فما اختصهما الله بجواره إلا ليثبت
لها على غيرهما إفضالا ، وليجعل قبورهما فى معرفة أقربهم منه درجة مثالا ؛ لما
تواترت به الأحاديث الشريفة فى فضائلهما مما هو شفاء الصدور ، ووفاء بعهده
إذ يقول : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها
بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » ؛ فلم يسعنا إلا أن نجعل له منّا تقليدا
يحو يحد ما حدث من أحداث البدع ، ويجدد من عهد جدّه نبينا صلى الله
عليه وسلم فى معرفة حق أصحابه رضى الله عنهم ما شرع ؛ وثوقا بأنه من بيت كان
أول هذا الدين الحنيف من دله ، ومبدأ هذا الحق الظاهر ما أنزلته ومثلته فى سلفه
الشريف بأقارب متصله ؛ وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن آبائه الكرام ،
المحدث عن كرم الحدود بما لا يحقر له جوار أو يحقر ذمام ؛ المشرق من الأسرة
العلوية بدرًا تاما ، المحيدق به من الكواكب العلوية ما يظن به (؟) أبا تسمى وأبنا
(١٣) الدار الهدى .

تسامى؛ المتخَبُّ من آباء صدق أحسن في ديارهم الصنيع ، وحفظ من حسبهم
الكريم ما أوشك أن يضيع ؛ وأستضاء بلامعة من هدى سلفه السابق ، وهامعة من
تدى ما يرويه السحاب عن الجود والبرق عن المهارق ؛ تَهْتَرُّ بمقدمه المدينة سرورا ،
وتفتُرُ رباها منه بنسب كأنَّ على نسيه من شمس الضحى نورا ؛ ويتباشر ما بين
لابتئها بمن يحمى حماها ، ويحيى حياها ؛ وتتشوف منه ربا كل نديَّة إلى ابن جلاها ،
وطلايح شاياها ؛ مع ما لا يُجحد من أن له فيها من أبيه حق الوراثة ، وأنه لما
كان هذا ثاني المسجدين احتاج إلى ثاني اثنين تعظيما للواحد وفرارا من الثلاثة ؛
ليكون هو ومن فيها الآن بمنزلة يدين كلتاهما تقبل الأخرى ، وأذنين كلتاها توعى
درا ؛ وعينين مامنهما إلا ما يدرك أمرا بعيدا ، وفرقدين لا يصلح أن يكون أحدهما
فريدا ؛ وقمرين لا يغلب أحدهما على الآخر في التسمية بالقمرين ، وعمرين وكفى
شرنا أن لا يوجد في الفضل ثالث للعمرين .

فرسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى - زاد الله
به المواطن شرفا ، وزاد به البواطن الشريفة حبا وشغفا - أن يفوض إليه نصف
الإمرة بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، شريكا للأمر سيف
الدين ابن أخيه ، ورسيلًا معه فيما يليه ، ولكل منهما حق لا يكاد الآخر يخفيه ،
هذا له بر الولد وهذا له حرمة الوالد لأن ابن الأخت ولد وعم الرجل صنو أبيه ؛ فتقسم
الإمرة بينهما نصفين ، وتوسم جباه الكتب الصادرة منهما لها بأسمين .

والوصايا تمتد من عنانها ، وتعد من أعيانها ؛ فأولها تقوى الله فإنها من شعائر
القلوب ، وبشائر الغيوب ، وأما نجاح كل مطلوب ؛ والاعتصام بالشريعة الشريفة ؛
فإنها الحبل الممدود ، والحبل الذى تم دونه من عقبة كئود ؛ والالتناء إلى مانص عليه

الكتاب والسنة والإجماع ، وقص جناح من مال به الهوى إلى مجاذبة الأَطَاعِ ؛ وتلقى
وفد الله الزائر بما أَلْفِه نزيل هذا الحمى من كرامة الملتقى ، وتوفى المذمة فإنها دَسُّ
لا يَحْمَدُ مثله نقاء هذا النقا ؛ ونعني بالمذمة ما نُسِبَ إلى الروافض من البِدَعِ التي
لا تُطَهَّرُها غُرُّ السحاب ، ولا يستبيح معها لدخول المسجد الطاهر من قَبَعِ بمقامه
حواله التيمم بالتراب ؛ ولا يدع أحدا من هذه الفرقة الضالة بعلى ولا يعيره بما
يكون به مثله ، ولا يشبه قلبه في محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء أمتلأ
ماء ولم تبق فيه فضله .

ولا يظن جاهل منهم أن عليه - كرم الله وجهه - كان على أحد من الصاحبين
معانبا أو عائب ، أو أنه تأول في خلافتهما معتقدا أن أحدا منهم غاصب ؛ فما تأخر
عن البيعة الأولى قليلا إلا لأشتغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المصائب ، وإلا فقد آتخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضي الله عنه لا كما يدعيه
كل كاذب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه آنته أم كلثوم وأقام بأمره
الحدود وناب عنه وهو غائب ؛ فيكف من عادية هؤلاء الروافض الأشرار ما سيصلون
في الموافقة بناره ، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره ؛ ولا يدع للإمامية
إماما يقتدى به منهم قوم شرار ، ولا قاضيا يقضى بينهم : فإنه إنما يقطع لمن قضى
له أو عليه قطعة من نار ؛ ولا عالما يرفع له علم ، ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم
فم ، حتى ولا ما يتحرك به في فم الدواة القلم .

وليطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم ، وليرط ما يحمله أديم مجلدات التصانيف
من نجسهم ؛ وسكان هذا الحرم الشريف ومن أقام عندهم من المجاورين ، أو خالطهم
من زمر المقيمين والسائرين ؛ يحسن لأموالهم الكفالة ، ولا يتعرض لأحد منهم
بما يؤذى نفسه ولا يناله ؛ فهم في جوار نينا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعة ،

وكلُّ منهم نزيلٌ حرّمه ومكثّرٌ سوادِ جماعته ؛ وحقّهم واجبٌ على كلِّ مُسلمٍ فكيف
على حامي ذلك الحمى ، بل من له إلى نسبه الشّريف مُتّعى .

وأصحبٌ رفيقك بالمعروف فإنك مفترقان والسعيد من لا يدّم بعد فراقه ، ومُسْتَبَقان
إلى كلِّ مورِدٍ لا يُدرى أيُّكما الحِدّ في سبّاقه ؛ ومتّفقان على فردٍ أمرٍ وأفضلكما من
داوم صاحبه على إرفاقه ، وصحبه على وفاقه .

وأما ما للمدينة الشريفة من تهايمٍ ونجودٍ مضافةٍ إليها ، ومُسْتِظَلَّةٍ بجدرها أو متقدّمة
في الصحراء عليها ، فهي ومن فيها : إما أن تُوجدَ بقلوبهم فهم أعوان ، وإما أن تتفرّ
فهم أشبهُ شيءٍ بالإبل إذا نفرت تعلقَ بذنب كلِّ بعيرٍ شيطان ؛ فأقرّبهما إلى المصلحة
تقريبهم ، وتألّفهم بما يقربُ به بعيدهم ويزدادُ قُرْبى قريّهم ؛ والرُّبّان التي تتقدّ
بهم جمراتُ الأضباح والعشايا ، ويعتقدُ كلُّ منهم في معاجه إلى المدينة الشريفة أن
تمام الحجّ أن تقفَ عليها المطايا ؛ فهم هُجودٌ سرى ، ووفودٌ قري ، وركودٌ في أفق
الرحال خالعتْ مقلّهم على النجوم الكرى ؛ ومعهم المحاملُ الشريفة التي هي ملتفّ
شعابهم ، ومخفّ ركابهم ؛ وهي من أسرّتنا المرفوعة ، ومبرّتنا المشروعة ؛ فعظّم شعائر
حُرّماتها وقبّلَ أمام منابرها المثلثة مراكرَ راياتها ؛ وأكْرِمَ من جاء في خفارتها ، ومن
جال في دُجى الليل لا يستضيءُ إلّا بما يبدو من إشارتها ، وقد أشهدنا عليك من هو
لك يوم القيامة خِصيم ، وأنت وشأنك فيما أنت به عليم .

وباقى الوصايا أنت لها متفظن ، وعليها متوطن ، وما ينتفع الشريّف بحسبه ،
إن لم يكن عمله بحسبه ؛ ولا يرتفعُ بنسبه ، إن لم يتجنّب مكانَ نسبه ، والله تعالى
يُمْتَعُ بدوام شرفه ، ولا يضيعُ له أجرُ حالِّ عمله الصالح وسلّفه ؛ والاعتماد

(١) في الأصل «الأجناح» .



وهذه نسخة تقليد شريف بإمرة المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

الحمد لله الفرد بلا شريك ، الواحد لا من أعداد تقتضى التثريك ، المليك الذى يتناهى إليه تقليد كل ملك .

نحمده حمداً يكل مواهب التملك ، ويحمد عواقب التسليك ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكيك ، وتصد كل أفيك ، وتسد خلل التدريك ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حى به عريك ، وحى عليه تريك ، وحمل حتى تأتى له التحريفى التحريك ، وتأتى وما فاته على أعدائه النصر الوشيك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخلص كالذهب السيبك ، وترفع ما شيد وتمنع ماشيك ، وسلم تسلياً كثيراً .

أمّا بعد ، فلمّا كانت المدينة الشريفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حرماً لا يُستباح ، وحى ليس إلا لمن أنتهكه دم مباح ، وجناباً ما على من حله جناح ، ومهبط وحى لا يمسح بأركانه لغير الملائكة جناح ، ولا يمسك بعصمة من أغضى فيه على قدى ، وسكت لساكنيه على أذى .

ولمّا اتصل بنا عن الروافض مالا صبر لسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ، ولا وجه لمن قنع فيها بإخراج يديه ، ولا عذر لمن لقي الله مغضباً لما ينهى إليه ، لا مغضباً لما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعرض إلى صاحبيه ، مما تقاضى منا ما يحو ظلامه المتد ، وظلمه المشتد ، ويدعهم فسواءً من آبتدعها ومن آرتد - فمكناً بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله مؤثفاً ، وجرّد عزائم لا تردّها من

خَدَعَهُمُ الرَّقِيُّ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَانَهُ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ حَتَّى يَدْعَ
يَتِيمَهَا ، وَيُعِدُّ لِمَقَاتِلِ السُّيُوفِ حَاطِمَهَا : مَا تَضَمَّنَهُ نَصٌّ ماضِي ذَلِكَ التَّقْلِيدِ ،
وَمَا ضَمَّ ذِكْرُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَنَهَبْنَا عَلَى أَنَّهُ بَدْرٌ لَمْ يَبْقَ
مَعَ طُلُوعِهِ ظُلْمَةٌ وَلَا ظُلَامَةٌ ، وَلَا إِضَاعَةٌ وَلَا إِضَامَةٌ ^(١) ، وَلَا مَا تَجَنَّبُ بِهِ الرَّاكِبُ
تَمَامَ الْحَجِّ فِي مَوَاقِفِهَا ، وَلَا تُشْكِرُ مَا جِئَتْ فِي قِيَابِ قِيَابٍ مِنْ مَعَارِفِهَا ، وَتَرُدُّ أَعْيَانَهَا
وَلَا تَسُوقُهَا إِلَى الْأَبْرِقِ بَارِقٌ عَلَى أَطْلَالِهِ ، وَلَا يُعْجِبُهَا إِنْ خِيلَ لَهَا فِي النَّخِيلِ مَقِيلٌ
فِي ظِلَالِهِ .

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم
الشريف من ألم كل قول يُفترى ، ولم كل باطل يُلْمُ يَقْظَةً أَوْ طَيْفَ كَرَى ، وإزالة
كل شئ فيها على من أَمَلَّ قَرَى أُمَّ الْقُرَى ، وإماتة كل بدعة تُسَكَّبُ عَلَى مِثْلِهَا الْعِبْرَاتِ ،
وإماتة كل أذى من طريق منى والجمرات ، ومنع شقاشق شيعية تغلي مرآجها من
الزفريات ، وقطع كل نجوى يُنادون بها من وراء الحجرات ، وقلع طائفية لولا إقامة
حدود الله لكفاهم ما يُقَطِّعُ أَسْبَادَهُمْ مِنَ الْحَسَرَاتِ ، وكان بها من أولاد أخيه ، بل
بعضه منه وبعضه من بنى أبيه ، من ألتهى عما نتحلَّى به شيم الشريف الشريفه ،
وأنتهى إلى ما لا يعنيه ولا يعنيه في تأخير خليفة وتقديم خليفه ، وأهمل حقوقاً
عواقبها مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم خليفه ، وأوهم عقوقاً لأصحابه بل
له لقراله : «دَعُوا لِي أَصْحَابِي فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مَدَى أَحَدِهِمْ
وَلَا نَصِيفَهُ» . وبقى يتصل بنا في هذا المعنى ما لا يُقالُ مِمَّا يُقالُ عَنْهُمْ ، وَيَصِلُ
أَذَاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَاحِبِيهِ وَقَدْ قَالَ : «إِنْ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ

(١) مراده اضاعة الحق كله أو نقص شئ منه الا أنا لم نجد فيها بأيدينا من كتب اللغة من هذه المادة
فعلا رباعيا ليكون هذا مصدرا له ولعله استعمل اللغة العامية ترويجا للسهل .

العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكرٍ وعمرَ منهم»
 يطلبون في التقديم على من قدمه الله ردَّ فائتٍ ما جرى به القدر، ويضربون صفحاً
 عما لا أراد الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا أدري ما قد بقي لي
 فيكم فاقْتدُوا باللذنين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر» . مع ما أضيف إلى هذا من
 قوادح نواب، وفواتح أبواب، وحوادث تُزجج مقرَّ النبوة أنبأؤها، وتمتدُّ على مشارق
 الأنواء ظلماًؤها، وتُغيِّر عوائد الوفود في كرامة زائرهم، وإدامة بشاشة المتقِّ
 لسائرهم، وأمن سربهم أن يُراع، وشربهم أن يتمثل به لغير برق شعاع، وصمهم
 إلى ذلك الحمى الذي لا يضام نزيهه، ولا يُرام في طريق الحجرة سبيله، ولا يضلُّ
 سارٍ إليه ووجوه سگان الحمى دليله، ولا يضيع وقد تلقاه من التسم بلبه بلبه،
 ولا يقف وفقة المرَّيب وضوء الصباح من أيمن النقا قنديله، ولا يحشى وشعب ذلك
 الحمى شعبه وقبيله قبيله، وإراحة ركبهم التي أزعجها حادى السرى، وإمتاعهم
 بقرب الحوار عوضاً من دموعهم عما جرى .

فلما لم يبق لمن أشرنا إليه - ممن أعطانا جهد موثقه، وسار لا يريد إلا نقاء نقاه
 وبراءة أبرقه - إلا أن يحطَّ بالمدينة الشريفة ركابه، ويُبعد الشكوى مما لاعهد من
 معاهدها اقترابه - أصرَّ من فيها من ذوى قرابته على منعه أن يدخلها إلا بقتال يُحل
 معاهد الحرم، ويحلُّ معاهد الحرم،^(٢) ويُشعل ناراً يصلُّ بها من لم تمتد له يدٌ إليها إلى
 وقود، ويروع من الآلف فيها من يتمد له في غير مراتع غزلان النقا سبحاف قيام
 معقود، وقدم إلى أبوابنا العالبة من كان فيها مقبلاً، وأنعمنا عليه بإبقاء النصف

(١) مراده أنهم يطلبون في تقديم على رد فائت ما أراد الله من تأخيره عنهما ويتركون أيضاً ما ورد
 في الحديث من الأمر بالاقْتداء بعده بأبي بكرٍ وعمر . إلا أن العبارة سطت عليها يد النساخ فزادت فيها ما غير
 مبناها وشوش معناها . تأمل .

(٢) في الأصل مقاعد وهو تصحيف .

ففاتته الكُلُّ لما لم يقنع أن يكون قسيماً؛ فأبت حَمِيَّتنا لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ولتلك المواطن المعظمة إلا أن نُظهِرَها مما أسبَلت على سريره أذيالها، وما أطاقَت
على مَضَضِهِ الأليمِ آحْتالها .

فُرسَم بالأمر الشريف - لا زال قدره عالياً، وبره لا يخل بؤدى ولا يخل موالياً -
أن تفوض إليه إمرة المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :
مستقلاً بأعبائها ، مستهلاً بحبائه على أرجائها ؛ إمرة تستوعب جميعها ، وتستوعى
لمراسمه رباها وربوعها وعاصيها ومطيعيها ؛ وتهايمها ونجودها ، وقريبها وبعيدها ؛ وكل
ما يدخل لها في حد ، وينتظم لها في عد ؛ وأهل حاضرتها وباديتها ، وما تقف عليه
من السحب (؟) ركائب رواعيها وغاديتها ؛ ومن تتبسم بهم ثناياها ، وتتسم لهم أرواح
بكرها وعشاياها ؛ ومن يضمهم جناحها المفضل ، ويلهمهم وشاحها المفضل ؛
ويجمعهم جيشها السائر ، ويلقهم في شملة الدجى قمرها الزاهر - نفويضاً يدخل فيه كل
شريف ومشروف ، ومجهول ومعروف ؛ ومستوطن من أهلها ، وغريب آتته [به]
إليها مطارح سبيلها ؛ مافيه تأويل ، ولا تعليل ، ولا استثناء ، ولا أنشاء ، ولا تخرج منه
الأرض المغبرة ولا الروضة الغناء ؛ لأشبهه فيه لداحض ، ولا حجة لمعارض ؛ يستقل
بها جميعها بدره التمام ، وبره الغمام ، وبحره الذى أبى فريده أن يؤاخى في نظام ؛
وأمره الذى يتلقى به عن الثقة من سادات بيته مقاليد الأحكام ، وتقاليد مايجرى
به القلم ويمضى السيف الحسام ؛ إفراداً له فى التحكيم ، وأنفةً لمثله من ضرر
التقسيم ، وفراراً من الشركه المشتقة من الشرك : (إنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ) . ولاية
تامه ، عامه ؛ كامله ، شامله ؛ لا يبق من أهل نجد من لا يدخل فى حكمها ، وينضاف

إلى قِسْمِهَا؛ تَقَابُلُ السَّوَابِقِ فِي غَايَاتِهَا، وَتُقَاتِلُ الْجَحَافِلُ تَحْتَ رَايَاتِهَا؛ وَيُعَدُّ مَعَ أَهْلِ بَدْرِ فِيهَا، وَيُعَدُّ مِنْ حَقُوقِهَا مَا يُوفِّيهَا .

وقد سبق من الوصايا ما فيه غنى، إلا ما لا تخل العوائد به مما يُذكر هنا؛ وقد حَوَيْتَ بحمد الله في جميع طباعك، وجميل أنطباعك؛ من حقّ احترامك، وصدق التزامك؛ ما هو كالسّنة للشمس، والمُنَى للنفس؛ مما تحسدُ على شرفه النجوم، وتنافسُ العلياء ما تعلق به الغيوم .

فكَلَّ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ، وَاتَّبَعَ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سَلَفَكَ؛ وَكَتَابَ اللَّهُ الْمَنْزِلَ، أْتَمَّ أَهْلَ بَيْتِ فِيكُمْ تَنْزِلَ، وَسَنَةَ جَدِّكُمْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُهْمَلُ، وَهِيَ مَجْدُكُمْ الْمُؤْتَلِ بِمَعْرِفَةِ حَقِّ مَنْ مَضَى عَنْكُمْ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُثْقَلُ، وَمِنْكُمْ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُؤْمَلُ؛ وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَإِلَّا فَلَا يَشَيْءٌ سِوَفِكُمْ تُصَقَّلُ، وَ[لِمَاذَا] رِمَا حَكْمَ تَعَدَّلُ^(١)؛ وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ انْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانُهُ، وَسَبَبٌ وَقُوفٌ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ؛ فَهَمُّ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ، لَيْسُوا - وَحَاشَى نَوْرَهُ السَّاطِعَ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرِينَ لِسَوَادِهِ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى فَأَخْلَوْا، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا؛ وَأَيْفٌ مِنْ هُوَ بَرِيءٌ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ، أَنْ يَتَظَاهَرَ بِالْوَلَاءِ فَيُعَدَّ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمَعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأْتَهُمُ الْمَطَاعِ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهَا كَزِيَادَةِ الشَّغْيَاءِ أَوْ كَزِيَادَةِ الْأَصَابِعِ .

فَصَمَّمْ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ، وَمَنْعِهِمْ هَمٌّ وَمَنْ أَتَّبَعَ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ؛ وَحَدَّرَهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرٌ يَسْبُلُ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهُ لغير السَّيْفِ حُكْمٌ يُقْبَلُ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلسَّلْفِ الصَّالِحِ يَمِّ دَمٍّ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٠٧ .

(٢) في القاموس: الشغياء السن المخالفة الخارجة عن نبتة الأسنان .

أغرق في تياره ، أو قدح فيهم زناد عناد أحرق بناره ؛ وألزم أهل المدينة الشريفة -
على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بكلمة السنة فإنها أول ما رفعت بتلك المواطن
المعظمة أعلامها ، وسمعت في تلك الحجرة المكرمة أحكامها ؛ مع تعفية آثار ما ينشأ
على هذه البدعة من الفتن حتى لا يتعقد لها تقع مئثار ، وتوطئة أكف الحمى لئلا
يبقى به لمبطل في مدارج نطقه عثار ؛ والوصية بسكان هذا الحرم الشريف ومن ينزل
به من تزيل ، ويحاور به مستقرًا في مهاد إقامة أو مستوفزًا على جناح رحيل ؛
ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رقيقة مالت من نسوات الكرى بهم
راقصات النجائب ؛ ومن يصل من رُجان الآفوق ، وإخوان نوى يتشاكون إليهم
مرّ الفراق ؛ ومن يتلاقى بهم من طوائف كلهم في بيوت هذا الحمى عشاق ، وأم
شئى مجموعهم : من مضر وشام ويمن وعراق ؛ وما يصل معهم في مسيل وفودنا ،
وسبيل جودنا ؛ ومحامينا الشريفة التي ينصب لنا بها في كل أرض سرير ، وأعلامنا
التي ما سميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير ؛ فمتى شعرت بمقدم ركابهم ،
أو برقت لك عوارض الأثمار من سماء قبايهم ؛ فبادر إلى تلقيمهم ، وقبل لنا الأرض
في آثار مواطيمهم ، وقم بما يجب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وطاعتنا [وأخرج عنهم كل يد ولا تُخرجهم عن جماعتنا] .^(١)

وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهم ، وحربك إذا كان وقودها جثث وهام ؛
وهم قوم لم يؤدبهم الحضر ، ولا يبيت أحد منهم لأنفته على حذر ؛ فاستجلب
بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إيلهم النافرة قبل البتات ؛ وترقب مراسمتنا
المطاعة إذا ذرت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من
الحروب بوارقها ؛ وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حلية

(٢) الزيادة من الوصية الآتية بعد ومن التعرف (ص ١٠٨) .

لأطنا حمائل ما يُملِّيه عليك؛ فما شهد للشريف بصحة نسبه، أركى من عمله بحسبه؛ والله تعالى يقوى أسبابك المتينه، ويمتدح العيون بلوامعك المينه، ويمسك بك ما طال به إرجاف أهل المدينة؛ والأعتاد



وهذه نسخة تقليد بإمرة المدينة النبوية، وهي :

الحمد لله الذي خصَّ بالنصرة، دار الهجرة، وأطلع للإيمان فجره، بتلك الحجره، وطيب طيبة وأودع فيها سليل الأسره .

نحمده حمداً نأمن به مكره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد تمسك بالحج وتمسك بالعمرة، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرف الله قدره، وأنفذ أمره، وأيده في ساعة العسرة، وكان أكرم الناس في العشرة، وأسنخى العالمين إذ يبسط بالجوود راحته فما أسمع عشره، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ثبتت شجرتها من الأرض فاتصلت فروعها بالسدره؛ وسلم تسليماً .

وبعد، فإنَّ المدينة النبوية معدن الهدى والوقار، ومسكن الرضوان والأنوار، ومهبط الملائكة الأبرار، ومنزل الوحي في الليل والنهار، ودار الهجرة للنبي المختار، وتربة مدقنه الزاكي المعطار؛ تُسدُّ الرِّحال إليها من أقاصي الأقطار، ويأتي إليها الظالمون لأنفسهم بالاستغفار، فيرجعون وقد حُيِّت عنهم الأوزار، فقلوب أهل الأشتياق مقيمة في فناء تلك الدار، وإن كانت أجسامهم بعيدة من وراء البحار، وبها من آل البيت سادة أطهار، وأمراء كبار، يتقرب إلى الله بحبهم في الإعلان والإضمار، ويتوسل بولائهم في دعوة الأبخار، قد ضموا إلى كرم الراحة، وسماحة

الأُنْسُ المُرْتاحَه ؛ شِجَاعَةً وَبَسَالَه ، وَعَلَوِيَّةً فَعَّالَه ، وَتَمَسُّكًا بِالْمُرْوَةِ المَعْرُوفَةِ بِشَرْفِ
الأَصَالَه ؛ وَهَمَّ يَتَوَارَثُونَ إِمْرَتَهَا عَنِ آبَاءِ سَادَاتِ ، وَكِرَامِ لَهُمْ فِي الفَضْلِ عَادَاتِ .
وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ بَقِيَّةَ الأُسْرَةِ المَتَضَوِّعَه ، وَثَمَرَةَ الشَّجَرَةِ المَتَفَرِّعَه ؛ وَالمَخْصُوصَ
بِالْوَصْفِ الذِي رَفَعَه ، وَالقَوْلَ الذِي أَتَّبَعَه حِينَ سَمِعَه - مَا زَالَ فِي المَدِينَةِ النَبَوِيَّةِ
عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مَشْكُورَ الطَّرِيقَه ، مَحْفُوظَ الوَثِيقَه ، مَعْرُوفَ
الحَقِيقَه ، مَوْصُوفَ الآثَارِ الحَسَنَةِ بَيْنَ الخَلِيقَه ، يَجْتَنِي لِكُلِّ صَالِحَةٍ مِنْ تِلْكَ الرُّوضَةِ
الشَّرِيفَةِ المُثْمَرَةَ الوَرِيقَه ، وَيَجْمِي السَّرْحَ أَنْ يَتَهَبَ ، وَيَطْفِئُ نَارَ الفِتَنِ فَمَا تَلْتَهَبُ ،
وَيُعْظَمُ المَجَاوِرِينَ وَالمُؤَدِّينَ وَالمُقَادِمِينَ عَلَى حِمَى سَيِّدِ العِجَمِ وَالعَرَبِ .

فلذلك رسم أن يستقر

فِيحِلُّ هَذَا الرَّبْعَ المَعْمُورَ بِالتَّقَى ، وَلِيُبَاشِرَ هَذِهِ الإِمْرَةَ الشَّرِيفَةَ زَادَهَا اللهُ عُلوًّا
وَأَرْتِقَا ؛ وَلَيْسْتَ تَعْمَلِ السَّكِينَةَ فَإِنَّهَا جَمِيلَةُ اللِّقَاءِ ، وَلَيْسَلِكِ الأَدَبَ مَعَ سَاكِنِ النَّقَا ،
وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى حُسْنِ البَقِيَّةِ فَإِنَّهُ لَهُ وَقَا ، وَقَدْ جَاوَرَ العَقِيقَ فَأَصْبَحَ بِقَلَائِدِهِ الفَاخِرَةَ
مُطَوَّقًا ، وَلِيَحْكُمَ بِالعَدْلِ فِي بَلَدِ نِسَاءِ مِنْهُ العَدْلُ وَالإِنصَافُ فَمُنْدُ أَجْتِمَاعِهِ فِيهِ مَا أَقْتَرَقَا ؛
وَلِيَصُنْ شَرْفَهُ مِنَ الوُجُوحِ فِي فِتْنَتِهِ ، وَلِيَعْمِدَ سَيْفَهُ وَلَا يَشْهَرَهُ فِي وَقْتِ مِحْنَتِهِ ، وَيَحْقِرِ
الدِّمَاءَ أَنْ تُرَاقَ ، وَيَتَلَقَّ الرُّؤَاةَ بِالإِرْفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ أَقْصَى الآفَاقِ ، رِجَالًا وَعَلَى
النِّيَاقِ ، تَحْمُهُمُ الصَّبَابَةُ وَالأَشْوَاقُ .

وَكَلِمَةُ الشَّرْعِ وَشِعَارُ السَّنَةِ فَلْيَكُنْ مَعْظَمًا لَهَا بِاتِّفَاقِ بَغَيْرِ شِقَاقِ ، وَشَيْخِ الحَرَمِ
الشَّرِيفِ وَخَدَامَتِهِ وَمَجَاوِرِيهِ فَلْيُكْرِمْ مُحْسِنَهُمْ وَيَعَامِلْهُ بِحَسَنِ الأَخْلَاقِ ، وَيَتَجَاوَزْ
عَنْ مُسِيئَتِهِمْ بِطَيِّبِ أخْلَاقِ ، وَحِوَاصِلِ الحَرَمِ الشَّرِيفِ المَخْزُونَةِ فِيهِ فَلْيَكُنْ مُجِيبًا مِنْ
التَّهْدِيرِ فِي وَقْتِ الإِنْفَاقِ ، وَتِلْكَ دَارُهُمْ سُكَّانُهَا الطَّيِّبُ الإِعْرَاقِ ؛ وَالتَّقْوَى مِنْ يَدِيهِمْ

الشَّريف آثارها الإِشراق ، وعليهم نَزَلُ الفُرْقَانُ والتَّحْرِيمُ والِطَّلَاقُ ، فماذا عَسَى
 أَنْ نُوصِيَهُ وهو أهلُ الفَضْلِ على الإِطْلَاقِ ، واللهُ تعالى يُجْعَلُ نِجَارَهُ في الفِخْرِ مُجَلِّئَهُ
 في السِّبَاقِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه وصية لأمر المدينة أوردتها في "التعريف" ، وهي :

فَكَلِّ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَاتَّبِعْ في الشريعة الشريفة سَلَفَكَ ، وَكُتِبَ اللهُ المَنْزَلَ ،
 أتم أهلُ بَيْتِ فيكم تَنَزَّلَ ، وَسُنَّةُ جَدِّكَ سَيِّدِنَا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم لِاتِّهَمَلْ ،
 وَهِيَ مُجَدِّكُمْ المُوَثَّلُ ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى ، عَظَمَ ، وَإِلَافِعَمَنْ تُنْقَلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَإِلَّا فَمَنْ
 تُؤْمَلُ ، وَإِزَالَةُ البِدْعِ وَإِلَّا فَلَائِي شَيْءٍ سِيُوفِكُمْ تُصَقَّلُ ، وَلِمَاذَا رِمَا حُكْمُ تُعَدَّلُ ،
 وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْعةِ هُمُ دَنَسٌ مِنْ أَنْتَى 'إِلَى هَذَا البَيْتِ الشَّريفِ بولائه ، وَسَبَبُ
 وَقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لِوَائِهِ ، فَهَمُ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أمداده ، لَيْسُوا -
 وَحاشي' نوره الساطع - إِلَّا مِنَ المَكْثَرِينَ لِسَوَادِهِ ، أَرَادُوا حِفْظَ المودَّةِ في القربى'
 فَأَخْلُوا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا ، وَأَنْفٍ مَنْ هُوَ بَرِيءٌ مِنْ سُوءِ مَدَّهِمْ ، أَنْ
 يَتَظَاهَرَ بِالوَلَاءِ فَيُعَدَّ في أَهْلِ البِدْعِ بِسَبَابِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُمْ طَمِعُوا في رِضا اللهُ فَأَخْطَأَتْهُمْ
 المَطامِعُ ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زادوهم عَدَدًا إِلَّا أَنَّهُا كَرِيادة [الشَّغِياءُ أَوْ كَرِيادة] الأَصَابِعُ .
 (١)

فَصَمَّ عَزَمَكَ على ما عاهدت اللهُ عليه من رَفَعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ اتِّبَاعِ
 خُطُواتِ الشَّيْطانِ في سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ ، وَحَدِّرَهُمْ مِمَّا لا يَعودُ مَعَهُ على أَحَدٍ مِنْهُمْ سِترُ
 يُسْبَلُ ، وَلا يَبْقَى مَعَهُ لغيرِ السَّيفِ حُكْمٌ يَقْبَلُ ، فَمَنْ خَاضَ لِلسَّالِفِ الصَّالِحِ يَمَّ ذَمُّ أَعْرَقَ
 في تِيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فيهِمْ زَنادَ عِنادِ أَحْرَقَ بِنارِهِ ، وَأَلْزَمَ أَهْلَ المَدِينَةِ الشَّريفةِ النَبويَّةِ

(١) الزيادة من "التعريف" ، (ص ٢٥٧) ومن التقليد الذي سبقه النظر (ص ٢٥٢) .

بكلمة السنّة فإنّها أول ما رُفِعَتْ بتلك المواطنِ المعظمةِ أعلامها ، وسُمِعَتْ في تلك
 الحجرةِ المكرّمةِ أحكامها ، مع تعفّية [آثار] ما ينشأ على هذه البسطةِ من الفتنِ حتّى
 لا ينعقد لها نفعٌ مئثار ، وتوطئةٌ أكثاف [ذلك] الحىّ لتلايقٍ به لمبطلٍ في مدارجِ نُطقه
 عثار ، والوصيةُ بسكّانِ هذا الحرمِ الشريفِ على الحالِّ به أفضلُ الصلاة والسلام
 ومن ينزل به من تزييل ، ويجاورُ به مستقراً في مهادِ إقامة أو مستوفراً على جناح
 رحيل ؛ ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رُفقة مالت من نشواتِ الكرى
 بهم راقصاتُ النجائب ؛ ومن يصل من رُجان الآفاق ، وإخوانِ نوى يتشاكون
 إليهم مرّ الفراق ؛ ومن يتلاقى بها من طوائفِ كلِّهم في بيوتِ هذا الحىّ عشاق ،
 وأمّ شتى جوعهم من مضرٍ وشام [ويمن] ^(١) وعراق ؛ وما يصل معهم في مسيل
 وفودنا ، وسبيل جودنا ؛ ومحاملنا الشريفة التي يُنصب لنا بها في كلّ أرضٍ سرير ،
 وأعلامنا التي ما سُميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير .

فتى شَعَرَتْ بمقدّمِ ركابهم ، أو برقت [لك] ^(١) عوارضِ الأقمار من سماءِ قبائهم ؛
 فبادر إلى تلقّيتهم ، وقبّل لنا الأرض في آثار مواطيتهم ، وقم بما يجب في طاعة الله
 وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا ، وأخرج عنهم كلّ يد ولا تُخرجهم
 عن جماعتنا .

وأهل البادية هم حُرْبُك الجيش اللّهام ، وحربك إذا كان وقودها جثث وهام ؛
 وهم قوم لم يؤدّبهم الحضر ، ولا يبيت أحدٌ منهم لأنفته على حدّر ؛ فاستجلب
 بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إليهم النافرة قبل الأنيبات ؛ وترقب
 مراسمتنا المطاعة إذا ذرّت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك

(١) الزيادة من التعريف (ص ١٠٨) .

من الحُرُوبِ بَوَارِقُهَا ، وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنَّ السَّيْفَ لَا يَحْتَاجُ
إِلَى حَلِيَّةٍ لِأَطْلَانَا حَمَائِلَ مَا تَمَلَّيْهِ عَلَيْكَ ؛ فَمَا شَهِدَ لِلشَّرِيفِ بِصِحَّةِ نَسَبِهِ ، أَزْكَى مِنْ
عَمَلِهِ بِحَسَبِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَوِّى أَسْبَابَكَ الْمَتِينَةَ ، وَيُمْتَعُ الْعَيُونَ بِلَوَامِعِكَ الْمُبِينَةَ ،
وَيُمْسِكُ بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِرْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

الوظيفة الثانية

(القضاء)

وكان في الزمن القديم بها قاض واحد شافعي ، ثم استقرت بها قاضيان آخران :
حنفي ومالكي ، يكتب لكلّ منهم توقيع في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء .
وهذه نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية :

الحمد لله الذى جعل الشرع الشريف دافق السيول ، وفي طيبة له الأصول ؛
ومنها نشأ وتفرع فله في البسيطة عموم وشمول ، وكل قطر به مشمول ، وكل ربع به
مأهول ، وتأكد به المعلوم وتبدد به المجهول ، وزالت الشرائع كلها وهو إلى آخر
الدهور لا يزول .

نحمده وحمده يطول ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمّرت
[بها] أطول ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف رسول ، وأكرم مأمول ،
وأفضل مسؤل ، ومهتد من سيوف الله مسؤل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الطيبى الفروع والأصول ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الشرع الشريف معدنه في أرض توى خير الرسل فيها ، ومنشأه
في بلد ملائكة الله تحميها ، فلا يلى أفضية الناس إلا من طالت ذوائب علمه ،

وأشرفت نواقب فهمه ، وبنيت على الأصول قواعد حكمه ، وتحلى بالورع فتجلى
في سماء النجاة كنجمه .

ولما كان فلان هو الذي جذبته السعادة إلى مقرها ، وخطبته المغفرة إلى موطن
برها ، وأهلتته الأقدار إلى جوار نبي هو خاتم الأنبياء وفتح أمرها ، وأصبح للحكم
في المدينة ، مستحقا لما فيه من سكينه ، وتحصيل للعلم ومن حصل العلم
كان الله معينه .

فلذلك رسم أن يستقر

فلبيا شر منصبا جليلا في محل جليل ، ولعلم أن سائر الأمصار تغبطه وتحسده
وما لمنصبه من مثيل ، أين يوجد سواه في كل سبيل ؟ من قاض هو بسيد المرسلين
نزير ، ومن يصبح ويمسي جارا للمستجير في المحشر الطويل .

فاحكم بين ناس طيبة بورع وتأصيل ، وتحرير في تحرير وتحليل ، وأتق الله في كل
فعل وقيل ، وأستقم على الحق حذار أن تميل ، فصاحب الشرع أنت منه قريب
والنبي من الله قريب وحبيب وخليل ، وما ذا عسى أن نوصيه وهو بحمد الله تعالى
كالنهار لا يحتاج إلى دليل .

وأما الخطابة : فارق درج منبرها ، وشنف الأسماع من ألفاظك بدرها ، وحرر
ما تقوله من المواعظ فإن صاحب العظات يسمعك ، وتواضع لله فإن الله يرفعك ،
وهذا المرقى فقد قام فيه النبي الأُمي سيد الثقلين ، ومن بعده الخليفتان قرآ العين ،
ومن بعدهما عثمان ذو النورين ، وعلي رضي الله عنه أبو الحسين ، فاخشع ، عند
المطلع ، وأصدع ، بما ينفع ، وأنظر لما تقوله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هناك يسمع ، وقاضي المدينة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع ، والله تعالى يجوز له الخير ويجمع ؛ بمنه وكرمه ! .

الوظيفة الثالثة

(مشيخة الحرم الشريف)

وقد جرت العادة أن يكون له خادمٌ من الحُصيانِ المعبر عنهم بالطواشِيَّة ، يُعين لذلك من الأبواب السلطانية ، ويكتب له توقيعٌ في قطع الثلث بد «المجلس السامي» بالياء مفتوحا بد «الحمد لله» .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك :

الحمد لله الذي شرف بخدمة سيد الرسل الأقدار ، وفضل بالتأهل للدخول في عداد كرمه بخدمته من آختره لذلك من المهاجرين والأنصار ، وجعل الاختصاص بجاورة حرمه أفضل غاية تهجر لبلوغها الأوطان والأوطار ، وعجل لمن حل بمسجده الشريف تبوأ أشرف روضة تردها البصائر وترودها الأبصار .

نحمده على نعيمه التي أكملها خدمة نبيه الكريم ، وأفضلها التوفر على مصالح مجاوري قبر رسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأجملها الانتظام في سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لفة لديه ، مقربة إليه ، مدخرة ليوم العرض عليه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف نبي بعث إلى الأسود والأحمر ، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقر ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نقرت الحبشة بهجرتهم الأولى ، ونجا النجاشي بما آخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى ، وأولى

يَا لَهُمْ مِنَ السَّبْقِ إِلَى خِدْمَةِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
أَفْضَلُ مَا يُؤْتَى؛ صَلَاةً لَا يَزَالُ شَهَابُهَا مُرْسِدًا، وَذِكْرًا فِي الْأَفَاقِ مُغَيَّرًا وَمُنْجِدًا؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ
مَلَائِسِ كَرَمِهِ ، وَشَرَفِ قَدْرِهِ بِأَنْ أَهْلَهُ لِحُدْمَةِ سَيِّدِ الرَّسْلِ بِلِمْشِيخَةِ حَرَمِهِ ؛ وَخَصَّهُ
بِرُتْبَةٍ هِيَ أَسْنَى الرُّتَبِ الْفَاخِرَةِ ، وَأَجْمَعُ الوَظَائِفِ لِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - مِنْ رَجْحِهِ
لِذَلِكَ دِينِهِ الْمَتِينِ ، وَوَرَعِهِ الْمَكِينِ ، وَزُهْدِهِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي سَيَكُونُ
بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي ادْرَكَ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدِ الرَّسْلِ غَايَةَ سُؤْلِهِ ، وَزَكَتْ عِنْدَ
اللَّهِ هِجْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ
أَحْسَنَ السُّلُوكِ ، وَأَتَمَّتْ بِهِ السَّعَادَةُ إِلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيُعْرِضَ بِجَوْهَرِهَا الْأَعْلَى عَنْ عَرَضِ خِدْمَةِ الْمَلُوكِ ؛ وَفَازَ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ
بِمَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ [بِهِ] الْمِنَّةُ ، وَحَلَّ بِهِ مِمَّا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ
الْحِنْدِ ؛ وَأَقَامَ فِي مَقَامِ جَبْرِيلَ ، وَمَهْطِطِ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ ؛ يَتَفَيَّأُ ظِلَالِ الرَّحْمَةِ
الْوَارِفَةِ ، وَيَتَهَيَّأُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بِالْعَارِفَةِ بَعْدَ الْعَارِفِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُحَلِّي
بِعُقُودِ مَشِيخَةِ ذَلِكَ الْحَرَمِ ، وَالْمَتَوَلَّى لِمَصَالِحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهُ فِي التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمْ
أُثْبِتْ قَدَّمَ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن تفوض إليه المشيخة على خدام
الحرم الشريف النبوي: للعلم بأنه العادل الورع ، والكافل الذي يعرف أدب تلك

(١) لعله "من اعتمد عليه من" الخ .

(٢) في الأصل "إليه" .

الوظيفة : من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - على ما شرع ، والزاهد الذي آثر جوار نبيه على ما سواه ، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته : « ولكل أمرئ ما نواه » .

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مشرفاً بها نفسه التي تسببت من خدمته الشريفة بأهدائها ، سالماً في ذلك ما يجب ، مُحافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يجتنب ، قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يحب لراج أملاً ، ولا يضع أجر من أحسن عملاً ، مُلزماً كلاً من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى ، ويضعفه الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً ، هادياً من ضلّ في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مُبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هاد وأنور دليل ، وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتجديد القضايا ، والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ، بمنه وكرمه .

القاعدة الثالثة الينبع

(وبها وظيفة واحدة ، وهي النيابة)

وقد تقدم أن نيابتها في بني الحسن ، من بني قتادة أيضا . وعدل بها عن لفظ الإمارة إلى لفظ النيابة تصغيراً لشأنها عن مكة والمدينة . ويكتب لنائبها مرسوم شريف في قطع الثلث « بالمجلس السامي » بغيرياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة الينبع ، كتب به « لمخدم بن عقيل » في عاشر رجب الفرد سنة أربع وثلاثين وسبعائة ، من إنشاء المقرّ الشهابي بن فضل الله ، وهو :

الحمد لله الذى أتم لدولتنا الشريفة أنعمًا، وأحسن فى تقديم شريف كل قوم
تقدمًا ، وأمضى فى كف كف الأعداء رُحماً سَمَهَرِيًّا وسيفًا مُخَدَّمًا .

نمجده حمدًا يكثر عدد القطر إذا همى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تؤمن بالإدمان عليها مُنَجِّدًا ومُتَمِّمًا ؛ ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى
شرف من إليه آتمى ، وعلى نسيه الشريف أرتى ، وبجواره المنيع آحتمى ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طلّوا فى صباح كل نهار شمسًا وفى عشيّة كل ليل
أنجاءً وسلمًا تسليًا .

وبعد ، فإن أولى من أعدنا له سعادة جدّه ، وعدنا إلى عوائده الحسنى لأبيه
وجده ؛ ورعت صدقاتنا الشريفة له قصده الجميل ، وشرفه الذى سما به من أصله
إلى النجم فرع لا ينال طويل ؛ وأقرت عينه بسكّنه ، واستقرت به مراسمنا العالية
فى مسكّنه ؛ وأغنته عنايتنا الشريفة عن انتظار كل نجم سعادة يطلع ، وبعثت إليه كل
خير إلى وطنه وهو « يَنبُع » ؛ منزلة نسيه الصميم ، والحسب الذى يتسكّ به فى قومه
كل كريم ، والشرف الذى أنارت كواكبُه ، والوصف الذى ينظم الدرّ ثاقبه ^(١) .

ولمّا كان المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الشريف ، الحسيب ،
النسيب ، الأوحد ، العضد ، النصير ، الأصيل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، زين
الأنام ، شرف الأمراء الأشراف ، نحر العترة الطاهرة ، جمال الأسرة الزاهرة ،
نسيب الخلافة ، عضد الملوك والسلاطين « مُخَدَّم بن عقيل » أيدّه الله تعالى - هو
الذى تقدمت إليه كل إشارة ، وحسنت به كل شاره ، وتعجّلت له بمراضينا
الشريفة من مخلّق الشفق كل بشاره ؛ وحصل فى ينبع ما حصل من الاعتداء ،
وأمّدت الأيدي به إلى ما كان مُجَجَّج بيت الله من وديعه ، وظنّ أنه لا يشيع خبره

(١) لم يذكر خبر الإبن وهو معلوم من نظائره وكثيرا ما ورد كذلك ونهنا عليه .

في البيداء ، مخالف الواجب وتعدى الشريعة ؛ فاقتضت آراؤنا الشريفة تفويضها إلى العارف منها بما يجب ، العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيها ويحْتَنَب ؛ العاِمِل في طاعتنا الشريفة بما هو به وبمثله من أهل الشرف يليق ، الماشي في خدمتنا الشريفة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق .

فُرِسَ بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرّفه - أن تُفَوِّضَ إليه النيابة بالينبج على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت :

فَلِيقْدَمَ تَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ، وَيَقِفَ مَعَ حُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ الْمُهِمُّ الْمُقَدَّمُ ؛ وَلَيْسَتْ وَصْفٌ بِالْحِجَابِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ وَقَدْ أَلَّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ سَيَقْدَمُ ، وَلِيُؤَمِّنَ الطَّرِيقَ فَإِنَّهُ بَيْنَ حَرَمَيْنِ : بَيْتِ اللَّهِ وَمَسْجِدِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَلِيَحْفَظَ أَمَانَةَ اللَّهِ فِيهَا يَخْلُفُ وَيُخْلَفُ عَنْهُ الْحِجَابُ كَتَبَ اللَّهُ سَلَامَتَهُمْ مِنْ وِدَاعِهِ ، وَلِيَأْخُذَ بِقُلُوبِ الْجَلَالَةِ فَإِنَّهُمْ فِي تَوْسِعِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ كَالْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنْ كَانُوا تِجَارًا بِيضَاعَهُ ؛ وَلِيُوصَلَ مِنْ تَأَخَّرَ مِنْ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ إِلَى مَأْمَنِهِمْ ، وَلِيُخَصَّ بِالْعَدْلِ أَهْلَ بَلَدِهِ لِيَسْتَقَرُّوا آمِنِينَ فِي مَوَاطِنِهِمْ ، وَالرَّفْقُ بِهِ فَهُوَ الَّذِي بُلَّغَهُ يُزَيِّنُ ، وَبِحَلِيهِ يُسْتَحْسِنُ ، وَالتَّائِي فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فَإِنَّ بِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْبَاطِلِ يُبَيِّنُ ؛ وَلِزُومِ الطَّاعَةِ ، الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ لَنَا عَلَى عِبَادِهِ وَنَدَبَ إِلَيْهَا ، وَمُلَازِمَةِ الْجَمَاعَةِ ، الَّتِي يَكْفِيهِ مِنْ بَرَكَاتِهَا أَنْ يَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ؛ وَإِقَامَةِ الْخِدْمَةِ فِيهَا قِبَلَهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَكُلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ ، وَكُلِّ مَنْ كَادَ أَوْ كَادَ ، أَوْ تَعَرَّضَ لِعِنَادِ الْعِبَادِ ؛ فَمَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَحْدُورٍ ، أَوْ تَقَدَّمَ إِلَى مُحْظُورٍ ، أَوْ أَرْتَكَبَ فِي الْخِلَافِ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ ؛ بَغْرَهُ بِالْبَغْيِ إِلَى مَضْرَعِهِ ، وَحَرَّكَ السِّيفَ لِمَضْجَعِهِ ، وَدَعَرَ الرَّحْمَ الَّذِي آعْتَقَلَهُ لِلشَّقَاقِ يَسْكِي لِلْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ بِأَدْمِعِهِ ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ

(١) مراده «ودعية» ولكن اضطره السجع الى موافقة اللفظ العامية . فتنبه .

طَرِيقَتُنَا الْمُشْتَرَاةُ، وَسِيرَتُنَا الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا مِثْلًا؛ فَاسْأَلْكَ هَذِهِ الْمَحَجَّةَ، وَحَسْبُكَ أَنْ تُتَّخَذَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجَّةً؛ وَفِي هَذَا عَنِ بَقِيَّةِ الْوَصَايَا غَنَى، وَاللَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ الْخَوْفَ
فِي الْخَيْفِ وَيُبَلِّغُكَ الْمُنَى فِي مَنَى؛ وَالْإِعْتِمَادَ

القسم الرابع^(١)

(مما يُكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ
بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - مَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ النُّدُورِ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي حِينِ
مِنَ الْأَحْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ نَظِيرٌ)

قَالَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْحَلَبِيُّ فِي "حُسْنِ التَّوَسُّلِ": وَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ فِيهِ
إِلَى حُسْنِ التَّصَرُّفِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ .

[فَمِنْ ذَلِكَ] مَا يُكْتَبُ بِهِ لِلنِّيَابَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَمْلُوكَةِ إِذَا رَغِبَ فِيهَا مُتَوَلِّيًا .

وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَقْلِيدُ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ، كَتَبَ بِهِ الْمَوْلَى الْفَاضِلُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ
الْحَلَبِيُّ لِمَمْلُوكِ سَيْسِ، بِإِقْرَارِهِ عَلَى مَا هُوَ قَاطِعُ النَّهْرِ مِنْ بِلَادِهِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ، بِأَصْطِنَاعِ مُلُوكِ الْمَلَلِ، وَفَضَّلَ دَوْلَتَنَا
الْقَاهِرَةَ، بِإِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ بَعْضَ مَا أَرْضَتْهُ لَهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ؛ وَجَعَلَ مِنْ خِصَائِصِ
مُلْكِنَا إِطْلَاقَ الْمَمَالِكِ وَإِعْطَاءَ الدُّوَلِ، وَالْمَنْ بِالنَّفُوسِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّصْرُ لَنَا مِنْ جُمْلَةِ
الْخَوْلِ؛ وَأَغْرَى عَوَاطِفَنَا بِتَحْقِيقِ رَجَاءِ مَنْ مَدَّ إِلَيْنَا عَوَارِفِنَا كَفِّ الْأَمَلِ، وَأَفَاضَ
بِمَوَاهِبِ نِعْمَاتِنَا، عَلَى مَنْ أَنْابَ إِلَى الطَّاعَةِ حُلَّ الْأَمْنِ بَعْدَ الْوَجَلِ؛ وَأَنْتَرَعَ بِالْآثِنَا،

(١) تَقَدَّمَ لَهُ تَقْسِيمُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَقَطْ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّفْحَةِ ١٣٤ مِنْ ج ١١ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ فَيَكُونُ

هَذَا زَائِدًا عَلَى الْأَقْسَامِ .

لمن تَمَسَّكَ بَوْلَانِيَا ، أَرْوَاحَ رَعَايَاهُ مِنْ قَبْضَةِ الْأَجَلِ ، وَجَعَلَ بَرْدَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ بِالطَّاعَةِ نَتِيجَةً مَا أَذَاقَهُمُ الْعِصْيَانُ مِنْ حَرَارَةِ الْغَضَبِ : إِذْ «رُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ» .

نَحْمُدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عَفْوَنَا مِمَّنْ رَجَاهُ قَرِيبًا ، وَكَرَّمَنَا لِمَنْ دَعَاهُ بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ مُجِيبًا ، وَبَرَّنَا لِمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مَثِيبًا بِوَجْهِ الْأَمَلِ مُنِيبًا ، وَبَأَسَّنَا مُصِيبًا لِمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ فِي التَّمَسُّكِ بِمَرَاغِمِنَا نَصِيبًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَعْصِمُ دَمَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِذِمَامِهَا ، وَتَحْنِمُ مَوَادَّ مَنْ عَانَدَهَا بِانْتِقَامِ حُسَامِهَا ، وَتَقْصِمُ عُرَا الْأَعْنَاقِ مِمَّنْ أَطْمَعَهُ الْغُرُورُ فِي أَنْفِصَالِ أَحْكَامِهَا وَأَنْفِصَامِهَا ، وَتَقْصِمُ مَنْ قَصَدَ إِطْفَاءَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهَا وَأَقْتِطَعَ مَا قَضَاهُ مِنْ دَوَامِهَا ، وَتَجْعَلُ كَلِمَةً حَمَلَتْهَا هِيَ الْعُلْيَا وَلَا تَزَالُ أَعْنَاقُ جَاوِدِهَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيَائِهَا وَتَحْتَ أَقْدَمِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ ، الْمَنْعُوتُ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ بِالرَّافِقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الْمَخْصُوصُ مَعَ عَمُومِ الْمَعْجَزَاتِ بِجَمْسٍ : مِنْهَا الرَّعْبُ الَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُهُ إِلَى مَنْ قَصَدَهُ وَيَسْبِقُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى مَنْ أَمَّهُ ، الْمَنْصُوصُ فِي الْكُتُبِ الْمُحْكَمَةِ عَلَى جِهَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِهِمْ بِذِمَّتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا بِدَعْوَتِهِ الْمَمَالِكَ ، وَأَوْصَحُوا بِشَرْعَتِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَالِكَ ، وَجَلَوْا بِنُورِ سُنَّتِهِ عَنْ وَجْهِ الزَّمَنِ كُلِّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأَوْرَدُوا مِنْ كَفَرٍ بَرَبَهُ وَرُسُلِهِ مَوَارِدَ الْمَمَالِكِ ، وَوَثِقُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ حِينَ زَوَى لَهُ ذَلِكَ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرُحُ ذِكْرُهَا مُغْبِرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ مَا اسْتَفْتَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَسِنَّةِ النَّصْرَ بِإِقَامَتِهَا ، وَأَبَادَتْ أَعْدَاءَهَا بِاسْتِدَامَتِهَا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا آتَانَا اللَّهُ مُلْكَ الْبَسِيطَةِ ، وَجَعَلَ دَعْوَتَنَا بِأَعْنَةِ مَمَالِكِ الْأَقْطَارِ مُحِيطَةً ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْهَضَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالْسُنَّةِ وَالْقَرَضِ ،

وجعل كل يوم تُعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض ؛ وأظلتنا بوادر الفتح ،
وأظلت على الأعداء سُيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح ؛
وأيدنا بالملائكة والروح ، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة : فانتصر بالأب والأبن
والروح ؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السلام ، وبذلت كرائم بلادها وتلاذها رغبة
في الالتجاء إلى ظل أعلى من الأعلام ؛ وتوسل من كان منهم يُظهر الغلظة بالذلة
والخضوع ، وتوصل من كان منهم يُبدي القوة بالإخلاص الذي رآه لهم أقوى
الجنين وأوقى الدروع - عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا ، ولا نصد عن مشاريع
كرمنا ناهلا ؛ ولا نُحيب من إحساننا راجيا ، ولا نُحلي عن ظل ربنا لاجيا ؛ علمنا
أن ذلك شكر للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ، ووثوقا بأنه حيث كان
في قبضتنا متى نساء نُنجع عليه الأنامل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللاجئ للغل مُسرا ،
وعلى عداوة الإسلام مُصرا ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع
رئسنا ، والمفرط في مصلحة يومه وغده بتدبير عداوة أمسه .

ولما كان من تقدم بالمملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بجبال
الغرور آماله ؛ وحسن له التمسك بالتار الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم ،
مأسورون في حباتل إديارهم ؛ عاجزون عن حفظ ما لديهم ، قاصرون عن ضبط
ما استلبته السرايا المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سُيوفنا تار ، وطا
في عنقه آثار ، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطي خسف : إما القتل أو الإيسار .

وحين تمادى المذكور في غيه ، وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه ، أمرنا
جيوشنا المنصورة بفحاست خلال تلك الممالك ، ودأست حوافر خيلها ما هنالك ،
وساوت في عموم القتل والأسرىين العبد والحر والملوك والمالك ؛ وألحقت رواسي

جِبَالِهِم بِالصَّعِيدِ ، وَجَعَلَتْ حُمَاتِهِمْ كُرُورِجَ فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ، فَأَسْلَمَهُم
الشَّيْطَانُ وَمَرَّ ، وَتَرَكَهُمْ وَقَزَّ ، وَمَا كَرَّهُمْ وَمَا كَرَّ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَوْعِدَهُمُ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةُ
أُدْهِىَ وَامْرَأَةٌ ، وَأَخْلَفَهُمْ مَا ضَمَّنَ لَهُمْ مِنَ الْعَوْنِ ، وَقَالَ لَهُمْ : (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي
أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) .

وكان الملك فلان ممن تدبّر طرق النجاة فلم ير إليها سوى الطاعة سيديلا ، وتأمل
أسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلا ؛ فأبصر بالخدمة موضع رشده ،
وأدرك بسعيه نافر سعيه ؛ وأراه الإقبال كيف ثبتت قدمه في الملك الذي زلت عنه
قدم من سلف ، وأظهر له الإشفاق على رعاياه مصارع من أوردته سوء تدبير أخيه
موارد التلّف ؛ وعرفه التمسك بإحساننا كيف آحتوت يده على ما لم يبق غضبنا في يد
أخيه منه إلا الأسي والأسف ؛ وحسنت له الثقة بكرمنا كيف يجمل الطلب ،
وعلمته الطاعة كيف يستنزل عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا : وإبما الدنيا
لمن غلب ؛ وآتتني إلينا فصار من خديم أيامنا ، وصنائع إنعامنا ، وقطع علاقته من
غيرنا ؛ فلجأ منا إلى ركن شديد ، وظلّ مديد ، ونصر عتيد ؛ وحرّم تأوى الملة إليه ،
وكرم تقرّ نضارته ناظره ، وإحسان يمتعه بما أقره عطاؤنا في يديه ، وامتنان يضع
عنه إصره والأغلال التي كانت عليه - اقتضى إحساننا أن نغضى له عن بعض
ما حلت جيوشنا ذراه ، وحلت سطاوت عساكرنا عراه ، وأضعفت عزّ مات
سرايانا قواه ، ونشرت طلائع جنودنا ما كان ستره صفحنا عنهم من عورات
بلادهم وطواه ؛ وأن نخوّله بعض ما وردت خيولنا مناهله ، ووطئت جيادنا غاربه
وكاهله ، وسلكت كجنتنا فملكّت دارسه وآهله ؛ وأن يبقى ملك هذا البيت الذي
مضى سلفه في الطاعة عليه ، ويستمر ملك الأرمن الذي أجمل السعي في مصالحه

بيديه ؛ لَتَيْمَنَ رعاياه به ، ويعلموا أنهم آمنوا على أرواحهم وأولادهم بسببه ، عن طوية مخلصه ونفس مطيعة ، ولا تخشى عليه يدُ جائره ، ولا سريةً في طلب الغرة سائره ؛ ولا تطرق ككاسه أسدُ جيوش مفترسه ، ولا سباع نهاب محتلسه ؛ بل تستمر بلادُه المذكورة في ذمام رعايتنا ، وحضانة عنايتنا ؛ وكنف إحساننا ، ووديعه برنا وأمتناننا ؛ لا تطمح إليها عين مُعاند ، ولا يمتد إليها إلا ساعدُ مساعد وعَضدُ معاضد .

فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه إلى الطاعة ، وصان بإخلاص ولائه نفسه ونفائس بلاده من الإضاعة ؛ وليقرن ذلك بإضفاء موارد المودة ، وإضفاء ملابس الطاعة التي لا تزاد بحسن الوفاء إلا جدّه ؛ واستمرار المناصحة في السر والعلن ، واجتناب الخادعة ما ظهر منها وما بطن ؛ وأداء الأمانة فيما استقر معه الحلف عليه ، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجه عتب إليه ؛ وأستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها ، وأستقامة أحوال هذه المنّة برفض موجبات الكدر واجتنابها ، وإخلاص النية التي لا تعتبر ظواهر الأحوال الصالحة إلا بها .



ومن ذلك ما يكتب به لحكم رمة البندق

قد جرت العادة أنه إذا كان للسلطان عناية برمي البندق ، أقام لرماته حاكماً من الأمراء الذين لهم عناية برمي البندق .

وهذه نسخة توقيع من ذلك :

الحمد لله الذي خص أيا منّا الزاهرة ، باستكمال المحاسن في كل مرام ، وجعل [من] أولياء دولتنا القاهرة ، من أصاب من كل مرعى بعيد شاكلة الصواب حتى أصبح

حاشا فيه بين كل رام ، وجمع لخواصنا من أشتات المفاسخ ما إذا برزوا فيه للرياضة ليلا [أغنت] قسيهم عن الأهلة ورجومها عن رجوم الظلام ، وسدد مقاصد أصفائنا في كل أمر فاشغلوا بمسرة سر إلا وكانت من أقوى أسباب التمرن على خوض الغمرات العظام ، واقترحوا الحرب اللهم ، واشتعال جلايب الدجى في مصالح الإسلام .

نحمده على نعمة الوسام ، وأيديه الجسام ، وآلائه التي ما برحت بها تغور المسار دائمة الأيتسام ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من الزلل ، وتؤمن من الزيغ والخلل ، وتلبس المتمسك بها من أنوار الجلالة أبهى الخلل ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المنزه عن الهوى ، المخصوص بالوحي الذي علمه شديد القوى ، الدال على اعتبار الأعمال بصحة القصد بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى » . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفق الإخلاص مساعيهم ، ووفر الإيمان دواعيهم ؛ صلاة دائمة الاتصال ، مستمرة الإقامة بالغدو والأصال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنه لما كان رمي البندق من أحسن ما هنت به الحكمة ، في حال سائرها ، ومن أبعج ما حفظت به الرمة ، حياة نفوسها وعزة عزيمتها ؛ على ما فيه من أطراح الراحة واجتنابها ، وأستدعاء الرياضة واجتنابها ؛ وخوض الظلمات في الظلام ، وتوخي الإصابة في غمرات الدجى التي تخفى فيها المقاتل على حدق السهام ، وأرتقاب ظفر ، يسفر عنه وجهه سفر ، ومهاجمة خطر ، تفضي إلى بلوغ وطر - وله شرائط تقتضي التقدم بين أربابه ، وقواعد لا يخالفها من كان مبرزاً في أصحابه ؛ وأدوات

(١) في الأصل « في مخالفتها » ولا معنى له . تأمل .

كمال ، لأبدٍ للتحلّي بهذه الرتبة منها ، وحسنِ خلال ، تُهدرُ أعمالٌ من بعدِ عليه مرّاتها وقصرت مساعيه عنها ؛ وعوائد معلومة ، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه ، ومقاصد مفهومة ، فيما يميز به المصيبُ الحاذقُ على نظرائه .

ولما كان الجنبُ العالی الفلانی ممن يشارُ إليه في هذه الرتبة ببنان التّرجيح ، ويرجع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتّجريح ؛ ويعملُ فيها بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض ، ويعولُ فيها على قدم معرفته المميّزة بين أقدار الرّماة مع تساوي إصابة الأغراض ؛ لأحتوائه على غايات الكمال فيها ، وسبقه منها إلى مقامات حسان لا يعطيها حقّها [الا] مثله ولا يوقّيهما - اقتضى رأينا الشريف أن نعدّ به أحكامها ، ونردّ إلى أمره ونهيه كبراءها وحكامها .

فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكماً في البندق لما يتعين من اختصاصها بجنابه ، ويتبين من أولويّته بالحكم في هذا الفنّ على سائر أربابه .

قليل ذلك حاكماً بشروطه اللازمة بين أهله ، المعتبرة بها خلال الكمال في قول كلِّ أحد منهم وفعله ؛ المميّزة بين تفاوت الرّماة بحسب كيفية الرمي وإتقانه ، المرجحة في كثرة الطير بإمكانه له في وقت البروز ومكانه ؛ المهذرة ما يجب بين أهل هذا الفنّ إهداره ، المثبتة ما يتعين في كمال الأدوات إثباته في قدم الكبراء وإقراره ؛ ويعملُ في ذلك جميعه بما تقتضيه معرفته المجمع في فنه عليها ، ويتقدّم فيه بما تدله عليه خبرته التي ما برح وجه الاختيار مصروفاً إليها ؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويبلغه مراتب الرفعة في خلاله الجميلة وقد فعل ؛ والخيرُ يكون ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربّما كان المرسوم المكتتب لمن هو دون من تقدّم من أمير عشرة أو من في معناه ، فيفتح بـ «أما بعد» ويكمل على نحو ما تقدّم .

وهذه نسخة ثانية لحاكم البندق، مفتوحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعزب شيء عنه ، ولا قنوط
من رحمته وسعة حلمه ، ملهم أهل محاربة أعداء دينه بالرياضة لها في أيام سلمه ،
ومنجز وعود السعود لمن كان النجم مبدأ همته ، والصدق حلة سجيته ، والعز حلية
أسمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هدى الله بنور ملته العادلة من تردى
في ظلمات ظلمه ، ورفع منار النبوة بما خصه به من آفتاح التقدم في رتبها
وختمه ، وعلى آله وصحبه الذين سرى كل منهم إلى غاية الكمال على نجائب همته
وجياد عزمه - فإن أولى من رعيته له أسباب قدمه وتقدمه ، وفُتحت له أبواب
حكمه في رتبته وتحكمه ، وأعيد إلى مكانته التي رقاها باستحقاقه قديما ، ورفع إلى
منزله التي لم يزل بقواعدها خيرا وبأوضاعها عليا - من ارتقى في رتبته إلى نجم أفضها ،
وأقضى في مناهجه بدليل مسالكها وطرقها ، فأتى في مصالحها بيوت الإصابة من
أبوابها ، ونقل فيها أوضاع الإجابة عن كان أدري بها ، وتقدم فيها تقدم هجرته
وسبق قدمه ، وبلغ في مقاماتها الغاية بين وثبات ساعده وثبات قدمه ، وجمع من
أشتات الطير ما أفترق في غيره ، وحوى من السبق إلى أنواعها ما حكم بسعد نجمه
ويمن طيره ، فكم ليلة أسفر فيما أبرزوه عن صباح بجاحه ، وكم طائر زاحم النسر
بقواده أصبح لديه محولا بجناحه ، وكم أنزلت أهلة قسيه الطير على حكمها ، وكم
حكمت بنادقه في رجوم الطير المحلقة إلى السماء أنقضاض نجمها ، وكم أبصر مقاتل
الطير وهي من الليل في ظلمات بعضها فوق بعض ، وكم اشتغل من الطير الواجب
بندب رمي لم يشغله من إعداد الأهبة للجهاد عن الفرض ، حتى كاد النسر الطائر
إذا توهم أن الهلال قوسه يغدو كاخيه واقعا ، والمرزم الحلق في الأفق يمسى لإشارة

بنادقه الصمّ متبعا ؛ حتى أصبح وهو الكبير في فنه بأداب التعريف ، وأضحى وهو
الخبير بنوعه بطريق النقل والتوقيف .

ولمّا كان فلانٌ هو كبير هذا الفنّ وخبيره ، ومقدّم هذا النوع الذى لم يزل
بجلائه عظيم كلِّ عصر وأميره ؛ وقديم هذا المرمى الذى جُلُّ المراد به الحدُّ لا اللبّ ،
وأليف هذا المرام الذى ينشط إليه اللاعب ويستروح إليه التعب - أقتضى الرأى
الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليلة بما علم أو علم منها ، فأصلا بين
أهلها بمعرفته التى ما برحت يؤخذ بها فى قواعدها وينقل عنها - فرسم بالأمر
الشريف أن يكون حاكما فى البندق .

فليستقرّ فى هذه الرتبة التى تلقاها ، يمين كفايته ويمنه ، وأرتقاها ، بتفرده فى نوعه
وتقدمه فى فنه ؛ وليعتمد الإنصاف فى أحكام قواعدها ، وإجراء أمر أربابها على
أحوالها المعروفة وعوائدها . وينافس المعروفين بها على التحلّى بأدائها ، والمتمسك
من المروءة والأخوة بأفضل أهدائها ؛ ويُنصف بينهم فيما يعتدُّ به من واجبها ،
ويُلزم الداخل فيها بالمشى على المألوف من طرقها والمعروف من مراتبها ؛ ولا يحكم
فى التقديم والتأخير بهوى نفسه ، ولا يقبل من لم يتحرّ الصدق فى يومه أنّه قيل منه
فى أمسه ؛ فإنّ أسستامة شروطها أمانٌ من السقوط عن درجتها ، وإذا حكمت
نفوس أهلها الصدق فى أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خطّ حرجها ؛ وليرع لذوى
التقدم فيها قدم هجرتهم ، وأشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرهم ؛ وقد خبر من أوصافه
الحسنة ، وسابق رتبته التى لم تكن عين العناية عنها وسنه ؛ ما اقتضى استقرار رتبته
على مكاتمها ومكانها ، واكتفى له من ميسوط الوصايا بعنوانها ؛ فليتق الله فى قوله
وعمله ، ويجعل الاعتماد على توفيقه غاية أمله ؛ والخبير يكون : إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما يكتب به في إلباس الفتوة .

إعلم أنّ طائفةً كبيرةً من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، و يقيمون لذلك شروطاً وأدباً جاريةً بينهم . ينسبون ذلك في الأصل إلى أنّه مأخوذٌ عن الإمام عليّ كرم الله وجهه .

والطريق الجارى عليه أمرهم الآن أنّه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة، آجتماع من أهلها من تيسر جمعهم، وتقدم ذلك الكبير فيلبس ذلك^(١) ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نخوة ماءً ويحاط به بعض ملح، ويقوم كلٌ منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره . وربما اعتنى بذلك بعض المملوك . وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتب له بذلك توقيعاً .

وهذه نسخة توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر، وهو :
الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلةً بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمده منه بكل حيل وقوة، وأسعد من سما فكان علياً على كل من سام علوه .
نحمده حمداً تغدو الأفواه به مملوه، ونشكره على مواهبه آيات الشكر المتلوه،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد
رواحه وغدوه، ونشهد أن محمداً عبده وسوله الذي شد الله أزره بنجر من أفتى وفتى
فنال كل فتوى من الفتيان به شرف الأبوّة والبنوة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين نصروا وليه وخذلوا عدوه، صلاة موصلة إلى نيل الأمانى المرجوه .

(١) بياض بالأصول، ولعله : المرید أو نخوة .

وبعد، فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البعيد إلى تحصيل مرامه كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لئلا يمس كل جود وأمتطى ظهر خير جواد، وأستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتقوى؛ وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما يتنزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب - من أشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحمد أممها في يومه؛ وبالشهادة التي لها مالل سهام من تقويق، ولزرق الأسننة من تحذيق؛ وليبيض الصفاح من حدة متون، وللسمهرية من أزدحام إذا أزدحمت المنون؛ ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمه؛ ومن شدة الباس، ما يجتمع [به] على طاعته كثير من الناس؛ ومن صدق اللهجة واللسان، ما أتصف عفافه منهما بأشرف ما يتصف به الإنسان؛ ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القاسون، ويرفل في حلال نعمائه اللاسون؛ و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأبأوا، وإذا دعوا إلى استنصار جهاد وأجتهاد لبوأ وأجابوا؛ والذين لا يلوون ألسنتهم عن الصدق، ولا يولون وجوههم عن الحق؛ والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفذوا في حرب حرب الأعداء لا ينفذون إلا بسطان .

ولما كان فلان ذو المفاخر، والمآثر؛ أمير الفتيان، مُميز الإخوان والأعيان؛ هو صاحب هذا المحفل المعقود، والمدوح بهذا المقال المحمود، والمنوخ بهذا المقام المشهود؛ والثناء الذي سرباله بما سربله أثواب العزة والفخار، والاعتناء الذي استخير الله في أصطفائه واختياره في ذلك فخار - آقتضى حسن الرأي الشريف - كرم الله أنصاره، وأعلى مناره - أن يجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل، لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل؛ ودعا إلى الكريم العام بالإنعام،

والدعاء لسُلطان يُدعى له ويدعو كل الأنام ، فقال : أسأل الله وأسأل سُلطان الأرض ، مَلِكَ البِسيطةِ إمامَ العَصْرِ ، رَافِعَ لواءِ النِّصْرِ ، ناصِرَ المِلَّةِ المَحْمَدِيَّةِ ، مُجِي الدولة العَبَّاسِيَّةِ ، فاتِحَ البلادِ والقِلاعِ والأَمْصارِ ، قاهرَ الكُفَّارِ مُبيدَ الفِرْجِجِ والأرْمَنِ والتُّتارِ ؛ سُلطانَ الزَّمانِ ، خُسْرَوَانَ إيرانِ ، شاهنِشاهَ القانِ ؛ سُلطانَ العالَمِ وارثَ المُلْكِ ، سُلطانَ العَرَبِ والعَجَمِ والتُّركِ ؛ الذي آتتهى إليه عن أمير المؤمنين الإمام الأوقابِ ، المغوارِ ، علي بن أبي طالب ذِي الفَخارِ ، شَرَفَ الفُتُوَّةِ وآتصالِ الأَنْسابِ .

قلتُ : هذا ما وَقَفْتُ عليه من نُسخة هذا التَّوْقِيعِ . وقد ذكر الشيخُ شهابُ الدِّينِ محمودُ الحَلَبِيُّ في كتابه "حسن التوسل" نُسخةً تَقْلِيدَ أنْشاءه في الفُتُوَّةِ ، أسقط منه أوَّلَ الخُطْبَةِ وهو : - وابتدأ منه بقوله :

نَحْمَدُهُ على ما مَنَحنا من نِعَمِ سَتِيٍّ ، وَوَهَبنا من عِلْمٍ وَحِلْمٍ غَدَونا بهما أَشْرَفَ من أفتى ، وَأَنا مَلِكُ خِلالِ الشَّرَفِ الذي لا يَنْبَغِي لغير ما آخَننا به من الكِمالِ ولا يَتَأْتِي ، وَخَصَّنا به من رَفَعِ أَهْلِ الطَّاعَةِ إلى سماءِ النِّعمِ يَتَبَوَّءُونَ من جِنانِ الكَرَمِ حيثُ شاءُوا : وَغَيرَهُم لا تَفْتَحُ لَهُم أَبوابُ السَّماءِ ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى ؛ وَنَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً من أَنْتَهِى في نِخارِ أبوَةِ التَّقِيِّ إلى حَسَبِ عَلِيِّ ، وَأَنْتَهِى في بأوَةِ البُنُوَّةِ إلى سَبَبِ قَوِيٍّ وَنَسَبِ زَكِيِّ ، وَأَرْتَدِي حُلَّ الوِقارِ بواسطةِ الفُتُوَّةِ عن خَيْرِ وَصِيِّ عن أَشْرَفِ نَبِيِّ ؛ وَنَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذي نُورُ شَرِيعَتِهِ جَلِيٌّ ، وَجَاهُ شِفاعَتِهِ مَلِيٌّ ، وَبَسِيفُهُ وَبِهِ حازَ النِّصْرَ من أَنْتَهِى وَفاءَ إِلَيْهِ : فلا سَيْفَ إِلاَّ ذُو الفَقارِ ولا قَتِيَّ إِلاَّ عَلِيٌّ .

وبعدُ ، فإنَّ أَوْلَى من لَبِيٍّ إِحسانُنا نِداءَ وَدِّهِ ، وَرَبِّي آمَنانُنا نِتابِجَ وَلائِهِ الموروثِ عن أبيهِ وَجَدِّهِ ، وَرِقاَهُ كَرَمُنا إلى رُتْبَةِ علاءٍ يَقِفُ جِوادُ الأملِ عن بُلُوغِها عندَ حَدِّهِ ؛

وَتَلَقَّتْ كِرَامُنَا وَفَدَّ قَصْدِهِ بِالْتَّرْحِيبِ ، وَأَنْزَلَتْ جَارَ رَجَائِهِ مِنْ مَصْرِ نَصْرِهَا بِالْحَرَمِ
الْأَمِينِ وَالرَّبْعِ الْخَصِيبِ ، وَأَدْنَتْ لَأَمَلِهِ مَا نَأَى مِنَ الْأَغْرَاضِ حَتَّى بَلَغَهُ بِفَضْلِهَا سَهْمُ
أَجْتِهَادِهِ الْمُصِيبِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مِنْ حُلَلِ الْجَلَالَةِ مَا هُوَ أَمْبَى مِنْ رِدَائِ السَّمَاءِ الَّذِي
تَزْدَادُ عَلَى الْأَيْدِ جِدَّةُ بُرْدِهِ الْقَشِيبِ ، وَخَصَّصَتْهُ لِأَبْنَاءِ الْمَجْدِ بِأَجَلِ بِنُوءٍ جَعَلَتْ لَهُ
فِي إِرْثِ خِلَالِ الشَّرَفِ أَوْفَرَ حَظًّا وَأَوْفَى نَصِيبًا - مِنْ سَمْتِ مَنَابِرِ الْمَجْدِ بِذِكْرِهِ ،
وَأَبْتَسَمَتْ أُسْرَةَ الْمَجْدِ بِشُكْرِ أَوْصَافِهِ وَوَصِفِ شُكْرِهِ ، وَآخْتَالَتْ مَوَادَّ الثَّنَاءِ بِمَحْسَنِ
خِلَالِهِ ، وَآخْتَارَتْ كَوَاكِبَ السَّنَاءِ إِقْبَالَ طَوْلِعِهِ بِطَوَالِعِ إِقْبَالِهِ ، وَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِنَا
بَأَمْثَلِ أَسْبَابِ الْهُدَى ، وَاعْتَصَمَ بِعُرْوَةِ بِنُوءِ الْأَبْنَاءِ فَأَوْطَأَهُ التَّوْتُقُ بِهَا رِقَابَ الْعِدَا ،
وَأَتَّصَفَ بِمَحَاسِنِ الشِّيمِ فِي مَوَدَّتِنَا فَأَضْحَى فِي السَّنِّ كَهْلَ الْحِلْمِ يَهْتَرُ لِلنَّدَى ، وَاتَّمَى
إِلَيْنَا فَأَصْبَحَ لَدَيْنَا مَلِكًا مَقْرَبًا ، وَأَوْجِبَ مِنْ حُقُوقِ الطَّاعَةِ عَلَيْنَا مَا أَمْسَى بِهِ لَدَيْنَا
- مَعَ جَلَالَةِ الْأَبْنَاءِ - أَبْنَاءً وَغَدُونًا لَهُ - مَعَ شَرَفِ الْآبَاءِ - فِي نَسَبِ الْفَخْرِ الْعَرِيقِ أَبَا ،
وَتَشَأُ فِي مَهَادِ الْمُلْكِ فَسَمَا بِهِ لِلْعِلْمِ وَالْعَلَمِ ، بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَبِالْبَأْسِ وَالكَرَمِ ، وَاعْتَزَى
إِلَى أُبُوَّةِ حُنُونًا بِبِنُوءِ رَجَائِهِ فَتَشَبَّهَ بِعَدْلِ أَيَّامِنَا : « وَمَنْ يُشَبِّهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، وَتَحَلَّى
بِصَدْقِ الْوَلَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَطْلُبُ فِي سِرِّهِذَا النَّسَبِ وَيُعْتَبَرُ ، وَتَحَلَّى لِنِكَايَةِ عَدُوِّ
الْإِسْلَامِ بِلُطْفِ مَكَايِدَةِ : السِّيُوفِ تُجْزُ الرِّقَابِ « وَتَعَجْزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرَ » .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي زَانَ بِمَوَالِئِنَا عُقُودَ مَجْدِهِ ، وَزَادَ فِي طَاعَتِنَا عَلَى مَا وَرِثَ
مِنْ مَكَارِمِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ، وَزَانَ الْمُلُوكِ فِي إِقْبَالِ شَبَابِهِ ، وَصَانَ مُلْكَ أَبِيهِ عَنْ عَوَارِضِ
أَوْصِيَاءِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْصَى بِهِ ، وَأَنْفَتِ صَوَارِمُهُ أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مُعَدَّةً ،
وَعَزَائِمُهُ أَنْ تَتَّخِذَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ أَوْلِيَاءَ تُلْقِي إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَسِهَامُهُ أَنْ تُسَدِّدَ
[الـ] إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا ، وَأَسِنَّتُهُ أَنْ يُبَيِّلَ لَهَا مِنْ غَيْرِ مَنَاهِلِ صُدُورِ الْكُفْرِ صَدَى ،
مَعَ أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الشَّرَفِ لِشَرَفِ خِلَالِهِ ، وَاقْتِرَاقِ أَسْبَابِ السَّرَارِ عَنْ هَالَةِ كَمَالِهِ ،

وَسْؤَالِهِ مَا لَيْسَ لغيره أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدًا ، وَالتَّمَسُّهُ مِنْ كَرَمِنَا العَمِيمِ أَجَلًا مَا نَحَلَّ وَالِدٌ
وَلِدًا ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَدَمِ الرَّجَاءِ الثَّابِتِ ، وَمَتَّ بِقَدَمِ غُرُوسِ الوَلَاءِ الَّتِي أَصْلَهَا
فِي رَوْضِ المَوَدَّةِ نَابِتٌ ؛ وَقَالَ : أَسْأَلُ اللهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ الأَرْضِ ، القَائِمَ لِجِهَادِ
أَعْدَاءِ اللهِ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ، فَاتِحَ الأَمْصَارِ ، الَّذِي لَمْ تَزَلْ سَيْوفُهُ تُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللهِ
عَنْ حُمُودِهَا إِلَى أَنْ صَارَ لَهُ مِنَ المَلَائِكَةِ الكِرَامِ أَنْصَارٌ ؛ الَّذِي كَرَّمَ اللهُ شَرَفَ الفُتُوَّةِ
بِاتِّمَائِهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْلَى قَدْرَ بِنُورِ المُرُوءَةِ بِاتِّصَالِهَا بِهِ عَنِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَنْ أَبِي أَوَّابٍ
عَنْ أميرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ ؛ وَأُورَثَهُ مِنْ خُلُقِهِ الكَرَمِ
وَالْبَأْسِ فَتَحَلَّى مِنْهُ بِأَجَلِ مُوَافٍ مُوَافِقٍ ، وَمَنَحَهُ بِحِفْظِ العَهْدِ مِنْ خِصَائِصِهِ مَا عَاهَدَ بِهِ
إِلَيْهِ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ مِنْ أَنَّهُ مَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ أَعَزَّ اللهُ سُلْطَانَهُ ،
وَأَوْطَأَ جِيَادَهُ مَعَاقِلَ الكُفْرِ وَأَوْطَانَهُ ؛ أَنْ يَتَقَبَّلَ قَصْدِي بِقَبُولِ حَسَنِ ، وَيَقْبَلَ
بِوَجْهِ كَرَمِهِ عَلِيٌّ أَمَلِي الَّذِي لَمْ يَقْعُدْ بِهِ عَنْ فُرُوضِ الطَّاعَاتِ وَسُنَنِهَا وَسَنِّ ؛ وَيَنْظِمَنِي
فِي سَلَكِ عَقُودِ الفُتُوَّةِ مُلتَزِمًا بِأَسْبَابِهَا ، مُقْتَدِيًا بِطَاعَتِهَا الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أُنْسَابِهَا ؛ مَتِّصِفًا
بِمَوَالِيَتِهَا الَّتِي لَا يَثْبُتُ لَهَا حُكْمٌ إِلَّا بِهَا ، آتِيًا بِشُرُوطِ خِدْمَتِهَا الَّتِي مِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا عَلِيٌّ
مَا يَجِبُ فِيهَا أُنَى البُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا .

فَاسْتَخَرْنَا اللهُ تَعَالَى فِي عَقْدِ لُؤَاءِ هَذَا الفَخَارِ لِجَدِّهِ نَفَارًا ، وَنَظْمِنَاهُ لِعَقْدِ هَذَا المَقَامِ
الكَرِيمِ وَاسْطَةً لِمَثَلِهِ كَانَ يَزِينُهَا الأَدِّخَارُ .

فُرْسَمَ بِالأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ جُودَهُ يُعَلِي الجُدُودَ ، وَيُوطِدُ لِأَبْنَاءِ مَلُوكِ الزَّمَنِ
مِنْ رُتَبِ الشَّرَفِ فَوْقَ مَا وَطَّدَتِ الآبَاءُ وَالجُدُودَ - أَنْ نِصَلَ سَبَبَهُ بِهَذَا السَّبَبِ
الكَرِيمِ ، وَنَعْقِدَ حَسَبَهُ فِي الفُتُوَّةِ بِأَوَاحِي هَذَا الحَسَبِ الصَّمِيمِ ، وَنَعْدِقَ نَسَبَهُ بِأَصَالَةِ
هَذِهِ الأَبُوَّةِ الَّتِي هِيَ إِلَّا عَنِ مِثْلِهِ عَقِيمٌ ، وَيُقَاضِ عَلَيْهِ شِعَارُ هَذَا الخُلُقِ المُنْتَصِلِ عَنْ
أَكْرَمِ وَصِيِّ بْنِ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : (إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ) .

فليحل هذه الهضبة التي أخذت من مرافق العز بالمعاقيل، ويحل هذه الرتبة التي دون بلوغها من نوع الفراقد ألف راقد؛ ويجر رداء الفخر على أهداب الكواكب، ويؤاحم بواكب مجده النجوم على ورود نهر الحجر بالمناكب؛ وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلاً لذلك، وليفت في الفتوة بما علم من مذهبنا الذي انتهى فيه منا إلى مالك؛ وليطل على ملوك الأقطار، بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبها، ويصل على صروف الأقدار، بهذه العناية التي جعلته - وهي حلية حزب الله - من حزبها؛ وليصل سر هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله، وأنزاعه ممن لم يره أهلاً لحمله.

قلت : وما تقدم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية ، لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيرهم : من التقاليد ، والتفاويض ، والتواقيع ، والمراسيم : المكبرة والمصغرة ، ليس هو على سبيل الاستيعاب ، بل على سبيل التمثيل والتذكير ، لينسج على منواله ، وينهج على نهجه . فإن استيفاء ما يكتب في ذلك مما يسق ، ويقف القصد دونه . بل لا بد من حوادث تحدث لم يسبق لها مثال يقتضى أثره . فيحتاج الكاتب إلى حسن التصرف في إيراد ما يلائم ذلك ويناسبه . وكل كاتب ينفق من كسبه ، على قدر سعته ، والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب ، والهادى إلى طريق الحق في الأمور كلها ، بمنه وكرمه .

الفصل الثالث

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فما يكتب من الولايات عن نواب السلطنة؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقدمات هذه الولايات، ويتعلق بها مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان من تصدر عنه الولايات: من نواب السلطنة)

إعلم أن نواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولاية في جليل ولا حفير، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان، والكفاية في ذلك معدوقته به، سواء في ذلك النائب الكافل، ونائب الإسكندرية، ونائباً الوجهين: القبلي والبحري، إلا ما يكتب عليه النائب الكافل من القصص في صغائر الولايات: من نظر الأوقاف وغيرها، ثم تعين ويكتب بها تواقع سلطانية.

أما نواب السلطنة بالممالك الشامية: وهم نائب السلطنة بالشام، ونائب السلطنة بحلب، ونائب السلطنة بطرابلس، ونائب السلطنة بجماعة، ونائب السلطنة بصغد، ونائب السلطنة بغزة، إذا كانت نيابة لا تقدمه عسكر.

(١) يظهر أن هنا سقطا ولعله «فصدر عنهم الولاية» أخذنا مما تقدم.

المقصد الثاني

(في بيان الولايات التي تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية ، أن نواب هذه الممالك يَسْتَبِدُّون بتولية ولاية الأعمال ، وقد يَسْتَبَدُّون أيضا بتولية صغار النواب ، كالقلاع والبُدان التي تكون نيابتها إمرة عشرة . وربما استبدوا بتولية بعض النيابات التي تكون نيابتها إمرة طبليخاناه ، إلا أن تولية العشرات عن النواب أكثر ، وتولية الطبليخاناه عن السلطان أكثر . أما النيابات التي تكون نيابتها مقدمة ألف ، فإنها مختصة بالسلطان . والنيابات التي يكون متوليها جندياً أو مقدم حلقة فإنها مختصة بالنواب . وأن تولية أكبر أرباب الأقاليم : كتاب السر ، والوزير بالشام ، حيث جعلت وزارة ، وناظر النظار ، حيث جعلت نظراً ، وأصحاب دواوين المكاتب ، ونظار المال بسائر الممالك ، ونظار الجيش ، وقضاة القضاة بها - فإن التولية في ذلك تختص بالسلطان دون النواب . وما عدا ذلك يولى فيه السلطان تارة ، والنواب أخرى . وربما حصلت الولاية في بعض ذلك من بعض النواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالمحل عليها ، على ما تقدم بسط القول فيه هناك ، فليراجع منه .

المقصود الثالث

[في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات]

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها
 براعة الاستهلال في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بـ«الحمد لله» أعلى من الافتتاح
 بـ«أما بعد» والافتتاح بـ«أما بعد» أعلى من الافتتاح بـ«رسم بالأمر الشريف»
 وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» وأنه يراعى في الولايات وصف المتولى
 والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال:
 "ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأي أن يستقر
 في كذا ونحو ذلك". ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولى لها،
 ثم يؤتى بالاختتام: من المشيئة والتاريخ، والحمدلة، والتصلية، والحسبة.

والأمر فيما يكتب عن النواب جار على هذا المنهج إلا في أمور قليلة:

منها - أن جميع ما يكتب عن النواب بالشأم يقال فيه «توقيع» ولا يقال فيه
 «تقليد» ولا «تفويض» وربما قيل «مرسوم» في أمور خاصة.

ومنها - أن التوقيع يوصف بـ«الكريم» لا بـ«الشريف» يقال: «توقيع كريم»
 أن يستقر فلان في كذا» أو «مرسوم كريم لفلان بكذا» بخلاف ما يكتب عن
 الأبواب السلطانية، فإنه يوصف بكونه «شريفًا» يقال: «تقليد شريف»
 و«تفويض شريف» و«مرسوم شريف» و«توقيع شريف» على ما تقدم ذكره.

ومنها - أن الكاتب يأتي بنون الجمع [جاريا] في ذلك على من تصدر عنه
 الولاية، كما أن الولايات عن الأبواب السلطانية [يجري فيها على] العادة في الكتابة

(١) ذكر هذا في المخالف سهو فانه موافق لما يكتب عن السلطان أو الملك كما لا يخفى. (٢) بياض بالأصل.

عن الملوك . وكأَنَّهُم رَاعَوْا فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَكْتُوبَ عَنْهُ هُوَ السُّلْطَانُ فِي الْحَقِيقَةِ ،
وَفِعَلَ النَّائِبِ كَأَنَّهُ فَعَلَهُ نَفْسَهُ ، كَمَا يُقَالُ : هَزَمَ الْأَمِيرُ الْجَيْشَ ، وَفَتَحَ السُّلْطَانُ
الْمَدِينَةَ ، وَالَّذِي هَزَمَ وَفَتَحَ إِنَّمَا هُمُ جُنْدُهُ لَا هُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ .

ومنها - أَنَّهُ إِذَا أَفْتَحَ التَّوْقِيعَ بِ«رُسْمِ بِالْأَمْرِ» - لَا يُوصَفُ بِ«الشَّرِيفِ» بَلْ
بِ«الْعَالِي» عَلَى مَا تَقَدَّمَ . فَيُقَالُ : «رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي ، الْمَوْلَى ، السُّلْطَانِيَّةُ ،
الْمَلِكِيَّةُ ، الْفُلَانِي الْفُلَانِيَّةُ» . وَكَذَلِكَ إِذَا أُتِيَ بِذِكْرِ «رُسْمِ» بَعْدَ الْإِفْتِتَاحِ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَأَمَّا بَعْدُ» فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ : «الْعَالِي» دُونَ «الشَّرِيفِ» .

قلتُ : هَذَا مَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي الزَّمَنِ الْمَتَقَدِّمِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ
أَبْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي «التَّعْرِيفِ» . ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى وَصْفِ الْأَمْرِ بِ«الشَّرِيفِ»
فَيُقَالُ : «رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي» إِلَى آخِرِهِ ، كَمَا يَكْتُبُ عَنِ السُّلْطَانِ .
ومنها - أَنَّهُ يُقَالُ فِي آخِرِ التَّوْقِيعِ : «وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ» وَلَا يُقَالُ :
«عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ» ، كَمَا فِي السُّلْطَانِ .

ومنها - أَنَّهُ لَا يَذْكَرُ فِي تَوَاقِيعِ التَّوَابِ مُسْتَنْدُ كِتَابَتِهَا ، كَمَا يُكْتُبُ فِيهَا يُكْتُبُ
عَنِ السُّلْطَانِ .

المقصد الرابع

(فِي بَيَانِ الْإِلْقَابِ)

قد تقدّم في المقالة الثالثة ، في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب
السلطانية أنّ أعلى ما يكتب لأرباب السيوف «المقرّر الكريم» ثم «الجناب
الكريم» ثم «الجناب العالي» ثم «المجلس العالي» ثم «المجلس السامي» بالياء ، ثم
«المجلس السامي» بغير ياء ، ثم «مجلس الأمير» ثم «الأمير» .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية : « الجنب العالى » ثم « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية : « المجلس العالى » . ثم أستقر أعلى ما يكتب لهم : « الجنب العالى » و « المجلس العالى » بعده ، ثم « السامى » بالياء ، ثم « السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » على ما تقدم فى أرباب الوظائف الديوانية ، إلا فيما يقع الاختلاف فيه من الألقاب والتعوت الخاصة بكل منهما .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف السوفية : « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس الشيخ » ثم « الشيخ » .

وأنه يكتب لأرباب الوظائف العادية : « المجلس السامى ، الصدر الأجل » أو « مجلس الصدر » أو « الصدر » .

وأنه يكتب لزعماء أهل الذمة ألقابهم المتعارفة . فيكتب لرئيس اليهود : « الرئيس » ولبطاركة النصارى : « البطرک » ونحو ذلك .

فأما ما يكتب عن نواب الشام ، فعلى أصناف ، كما تقدم فى الألقاب التى تكتب عن الأبواب السلطانية ، مع اختلاف فى بعض الألقاب بزيادة ونقص ، وعلو وهبوط .

الصنف الأول

(أرباب السيوف، ولألقابهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب للطبقة الأولى من مقدمى الألواف بالشام، وحلب، وطرابلس، وإذا ولى أحد منهم نظراً وقف، أو نحو ذلك . أما غير هذه الممالك الثلاث، فقد تقدم أنه ليس فى شىء منها مقدمة ألف، ويقال فيه عندهم : « المقر الشريف، العالى، المولوى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، العونى، الغياثى، الزعيمى، الظهيرى، الخدومى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، عون الأمة، كهف الملّة، ظهير الملوك والسلاطين، فلان الفلانى : أعز الله تعالى أنصاره » .

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبذلك يكتب للطبقة الثانية من مقدمى الألواف، ويقال فيه : « المقر الكريم، العالى، المولوى » . بنحو الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — المقر العالى . وبه يكتب للطبقة الثالثة من مقدمى الألواف، ويقال فيه : « المقر العالى، المولوى » بنحو الألقاب المتقدمة أيضاً [كما^(١)] يكتب لتقيب الأشراف بحلب، وهى : « المقر العالى، الأميرى، الكبيرى، النقيبى، الحسبى، النسبى، العريقى، الأصيلى، الفاضلى، العلامى، العارفى، الحجى، القدوى، الناسكى، الزاهدى، العابدى، الفلانى، جلال الإسلام والمسلمين، جمال الفضلاء البارعين، نحر الأمراء الحاكمين، زين العترة الطاهرة، شرف الأسرة

(١) بياض بالأصول .

الفائز، حجة العصابة الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، نُجبة الفرقة الناجية الحسنية، شرف أولى مراتب، تقيب ذوى المناقب، ملاذ الطلاب الداعين، بركة الملوك والسلطين، فلان: أسبغ الله عليه ظلاله» .

المرتبة الرابعة — الجنب الكريم . وبه يكتب للأمراء الطباخانا، ويُقال فيه: «الجنب الكريم، العالى، المولوى، الأميرى، الكبيرى، العصدى، النصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الذخرى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلطين، فلان: أعز الله تعالى نصرته» .

المرتبة الخامسة — الجنب العالى . وبه يكتب للأمراء العشرينات، ويُقال فيه: «الجنب العالى، الأميرى، الكبيرى، الذخرى، النصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدي، الأكلى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلطين، فلان أدام الله تعالى نعمته» .

المرتبة السادسة — المجلس العالى . وبه يكتب للأمراء العشرات، ويُقال فيه: «المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الأجل، المجاهدى، العصدى، النصيرى، الهامى، الأوحدي، الذخرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلطين، فلان: أدام الله تعالى رفعتة» .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بالياء . وبه يكتب لمقدمى الحلقة، وأعيان جند الحلقة، ويقال فيه: «المجلس السامى، الأميرى، الأجل، الكبيرى،

المجاهدى، الأعزى، الأخصى، الأكلى، الأوحى، الفلانى، مجد الأمراء،
زين الأكار، ذخر المجاهدين، فلان : أدام الله توفيقه .

المرتبة الثامنة — المجلس السامى بغيرياء . وبه يكتب للطبقة الثانية من
جند الحلقة ، ويقال فيه : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ،
المجاهد ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الأمراء ،
نحر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان : أعزه الله تعالى » .

المرتبة التاسعة — مجلس الأمير . وبه يكتب للطبقة الثالثة من جند الحلقة ،
ويقال فيه : « مجلس الأمير ، الكبير » . بنحو ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة العاشرة — الأمير . وبه يكتب لجند الأمراء ونحوهم ، ويقال فيه :
« الأمير الأجل » .

الصنف الثانى

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الديوانية ، وفيهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبه يكتب لكاتب السر بالشام ، وصاحب
ديوان الرسائل بحلب ، ومن فى معناهما .

وهذه ألقاب كتب بها لكاتب السر بدمشق بولاية مشيخة الشيوخ ، وبولغ فيها
جد المبالغة ، إلا أنها ليست حسنة التأليف ، ولا رائقة الترتيب ؛ وهى : « المقر
الشريف ، العالى ، المولوى ، القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، العلامى ،
الإمامى ، الفريدى ، المفيدى ، القدوى ، الحجى ، الأجل ، الحبرى ، المحققى ،

المُدَقِّقِ، الزَاهِدِي، العَارِفِي، الخَاشِعِي، النَّاسِكِي، المُسَلِّكِي، العَابِدِي، المُرْشِدِي،
 الرَّبَّانِي، الوَرَعِي، المَهْدِي، المَشِيدِي، المُشِيرِي، السَّفِيرِي، اليَمِينِي، المَلَّازِمِي،
 الشَّيْخِي، الفَلَانِي، جَلالُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الأَكْبَارِ والرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ،
 عَوْنُ الأُمَّةِ، صِلَاحُ المِلَّةِ، جَمَالُ المَمْلَكَةِ، نِظَامُ الدَّوْلَةِ، عِزُّ المُلْكِ، لِسَانُ المَمَالِكِ،
 زَيْنُ الأَوْلِيَاءِ، مُظْهِرُ أنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ وَنَاصِرُهَا، مُؤَيِّدُ الحَقِّ والمُعِينُ عَلَى إِظْهَارِهِ،
 قَامِعُ البِدْعِ وَنُحْفِي أَهْلِهَا، رِحْلَةُ الحِفَاطِ، عِلْمُ المُفَسِّرِينَ، حُجَّةُ الطَّالِبِينَ، سَيْفُ
 المُنَاطِرِينَ، قُدْوَةُ العِبَادِ والزَّهَادِ، مَلْجَأُ الصُّلَحَاءِ والعَارِفِينَ، حَسَنَةُ الأَيَّامِ، فَرْدُ
 الزَّمَانِ، غُرَّةُ وَجْهِ الأَوَانِ، شَيْخُ المَشَائِخِ، مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَائِحِ، مُوَصِّلُ السَّالِكِينَ،
 مَرَبِّي الأَتَقِيَاءِ والمُرِيدِينَ، كَنْزُ السَّالِكِينَ والمُرْشِدِينَ، مُمَهِّدُ الدُّوَلِ، مُشِيدُ المَمَالِكِ،
 مُجَمِّلُ الأَمْصَارِ، مَدَبِّرُ أُمُورِ سُلْطَانِهِ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ، مُجَهِّدُ نَفْسِهِ فِي رِضَا مَوْلَاهِ،
 مُعِينُ الخَلَائِقِ عَلَى حُقُوقِهِمْ، مُدْلِلُ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، مَلَأُ البُلْغَاءِ والمُتَكَلِّمِينَ،
 خُلَاصَةُ سَلَفِ القَوْمِ المُبَارِكِينَ، بَرَكَةُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ، وَلِيُّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَلَانُ
 الفَلَانِي: أَسْبَغَ اللهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ» .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من أرباب الوظائف
 الديوانية. ويقال فيه: «المقرُّ الكريم، العَالِي، المَوْلَوِي، القَاضِي». بنحو الألقاب
 السابقة مع «المقرُّ الشريف» .

المرتبة الثالثة — الجناب الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثالثة من أرباب الوظائف
 الديوانية. وهذه ألقابُ كُتِبَ بها لبعض الكُتَّابِ بكتابة الإنشاء والجيش بحلب،
 وهي: «الجناب الكريم، العَالِي، المَوْلَوِي، القَضَائِي، الكَبِيرِي، العَالِمِي، الفَاضِلِي،
 البَارِعِي، الكَامِلِي، المَاجِدِي، الأَوْحِدِي، الأَثِيرِي، الأَثِيلِي، الأَصِيلِي، القَوَامِي،

النَّظَامِيّ، الْفُلَانِيّ، ضِيَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، خَالِصَةٌ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ، فَلَانٌ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وبه يُكْتَبُ لِكُتَّابِ الدَّسْتِ وَنَحْوِهِمْ . وَهَذِهِ ألقَابُ كُتُبِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ الدَّسْتِ بِالشَّامِ، وَهِيَ : «الجنب العالى، القضائى»، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الأكلى، البارعى، الأوحدى، القوامى، النّظامى، المفوهى، الرئيسى، الماجدى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أوحده الفضلاء الماجدين، قُدوةُ البُلغاء، جمال الكُتَّاب، زَيْنُ الْمُنتَشِينَ، خَالِصَةٌ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ، فَلَانٌ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وَهَذِهِ ألقَابُ كُتُبِهَا لِكُتَّابِ دَرَجٍ بِالشَّامِ جَلِيلِ القَدْرِ، وَهِيَ : «المجلس العالى، القضائى، الأجلى»، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، البارعى، الكاملى، الرئيسى، الأوحدى، الأثيرى، الأصيلى، العريقى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء فى الأنام، حُجَّةُ البُلغاء، قُدوةُ الفضلاء، أوحده الأئمة، زَيْنُ الكُتَّاب، رَضِيَ الدَّوْلَةُ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ، فَلَانٌ : أَدَامَ اللَّهُ علُوهُ .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وَهَذِهِ ألقَابُ كُتُبِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ دِمَشْقَ بِنَظَرِ الرَّبَاعِ وَهِيَ : «المجلس السامى، القضائى، الأجلى»، الكبيرى، الرئيسى، الأوحدى، الأكلى، الماجدى، الأثيرى، الأثيلى، الأصيلى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أوحده الفضلاء، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ، أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى علُوهُ .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغير ياء . وَهَذِهِ ألقَابُ كُتُبِهَا لِكُتَّابِ دَرَجٍ بِالشَّامِ، وَهِيَ : «المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الفاضل، الأوحده،

الأثير، الرئيس، البليغ، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، أوجد الفضلاء، زين الأعيان، نحر الصدور، نجل الأكابر، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .»

المرتبة الثامنة — مجلس القاضي . وهي : « مجلس القاضي ، الأجل ، الكبير »
والباقي من نسبة ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضي . ويقال فيها : « القاضي ، الأجل » . وربما زيد على ذلك قليلا ، كما تقدم في السلطانيات .

الصنف الثالث

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الدينية ، وفيه مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب لقضاة القضاة ومن في معناهم .
وهذه ألقاب كتب بها لقاضي القضاة المالكي بدمشق بتصدير ، وهي : « المقر الشريف ، العالى ، المولوى ، القضائى ، الكبيرى ، الإمامى ، العالمى ، العلامى ، الفريدى ، المفيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الرحلى ، القدوى ، الملائدى ، العابدى ، المحققى ، المدققى ، المحسنى ، الحاكى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء فى العالمين ، قُدوة البارعين ، سيد المناظرين ، لسان المتكلمين ، ملاذ الطالبين ، كنز المتفقهين ، إمام الأئمة ، حجة الأمة ، ناصر الشريعة ، فرد الزمان ، أوجد الوقت والأوان ، رحلة القاصدين ، حكم الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله ظلاله » .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم . وبه يُكتب لمن دونه من هذه الرتبة .

وهذه ألقابُ كُتِبَ بها لقاضي القضاة بحلب بوظيفة دينية ، وهي : « المقرُّ الكريم ، العالی ، المولوی ، القاضوی ، الكبیری ، العالی ، العادلی ، الأصبلی ، العریقی ، القوامی ، النظامی ، الإمامی ، العلامی ، القدوی ، المفیدی ، الشیخی ، الركنی ، الصحاحی ، الحاکمی ، المحسنی ، الفلانی ، فلان الإسلام والمسلمین ، شرف الفضلاء فی العالمین ، قُدوة العلماء العاملين ، لسان المتكلمین ، برهان المناظرین ، صدر المدرّسین ، رُحلة الطالبین ، بقية السلف الكرام الدارجین ، بركة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان : أعزَّ الله تعالى أحكامه » .

المرتبة الثالثة — الجناب الكريم . وهذه ألقابُ كُتِبَ بها لبعض المشايخ بتدریس بالشام ، وهي : « الجنابُ الكريم ، العالی ، المولوی ، القضائي ، الكبیری ، العالی ، الفاضلی ، المفیدی ، الفریدی ، المحققي ، المدققي ، الأوحدي ، الأنجلی ، الفلانی ، مجد الإسلام والمسلمین ، شرف العلماء فی العالمین ، جمال الفضلاء المدرّسین ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله تعالى ظله » .

المرتبة الرابعة — الجناب العالی . وهذه ألقابُ من ذلك كُتِبَ بها لقاض من قضاة العسكر بالشام ، وهي : « الجنابُ العالی ، القضائي ، الكبیری ، العالی ، الفاضلی ، الرئيسی ، الأنجلی ، الإمامی ، العلامی ، المفیدی ، المحققي ، الفریدی ، البارعی ، المدققي ، الأوحدي ، القدوی ، الحبري ، الحافظی ، الأصبلی ، الأثيری ، النَّاسکی ، الورعی ، العلامی ، مجد الإسلام والمسلمین ، شرف العلماء العاملين ، زين الحُكَّام فی العالمین ، حجة المذهب ، إمام البغاء ، مُقتى المسلمین ، مُفيد الطالبین ، قُطب الرُّهَّاد ، ملاذُّ العباد ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى نعمته » .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وهى : « المجلس العالى ، القضاىء ، الأجلء ، الكبرىء ، العالمىء ، الفاضلىء ، الكاملىء ، الرئىسىء ، الأوحدىء ، الأثرىء ، الأثلىء ، الأصلىء ، العرىقء ، الفلانىء ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، حجة الفضلاء ، صدر المدرسين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى علوه » .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهى : « المجلس السامىء ، القضاىء ، العالمىء ، الفاضلىء ، الكاملىء ، الأوحدىء ، الأصلىء ، العرىقء ، المحققىء ، الفلانىء ، مجد الإسلام والمسلمين ، أوحد الفضلاء فى العالمين ، صدر المدرسين ، أوحد المفيدين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله سعادته » .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغيرياء . وهى : « المجلس السامىء ، القاضىء ، الأجلء ، الكبرىء ، الأحدء ، المرتضىء ، الأكلء ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الفضلاء ، أوحد العلماء ، رضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله عزه » .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضىء ، الأجلء » بنحو الألقاب المذكورة فى « السامى » بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . وهى : « القاضىء الأجلء » على ما تقدم .

الصنف الرابع

(من أرباب الولايات بالممالك الشامىة - مشايخ الصوفىة)

ولم أقف على شىء من ألقاب ما كتب من هذا الباب . سوى [ما كتب] فى مشيخة الشيوخ بالشام لكاتب السرء ، وقد تقدم ذكره فى أول الألقاب الديوانىة

هناك . وألقاب الجنب العالی فیما كُتِبَ به فی مشیخة الزاویة الأیمنیة بدمشق ، وهی :
 « الجنبُ العالی ، الشیخُ ، العالی ، العالمُ العَلَمی ، الأوحدی ، القُدوی ،
 العایدی ، الزاهدی ، الورعی ، الناسکی ، الخاشعی ، المسلكی ، المرقی ، الربانی ،
 الأصیل ، الفلانی ، مجد الإسلام ، حسنة الأيام ، قُدوة الزهاد ، ملاذ العباد ، جمال
 الورعین ، مربی المریدین ، أوحد السالکین ، خلف الأولیاء ، بركة السلاطین ،
 فلان : أعاد الله تعالى من بركته » .

ومن هذا يُؤخذ ما حدث كتابته مما هو فوق ذلك أو دونه .

الصنف الخامس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامیة - أمراء العربان)

ولم أقف على شيء مما كُتِبَ به من ألقابهم ، سوى ألقاب « السامی » بغير یاء
 لبعض أمراء بنی مهدي ، وهی : « المجلس السامی ، الأمير ، الأجل ، الكبير ،
 المجاهد ، الأصیل ، العریق ، الأوحد ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
 شرف العربان ، زين القبائل ، عمدة الملوك والسلاطین ، فلان : أعزّه الله
 تعالى » . وعليه يُقاس ما عساه يُكتب من هذا النمط .

الصنف السادس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامیة - أرباب الوظائف

العادیة ، كرآسة الطب ونحوها)

وألقاب رئیس الطب : « المجلس العالی ، القضائی » على نحو ما تقدم
 فی الديوانیات .

الصنف السابع

(من أرباب الولايات بالنيابات الشامية - زعماء أهل الذمة)

وهي رئاسة اليهود، وبطركية النصارى .

أما رئيس اليهود، فالذي رأيتُه لهم من ألقابه في عهدٍ قديمٍ، كتبه ابن الزكي في الدولة الأيوبية . قال في ألقابه: «الرئيس، الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الداوديين، فلان» .

وأما بطرك النصارى، فرأيتُ لهم فيه طريقتين :

الطريقة الأولى: «البطرك المحتشم، المبعجل، فلان، العالم بأموار دينه، المعلم أهل ملته، دُخر الملة المسيحية، كبير الطائفة العيسوية، المشكور بعقله عند الملوك والسلاطين، وفقه الله تعالى» .

الطريقة الثانية: «مجلس القسيس، الجليل، الروحاني، الخطير، المتبتل، ابن المطران، النَّاصب، الخاشع، المبعجل، قُدوة دين النصارية، نحر الملة العيسوية، عماد بني المعمودية، جمال الطائفة الفلانية، صفة الملوك والسلاطين، فلان: أدام الله تعالى بهجته» .

المقصد الخامس

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب)

عن نواب الممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثالثة، في الكلام على مقادير قطع الورق، أن الورق المستعمل في دواوين الممالك الشامية على ثلاثة مقادير: قطع الطلحية الشامية الكاملة، وهو

في عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ المَعْبَرِ عنها بِالْفَرْحَةِ وطُولِهَا . وَقَطَعَ نِصْفَ الْجَمْوِيِّ ، وهو في نِصْفِ عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ الَّتِي فِي قَطْعِ الْجَمْوِيِّ وطُولِهَا ، ورُبَّمَا نَقَصَتْ فِي الطَّوْلِ . وَقَطَعَ العَادَةَ ، وهو على نَحْوِ مَنْ قَطَعَ العَادَةَ البَلْدِي . وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي طَوْلِ الشَّامِيِّ الكَامِلِ كُتِبَ بِقَلَمِ الثَّلَاثِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الْجَمْوِيِّ كُتِبَ بِقَلَمِ التَّوْقِيعَاتِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ العَادَةِ كُتِبَ بِقَلَمِ الرَّفَاعِ . ثُمَّ مَا كَانَ فِي قَطْعِ الطَّلْحِيَّةِ ، أَفْتَتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الْجَمْوِيِّ ، أَفْتَتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ العَادَةِ ، أَفْتَتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«رَسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» سِوَاءَ فِي ذَلِكَ عَلَتِ الْأَلْقَابُ أَوْ أُنْحَطَّتْ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ بِ«الْمَقَرِّ» فِي قَطْعِ العَادَةِ ، أَعْتَابًا بِجِالِ الوَظِيفَةِ .

المقصود السادس

(في بيان ما يكتب في طرّة التوقييع)

اعلم أَنَّ التَّوَابَ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ عَادَتْهُمْ فِي العِلَامَةِ كِتَابَةُ اسْمِ النَّائِبِ ، كَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ فِيمَا يَكْتُبُ عَنْهُ مِنَ الوَلَايَةِ يَكْتُبُ فِي العِلَامَةِ اسْمَهُ . وَحِينَئِذٍ فَيَحْتَاجُ الكَاتِبُ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ فِي أَعْلَى الدَّرَجِ فِي الوَسْطِ مَا صَوَّرْتَهُ : «الْأَسْمُ الكَرِيمُ» ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ أَوَّلِ عَرْضِ الدَّرَجِ مَا صَوَّرْتَهُ : «تَوْقِيعُ كَرِيمٍ بِاسْتِقْرَارِ المَقَرِّ الشَّرِيفِ أَوْ الكَرِيمِ ، أَوْ الجَنَابِ الكَرِيمِ أَوْ العَالِي ، أَوْ المَجْلِسِ العَالِي أَوْ السَّامِي ، أَوْ المَجْلِسِ الأَمِيرِ أَوْ القَاضِي ، أَوْ الشَّيْخِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فِي كَذَا وَكَذَا إِلَى آخِرِهِ» . فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَعْلُومٌ كُتِبَ آخِرًا : «بِالمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيوانِ المَعْمُورِ ، أَوْ الشَّاهِدِ بِهِ كِتَابُ الوَقْفِ» وَنَحْوِ ذَلِكَ ثُمَّ يَكْتُبُ : «حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ عَلَى مَا شَرِحَ فِيهِ» . وَلَفْظُ :

«حَسَبَ مَارُسَمَ بِهِ» مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ كُتَّابِهِمْ ، بِخِلَافِ مَا يَكْتُبُ بِهِ مِنَ الْأَبْوَابِ
السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وهذه طُرَّةُ تَوْقِيعِ بِنِقَابَةِ الْأَشْرَافِ بِجَلَبِ الْحُرُوسَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ « غِيَاثِ
الدين احمد » بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن المدوح ، وهي :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِاسْتِقْرَارِ الْمُقْتَرِّ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ،
الْحُسَيْنِيِّ ، الْأَصِيلِيِّ ، الْعَزِيِّ ، بَرَكَةِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، أَحْمَدَ ابْنَ الْمُقْتَرِّ الْعَالِي ،
الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الشَّهَابِيِّ ، أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيِّ ، أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهُمَا ، فِي وَظِيفَةِ نِقَابَةِ
السَّادَةِ الْأَشْرَافِ ، وَنَظَرَ أَوْقَافَهَا ، وَالْحُكْمَ فِي طَوَائِفِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ أَجْمَعِينَ ، عِوَضًا
عَنِ وَالِدِهِ الْمَشَارِ إِلَى بَرِيضَاهُ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، وَتَعَالِيهِ الْمُسْتَمْرَةِ
إِلَى آخِرِ وَقْتِ ، حَسَبَ مَارُسَمَ بِهِ بِمُقْتَضَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةِ تَوْقِيعِ بِكَشْفِ الصَّفِيقَةِ الْقَبْلِيَّةِ بِالشَّامِ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لـ «غُرسِ
الدين خليل الناصري» وهي :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِأَنَّ يَسْتَقَرُّ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلِيُّ ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ،
الغُرسِيُّ ، ظَهَرَ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، خَلِيلَ النَّاصِرِيِّ ، آدَامَ اللَّهِ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ،
فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبْلِيَّةِ الْحُرُوسَةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ
وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، حَسَبَ مَارُسَمَ بِهِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةِ تَوْقِيعِ بِالْمِهْمَنْدَارِيَّةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ ، كُتِبَ بِهِ لـ «غُرسِ الدين
خليل الطناحي» وهي :

توقيع كريم باستقرار الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، الغرسى، عضد الملوك والسلاطين، خليل الطناحى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة المهندارية الثانية بالشام المحروس، عوضاً عن حسام الدين حسن بن صاروجا، بحكم شُغورها عنه، لما اتفق من الغضب الشريف عليه، واعتقاله بالقلعة المنصورة بحلب المحروسة، على أبجمل عادة، وأكمل قاعدة، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بتصدير الجامع الأموى بالشام، كتب به للقاضى «ناصر الدين» بن أبى الطيب كاتب السر بالشام، وهى :

توقيع كريم بأن يستقر المقر الشريف، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى، الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، عظم الله تعالى شأنه، فى وظيفة التصدير بالجامع الأموى المعمور بذكر الله تعالى، عوضاً عن القاضى صدر الدين عبد الرحمن الكفرى الشافعى، بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، بماله من المعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بإعادة مشيخة الشيوخ بالشام إلى القاضى «ناصر الدين ابن أبى الطيب» المذكور أعلاه، وهى :

توقيع كريم بأن تفوض إلى المقر الشريف العالى، المولوى، القاضى، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، أعاد الله تعالى من بركاته، وأسبغ

ظلاله ، مشيخةُ الشيوخ بالشام المحروس ، وظيفته التي خرجت عنه ، المرسومُ الآن
إعادتها إليه ، عوضاً عما هي بيده ، بمعلومه في النظر والمشیخة ، الشاهد بهما ديوانُ
الوقف المبرور ، إلى آخر وقت ، على أجمال العوائد ، وأجل القواعد ، حسب ما رسم
به ، على ما شرح فيه .



وهذه طُرَّةُ تَوْقِيعٍ بالتمهل على النزول والتقرير الشرعي ، بالزاوية الأُمينية ، بالقدس ،
كُتِبَ به للشيخ «برهان الدين الموصلي» وهي :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ أَنَّ يُجْمَلَ الجَنَابَ العَالِي ، الشَيْخِي ، البرهاني ، إبراهيمَ ابنِ سيدنا
المرحوم الشيخ القطب ، تقيِّ الدين أبي بكر الموصلي ، رضى الله عنه وأعاد من
بركاتهما ، في وظيفتي النظر والمشیخة ، بالزاوية الأُمينية بالقدس الشريف ، على حُكْمِ
النزول الشرعي ، واستمرار ذلك بمقتضاهما ، ومنع المنازع بغير حُكْمِ الشرع الشريف ،
حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طُرَّةُ مَرْسُومِ بُرْبَعِ تَقْدِمْةِ إمرة بنى مهدي ، كُتِبَ به لـ «عيسى بن
حناس» وهي :

مَرْسُومٌ كَرِيمٌ أَنَّ يَسْتَقَرَّ المجلسُ السامى ، الأمير ، شرفُ الدين ، عيسى بن
حناس (؟) ، أعزّه الله تعالى ، في رُبْعِ تَقْدِمْةِ بنى مهدي ، على عادة من تقدمه ، حملاً
على ما بيده من التوقيع الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه طُرَّةُ تَوْقِيعِ بَيْطَرَكِيَةِ النَّصَارِي الْمَلِكِيَّةِ بالشام ، كُتِبَ به لـ «دأود
الخورى» وهي :

توقيع كريم بأن يستقر البطريرك ، المحتشم ، المبجل ، داود الخورى ، المشكور بعقله لدى الملوك والسلاطين ، وفقه الله تعالى ، بطريك الملكية بالملكة الشريفة الشامية المحروسة ، حسب ما اختاره أهل ملته المقيمون بالشام المحروس ، ورغبوا فيه ، وكتبوا خطوطهم به ، وسألونا تقريره دون غيره ، حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .

المقصود السابع

(في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع)

قد جرت عادة كتاب هذه النيابات أن تكتب الطرة بأعلى الدرج كما تقدم . ثم يترك وصلان بياضاً بما في ذلك من وصل الطرة ، ثم تكتب البسملة في أول الوصل الثالث ، ثم يكتب تحت البسملة على سمت الجلالة : « الملكى الفلانى » ثم يخلى بيت العلامة نحو ستة أصابع معترضة ، ثم يكتب السطر الثانى ويوافق كتابة السطر ، ويكون ما بينهما بقدر أصبعين ، والباقي على نحو ما تقدم في السلطانيات .

الطرف الثانى

(في نسخ التواقيع المكتوبة عن نواب السلطنة بالملك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثانية أن بالبلاد الشامية سبع نيابات : دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحمّة ، وصفد ، وغزة إن كانت نيابة ، والكرک . وأن اعلاها دمشق ، ثم حلب ، ثم طرابلس . وفي معنى طرابلس حمّة وصفد .

وقد اقتصر في نسخ التواقيع على ما يكتب في ثلاث نيابات [تقديمها]^(١)

على ما عداها .

(١) بياض بالأصل .

النيابة الأولى الشام

(والتواقيع التي تُكتب بها على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(ما يُكتب بوظائف أرباب السيوف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو بحاضرة دِمَشْق ، وهو على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح بـ«الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بولاية دِمَشْق :

الحمد لله الذي جعل هذه الأيام الزاهرة تنقل أولياء الآله الشريفة إلى أعلى
المراتب ، وتُجزل لهم من مَنِّه الجمَّة المواهب ، وتضاعف لهم النعمة بكرمها الذي إذا
انهمل كان كالغيث السَّكَب .

نحمده على أن جعل نظرنا يلمح أهل الهمم ويراقب ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يبلغ قائلها ببركتها المنى والمآرب ، وتهون عليه كل
المصاعب ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله ببعثته الحق
في المشارق والمغارب ، وأنار به ظلم الغياهب ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
شيدوا منار الإسلام وأقاموه بالسيوف القواضب ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن المناصب بمتوليها ، والمعالي بمعليها ، والعقود ليست بمن تحليه بل بمن يحليها ، وأطيب البقاع جناباً ما طاب أرجاً وثماراً ، وخرّ خلاله كل نهر « يروع حصاه حاليّة العذارى » ورثت معاطف غصونه سلاف النسيم فتراها سكارى ، وتمتدّ ظلال الغصون فيخال أنّها على وجنات الأثمار عذارا .

ولما كانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى ضفاتها تهبّ نسائم [هذه] السمات ، لم يتصف غيرها بهذه الصفة ، [ولا اتفق أولو الأبواب إلا على محاسنها المختلفة] وكان الجنب الكريم هو من أعيان الدولة وأماثلهم ، ووجوه رؤسائهم وأفاضلهم ؛ وله في طاعتها آسترسال الأمن من سوء مواطن المخاوف ، ووصل في ولائها القديم بالحديث والتألد بالطارف ؛ وتولّى مهمات الخدم فأبان في جميعها عن مضاء عزمه ، وكان من حسن آثاره فيها ما شهر غفلها بوسمه ؛ فمن ناواه من أقرانه أربى عليه وزاد ، ومن بآراه من أنظاره أنسى ذكراه أو كاد .
فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقرّ في ولاية مدينة دمشق المحروسة .

فلباشر هذه الولاية : عاملاً بتقوى الله تعالى التي أمر بها في محكم الكتاب ، حيث يقول : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ . وليشمل كافة الرعايا بالحفظ والرعاية ، ويجزل حظهم من الملاحظة والعناية ؛ وليساو في الحق بين ضعيفهم وقويهم ، وفقيرهم وغنيهم ؛ وليلزّم أتباعه بحفظ الشوارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ مع مواصلة التطواف كل ليلة بنفسه في أوفى عده ، وأظهر عده ، منتهياً في ذلك وفيما يجاريه إلى ما يشهد باجتهاده ، ويعرب عن سداده ، ويعلم منه صواب قصده وأعماده ، وبذل مناصحته في إصداره وإيراده ؛ والله تعالى يعينه على ما ولاه ، ويحفظ عليه ما نوله وأولاه ؛ بمنه وكرمه .

(١) الزيادة مما تقدم في الصنف الثالث في توابع أرباب الوظائف في حاضرة دمشق ليستقيم الكلام .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، لصاحب سيف: كُتِبَ به في الدولة الظاهرية «برقوق» لناصر الدين «محمد» ابن الأمير جمال الدين، عبد الله ابن الحاجب، عند مصاهرتة الأمير بطا الدوادار، وهي:

الحمد لله الذي قدم أعظم الأمراء ليعم مواطن الذكر بنظره السعيد، وأقام لتعظيم بيوت أذن الله أن تُرفع، [أميرا] في الأكتساب للأجور أسرع من البريد، وأطرب المسامع بسيرته في أحسن معبد جليت فيه عروس مهرها كتاب الله تعالى والنور من زيتونة لا شرقية ولا غربية ومرئي^(١) عليه من مكان بعيد.

نحمده على أن أحل ناصر الدين بجماله الأسنى أشرف المراتب، وبوَاه المحلل الرفيع الذي بلغ به الأمة المحمدية المآرب، وسار خبر سيرته في المشارق والمغرب، وبلغ بمشرفة نظره السعيد الشاهد والغائب؛ حمداً نفعه على النسر الطائر، ونتمثل بقول القائل: كَمْ تَرَكَ الأوَّلُ لِلآخِرِ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خلق العباد لعبادته، وفضل بعض المساجد على بعض لما سبق في علمه من إرادته؛ ونشهد أن سيدنا محمداً خير الخلائق عبده ورسوله الذي سنَّ الجمعة والجماعة، وعمّر المساجد بالركوع والسجود إلى قيام الساعة؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أتبعوه في قيام الليل إلا قليلا، ولا زُموا المساجد بكرة وأصيلا، وحضوا على الجماعة إلى يوم تكون الجبال فيه كشيئا مهيلا؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فلما كان جامع دمشق المحروسة رابع المساجد، وموطن كل رايح وساجد؛ وتقصده الأمم من الأقطار، ولم يحل من العبادة في الليل والنهار، ورواتب حكام الشريعة عليه، والعلماء الأعلام تبث فيه العلوم وتأوي إليه؛ وغالب المساجد

(١) في الاصل «ومرئية» ولم نفهم معناه.

إلى سِمَاطِ وَقْفِهِ مُضَافَهُ، وَخَطَابَتِهِ تُضَاهِي مَرْتَبَةَ الْخِلَافَةِ؛ وَهُوَ أَجَلُّ عَجَائِبِ الدُّنْيَا الَّتِي وُضِعَتْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَبِهِ يَفْتَخِرُ أَهْلُ الْهُدَى عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ النَّاطِرُ فِي أَمْرِهِ مِنْ عَظَمِ قَدْرًا، وَطَابَ ذِكْرًا؛ وَفَتَحَ لَوْفِهِ بَابَ الزِّيَادَةِ عَلَى مُضَى السَّاعَاتِ، وَجَمَعَ أَمْوَالَهُ بَعْدَ الشَّتَاتِ؛ وَوَصَلَ الْحُقُوقَ لِأَرْبَابِهَا الَّذِينَ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرًا، وَلَمْ يُضِعْ مِنْ مَالِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ صَدَقَهُ فَيَوْمَهُ يَوْمَهُ عَسَرَ؛ وَعَمَّ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ الْمَضَافَةِ إِلَيْهِ بِالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ، وَبَدَأَ الْأُمَّةَ وَالْمُؤَدِّينَ وَالْخِدْمَةَ بَعْدَ الْعِمَارَةِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ.

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي يَقُومُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَحْسَنَ مَقَامًا، وَيَصْلِحُ لَهُ فِي مَصْلَحَتِهِ الْكَلَامُ.

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، السُّلْطَانِيُّ، الْمَلِكِيُّ، الظَّاهِرِيُّ، السَّيْفِيُّ - لِأَزَالِ هَذَا الدِّينِ الْقِيَمَ قَائِمًا بِمُحَمَّدِهِ، وَالْمَسَاجِدُ الْمَعْمُورَةُ [مَعْمُورَةٌ] بِإِكْرَامِ مَسْجِدِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ النَّاصِرِيُّ الْمَشَارِيُّ إِلَيْهِ فِي النَّظَرِ السَّعِيدِ عَلَى الْجَامِعِ الْأُمُومِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوْقَافِهِ الْمَبْرُورَةِ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ؛ بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ، إِلَى آخِرِ وَقْتِ.

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ: لِمَا يُعْرَفُ مِنْ فِعَالِهِ الْحَسَنَةِ، وَخِبْرَتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا مِنَ الْحَابِرِ الْأَفْوَاهِ وَمِنَ الْأَقْلَامِ الْأَلْسِنَةِ؛ وَلِمَا حَازَهُ مِنْ فَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ، وَأَعْمَالِ الَّتِي بَدَتْ لِلْمُهْتَدِي بِهَا كُنُورٌ لِأَنَارٍ عَلَى عِلْمٍ؛ وَلِيَعْمَرَ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَلِيُوصَلَ الْحُقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا، وَلِيُدْفَعَ الْأَمْوَالَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهَا؛ وَيُكْفَى كَفَّ الظُّلْمِ وَيُبَلِّغَ الْمَسْتَحَقَّ الْمَآرِبِ، وَيُحْجِبِ الْخَوَنَةَ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ بِجِدِّهِ فَهُوَ بِجَدِّهِ حَاجِبٌ؛ وَلْيَبْدَأَ بِالْعِمَارَةِ وَالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَأَرْبَابِ الصَّلَاةِ

وَالصَّلَاتِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ بِهَا أُذْرَى ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكُهَا وَلَا زَالَ
يُفِيدُهَا كَمَا يَعْلَمُ الشَّجَاعَةَ زَيْدًا وَعَمْرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلدِّينِ نَاصِرًا ، وَيُصَلِّحُ
عَمَلَهُ أَوَّلًا وَأَخْرًا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(مَا يُفْتَحُ بِهِ «أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ» فِيهَا وَظَائِفُ)

(١)
وهذه نسخة توقيع ... الزكاة، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة، وهي:
أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مُسْعِدٍ مِنْ زَكَاةِ عَمَلِهِ ، وَوَقَّاهُ وَعَدَّ الْخَيْرِ أَمَلُهُ ، وَمُصْعِدٍ مِنْ وَفَتْ
فِي تَدْبِيرِ الْوُظَائِفِ تَفَاصِيلِ أَمْرِهِ وَوَفَّرَتْ فِي تَمْرِ الْأَمْوَالِ جَمْلَهُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَشَفَى جَانِبَ الدِّينِ الْقِيَمِ
مِنَ الشَّكَاةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ الْقَوِيمِ سَائِرُهُمْ ، وَتَرَكَى - وَإِنَّمَا
يَتَرَكَى لِنَفْسِهِ - مِنْجُدُهُمْ وَعَاثِرُهُمْ - فَإِنَّ أَحَقَّ الْوُظَائِفِ أَنْ يُنْدَبَ لِحَمَائَتِهَا الْحُسَامُ ،
وَيَتَرْتَبَ لِكِفَايَتِهَا مِنْ تَحَلَّتْ بِالْحَمَامِدِ شِمِيمَةُ الْحُسَامِ - وَظِيفَةُ الزَّكَاةِ الَّتِي وَصَلَتْ سَبَبُ
مَكَانِهَا بِأَمْكَانِهَا ، وَبُنِيَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، وَمُدِحَتْ الْمَمْلَكَةُ بِعَالِي
الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُنْتَظَمَةِ مِنْ دِيْوَانِهَا .

وَمَا كَانَ فَلَانَ مِمَّنْ زَكَتْ صِفَاتُهُ ، وَسَمَّتْ بِالْجَمِيلِ سِمَاتُهُ ؛ وَوَضَحَتْ كَفَاءَتُهُ
وَدَرَايَتُهُ ، وَصَلَحَتْ حِمَايَتُهُ الْحُسَامِيَّةَ وَوَقَايَتُهُ ؛ وَكَانَ الْيَمْنُ فِي قَبْضَةِ مَضَائِهِ ، وَتَجْرِيدُهُ
وَأَنْتِضَائِهِ ، وَكَانَ نَفُودُ أَمْرِهِ وَاقْفًا عِنْدَ حُدِّهِ وَاقْعًا عَلَى وَفْقِ آرْتِضَائِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُوَصَلَ
سَبَبُ الشَّدِّ بِأَسْبَابِهِ ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي الزَّكَاةِ الْمُسْتَحَقِّ نِصَابُهَا حَتَّى يُقَالَ : رَجَعَ الْحَقُّ
بِالْحُسَامِ إِلَى نِصَابِهِ .

(١) بياض بالأصل ولعله : بتولية وظيفة الزكاة الخ .

فذلك رُسم أن يرتب علماً بأنه الكافي الذي إذا شدَّ سدَّ، وإذا قصر رأيه على الصُّنع الجميل مدَّب، والخبير الذي إذا جمع مالا وعدَّه كان مشكوراً، وإذا فرَّقه في مُستحقِّيه كان خلافَ الغيرِ بالخيرِ مدُّكورا، والنَّاهضُ الذي ما تبرَّم بمضاييق المِهَمَّات ولا شكَّاهَا، والمهيبُ الذي قد آمنَ من سار بالبضاعة إليه وقد أفلح من زكَّاهَا .

فليستقرِّ في هذه الجهة استقراراً يزيدُ مكانه وإمكانه، ويُتمِّر عمله وديوانه، وليوصِّل كلَّ ذي حقٍّ إلى حقِّه فإنَّما بسِطتْ أيدي ولاةِ الأمور لِيَبْسُطَ عدله متولِّها وإحسانه . وتقوى الله تعالى هي العمدة : فليحَقِّقْ باعتمادها فيه ظنونَ الرَّاجينَ، وليستعِنَ بها على رضا المستنهِضينَ له وعلى رضا المحتاجينَ، واللهُ تعالى يُلهمُه الخيرَ في ذوى الصَّادِرِ والواردِ حتَّى يكونوا إلى خيرٍ «لاجين» خيرَ لاجين .



وهذه نسخةُ توقيعِ بَشَدِّ الحوطاتِ بدمشق . كُتب به لشرف الدين يحيى بن العفيف، [باجرائه] على عادته، وحمله على ما بيده من التوقيع الشريف، وهي :
 أما بعد حمد الله الذي سهل الخيراتِ بأسبابها، وأقرَّ في الوظائفِ السنية كُفَاةَ أربابها، وكلَّ أدواتٍ من حنكته التجاربُ في المباشراتِ حتَّى دخل المناصبَ العليةَ من أبوابها، والصلاة والسلامِ الأتمِّينَ الأَكْمِينِ على سيدنا محمد الذي جاء برشدِ الشريعة وصوابها، وعرفَ بحسنِ الصَّنِيعَةِ وتواهبها، وعلى آله وصحبه وعترته الطاهرين - فإنَّ أولى من لَفَّتْنَا إليه جسدَ الإحسانِ، وألْقَيْنَا إليه طَرْفَ التَّكْرِيمِ فبلغ الأمانى والأمان، ولحظناهُ بعينِ عِنَانَيْتِنَا فنال من فضلنا ما أنجَل الغيثِ الهَتَّانَ، ومنَحْنَاهُ من ربِّنا ما شرح له صدرًا، وأسْتَصْحَبْنَا له ما أَلْفَهُ من كَرَمِنَا وجعلنا له بعد

عُسْرٍ يُسْرًا؛ وَأَيْتُنَا حَظَّهُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَغْفَى، وَأُطْلَعْنَا كَوَكَبَ سَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَخْفَى - مِنْ أَلْفَتْ مُهِمَاتِنَا مِنْهُ الْهِمَمَ الْعَلِيَّةَ، وَسَلَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْمَسَالِكَ الْمَرْضِيَّةَ، وَأُثِّمَنَ عَلَى أَمْوَالِ الْحَوَاطِطِ الدِّيَوَانِيَّةِ فَنَمَتَ بِحُسْنِ أَمَانَتِهِ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ جَمِيلَ تَدْبِيرِهِ وَدِرَايَتِهِ .

وكان المجلس العالى فلان - أدام الله عزه - هو الذى أخبر عنه الوصف بما أثبتته العيان ، وأظهر الاختبار منه حسن السيرة والسريرة والسجايا الحسان .

فلذلك رسم بالأمر العالى - أعلاه الله تعالى ، وضاعف إحسانه على أهل الهمم وإلى - أن يستمر المشار إليه فى شد الحواطط الديوانية بدمشق المحروسة ، على عادته ، ومستقر قاعدته ، وحمله على ما بيده من التوقيع الشريف المستمر حكمه .

فليباشر هذه الوظيفة على أجمل عوائده ، وليعد إليها على أكل قواعده ؛ إلا أن التذكرة بتقوى الله تعالى لأبد من آقباس ضياها ، والتنبية على سلوك سبيل هداها ؛ فلتكن قاعدة أملة ، وخاتمة عمله . والاعتماد فى معناه ، على الخط الكريم أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من تواقع وظائف أرباب السيف بدمشق - ما يفتتح به «رسم

بالأمر العالى» وفيه وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بشد مراكز البريد ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتِبَ

بها لمن لقبه «بدر الدين» فى سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، وهى :

رُسم بالأمر العالى - لا زالت البرد سائرة بأوامر عدله المديد ، وهو امر جوده
المجيد ، وسوائر الأخبار عن بأسه ونداه المروى سندهما عن ثابت ويزيد ، ولا يرحح
جوامع عطايه وقضايه : هذه فاتحة لمصالح الآمال باب الزيادة وهذه فاتحة لمصالح
الإسلام باب البريد - أن يستقر المجلس على عادته الأولى ، وقاعدته التي ما يرحح
قدم مساعيه فيها المقدمة ويد أمانته الطولى ؛ علماً بكفائه التي شهدت بها حتى
الخليل المائلات خرساً فأفصحت ، المواصلات سعياً فأنجحت ، الموريات قدحاً
إلا أن السنة الأحوال في شهادتها ما قدحت ، المغيرات على السرى صبحاً ما دار عليها
شفق العشى فأغبت ، حتى دار عليها شفق الفجر فأصطبحت . ومراكز الطرق
التي حتمها مهابتة فكانتها مراكز الأسل ، ومراكز السبل ، كل واحد منها وما حمل
وكل حدب وما نسل ؛ وأعتاداً على سداد عزمه الذى وافق خبره الخبر ، ورشاد سعيه
الذى كل أوقاته من وجوه الإجابة ووجوه الجهاد غرر ؛ وركوناً إلى أنه الكافي
فيما يعتمده ويره ، السارى في المهمات لا يميل وهيئات أن يمل البدر من سراه ؛ كم
أعان الإسلام على ما آتخذ من قوة ومن رباط الخيل ، وكم جاد على الجهاد على الغيث^(١)
حتى سارت بين يديه كالسيل ، وكم حفظ عليها قوتها وقوتها فبعد ما كانت تموت
بالعدد صارت تعيش بالكيل .

فليباشر ما عول فيه عليه ، وأعيد من حقه وإن كان خرج عنه إليه ، وليطلق يد
أمره ونهيه بما يسره أن يقدمه بين يديه ؛ حريصاً على أن تنطق هذه الدواب
الخرس غداً بثنائه ، مجرباً لقوايمها وللإقامة بها على عادة إجرائه ؛ متخيراً لها كل
حسن الإمرة والسياسة عند رحيلها وقدمها ، ومن إذا عرضت عليه بالعشى
الصافات الجياد طفق مسحاً ولكن بإمارة الأذى عن جسومها ؛ موسعاً عليها من

(١) لعله زائد من قلم النسخ .

المباني والأحوال كل مَضيق ، أمرًا بما يحتاج إليه نَوْعها البديع من صِنَاعَتِي تَرْشِيحٍ
وَتَطْيِيقٍ ؛ مُسْتَأْمِنًا من الأيدي من يردُّ عنها الأيدي الضَّائِمه ، ومن يُسَاوِي بينها
في الأقوات حتَّى لا تكون كما قال الأولُ : « خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ » ؛ مُتَحَرِّيًا
في تَكْفِيَتِهَا أَجْمَلِ الطَّرِيقِ وَالطَّرَائِقِ ، مُسْتَجَلِبًا صُنُوفَ العَلِيقِ فَلَا تَتَقَطَعُ مِنْ بَرِّ
العلائق ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِعَوْنِهِ وَرَشْدِهِ ، وَيَجْعَلُ عَزْمَهُ سَائِقًا إِلَى التَّوْفِيقِ « سَبَقُ
الجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى أَمَدِهِ » ؛ بِمَنَّةٍ وَكِرْمِهِ .



وهذه نسخةٌ تَوْقِيعِ بِنَقَابَةِ النُّقَبَاءِ ، من إنشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بنِ نُبَاتَةَ أَيْضًا ،
كُتِبَ بِهَا لِشَهَابِ الدِّينِ « بُولَاقِي » عَوَضًا عَنْ أَبِيهِ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ ، وَهِيَ :
رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ بِنَائِعِهِ يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِ الْأَمَلِ نِقَابَهُ ، وَيَحْفَظُ لِكَافِي
الْخِدْمَةِ أَعْقَابَهُ ، وَيَلْوِي بِاسْتِمْرَارِ النَّعْمِ أَدْوَارَ الزَّمَانِ وَأَحْقَابَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي آفَاقِ دَوْلَتِهِ
شَهَابَ كُلِّ عَزْمٍ تَحْمَدُ عَسَاكِرُهُ الْمَنْصُورَةَ أَرْتِقَاءَهُ وَأَرْتِقَابَهُ - أَنْ يَرْتَبَّ الْمَجْلِسُ
السَّامِي ، الْأَمِيرُ : عُلَمَاءُ بِأَوْصَافِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَوْصِيَاعِهِ الَّتِي لَا يَحْتَأِجُ الْحُكْمُ
بِفَضْلِهَا إِلَى إِقَامَةِ بَيْنِهِ ، وَكَفَافَتِهِ الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَحْوَالِ الْمُؤْمِنَةِ وَقُلُوبُ
العَسَاكِرِ الْمُؤْمِنَةِ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي إِذَا وَقَفَتِ الْمَوَاقِفُ عَلَى الْأَعْدَاءِ عَرَفَتْهُ أَحْسَابُ الْمِيْمَنَةِ
مَا أَحْسَابُ الْمِيْمَنَةِ ، وَتَصَدِيقًا لِلدَّلَالَةِ عَزْمِهِ الْوَاعِدِ ، وَتَحْقِيقًا لِحِمَايَةِ شِهَابِيهِ الْوَاقِدِ ،
وَرُكُونًا إِلَى قِيَامِهِ مَقَامِ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْخِدْمَةِ حَتَّى كَانُ لَمْ يَقْفِدْهُ مِنَ الْجَيْشِ
فَاقِدٌ ؛ وَأَنَّهُ لِدَرَجَاتِ الْأَسْتِحْقَاقِ رَاقِي ، وَأَنَّهُ الْعَوِضُ عَنْ أَبِي لَاقِي مَنِيَّتِهِ وَكُلِّ
أَمْرِي لَاقِي الْمَنِيَّةِ وَأَبْنُ لَاقِي ؛ وَأَنَّهُ كُفَّ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ كَمَا حَكَمَ الرَّأْيُ وَأَقْتَضَى ، وَكَمَا
شَهِدَ (؟) لِعَزْتِهِ بَعْرُ الْفَوَائِدِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ ابْنُ النُّقَيْبِ الْمُرْتَضَى ! .

فَلْيَتَلَقَّ بِشِهَابِهِ الْمُضِيِّ هَذَا الْمَطْلَعِ الْأَسْنَى، وَلْيَقُمْ فِي هَذِهِ الْوَضِيفَةِ عَلَى قَدَمِ الْخِدْمَةِ
صُورَةً وَمَعْنَى؛ مُقَدِّمًا عَلَى التُّبَاءِ تَقْدِيمَ إِمَامِهِمْ، مُعَلِّمًا لِحُنْدِ الْإِسْلَامِ مَعْلُومَ مَقَامِهِمْ؛
مَالئًا بِإِتْقَانِ مَعْرِفَةِ الْحِلِيِّ سَمْعَ مَنْ أَسْتَمَلَاهُ، مُحْظِيًا لِلْجُنْدِيِّ مُعِينًا لَهُ عَلَى حُصُولِ الْخَيْرِ
حَتَّى يُشْكِرَهُ شُكْرًا مِنْ أَطْعَمَهُ وَحَلَّاهُ؛ نَاطِمًا لِلْوَاكِبِ عَقْدَ مُجْتَمَعِهَا الثَّمِينِ، مُصَاحِبًا لَهَا
صُحْبَةً يَثْبُتُ بِهَا عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ مُرْتَبًا لَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ،
مُنْتَقِبًا عَنْ مُحَاسِنِ تَجَمُّلِهَا: فَإِنَّ أَسْمَ التَّنْقِيبِ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّنْقِيبِ. وَلْيُكَاثِرْ حَمَلَةَ
السُّيُوفِ فَإِنَّهُ حَامِلٌ سَيْفٍ وَعَصَا، وَإِنَّهُ بِهِذِهِ مُخَلَّصٌ حَقُوقٌ مِنْ أَطَاعَ وَبِهَذَا مُوَبِّقٌ
نَفْسَ مَنْ عَصَى؛ وَلْيُجَرِّضْ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِوَعْدِ الْأَجْتِهَادِ الْمُتَنَجِّزِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ
سَيْفَ تَحْرِيضٍ عَلَى جَرْحِ الْأَعْدَاءِ مُجْهِزًا، وَعَلَى أَنْ يَحْصُلَ فِي مَوَاطِنِ الْجِهَادِ عَلَى
الْأَجْرَيْنِ: أَجْرِ الْمُقَاتِلِ وَأَجْرِ الْمُجْهِزِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي الْخَيْرِ طَرَائِقَهُ، وَيُوَيِّدُ عَزْمَهُ
الْحَيْثُ شِئِيَ حَتَّى تَلْهَجَ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَعْلَامِ الْخَافِقَةِ؛ وَالْأَعْتَادُ



وهذه نسخة توقيع بَسَدِّ خَزَائِنِ السَّلَاحِ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ أَيْضًا، وَهِيَ:

رَسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَسِنَّةُ نَجُومِ السَّعْدِ مِنْ سِلَاحِهِ، وَصَوَاعِقُهَا مِنْ
أَعْوَانِ صِفَاحِهِ، وَسِمَاكُهَا الرَّاحُ مِنْ أَنْصَارِ رِمَاحِهِ؛ وَلَا بَرِحَ يُعْمَلُ مَعَادِنَ الْأَرْضِ
حَتَّى يَفْقَى ذَهَبُهَا وَحَدِيدُهَا عَلَى يَدَيْ بَأْسِهِ وَسَمَاحِهِ - أَنْ يَرْتَبَّ لِأَنَّهُ النَّاهِضُ
الَّذِي تَتَرَيَّنُ الْوُضَائِفُ بِسَمْتِهِ وَبِأَسْمِهِ، وَتَتَعَيَّنُ الْمَصَالِحُ وَالْمَنَاجِحُ بِعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ؛
وَالْمُسَدَّدُ مِنْ آرَائِهِ سِهَامًا، وَالْمُجَرَّدُ مِنْ أَهْتَامِهِ كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَهْتَامِ
كِهَامًا؛ وَالْوَفِيُّ فِي شَدِّ الْجِهَاتِ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَالْمَلِيُّ بِجَمَلِ السَّلَاحِ وَاسْتِعْمَالِهِ عَلَى رَغْمِ
الْقَائِلِ: «أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا»؛ وَالْخَيْرُ بِمَحَاسِنِ الْإِقْتِرَاحِ، وَالكَافِي وَلَا

عَجَبَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُ ذُووُ الْوِظَائِفِ وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ السَّلَاحَ ! ؛ ذُو الْعِزْمِ الْأَشَدُّ ، وَالرَّأْيِ الْأَسَدُّ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي إِذَا تَنَاوَلَ بَعْضَ الْأَسْلِحَةِ وَأَنْتَسَبَتْ شَجَاعَتُهُ رَأَيْتَ الْقَوْسَ فِي يَدِ عِطَارِدٍ فِي بَيْتِ الْأَسَدِ .

فَلْيُبَايِشْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعِزْمٍ أَقْطَعَ مِنْ حُسَامٍ ، وَأَمَانَةٍ أَقْوَمَ مِنْ أَلِيفٍ وَصِيَانَةٍ أَحْصَنَ مِنْ لَامٍ ؛ مُعْتَبِرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُفَرِّرًا لِمَطَالِبِ مَالِهَا مِنْ مَالِهَا ؛ مُوَفِّرًا مِنْ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَتَوَفَّرُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ سَهَامُهُ ، مُنْصَفًا لِصُنَاعِهَا الَّذِينَ يُجْمَدُ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِمْ صَنْيَعُهُ وَأَهْتَامُهُ ؛ مُكَثِّرًا لِحَزَائِنِهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُدَدِ ، مُجَهِّزًا لَجِيُوشِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَادَّةِ عَمَلِهَا بِأَنْفَعِ مَدَدٍ : مِنْ قِسِيٍّ تَقْضِي أَهْلَهَا بِقَطْعِ أَعْمَارِ الْعِدَا ، وَسُيُوفٍ صَقِيلَةٍ إِذَا نَادَتْ دِيَارَ النَّاكِثِينَ أَجَابَتْ النَّدَا ؛ وَدُرُوعٍ تَمُوجُ غُدْرَانِهَا إِلَّا أَنَهَا فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ لَا تُعْقَرُ ، وَرِمَاحٍ أَطْرَدَتْ كَعُوبِهَا فَكَلَّهَا عَلَى عِدُوِّ الْإِسْلَامِ كَعَبِّ مَدْقُورٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدُلُّ عَلَى عِزْمِهِ الْحَمِيدِ ، وَيَقْضِي لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالْمَزِيدِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَثَقِّفُ عِزْمَهُ ، وَيُوفِّرُ مِنَ السَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ سَهْمَهُ .



وهذه نسخة توقيع بسدّ الجوالى ، من إنشاء ابن نبّاتة أيضا ، وهى :

رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ سَعُودُ أَوَامِرِهِ وَاضِحَةً الْأَدِلَّةَ ، نَافِذَةً الْحُكْمَ عَلَى كُلِّ مَلَّةٍ ، قَائِمَةً لِحُصْبِ الْبِلَادِ بِالْعَدْلِ مَقَامِ السُّحْبِ الْمُسْتَهْلَةِ - أَنْ يَرْتَبَ فَلَانٌ فِي شَدِّ الْجَوَالِي بِدِمَشْقِ الْحُرُوسَةِ : لَمَّا ظَهَرَ مِنْ نَجَابَتِهِ ، وَأَشْتَهَرَ مِنْ حَزْمِهِ وَمَهَابَتِهِ ؛ وَبَدَأَ مِنْ هِمَمِهِ الْعَوَالِي ، وَعِزَائِمِهِ الَّتِي تَجَلُّوْ صَدًّا أَلْهَمَ بِالْجَوَالِي ، وَإِذَا قِيلَ لِحَاسِدِهِ : لَهُ وَلِأَيِّهِ إِمْرَةٌ الْخَيْلِ قَالَ : وَالْجَوَالِي لِي ، وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا اسْتَنْهَضَ كَانَتْ عِزَائِمُهُ شَابَهُ ، وَنَفَحَاتُ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ هَابَهُ ؛ وَتَجَلُّوْ أَلْهَمَ الَّذِي أَشْهَدَ عَلَى كِفَايَتِهِ النَّهَارَ وَعَلَى

تَعْبُدُ اللَّيْلَ ، وَأَعَدَّ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ؛ وَأَنَّ مَرَبَاهَ جَمِيلٌ ، وَمُنْشَاهُ فِي مَنَازِلِ الْخَيْرِ دَلِيلٌ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ يُمَيِّرُ مَالَهَا ، وَيَقْرُرُ عَلَى السَّدَادِ أَحْوَالَهَا ؛ وَيَسْتَخْلِصُ الْحَقَّ مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ ، وَيَسْتَخْرِجُ الْوَفْرَ مِنْ أَهْلِ الْجَلْدِ الْمَاطِلِ ؛ فَلَا نَصْرَانِيَّ إِلَّا وَهُوَ يَتَضَرَّعُ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ مِنْ بَاسِهِ ، وَلَا يَهُودِيَّ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو الصَّفْرَاءِ فِي رَأْسِهِ ، وَلَا سَامِرِيَّ إِلَّا وَالنَّارَ الْجَمْرَاءَ مُطَلَّةً عَلَى أَنْفَاسِهِ ، حَتَّى تُتَّكِنَ أَوْصَافُ شِدَّةِ مَتَلَوِّهِ ، وَعَزَائِمُهُ فِي الْجَوَالِي مَجْلُوهُ ؛ وَهَمَمُهُ جَارِيَةٌ عَلَى إِيْلَافِهَا وَمَأْلُوفِهَا ، مُجَزَّةً لِأَقْلَامِ الْحِسَابِ وَالدَّرَاهِمِ عَلَى حُرُوفِهَا ؛ صَحِيحَةٌ الْوَزْنَ غَيْرَ مَنُوكٍ ، أَخَذَتِ الدِّيْنَارَ مِنْ وَازِنِهِ وَهُوَ كَالْمَأْخُودِ مِنْهُ مَصْكُوكٍ ؛ شَدًّا تَتَعَقَّدُ عَلَى اخْتِيَارِهِ الْخِنَاصِرَ ، وَكَمَا أَنَّ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ قُوَّةً فَلْيَكُنْ لِلْوِظَانِفِ الدِّيْنِيَّةِ مِنْهُ نَاصِرٌ .

الضرب الثاني

(من يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب

السيوف - من هو بأعمال دمشق ، ومواضعهم على ثلاث مراتب أيضا)

المرتبة الأولى

(ما يُفْتَتِحُ بِـ « الْحَمْدُ لِلَّهِ » وَفِيهَا وَظَائِفٌ)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخةٌ تُوقِعُ بِنِيَابَةِ بَعْلَبَكْ كُتِبَ بِهَا لِرُكْنِ الدِّينِ «عمر بن الطحان» وهى :

الحمد لله الذى جعل بحاسن زينه من استحق الصعود إلى أعلى المنازل ، وجعل نجم سعده بارتقائه إلى سماء المناصب طالعا غير آفل ، وصان بعقله الراجح أحصن المعاقل .

نحمده على إحسانه الواصل ، وغيث جوده الذي هو على الدوام هاطل ؛ حمداً ينطق بمدح معدته كل لسان قائل ، ويزيد خيره على كل عام قابل ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي ألحق جياذ الأواحر بالأوائل ، وجعل أجمل الأمراء يقوق البذور الكوامل ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جعله لديه أعظم الوسائل ، وتلازم هو وجبريل في علو المنازل ، والتقدم في المحافل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سادات العشائر والقبايل ، والمجاهدين في سبيل الله بالبيض البواتر والسمر الذوايل ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فلما كانت بعلبك المحروسة من أعز بلاد الإسلام ، وأبهج مدن الشام - تعين أن نعين لها حاجاً دينياً خبيراً ، أميناً أميراً ؛ شجاعاً مهتاباً ، بطلاً برحمة وسيفه في صدور الأعداء ورقابهم طعاناً ضراباً ؛ وكان الجناب الكريم فلان : - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته - من بيت كان على التقوى أساسه ، وعدت لدفع المضلات أناسه ، وأشتهرت هممتهم فلا يرد لهم سهم ولا يطاق بأسه ؛ طالما نفوا عن الدين الحنيفي حبت الكفر بعد ما تمكنت أدناسه ، وتثمروا عن ساعد الأجهاد فمحي بسيوفهم ضلال الشرك وأرجاسه ؛ وهو أعزه الله تعالى ممن سحج بشجاعته ، خلوق الكئاب ، ووفى بعدله وحسن سياسته ، حقوق المناصب ؛ وقام في خدمة الدولة الشريفة أحسن قيام ، وهدبته بمرورها الليالي والأيام ؛ وتأهل لحلول الرتب العلية ، وتعين لأرتقاء المراتب السنية ؛ فأردنا أن نختبره فيما نؤليه ، ونحبر عزمه فيما نؤليه .

فلذلك رسم بالأمر العالی - لا زال أمره مستمر الإحسان ، مجزلاً لذوى الاستحقاق عوارف النعم الحسان - أن يستقر الجناب الكريم المشار إليه - ضاعف

(١) في الأصل «مهابا» ولم يحن من هذه المادة فعل رباعي بهذا المعنى بل الوارد هابه وأهتابه .

الله تعالى نعمته - في نيابة السلطنة الشريفة ببعلك المحروسة والبقاعين المعمورين،
على عادة من تقدمه في ذلك، ومستقر قاعدته، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان
المعمور، إلى آخر وقت .

فليباشر هذه النيابة الشريفة بخاطر منفسح حاضر، وقلب منشرح على الخيرات
مشارب، وليتخذ الشرع الشريف إماما، وليتوخ أوامره ونواهيه نقضا وإبراما،
وليوقف عند حدوده المشروعة، ولا يتعدّها ومن يتعدّها حُدود الله فيده من الإيمان
مزوّعه، وليُنْ جانبه للرعيه، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحجة الواضحة
الجلية، فإنهم الرعية الضعفاء الصالحون الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه،
وليعرفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم من ولي من [أمور] أمتي شيئا^(٢)
فرفق بهم فأرفق به ومن شق عليهم فأشقق عليه»، وليعمّر البلاد، وليسمع أهل
الفساد، وليهدّ البقاع، وليحى موات الضياع، وليقيم على القلعة المنصورة الحرس،
ولا يغفل عن حفظها بمعرفته التي أكّدت له من السعادة سببا، والله تعالى يبلغه من
إحساننا أربا، ويُنحج له من فضلنا طلبا، ويحرسه بسورتي فاطر وسبا، والاعتقاد
في معناه، على الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بكشف البلاد القبلية، كتب به لغرس الدين خليل الناصري
في الدولة الظاهرية «برقوق» وهي :

الحمد لله الذي جرد من أولياء هذه الدولة الشريفة سيوفاً تحسّم موادّ الفساد،
وتبيد أهل الزيف والعناد، وتعم بآسها وبعدها البلاد . حمدا مستمرا على الآباد،

(١) في الأصل : العلماء، والتصحيح من الرسالة الآتية بعد .

(٢) الزيادة من الرسالة الآتية بعد .

مُرُودًا غَرَسَهَا النَّافِعَ وَنِعْمَ الزَّادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعِبَادِ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا عَمَلَتْ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَآغِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَقْصَى الْمُرَادِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْخَلَائِقِ : الْآلَافِ وَالْمِئِينَ وَالْعَشْرَاتِ وَالْآحَادِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ ، بِسُيُوفِهِمُ الْحِدَادَ ، وَمَرَّقَتْ رِمَاحُهُمْ مِنْ مَخَالِفِي دِينِهِمُ الْقَوِيمِ الْقُلُوبَ وَالْأَجَادَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْقَبِيلِيَّةُ جُلَّ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَبِهَا أَرْزَاقُ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَطَرِيقُ الْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزِيَارَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَإِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، الَّتِي هِيَ عَلَى الْخَيْرَاتِ مُؤَسَّسَةٌ ، وَإِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَمَرَّ التَّجَارِقَاصِدِينَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ؛ وَمَنَازِلَ الْعُرْبَانِ ، وَمَوَاطِنَ الْعَشْرَانِ - وَجِبَ أَنْ يُفَوَّضَ حُكْمُهَا إِلَى مَنْ عُرِفَ بِالشَّهَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْيَقْظَةِ الَّتِي لَا يَغْفُلُ بِهَا عَنْ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً ؛ مِنْ أَمْرِ غَرَسَهُ وَمَا يَفُوهُ ، وَأَيْنَعَ بِالْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ ؛ وَتَقَدَّمَ فِي الْكَمَالِ عَلَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَأَضْرَمَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ نَارًا أَحْرَمَ الْجَمْرِ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الْمَشْهُورَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَالْمَنْعُوتِ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَحُسْنِ الْأَدْوَاتِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ يُمَرَّ غَرَسًا ، وَجُودُهُ يُسْرُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبِيلِيَّةِ الْحُرُوسَةِ عَلَى مَنَوَالٍ مِنْ تَقَدَّمِهِ وَعَادَتِهِ ، وَحُدُودِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ .

(١) لم يرد هذا الجمع فيما بأيدينا من كتب اللغة ولعله ارتكب القياس في اللغة فجعله كـرغيف وـرغفان وقطعان .

فليأشردك بهمة العليّ، وشجاعة الأزمية، ونفسه الأبيّة، وليبيّض وجهه في هذه التوبة حتى يطرب الناس بالنوبة الخليلية، وليعدّل في الكبير والصغير، وليقمع رؤوس عشير آخذوا رأسهم مولى: فلبئس المولى ولبيّس العشير؛ وليدفع أذى العرب، وليحذّرهم شرّاً أقرب؛ وليكثر الركوب إلى المعاملات، ولا ينحس من كثرة الحركات، وليعلم أنّ كلّ ما هو آتٍ آتٍ، وليتخذ الشرع الشريف إماماً، وليتوخّ أوامره ونواهيّه تقضاً وإبراماً؛ وليقف عند حدوده المشروعة، ولا يتعدّها؛ ومن يتعدّ حدود الله فيده من الإيمان منزوعه؛ وليلن جانبه للرعيّة، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحجّة الواضحة الحليّة؛ فإنهم الرعيّة الضعفاء الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه، وليعتمد قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اللّهم من وليّ من أمور أمّتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ومن شقّ عليهم فاشقّق عليه»، والوصايا كثيرة وتقوى الله عزّ وجلّ نظامها وقوامها، وأتباع سنة نبيّه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قيادها وزمامها، والاعتماد في معناه، على الخطّ الكريم أعلاه.



وهذه نسخة توقيع بكشف الرملة، كتبت به لأبي بكر «أمير علم»، في الدولة الظاهرية «برقوق» وهي:

الحمد لله الذي قلّد أجياد المجاهدين، سيف نصره، وأكّد بعزائم أهل اليقين، حماية حوزة الإسلام وصيانة ثغره؛ وجعل السنة أسنة المرابطين في فم الثغر زينا إذا أزدان بغزة بدره، وأنزل بأعداء الدين قوادح نقمه وقوارع قهره.

أحمده أن حمى بأولي النجدة والبأس للمسلمين حمى، وأشكره على ما همع من صيب نعمائه وهمى؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أتخذها عند الله

ذُنُخًا ، وأرجو بها في العُقْبَى أجزا ، وأشهدُ أنَّ مجدًا عبدهُ ورسوله الذي آيدَ يدهُ
بالسِّيفِ وأمدّه أيدا ، وعلى آله الذين حَلَى بهم للإسلامِ جيذا ، وصَحْبِهِ الذين جَلَا
ببوارقِ صفاحِهِم ، وخوارقِ رماحِهِم ؛ غُمَمَ المجال ، وغَمَمَ القتال ؛ فلم يُهمِل الأعداءُ
ولم يُمهَلهم رويدا .

وبعد ، فإنَّ أولىَّ من جُعِل في تَحْر البَحْر هُمَامًا صَارِمًا ، وأشدَّ من قاطعِ أعداءِ
الدينِ وصارمٍ ؛ من تُضْرَبُ بشجاعته الأمثال ، ويُورِدُ في صدور الأبطالِ صَمَّ
الأسلِ النَّهال ؛ ويَجِي حَمَى الثَّغْرِ فلا يدعُ عدوًّا ولا يَهَبُ نهبًا ، ويرقى رِقَابَ الكُفْرِ
فيؤمنون وإن كان وراءهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ غصبا .

ولما كان الجنابُ الكريمُ فلانٌ - أدام اللهُ تعالى نِعْمته - هو الذي أخلص
في الطَّاعة ، ونصح سُلْطانه حسب الطاقة والأستطاعة - رُسم بالأمر الشريفِ
العالى - لازال سيفُ عدله ماضيا ، وكُلُّ بحكمه راضيا - أن يستقرَّ الجنابُ المشارُ
إليه كاشفاً بالرَّملة المعمورة ، على عادة من تقدّمه في ذلك .

فليباشِرْ ذلكُ معمراً تلك البلادَ بعدله ، مجتهداً على إيصال الحقِّ إلى أهله ؛
وليتخذِ الشَّرْعَ الشريفَ إماما ، وليتوخَّ أوامره ونواهيَه نقضاً وإبراما ؛ وليقف عند
حدوده المشروعة ، ولا يتعدّها : ومن يتعدَّ حدودَ اللهِ فيده من برِّ الإيمانِ منزوعه ؛
وليلن جانبَه للرعيَّة ، وليحملهم من العدل والإنصافِ على الحجَّة الواضحة الجليَّة ؛
[فإنهم الرعية الضعفاء الذين أنعم اللهُ عليهم بتفويضِ أمورهم إليه] ^(٢) وليعتمد فيهم قولَ
النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : «اللَّهُمَّ من ولى من أمورِ أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به
ومن سقَّ عليهم فأشقق عليه» . والوصايا كثيرةٌ وأهمُّها التقوى فليلازم عليها فإنها

(١) وقف عليه بلغة ربيعة .

(٢) الزيادة مأخوذة مما تقدّم .

تَحْفَظُهُ ، وبالسيادة والسعادة تَلَحُّظُهُ ؛ واللهُ تعالى يَكْمُلُ تَوْفِيقَهُ ، ويسهِّلُ إلى نُجْحِ المقاصد طَرِيقَهُ ؛ والاعتماد في معناه ، على الخط الكريم أعلاه .

قلتُ : ومن تأمل وصايا هذه التواقيع الثلاثة المتقدمة الذكر ، علم ما كان عليه كتاب الزمان ، من أنتراع الفقرات من تَوْقِيع ، وترصيعها في تَوْقِيعٍ آخَرَ ، من غير تغيير لفظ في أكثرها .

المرتبة الثانية

(من تواقيع أرباب السيوف ممن بأعمال دمشق - مايفتح بـ «أما

بعد حمد الله » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنبابة بعلبك لمن دون من تقدم في المرتبة الأولى ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب به لمن لقبه «ناصر الدين» : وهى

أما بعد حمد الله الذى لم يُحِلْ مملكةً إسلاميةً من قُوَّةٍ ولا ناصر ، ولم يُحِلْ أمرها على ذى عَزْمٍ قاصر ، ولم يُحِلْ وَجْهها إلا بمن نُسى به القديم وشهد له المعاصر ، ولم يُلقِ مقاليدها إلا لمن وَصَّحَ برأيه الإيهام وثبتت بفضلِهِ الشهادة وَعُقِدَتْ على ذِكْرِهِ الخناصر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شَيدَ معالم الدين وأركانَهُ ، وجدَّدَ مكان الحق وإمكانَهُ ؛ وعلى آله وصحبه الذين تابعوا فى الخلق عدله وإحسانه ، وشايعوا فى النصر نصله وسنانه ؛ ما استناب الودق فى سقىا الرياض غُدرانه ، وخلَعَ على الغصونِ خِلافاً خَطَرَ فيها الزهر بأكمامه وعقد من الثمر تيجانه - فإن شَرَفَ الأماكن بساكنيها ، وجسوم الديار بنفوس قاطنيها ؛ والمنازل بكواكبها ، والمناصب

بَنَصِيهَا مِنَ الْكِفَاءَةِ وَنَائِبَهَا ؛ وَإِنَّ مَدِينَةَ بَعْلَبَكَّ عِلْمٌ فِي الْمَدَائِنِ مَرْفُوعُ الْخِطَّةِ ، وَجِسْمٌ
 مِنْ جُسُومِ الدِّيَارِ قَدْ آتَاهُ اللَّهُ بَسْطَهُ ؛ بِنِيَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهِيَ بِالْمَلِكِ قَدِيمَةٌ
 الْإِخْتِصَاصِ ، وَمُبْتَنَى الْجَانِّ الْمُنْسُوبَةِ عُقُودُهَا الْعَلِيَّةُ وَالذَّرِّيَّةُ إِلَى كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ ؛
 وَشَامُ الشَّامِ الْمُعْجِبِ ، وَرَوْضَةُ نَدَاهُ الْمُعْشَبِ ؛ وَثَنِيَّةُ نَعْرِهِ الْبَاسِمِ ، وَعَرَفُ أَعْرَاقِ
 حَيَاهِ النَّاسِمِ ؛ وَمَاوَى صُلْحَانِهِ أَحْيَاءٌ بَيْنَ أَوْطَانِهَا ، وَأَمْوَاتٌ بَيْنَ صَفِيحِ بُنَائِهَا ؛
 لَوْ عَرِضَتْ الْبِلَادُ سُحْبًا لَقِيلَ لَسَحَاهَا : يَا كَثِيرَ الْمَنَنِ ، وَلَوْ صُوِّرَتْ أَنَا سِيَّ لَقِيلَ
 لِإِنْسَانِهَا : يَا طَيِّبَ النَّجْرِ وَاللَّبَنِ ؛ لَا يُنْمَعُ مَاعُونُهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَوْنُهَا عَنِ الْبِلَادِ وَمَا
 أُدْرَاكُ مَاعُونُهَا ؛ وَلَا تَلِيْقُ مِنَ النَّوَابِ إِلَّا بِكُلِّ سَرِيٍّ الْعَزْمِ وَالْهِمَمِ ، عَلَى الْآرَاءِ
 فِي الْمُلِمَّةِ الْمُدْهِمَةِ ؛ نَاجِحَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، صَالِحًا لِأَنَّ يُنْبِيَّ عَلَى نِيَابَتِهِ الْبَعْلَبَكِّيَّةِ صَالِحُ
 الْمَدِينَةِ وَالْجَبَلِ ؛ مُكَمَّلًا لِسُلُوكِ الْحَقِّ الْأُنْجِيِّ وَالْعَزْمِ الْأُنْجِدِ ، مُؤَهَّلًا لِارْتِقَاءِ الرَّتَبِ
 الَّتِي تَمَاحَدْنَا وَلَهَا الْأَمْجِدُ ^(١) .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ جُمْلَةٌ هَذَا التَّفْصِيلِ ، وَجَمَالَ هَذَا التَّفْصِيلِ ؛ وَكُفَّ هَذِهِ
 الْعَقِيلَةَ ، وَسَعَدَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي مَدَّتْ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ذِرَاعَهُ وَنَظَّمَتْ مِنَ الْبِنَاءِ
 إِكْلِيلَهُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتِ الْمَمَالِكُ بِمَحَاسِنِ أَيَّامِهِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ،
 وَالْبِلَادُ ذَاتِ الْخِصْبِ السَّنِيِّ لَا ذَاتَ السَّنَةِ الْجَمَادِ - أَنْ يَرْتَبَ فِي نِيَابَةِ بَعْلَبَكَّ
 الْمَحْرُوسَةَ : مُجَدِّدًا بَهْمَتِهِ الْعَالِيَةَ عَلَوَّ صَرْحِهَا ، وَحِمَايَةَ سَرْحِهَا ؛ وَرِعَايَةَ جَبَلِهَا وَسَفْحِهَا ،
 مُورِيًا فِي مَصَالِحِهَا زِنَادَ فِكْرِهِ الَّتِي لَا تَتَمَكَّنُ أَقْوَالُ الْعُدَاةِ مِنْ قَدْحِهَا ؛ مُصَرِّفًا أَوْامِرَهُ
 كَيْفَ شَاءَتْ ، مُنْصِفًا لِلْأَحْوَالِ الْمُنُوطَةِ بِرِعَايَتِهِ إِنْ دَنَّتْ أَوْ تَنَاءَتْ ؛ بِاسِطًا لِعَدْلِ
 قَلَمِهِ عَلَى الْمُجِيدِينَ ، وَسَطَوَاتِ سَيْفِهِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ ، وَأَزَعًا بِمَهَابَتِهِ مَنْ جَاوَرَ جِبَالَ

(١) لعله "التي إذا خلت من ماجد تناولها" الخ .

العَمَل من الصَّالِينَ ، (فَعَسَى أَوْلَتْكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وَلِيَتَّبِعُوا مِنْهَا مَعْقَلًا
يَجْمَعُهُ الْمُنَاصِرُ وَالْمُهَاجِرُ ، وَلِيَحْطُ مِنْهَا نَعْرًا مَسَاوِيكُهُ الْأَسْلُ وَالْمَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى الْمَحَاجِرِ ؛
وَلِيُجْرِ أُمُورَ الدِّيْوَانِ عَلَى سَنَنِ التَّمْيِيرِ وَالتَّشْمِيرِ ، وَلِيُدَبِّرَ الْأَوْقَافَ الْمَبْرُورَةَ بِحَسَنِ
التَّدْيِيرِ ، وَلِيَشَارِكَ أَهْلَهَا فِي الْأَجْرِ الْأَوَّلِ بِالْأَجْرِ الْأَخِيرِ ؛ وَالْأَسْوَارُ هِيَ وَقُلُوبُ الرِّجَالِ
مَنْ أَمَّهُمْ مَا يَعْمُرُهُ ، وَوُفُورُ الْحَوَاصِلِ وَالسَّلَاحِ مِمَّا لِلْوَلِيِّ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ يَدِّخِرُهُ ، وَتَقْوَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا لَا يَزَالُ لِسَانُهُ يَسْتَحْلِي الْقَوْلَ فِيهِ فَيُكْرِرُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ
وَلُطْفِهِ ، وَيُكْفِيهِ مَا أَمَّهُمْ مِنَ الْأُمُورِ فَمَا كُنِيَ مَنْ لَمْ يَكْفِهِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية الولاية بالشام المحروس لمن لقبه «عز الدين» من إنشاء
الشيخ جمال الدين بن تباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِلْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ عِزًّا يَتَّجَدُّ ، وَعِزًّا مَا يَتَشَدَّدُ ،
وَعِلَالًا يَتَعَدَّى إِذَا حَكَمَ وَزَيْدًا لَا يَتَعَدَّدُ ، وَكَأَنِّي وَوَلَاةٍ يَتَلَدَّدُ الْوَاصِفُ بِذِكْرِ
أَهْتَامِهِ الَّذِي إِذَا أَهْتَمَّ لَا يَتَلَدَّدُ ، وَإِذَا أَعْتَبِرَ عِزُّهُ وَحَزْمُهُ فَهَذَا فَضْلُ يَتَّجَدُّ ، وَهَذَا
وَصْفُ لَا يَتَّحَدَّدُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزِّ
الْمُؤَبَّدِ ، وَالْعِزْمُ الْمُؤَيَّدُ ، مَا كَتَبَ قَلَمُ الْغَيْثِ الْجَائِدِ عَلَى طَرَسِ الرَّوْضِ بِفَوْدٍ - فَإِنَّهُ
لَمَّا كَانَتْ الْوَلَاةُ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ جَيْشًا يَحْمُونَ سَرْحَهَا ، وَيَعْمُرُونَ صَرْحَهَا ، وَيُحْصِبُونَ
بِالْعَدْلِ قَبْلَ الْعِمَارَةِ سَفْحَهَا ؛ وَيَحْكُمُونَ فِي رِعَايَاهَا ، وَيَتَمَكَّنُونَ فِي قَضَائِيهَا ، وَيَقْرَعُونَ
تُغُورَهَا وَيَقْرَعُونَ ثَنَائِيهَا - تَعَيَّنَ أَنْ نَقْدَمَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْمَذْكُورِ أَمِيرًا يَقْرَرُ
أَمْرَهَا ، وَيُنَسِّقُ مِنْ مِيمَتِهِ وَمَيْسِرَتِهِ يَمْنَاهَا وَيُسْرَهَا ؛ وَيُجْرِدُ مِنَ الرَّأْيِ سِلَاحَهُ ،
وَيُسْرِ قَلْبَهُ بِالتَّدْيِيرِ وَيَرِي شُجْرَاهُ .

(١) كذا في الاصل بالاھمال ولعل صوابه «وفعلا اذا حکم لا يتعدى ورأيا لا يتعدد» .

وكان المجلس السامي هو الأمير الدال عليه هذه الإمارة ، المعنى بهذه الشارة
والإشارة ، المستحق بشريف نفسه مدارج الارتقاء ، ومباهج الانتقاد والانتقاء ؛
المسبل أذبال مفاجرِه أي إسبال ، المرقوم باسمه ورسمه على أرجاء الولايات : «عز
يدوم وإقبال» ، المقيم من أمانته ومهابته بين حرزَيْن ، الشهم الذي لا يدل وهو من
نعتِه ومُنْتَسِبِه بين عزَيْن ؛ الصمصام الذي نُسرُّ [به] يدُ من أرتضاه وأنتضاه ،
والماشي على الحق الظاهر حتى يقال : أهذا وإلى الولاية أم قاضي القضاء ؟ .

فذلك رسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه - أن يستقر اعتماداً
على شهامته التي بمثلها مُمهد البلاد ، وكفأته التي تفضح بالخيرات السنية السنة
الجماد ؛ وصرامته التي تشد على أيدي الولاية فيردون الحقوق من أيدي الأغصاب ،
ودرايته التي ينسبون إليها فينشدون :

وَكَمَا كَالْمَهَامِ إِذَا أَصَابَتْ * مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَ (١)

فليأشر هذه الرتبة بكفئها : من العزم العالی ، والقدر العالی ؛ والمعذلة التي نتمسك
منها الأحوال بأوثق العرا ، وتتلو سيارتها المرفقة : (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى) .
مراعياً لجميع الأحوال ، مُمْتَرّاً لمربع الأموال ؛ وآلياً على ولاية إن شكوا في صنع الله
فما لهم من الله من وال ، ماشياً من تقوى الله تعالى في كل أمرٍ على أقوى وأقوم
منوال ؛ والله تعالى يُخصب البلاد بغمام رأيه الصيب ، ويطيب الأماكن المنبتة
بمثله : « وكل مكان يُنبت العز طيب » .



وهذه نسخة توقيع بولاية البلقاء والصلت ، من إنشاء ابن نباتة ، وهي :

(١) الرواية : أصابا بألف الإطلاق ، وحذفت هنا لمراعاة الفاصلة .

أما بعد حمد الله مُضَاعِفِ النِّعْمَةِ ، ومُرَادِفِ رُتَبِ الإِحْسَانِ لِمَنْ أَحْلَصَ
 فِي الخِدْمَةِ ، ومُجَدِّدِ مَنَازِلِ العِزِّ لِمَنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُ أَهْتَامِهِ فِي آفَاقِ الأُمُورِ المُهِمَّةِ ،
 ومُؤَكِّدِ سِهَامِ الخَيْرِ المُقْتَسَمَةِ ، لِمَنْ سَدَّدَ فِي شَرَفِ الأَعْرَاضِ رَأْيَهُ بِلِ سَهْمِهِ .
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي هادي الأمة ، وعلى آله وصحبه حمّة
 الدين من العوارض الملمة ، صلاة تكون بين أرواحهم الزكية مودة ورحمة - فإن
 أحق الأولياء بمزيد الآلاء المتصلة ، وتجديد النعم المقبلة وتقديم المساعي التي
 لا تلبس حلال الفخار إلا مكتملة - من وصحت في صفات الفضل آياته ، وتقابلت
 في حاتتي التدبير سطاؤه وأناته ، وروى غلة البلد الخائف ففاض على المعتدين
 جداول سيفه وجرت بالدم قناته ، وقام على قدم الأجتهد ، وقسم بين جفنه وجفن
 سيفه الشهاد .

ولما كان المجلس هو المقصود بهذه الحكاية ، والمشهود له في طاق هذه
 الغاية ، والعالى بهم على ذوى الأرتقاء ، والوالى الذى إذا ركب الولاية لأشهر
 ذكرى كان من بينهم فارس البلقاء ، والنهض بتمير الأموال عمم رأيه الصيب ،
 والطيب بسياسته محل الولاية : « وكل مكان ينبت العز طيب » - تعين أن تزيد
 منصبه إذا تزايدت المناصب ، وأن تستمر مرتبته إذا مرت لدهاها المراتب ؛
 وأن يشتمل في استمرارها عليه ، وأن يكون في إعراب الدولة القاهرة مضافاً
 ومضافاً إليه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى أبداً عماده ، وجعل لولاية أيامه
 الحسنى وزياده - أن يستمر على ولاية البلقاء على عادته ، وأن تضاف إليه ولاية
 الصلت : ^(١) جمعا له بين الأختين حالالا ، والذروتين منالا ، والرايتين نهوضاً بهما

(١) لم يذكرها القاموس ولا ياقوت وفي تقويم البدان هي بلدة وقلعة من جند الأردن .

وَأَسْتِقْلَالًا؛ وَعِلْمًا بِوَفَاءِ عَزْمِهِ الَّذِي أَمَرَ أَمْرَهُ، وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ الَّذِي حَسُنَ أَنْ يَقُولَ لِمَنْصِبِ الْبَلَاءِ: «لَنَا الْأَبْلُقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ»، وَتَيَمُّنًا بِغَرَّةِ الصَّلَاتِ فَإِنَّ الصَّلَاتَ هُوَ الْجَبِينُ الْوَاضِحُ بِشْرِهِ؛ وَكَيْفَ لَا؟ وَهُوَ الْكَافِي الَّذِي جَمَعَ مَالَ الْجِهَاتِ فَأَوْعَى، وَقَسَمَ فُنُونََ الْمَصَالِحِ جِنْسًا وَنَوْعًا، وَحَسَمَ أَدْوَاءَهَا بِجُسَامِ رَفِيقِهِ كَرَاهًا وَطَوْعًا.

فَلْيَبْشُرِ بِالْعِزِّ وَالْيَمِينِ جِهَتَيْهِ، وَلْيَأْخُذْهُمَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَلْيُفِضْ وَجْهَ عَزْمِهِ فِي أَرْضِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَكُونَ شَبَهَ الْبَلَاءِ الْإِلْزَامِ لِأَحَدِي وَلَا يَتِيهِ؛ مُحَصَّنًا بِسِمَا كِي سَيْفِهِ وَقَلَمِهِ فَنِعْمَ الْبَلَدَانِ، مُتَمَرِّدًا بَسَادِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَتَانًا؛ مُؤَفِّيًا لِلْحَقُوقِ، مُعْفِيًا لِاعْتِرَافِ النِّعْمَةِ مِنَ الْعَقُوقِ، رَاقِيًا بِهَمَّتِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى رُتَبٍ لَوْ رَامَهَا نَجْمُ الْأَفُقِ لِعَاقَةِ الْعَيْقُوقِ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ مَعْدُوقٌ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ لِرَأْيِهِ أَجْمَلَ الطَّرَائِقِ، وَيُنَجِّحُ عَلَى الْبَلَاءِ وَغَيْرِهَا سَعِيَهُ السَّائِقِ، وَفِكَرَهُ السَّابِقِ؛ بِمَنَّةٍ وَكِرْمَةٍ!



وهذه نسخة توقيع بولاية نابلس، من إنشاء ابن نباتة أيضا، وهي:

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا هُنَا مِنَ الْمَوَاهِبِ، وَهَيَّا مِنْ عَلَيَّ الْمَرَاتِبِ، وَأُنْجِزْ مِنْ وُعودِ السُّعودِ بَعْدَ مَطَالِ الْمَطَالِبِ، وَزَيِّنْ مِنْ سَمَاءِ الْوِظَائِفِ عِنْدَ إِزْهَائِهَا بِزِينَةِ الْكُوكُوبِ، وَعَمِّرْ مِنْ صُدُورِ الْوَلَاةِ وَالْوَلَايَةِ بَعْلِي تَنْثِي عَلَيْهِ الرَّعِيَّةُ «وَلَوْ سَكَّتُوا أَثْنَتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبِ». وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَرَّدَ لِنَصْرِ الْإِيمَانِ حَذَّ الْقَاضِبِ، وَحَزَبِهِ الْغَالِبِ، وَنَدَبَ لِإِحْيَاءِ الْحَقِّ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا هَمَّتْ بِهِ النَّوَادِبِ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هَمَّ فِي الْمَمَاتِ جَمَالَ الْكُتُبِ كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ

جمال الكنايب؛ صلاة تتعطر بنفحاتها الصبا وتتقطر من خلف سراها الجنائب - فإن عوائل الولايات أولى بخطبة أكفائها، ورغبة السراة من ذوى أصطفائها، ونسبة من يقوم للأمر المعللة بقانونها وشفاها .

ولما كانت بلد نابلس المحروسة من أعلى عقائل البلاد قدرا، وأمرها الجهات أمرا، وأسرى الولايات محلا وذكرا، وأوفى النواحي من زمان بنى أيوب على تكاليف الملك صبرا، وأنزله البقاع التي لو رآها الملك المصرى لما استغنى غوطة الشام بشبرين من شبرا؛ بلد أعارته الحمامة طوقها وحملت الناء فوق طوقه، ونجم نبات واديها الزهر حتى تساوى النجان من تحته ومن فوقه - تعين أن يختار لولايتها من تعين ولاؤه، وتمكن في الرتب علاؤه، وتبين في مصالح الولايات احتفاله وأحفاؤه، وشهر وفأؤه بالخدمة فلا شرف بسعى إلا له منه شينه وراؤه وفأؤه؛ من شهدت السواحل الشامية في مباشرته أنه أجرى منها المال بحرا، وأفاض الوصف درا، وشهدت الزكاة - وديوانها المادح - أنه أفلح من زكاها خيرا وخبرا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يرتب فلان علما بأنه الأوحد الذى جمع الأوصاف المتقدمة، وأسمع من المحامد نديجة لها من كلاً قوله وفعله مقدمة؛ وأطلع فى آفاق الوظائف كنجوم الجوزاء الثلاثة رأيه وسيفه وقلمه، وأطلع على محاسن التدبير فكان فى رعايا بلده ممن تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة؛ وأنه الكافى الذى إذا ولي ثمر، وإذا صال على المفسدين دمر، وإذا شامت المهتمات بارق عزيم، أسبل وإذا شامت قواه ثمر؛ وأنه الأمين إذا تصرف، والمأمون إذا تعرف، والشجاع إذا تحصنت البلاد بنسبه الحصنى: فسواء فى شمول الأمن ما توسط منها وما تطرف .

فليباشر هذه الولاية المباركة بعزم يوضح بشرها، وينجح أمرها، ويقمى فى خطبة علاه عذرها؛ وحزم يثمر مالها وغلالها، وينقع غلتها ويضع أغلالها؛ وبأس يدع

المُفْسِدَ من سَيْفِهِ أَوْ قَيْدِهِ فِي طَوْقٍ أَوْ مَجْلٍ ، وَيَذُرُّ السَّارِقَ وَالْمَارِقَ يُشِيرُ بِلا كَفِّ
وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ ، مُشِيدًا لِنَوَاحِيهَا بِالترَّغِيبِ وَالتَّرْهيبِ عَلَيَّ أَوْثَقَ الْمَبَانِي ، مُصْلِحًا
بَيْنَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ حَتَّى لَا يَضُرَّ قَوْلُ الْقَائِلِ : «رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي» ، مُتَّفَقًا
مِنَ الْأَحْوَالِ كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، نَاهِضًا فِي تَلَقُّ الْمَهْمَاتِ عَلَيَّ قَدَمَ التَّقَدُّمِ بِالْعَزْمِ
الْأَثِيرِ ، جَاعِلًا مِن لَدَى مَحَبَّةِ عَمَلِهِ لِصَلَاحِ الْعَشِيرَةِ نِعْمَ الْعَشِيرِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ
تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ وَإِلَيْهَا بِالْحَدِيثِ يُشِيرُ .

* * *

وهذه نسخة توقيع بشد الدواوين بغزة ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
لـ«علاء الدين بن الحصني» المقدم ذكره في التوقيع قبله ، وهي :

أما بعد حمد الله على كلِّ نعمة جلت ، ونعمة في أهلها حلت وحلت ، ورتبة
بانتساب كافيا وباسمه تحصنت على الحقيقة وتعلت ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد خير من سامت عليه الألسنة وصلت ، وسلت به سيوف النصر وصلت ، صلاة
دائمة ما أمليت على الأسماع فملت ، ولا قابلتها وجوه الملائكة إلا تهلت ولا سحِب
الرضوان إلا أنهلت - فإن منزلة يستقى [من] مهمات الدولة خبرها ، ويستدعي من جاني
مصر والشام سبرها ، ويحمد إليها من ناحيتي الساحل والجبل سراها وسيرها ، وتلك
وظيفة شد الدواوين المعمورة بغزة المحروسة التي تلتقط من ساحل بحرها دُرر الخير
المقتبل ، وتقول المهمات الشريفة لسراة استنهاضها : ياسارية الجبل - حقيقة
أن يتخير لها من الشاكرين من يُحمد أجهاده وجده ، ومن السابقين إلى المقاصد من
يُحسن - كما يقال - تقرُّبه وسدده ، ومن سُكرت في الولايات آلاؤه ، ومن إذا علا
نظر رأيه في المصالح قيل : دام علاؤه ، ومن إذا دبر جهة قالت بلسان الحال :
لقد زاد في المصالح حسنا ، ولقد تحصنت بانتساب ذكره فلا عدمت منه حسنا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر لما عُرف من حزمه وعزمه ، ولما جُتد في مقدمات القدر من رفيعه وفي إعلاء المهّمات من جزمه ؛ ولما عُهد من هممه في جهات دبرها ، وفي ولايات تمرها ؛ وفي وظائف شدّها : أما على العتاة فشَدّها وأما على المُستحقّين فسَرّها ؛ ولما آسَهر من ذكره الذي لا يرح عليّا ، ولما ظهر من درايته التي جعلت كوكب سعده وسعيه دريا ، ولما بهر من تميزه المذى إذا هنّ عصابه بيد تساقط على المقاصد رطباً جنيّاً .

فليأشِر هذه الوظيفة المباركة مباشرة تبيّض لها وجهها وعرضها ، وإذا أثنى عليه المُثني تبرعاً كافاه حتى يكون قرضاً ؛ مجتهداً في تثير الأموال والغلال ، ضابطاً لأُمور الديوان حتى لا يشكو الخلة ولا الاختلال ؛ قائماً بحقوق الخدمه ، مُستريداً - بشكر الأقوال والأفعال - لما يرسخ له من أقسام النعمه ، عليّاً على كل حال إذا وفّت الفكر قدره وإذا ذكر اللسان اسمه .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب السيوف بأعمال دمشق ما يفتتح بـ«رسم» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية قلعة القدس ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب بها لشرف الدين «موسى الرّدادى» وهى :

رُسم - لا زالت ولاية أيامه عالية الشرف ، سامية المُستشرف آوية من جنّات خير الدنيا والآخرة إلى عُرف من فوقها عُرف - أن يستقر المجلس السامى علماً باهتمامه الوفى ، وأعتزاه المتيقظ إذا نام حدّ المُشرفى ؛ وأستناداً إلى رأيه الذى

يقول نَجْمُ الطَّالِعِ: «مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالتَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي»!!؛ وإرشادِ سَعِيهِ إِلَى أَنْ
أَتَّخِذَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ دَارًا، وَمِنْ حَرَمِهِ الشَّرِيفِ جَارًا، وَأَتَّقَادِ ذَهْنِهِ وَشَجَاعَتِهِ
اللَّذِينَ آتَسَ بِهِمَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا؛ وَكَيْفَ لَا؟ وَقَدْ قَالَتْ هِمَّتُهُ: يَا مُوسَى
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ، وَأَخْرِجْ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ فِي النَّيَابَةِ تَكُنْ أَحَقَّ مِنْ أَعْتَرَفَ بِهَا الْإِحْسَانَ
وَأَعْتَرَفَ.

فَلْيَبَاشِرْ مَا فُوضَ إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً يعلو بها شَرَفُ اسْمِهِ وَمَسْمَاهُ، وَيَبْدُو للاختيار
والاختبار فضلَ التَّقَدُّمِ الَّذِي إِذَا بَدَأَ لَهُ كِفَاةً؛ وَلِيُجْرِ بِهَذِهِ الرُّتْبَةَ رَأْيًا حَسَنَ الْإِحْكَامِ،
وَلِيُؤَاطِبَ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ القَلْعَةِ الَّتِي فُتِحَ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ فُتُوحِ الْإِسْلَامِ؛
وَلِيُؤَمِّدَ عَلَيْهَا مِنْ كِفَايَتِهِ سُورًا حَوْلَ سُورِهَا، وَلِيَتَفَقَّدَ رِجَالَهَا وَعُدَدَهَا تَفَقَّدَ الشُّهْبَ
فِي دِيحُورِهَا، وَلِيُرِدَّ عَنْهَا بَعْزِمَهُ الرَّدَادِي عِيُونَ الْأَعَادِي الزُّرْقَ حَتَّى لَا يِرَاعَ فِي أَرْضِ
الْحَرَمِ وَلَا حِمَامَاتِ طُيُورِهَا. وَلِيَشْكُرْ نِعْمَةَ أَوْتِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الطَّاهِرَةِ، وَلِيَقْرَبَ لِيَدِ
أَمَلِهِ طَلَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلِيَقْدِّمَ مِنَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي عَنْ أَصْلِهَا تَتَفَرَّغُ
نِعْمَةُ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ فِي الْوَادِي الْمُقَدَّسِ رَبْعًا مَانُوسًا، وَجَمْعًا
مَحْرُوسًا، وَأَحَادِيثَ حَسَنَةً تَقُولُ لِمُسْتَمِعِ مِثْلِهَا فِي الْآفَاقِ: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى).
وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ، وَيُلْهِمُهُ شُكْرَ مَا رَزَقَ مِنْ فَضْلِ مَكَانِهِ وَمَكَانَتِهِ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ!



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بِنْيَابَةِ قَلْعَةِ صَرَّخَدَ لِمَنْ لَقِبَهُ «جَمَالُ الدِّينِ» وَهِيَ:

رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَتَخَيَّرُ لِقَلَاعِهِ النَّائِبَ وَيَتَخَيَّرُ^(١) مِنَ النَّائِبِ، وَيُمِدُّهَا بِسَحَابِ بَرِّهِ
وَفِكْرِهِ الصَّائِبِ، وَيَنْدُبُ لِحُدْمَتِهَا كُلَّ سَيْفٍ يُرِضِي النَّادِبَ وَيُقِيمُ عَلَى غَيْرِهَا النَّادِبَةَ -

(١) أَيْ يَنْحَى .

أن يُرتب مجلس الأمير ... لأنه الكافي الذي تُسرَّ الحصون بأمثاله، وتبتسم شرفات القلاع لإقباله، وتشرح منازلها بتثقل نجوم الهداية من أفعاله وأقواله؛ والمليُّ بأداء الخدمه، والمرشح لما هو أوفى وأوفر من الأمور المهمه .

فليأشر نيابة هذه القلعة القديم أثرها، والشهير خيرها وخبرها؛ بعزيمة سيف قاطعه، وحادثة بأس ذائعه، ومهابة ذكرٍ لشياطين النفاق عنها رادعه؛ فإنها من بناء المردة: فليرد عنها آفة جنسها، وليحط برقى عزائمها حول نفاستها ونفسها؛ وليجر أمرها على السدد،^(١) وليبينها بلزومه المهدي أوثق مما بناها أولئك بالصفاح والعمد، وليرض الآثار السلبيانية بسلمان بيت الملازمة على طول الأبد، وليجتهد فيما هو بصده حتى تدمر بتدمر جوانح الحسدة بالكمد؛ مكثراً بذكرى مهابته لعديها، موفراً لعديها، مستوجباً لاستجلاب الإنعام عليه باستجلاب مددها .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة الصببية، وهي :

رسم بالأمر العالى - لزال إحسانه يعيد إلى الحصون ناصرها وزينها، ويفيد أصحاب الهمم صونها، ويحرسها بن إذا نظر فيها وحماتها كان عونها وعينها - أن يستقر المجلس السامى الأميرى لما ألقته هذه القلعة المنصورة من تحصينه وتحسينه، وعرفته من ترتيبه فى عمارتها وتزيينه؛ ولأنه الأدرى بالمصالح العائد نفعها، والأدرب بمناجحها الحميد وقعها؛ الذى باشرها من قبل فأحسن السلوك، ونصح هذه الدولة القاهرة فأثنى على سيرته ملوك الحصون وحصون الملوك .

فليعد إلى هذا المعقل المنيح عود الماء إلى مشاربه، وليسر فى أرجاء أبراجها مسير القمر بين كواكبه؛ وليتفقد أمور رجالها المستخدمين، وليستجاب قلوب

(١) السدد [التحريك] الاستقامة كالسداد .

حَفَظَتْهَا الْأَفْدَمِينَ؛ مُتَحَاشِيًا مِنْ رَأْيِ الْقَاصِرِ الْعَبَّاسِيِّ، قَائِمًا بِالْمُهَيَّمَاتِ الَّتِي تُرَاحِمُ مِنْهُ
بِشَيْخٍ لَا تُرَاحِمُ بِصَبِيٍّ؛ مُقِيمًا عَلَى رَفْعِ الْأَدْعِيَةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ، مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ
لِنِعْمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، مُجْتَهِدًا مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ لَهُ مَكَانًا
مَكِينًا فِي الدُّنْيَا وَطَرِيقًا سَهْلًا إِلَى الْآخِرَةِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُنَجِّحُ قَصْدَهُ، وَيَقْبَلُ جِهَادَهُ
وَجُهْدَهُ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ! .

قُلْتُ: هَذَا كَانَ شَأْنَهَا حِينَ كَانَ يُوَلَّى بِهَا مَقْدَمَ حَلَقَةٍ أَوْ جُنْدِيٍّ مِنَ الشَّامِ .
لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ فِي الْمَقَابِلَةِ الثَّلَاثَةِ أَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ
فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ «فَرَج» فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَثَمَانِينَ [وَلَايَةً] ^(١) .

وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ وَلَايَتَاهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . فَإِنْ عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوَّلًا، عَادَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة حمص ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،

وهي :

رسم بالأمر - لا زال يندب لخدمة قلاعه كل سيف محتر، ومجرب عبرت عليه
العبر، ومؤد لفرائض الخدمة : إمام بقيام عند الصبا وإمام بقعود عند الكبر - أن
يرتب فلان في نياحة قلعة حمص المنصورة إجابة لسؤاله فيما سأله : من التوفر على
مواصلة الصلوات ، ورفع الدعوات ، وجمع ثوابي الجهاد والخلاوات ؛ وتقضى باقى
العمر وأدعا ، متنسكا طائعا ؛ إذا بكى بجواره حتى النهر العاصى رق عليه فما يعدم
منه بكا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من بقية الكلام ومما تقدم .

فليأشُر نياية هذه القلعة العليَّ خبرها ومخبرها ، الملىَّ سمعها ومنظرها ؛ المطلَّة
على مراكز الرِّماح المشهوره ، ومهابِّ الرياح : إماما بغيث السَّهام مُمطرَةً وإماما بسهام
الغَيْث ممتوره ، المُجاوِرَة لسَيْفِ الله «خالد» فهي بإعرابِ المُجاوِرَة مَنْصوَرَة غير
مَكسُورَة ؛ مُعتَبِرًا لأحوالها ، مُستَدْعِيًا لما تَحْتَاج إليه من عُددها وعدد رجالها ،
مُحصِنًا باستدعاء السِّلاح وسِلاح الأُدعية الجديرين بأمثالها .



وهذه نسخة تَوَقِّع بِنياية قلعة جَعبر ، قبل أن تُثَقَّل إلى حَلَب ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى فى سماء الملك كواكبهُ ، ونصر فى أقطار
الأرض كُتِبَهُ وَكُتِبَهُ ، وَصَرَّفَ بأوامرِهِ العالِيَةِ كُلِّ نائِبٍ وَفَرَّقَ بها كُلِّ نائِبِهِ -
أَنْ يُرْتَّبَ عَلِمًا بِأَنَّهُ الكافى الذى تُعَقِّدُ على هِمَّتِهِ الخِناصِر ، وَيُثْنِي
على تَقْدِيمِ عِزائِمِهِ القَدِيمِ والمُعاصِر ، وَتَقْوَى الجِهاَتِ وتُنصِرُ بِاسْمِهِ بعد أن كانت
بِغَيْرِ قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ ؛ وأَعْتادًا على كِفائَتِهِ النافِعَةِ ، وشِهامَتِهِ الرَّائِقَةِ الرَّائِعَةِ ، وَدِرَائَتِهِ
التي تُضِيءُ بِها القَلْعَةُ وتَسْمُو حَتَّى يَقولَ الأَسْتِيقان : ما هَذِهِ شَمْسٌ هَذِهِ شَمْسٌ
طالِعَهُ .

فليأشُر هذه القلعة القديم أثرها ، الحميد خبرها وخبرها ، المصغر تصغير التحبيب
والتحسين أسمها ومنظرها ؛ المنفرد سهلها بذيل الآفاق فتمسك بسحبها ، المنشدة^(٣)
لأرتقاب نهضة حال من علم ابن منصور بها ؛ راقيا صرحها ، راعيا بالمصالح

(١) كذا فى الأصل وصوابه شمسة .

(٢) هذا الوصف يناسب قلعة الصبيبه فانها هى المصغرة .

(٣) فى الأصل «متسكا» .

سَرَحَهَا ؛ مُجْتَهِدًا فِيمَا يَقْضِي لِقَدْرِهِ بِالرُّفْعَةِ ، وَلِرَأْدِ أَمَلِهِ بِخِصْبِ النُّجَعَةِ ، جَاعِلًا هَذِهِ
الْمَنْزِلَةَ أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ : وَحَسْبُهُ بِمَنْزِلَةٍ يَكُونُ أَوَّلَ دَرَجَاتِهَا قُبَّةَ قَلْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُ
عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ ، وَيُجَمِّدُ فِي الْكُفَاةِ خَبْرَهُ كَمَا أَحْمَدَ فِيهِمْ أَسْمَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكِرْمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بناية مغارة زلايا، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَزِيدُ قِلَاعَ الْإِسْلَامِ عَلَاءً فِي السَّمَةِ وَالْأَسْمِ ، وَفِي الْقُوَّةِ
وَالْحِسْمِ ، وَفِي أَعْتِنَاءِ يَجْمَعُ لِعَقِيلَتِهَا بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْقِسْمِ - أَنْ يُرْتَبَ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ
لِقِيَامِهِ بِوَأَجِبِ الْخِدْمَةِ ، وَمُلَازِمَةِ قَرَائِضِهَا الْمُهَمَّةِ ؛ وَعَزْمَتِهِ الْوَفِيَّةِ فِي النَّفْسِ ، الزَّائِدِ
وَصَفُفِهَا عَلَى الْأَمْسِ ، الْعَلِيِّ نَسَبُهَا وَحَسَبُهَا : فَتَارَةً إِلَى الْعُلَى وَتَارَةً إِلَى الشَّمْسِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْقَلْعَةَ الَّتِي عَلَّتْ بِنَفْسِهَا مَحَلًّا وَسَكَنًا ، وَقَالَ سَاكِنُ مَغَارِهَا لِشَانِي
أَتَيْنِ مِنْ حَزْمِهِ وَعَزْمِهِ : (لَا نَحْزَنُ إِنْ أَنْ لَاحَظْنَا) ؛ وَأَسْتَعْلَى تَنَبَّهَتْهَا فَأَنْشَدَ :
«أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعِ الثَّنَائِيَا»، وَنَادَى بُقْعَتَهَا : هَذَا عَزْمِي وَحَزْمِي لَا يَقَالُ وَلَا يَأْزَلِيَا ؛
مُجْتَهِدًا فِي سَدَادِ أُمُورِهَا ، وَتَحْصِينِهَا بِالْمَهَابَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ سُورِهَا ؛ مُسْتَجَابًا مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ وَمَا يُرْتَبُ مِنْ عُدَّةٍ ، مُلَازِمًا لِرُومِ الْخَمْسِ لِأَوْقَاتِ مُبَاشَرَتِهَا لَا يُوصَفُ بِالزُّوَالِ
بَلْ بِطُولِ الْمُدَّةِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية القدس، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ لَا زَالَ يَشْمَلُ بَطْلَهُ وَفَضْلَهُ ، وَيَجْمَلُ بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلَهُ ،
وَيَنْقُلُ شَمْسَ الْوَلَاةِ مِنَ الْبُرْجِ الظَّاهِرِ إِلَى مِثْلِهِ - أَنْ يُنْقَلَ فَلَانٌ مِنْ كَذَا إِلَى وَلايَةٍ

القدس الشريف : علماً بكفايته التي تقدّمت ، وشهامته التي تحكّمت ، وإمامته التي سلّمت فيما سلّمت ؛ وهيمته التي وصّحت شمساً فلا تُنفس ، وقالت لقيامه في المصالح :
 (أخلع نعلك إنك بالوادِ المقدّس) .

فليباشر هذه الولاية مباشرةً تمحو بضياء شمسه ظلاماً ، وتقول لنار الحوادث في المشاهد الجليّة : (يانار كوني برداً وسلاماً) ؛ مجتهداً فيما هو بصددّه ، عارفاً بوجوه المصالح حتى يكون السكّن أعرف بشمس بلده ؛ ناهضاً بأموال الديوان جليهاً وخفيهاً ، وعبء المهمات حافلها وخفيها ؛ مستريداً بالشكر لمبادئ النعم ، قائلاً في محلّ البلدين المباركين : ماسرت من حرّم إلا إلى حرّم .



وهذه نسخة توقيع بولاية غزّة ، وهي :

رسم بالأمر - لا زال ينشئ في رياض الإحسان غرساً ، ويُحقّق في استحقاق الكفاة حدساً ، ويُقدّم من لا تزال الولايات تُجمّده يوماً وتذكر لقومه أمساً - أن يرتّب لما عُرف من عزّمه الذي جرد منه الاختيار والاختبار جميلاً ، وكال شخصه الذي آتخذ التوفيق فلم يقل : (ليتني لم آتخذ فلاناً خليلاً) ؛ وأعماده الذي يُصبح في المحامد ويمسى ، وينافس مرّباه فهذا يقول : ثمّرى وهذا يقول :
 غرسى .

فليباشر هذه الولاية بعزيم مقتبل الشبيبه ، وحرّم لا يقعد الرأى المحيل تجريده في المصالح وتجريبه ؛ ونفع في المهمات وردع للفاسدين ثمّحّد موارده ومصادره ، وذكر له حسن تلقط من ساحل الشام جواهره ؛ مستريداً لما رسخ له من درجات

الأمر المهممة ، مُنزه العَرِض عن كلِّ لائِمةٍ مُرَجَّحاً تقوى الله تعالى في كلِّ مَلَمَّةٍ ؛
والله تعالى يُجِدُّ في الخِدْمَةِ آثاره ، ويُعزِّزُ في ولاية حربه الساقفة إذا هانت الحرب
على النَّظَّارِه .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بولايةِ لُدِّ ، لمن أسَمِه «نجم الدين أيوب» وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت نُجُومُ أوامِرِه سَعِيدَه ، وَظِلَالُ عَوَارِفِه مَدِيدَه ، وَمَنَازِلُ
الولاياتِ حَامِدَةٌ لمن يُقَدِّمُه وطَوَالِعُ أَفْقِهَا حَمِيدَه - أن يُرتَّبَ أَعْتَاداً على
كفائتِه التي تُسَيِّدُ له مَجْدًا ، وتُعَقِّبُ مَسْعَاهُ حَمْدًا ، وتَكْتَفِي من هذه الجهة وأهلها بَلَدًا
وقَوْمًا لُدًّا : لما أَحْتَوَى عليه من مُوجِبَاتِ الأَصْطِنَاعِ ودَوَاعِيهِ ، وفَاتَ بِاسْتِقْلَالِهِ
أمدَ مُسَاجِلِهِ ومُنَاوِيهِ ؛ وَأَشْتَمَلَ على الخِلَالِ التي قَضَتْ بِتَقْدِيمِهِ ، والأفْعَالِ التي
أَسْتَدَعَتْ المِبَالِغَةَ في تَفْخِيمِهِ وتَكْرِيمِهِ ؛ وَسَلِكَ من الخَالِصَةِ ما يُوجِبُ الأَسْتِحْقَاقَ
والأَسْتِجَابَ ، وَيُوصِلُ حَمِيدَ مَسْعَاهُ إلى بُلُوغِ الآمالِ وإدراكِ الحَافِئِ .

فَلْيَبَاشِرْ هذه الولايةَ : عاملاً بِتَقْوَى اللهِ تعالى فيما يُسِرُّه وَيُعَلِّنُه ، مُعْتَمِدًا فيها
غَايَةَ ما يَسْتَطِيعُه المُكَلَّفُ ونِهَايَةَ ما يُمْكِنُه ؛ وَلْيَسَوِّ بين القَوِيِّ من أهلِ هذه الولايةِ
والضَّعِيفِ ، ولا يَجْعَلْ في الحَقِّ فَرْقًا بين المَشْرُوفِ والشَّرِيفِ ؛ وَيَمُدَّ على كَافِّتِهِم
رِواقَ السُّكُونِ والأَمْنِ ، وَلْيُجْرِهِم في المَعْدِلَةِ على العادةِ الجميلةِ الحَسَنَةِ ؛ وَلْيَأْخُذْ
في الأُمُورِ الدِّيوانِيَّةِ بالأجْتِهَادِ مُراعِيًا في ذلك حالَ العِمَارَةِ ، آتِيًا من الإحْسَانِ
إلى الرِّعِيَةِ ما يَكُونُ لِلْعَدْلِ شَارَهَ ؛ وإفِيًا في ذلك كلَّه بالمَطْلُوبِ ، صابِرًا على تَكْلِيفِ
المُهَمَّاتِ ولا يُنْكَرُ الصَّبْرَ لأَيُّوبِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية بيسان ، لمن لقبه « شهاب الدين » من إنشاء ابن نباتة ، وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت شُهْب أوقاته سَعِيدَه ، وَسُحِب هِبَاتِه سَاحِبَةَ الْجُودِ
مَدِيدَه ، وَبِحُورِ نَعْمَانِه الْحَقِيقِيَّةِ كِبُحُورِ الْأَعَارِضِ الْمَجَازِيَّةِ : كَامِلَةٌ مُنْسَرِحَةٌ مَدِيدَه -
أَنْ يَسْتَقَرَّ أَعْتَادًا عَلَى عَزْمِه الْمُنِيرِ شِهَابُه ، الْكَثِيرِ تَوَقُّدِه فِي أَوْقَاتِ الْمَهْمَاتِ
وَالْتِهَابُه ، وَاسْتِنَادًا إِلَى كِفَائَتِه الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا وَلَاؤُه فِي الْخِدْمَةِ وَوِلَايَتِه ، وَشَهَامَتِه
الَّتِي يُجْزِمُ بِهَا فِي الْأَمْرِ رَأْيُه وَتَرْفَعُ فِي الْخِدْمَةِ وَوِلَايَتِه وَمَهَابَتُه ؛ وَعِلْمًا بِسِيَاسَتِه
الَّتِي يَقْمَعُ بِهَا أَهْلَ الْفَسَادِ ، وَتَكَادُ تَفْخَرُ بِبِسَانٍ بَفَضْلِهَا كَمَا فَخَرْتُ بِ«فَضْلِهَا»
عَلَى الْبِلَادِ .

فَلْيَتِمُّ فِي وَظِيفَتِه عَلَى قَدَمِ اجْتِهَادِه ، وَكَرَمِ ارْتِيَادِه وَأَعْتِيَادِه ؛ شَافِيًا لِأَحْوَالِ أَهْلِ
نَاحِيَتِه مِنَ الْوَصْبِ ، مُتَمَرِّغًا الْعِلَالَ وَالْأَمْوَالَ بِعَزْمٍ قَدْ أَرْتَفَعَ وَأَنْتَصَبَ ؛ ظَاهِرًا
فِي الْخِدْمَةِ بِجَهْدِه ، مُلْتَمِنًا لِحَدِيدِ مَنْ عَصَى عَلَيْهِ فِي عَمَلِه كَمَا أَوْرَثَه دَاوُدُه ؛ وَاللَّهِ
تَعَالَى يُوقِّعُه .



وهذه نسخة توقيع بولاية صيدا ، لمن لقبه « شجاع الدين » بـ «المجلس العالى»
وهى :

رُسم بالأمر العالى - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْأَفْطَارِ ، وَنَجَّمَ بَوْلَاتِه أَيَّامَ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْطَارِ ،
وَأَجْرَى بِسُكْرِهِ سَفْنَ الرِّكَايِبِ وَرِكَايِبِ السُّفْنِ إِذَا سَفَّ وَإِذَا طَارَ - إِنْ يَسْتَقَرَّ
فَلَنْ : رُكُونًا إِلَى عَزْمِه وَحَزْمِه ، وَسُكُونًا إِلَى أَهْتَامِه الَّتِي حَكَمَ فِيهِ الْأَخْتِبَارَ

بِعِلْمِهِ؛ وَعِلْمًا أَنَّ للولايات به الانتفاع، ولحُصُونِهَا الأمتناع والأرتفاع؛ وأنه إذا
وَلِيَ رَعَى وإذا أَقْوَى ^(١) كَانَ أعصم راع، وإذا فَكَّرَ فِي الرَّأْيِ وَوَقَبَ فِي الْمُهْمِّ كَانَ
نِعْمَ الشُّجَاعَ .

فِي بَاشِرِ وِلَايَةِ عَمَلِهِ نَاهِيًا بِأَعْبَانِهِ ، رَافِعًا بِالْعَدْلِ لِأَرْجَائِهِ وَرَجَائِهِ ، حَرِيصًا عَلَى
طِيبِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ مِنْ كَافُورِ صُبْحِهِ وَمِسْكِ مَسَائِهِ . وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ بَرِّهِ وَبَحْرِهِ ،
وَيَتَقَيَّظَ لِذَلِكَ الْبَرِّ وَجَهْرِهِ ، وَذَلِكَ الْبَحْرِ وَسِرِّهِ ؛ حَتَّى يُتَحَدَّثَ الْبَحْرُ عَنْ عَزْمِهِ
وَلَا حَرَجَ ، وَيَسِيرَ ذِكْرُهُ كَنَسِيمِ الرِّوَضِ لِأَضَائِعِ الصَّنْعِ وَلَكِنْ ضَائِعُ الْأَرْجِ ؛ وَيَعْتَمِدُ
مِصَالِحَ النُّوَاحِي وَسُكَّانِهَا ، وَالْأَمْوَالَ وَدِيُونِهَا ، وَالْجِهَاتِ وَضُمَّانِهَا ، وَتُجُومَ التَّقْسِيطَاتِ
فِي الْبَلَدَةِ وَتَحْرِيرِ مِيزَانِهَا ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالشَّدَّةِ بِسِيَاسَةٍ لَا يَخْرُجُ بِهَا الرَّأْيُ عَنْ
إِبَانِهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعِمْدَةُ فَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ ، وَعَلَى رُكْنِهَا يَسْتَنْدُ ؛ حَتَّى تَجْعَلَ
لَهُ عَلَى الْمِصَالِحِ أَيْدًا ، وَحَتَّى تَتَنَبَّأَ نَحْوَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ عَمْرًا وَزَيْدًا ، وَحَتَّى تَجْعَلَ لَهُ بَأْسًا
فِي الْأَعْدَاءِ يَكِيدُ كَيْدًا ، وَحُسْنَ ذِكْرٍ فِي الْبَلَدِ يَصِيدُ «صَيْدًا» .



وهذه نسخة توقيع بولاية قاقون، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَنْدُبُ لِمِصَالِحِ الْوِلَايَاتِ سُيُوفًا ، وَيَقْدُمُ ظَنًّا فِي الْكُفَاةِ
يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُوفِي ، وَيُدْنِي مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِنْعَامِ وَالْإِرْغَامِ لِأَيْدِي الْمُجْتَبِينَ قُطُوفًا - أَنْ
يَسْتَقِرَّ أَعْتَادًا عَلَى هِمَّتِهِ الشَّائِدَةِ ، وَدِرَايَتِهِ السَّائِدَةِ ، وَأَمَانَتِهِ الشَّاهِدَةِ ،
وَصِفَاتِ عَزْمِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْوِلَايَاتِ «مَعْنٌ» وَهِيَ «زَائِدَةٌ» ؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يُثْمَرَ عَمَلُ
وِلَايَتِهِ فَتَرُكُو أَعْمَالَهُ ، وَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْمُهْمَاتُ فَتَلْقَاهَا بِالْكَفَاءَةِ أفعالُهُ الْمَعْرُوفَةُ وَأَقْوَالُهُ ،
وَتَشْهَدُ مِنْهُ الْأَحْوَالُ مَعْنَى بَلِّ مَعَانِي يَثْبُتُ بِهَا فِي الْأَذْهَانِ قَبُولُهُ وَإِقْبَالُهُ .

(١) أقوى . نزل بالقفر - أعصم - أمنع وأحفظ لرعيته من الاعتيال .



وهذه نسخة توقيع بولاية صرخد، من إنشائه، لمن لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسم بالأمر أعلاه الله تعالى، وبلغ بأيامه الرتب وأهلها آملا، وزان الولايات بما ينتج من مقدمة فعله وقوله جمالا - أن يرتب مجلس الأمير لأنه الكافي الذي عرفت في المهمات همته، وألفت عزمته، وأديرت أوصافه عقارا صرخديّة ولا عجب أن سرت بالنواحي خدمته، والنهض الذي وقى الولاية حقها، وأدى الأمانة وسلك طرقها، وأطلع في سماء الولايات شهب رأيه فخمى وزان أققها.

فلبيا شرهذه الولاية بعزم سنّي، وحزم سري، ومهابة تأخذ للضعيف من القوى، وديانة تمشي من الكفاءة والأمانة على صراط سوي، مثمرا للمال والغلال، راقبا لحلل الذكر بحسن الخلال، محسنا لذكر ولايته حتى يجمع لها بالوصف والنعت بين الحسن والجمال، وإياه والجن عن المهمات فما كل جن صرخديّ محمود العاقبة والمآل .



وهذه نسخة توقيع بولاية سلمية، من إنشائه، كتب به لـ «شهاب الدين الحجازي» وهي :

رُسم - لا زال يُطلع شهب الولاة مشرقه، وينشئ سُحب الإحسان مُغدقه، ولا برحت أفلام علايمه كالغصون بأحسن ثمرات الدوح مُثمرة مورقه - أن يرتب علما أنه النهض الذي إذا ولي كفى، وإذا طبّ الولاية المعتلة بتقديم المعرفة شفى؛ ورُكونا إلى عزمه الذي أبى لشهايه أن يجمد، وكفاءته التي

قَضَتْ لاسْمِهِ بِالْعُودِ : فَإِنَّ الْعُودَ أَحْمَدُ ، وَأَعْتَادًا عَلَى سِيرَتِهِ الْحَسَنَةِ السَّمْعَةَ ، الْحَقِيقَةَ بِالرَّفْعَةِ ، وَعَلَى سَطَوَاتِهِ بِالْمُفْسِدِينَ الَّتِي حَسَنْتُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : « لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَهُ » .^(١)

فَلْيَبْأِشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ بِعَزْمِهِ الْمُتَوَالِي ، وَأَجْتِهَادِ رَأْيِهِ الَّذِي يُطْرِبُ بَارِقَهُ الْمُتَعَالِي ؛ جَارِيًا عَلَى عَادَةِ سَدَدِهِ ، مُجْتَهِدًا فِيهَا هُوَ بَصَدَدِهِ ؛ مُسَدِّدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، مَانِعًا لِنَاحِيَّتِهِ الْأَعْرَابِيَّةِ مِنْ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ وَتَطَرُّفِ الْجَلَلِ ؛ مُصَالِحًا بِالتَّدْبِيرِ عَمَلٍ مَا يَشْهَدُ بِعَزَائِمِهِ الْوَفِيِّهِ ، وَهَمِّهِ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيَّةِ ، وَإِذَا سَأَلَ عَنْ شِدَّةِ الْوَلَاةِ وَاحِدًا قِيلَ : سَلْ مِيَّةً عَنْ سَامِيَّةٍ .



وهذه نسخة توقيع بشد متحصل فقامة ، من إنشاء ابن نباتة ، وهي :

رُسم بالأمر - بسط الله تعالى على الأمم مهابتَه وظلَّهُ ، وبأسه وفضله ، ووجه إليه آمال الخلق من كل قبله ، وأعلى آراءه التي يقال لعدِّها : « لَقَدْ جُدَّتْ حَتَّى جُرُتْ فِي كُلِّ مَلَّةٍ » - أَنْ يُرْتَّبَ مضافاً لما بيده ، وأستناداً إلى صحيح خبره في الكفاءة وعلوِّ سنده ، وأرتياداً لهِمِّهِ التي إن رواها مسلم عن طَوْعِهِ رواها نصرانيٌّ عن تجلُّده ؛ وسكوناً إلى حركته التي تُحَصِّلُ مَالًا ، وَتَصِلُ إِلَى مَالَا ؛ وَتَسْتَخْرِجُ الْوَفَرَ مِنْ مَكْنِهِ ، وَتَأْخُذُ الْحَقَّ [مِنْ] قُدَّامِ يَدَيِ الْمَائِلِ وَمَنْ خَافَ أُذُنَهُ ؛ وَعِلْمًا أَنَّ الْمُلْتَحَصِلَ فُقَامَةً مِثْلَ عَزْمِهِ الْخِتَارِ ، وَرِفْقِهِ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ دَرَّ الْقَصْدِ الْمُدْرَارِ ، وَأَجْتِهَادِهِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمُسْتَنْهَضُونَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يَعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ .

فَلْيَبْأِشِرْ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ بِشِدَّةٍ وَلِينٍ يَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعِهِ وَمَقَامِهِ ، وَحَقِّ مُنِيرٍ يَجْعَلُ سَبْتِ نُوْرِ كُلِّ لَيْلِيَةٍ وَأَيَّامِهِ ؛ وَأَمَانَةٍ مُدْلِهِ ، وَكِفَاءَةٍ مُظْلِهِ ؛ وَصِيَانَةٍ

(١) صدر بيت للأخطى وتماهه «إلى الله منها المشتكى والمعول» والجحاف أسم رجل والبشر أسم جبل .

تُوجِبُ مَزِيدَ الْخَيْرِ إِذَا لَهُ ، وَمَهَابَةَ إِذَا أُدْخِلَتْ مُسْتَخْرَجَ فِيمَا أَصْلَحَتْهُ وَجَعَلَتْ
 أَعَزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّهُ ، لَا يَثْنِي هِمَمَهُ النَّفْسِيَّةَ ، وَلَا يَلْتَفِتُ - كَمَا يُقَالُ - لِتَبْخِيرِ الْكَنْيَسَةِ ؛
 بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِرَاسَةً تَرُوغُ مِنْ حَمَلٍ عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ بُهْتَانًا ، وَمُنَاقَشَةً تَكْشِفُ عَنْ
 جِبَالِ التَّجَلُّدِ أَكْثَانًا ، وَرَافَةً مَعَ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِيِّ الْعَجْزِ : ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ
 وَرُهْبَانًا ، وَمَتَابَعَةً لِلضَّرَائِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يُصْرَفُ عَنْهَا ، وَأَسْتَخْلَاصَ مَا عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى
 يُقَالُ : « لَيْسَ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ أُخْضِعَ مِنْهَا » ؛ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ مَعَامِلَتِهِ
 أَهْلُ ذِمَّتِهِ ، مُجْتَهِدًا فِي اسْتِحْقَاقِ مَا يَتَرَشَّحُ لَهُ مِنْ وِلَايَاتِ الْأُمُورِ الْمُهَمَّةِ .

الصنف الثاني

(مما يكتب لأرباب الوظائف بدمشق - تواقع أرباب
 الوظائف الدينية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح به «الحمد لله»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

تَوَقِّيعٌ بِنَظَرِ الْحِسْبَةِ بِالشَّامِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ»
 بِ«الجناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذي جعل مقام الأولياء علياً ، ورقى بهم إلى طور العناية فأشرق نورهم سنيّاً ، ووقفهم للأمر بالمعروف فلم يزل غيث الندى بهم وليّاً ، وزند سبل الرّشاد والحكمة وريّاً .

نحمده حمداً كثيراً طيباً زكياً ، ونشكره شكرًا لا يزال غصنه بالزيادة جنيّاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نكرّها بكرة وعشياً ، ونسلك بها صراطاً سويّاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اختاره صفيّاً ، وقربه نجياً ، ورسوله الذي قام به الحق وأصبح به الباطل خفيّاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ينال بها المؤمن يوم العطش رياً ، ويجوز بها في جنة المأوى حللاً وحليّاً ، وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد ، فإن أولى ما يلزم الفكر [فيه] ويتعين ، ويتم النجح بحسن النظر فيه ويتبين - أمر الحسبة الشريفة : فإنها المنصب الذي به صلاح أحوال الرعية ، وقوام إقامة الحدود الشرعية ، تسلك العامة لمستوليه سبل صنائعه ذللاً ، وتكسو باقتانها أنواع بضائعها حللاً ، وينتفع بمعرفته الأمر والمأمور ، وتخطأ المعاش عن غشيان الغش من حرمة بسور ، وتطمئن القلوب بإصلاح المطاعم وتتهنى ، وتقول الألسنة : شكرًا لمن سنّ هذه السنة الشريفة وسنّي ، وردع ذوى الغش عن غوايتهم : فمن غشنا ليس منا ، لا سيما بدمشق فإنها شامة البلاد المحروسة ، وموطن البركة الماثورة والبهجة المانوسة ، بلد شاع ذكرها في المغارب والمشارق ، وإن محاسنها لن تقاس بغيرها : والجامع الفارق .

وكان فلانٌ ممن تحلى من عقود المحامد بجواهرها ، وأرتدى من حليل المآثر بمفانحها ، وعرف بالهضة والعفاف ، وأتصف بجميل المعرفة والإنصاف ، وحسنت سيرته في أحكامه ، وحمدت قواعد تعدده ونصارة نظامه .^(١)

(١) لعله "تعهد" .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لا زال يُولى جَمِيلاً ، ويُوَلَّى فى الوظائف السَّنيَّة جَلِيلاً - أن يستقرَّ المشارُ إليه فى نظرِ الحِسبة الشريفةِ بالشَّام المحروسِ ، على عادة من تقدَّمه فى ذلك ، والقاعدة المستمرة ، بالمعلوم المستمرِّ للوظيفة المذكورة ، إلى آخر وقت : وضعاً للشَّيء فى محلِّه ، وتفويضاً لجميلِ النَّظرِ إلى أهله .

فليأشُرْ ذلك أمرًا بالمعروفِ وناهياً عن المنكرِ ، سالِكًا من حُسنِ الطريقة ما يُجد به ويُسكِر ، ويسُرُّه حين تُسلى سُورُ محاسنه وتُدكر ، متفقدًا أحوالَ العامة ومعايشها فى كلِّ آن ، ملتفتًا فى أمرِ ما يُكأل أو يُوزن إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الزَّوْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ . مُشمرًا عن ساعده فى الإجراء على العوائد المُستحبة ، مُحترزًا فيما يأمر به : فإنَّ الله تعالى لا يُخفى عليه مثقالُ حَبَّة ، وليُنظر فى الدَّقِيق والجَلِيل ، والكثيرِ والقَلِيل ، وليستكثرِ الأخبار ، وليستعلمِ الأسعار ، ولا يغفل عن تعاهد السُّوقِ آناء الليلِ وأطرافِ النَّهار ، وليلاحظْ أمرَ السَّكَّةِ السلطانية بإصلاحِ العيار ، وضبطِ أحوالِ النقودِ بمقدار ، وليقيم من خدَمته رَقيبًا على من آتهم فى صنْعته أو أستراب . وليبالغ فى النَّظر فى أمرِ المآكلِ والمشاربِ فإنَّ أكثرَ الدَّاء من الطعامِ والشَّراب ، وليزجر بتأديبه من أفترى ، أو تلقى الرُّبجان أو غدا فى الأقوات مُحتركا ، وليعلم أنه قد أمر هذه الوظيفة المباركة : فليختر من يستنيب ، وليبصر كيف يسلك برعايته من حكم عليه فما يلفظ من قوٍ إلا لَدَيْه رَقِيب ، والوصايا كثيرةٌ وأصلها التقوى التى هى أجلُّ ما يقْتنى المؤمنُ ويكتسب ، وأجدرُّ بالزيادة : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . واللهُ تعالى يُديم علاه ، ويتولاه فيما تولاه .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة،
كُتِبَ به للقاضي «عماد الدين بن الشيرازي» في الدولة الصالحية «صالح بن الناصر
محمد» بـ«الجناب الكريم» وهي :

الحمد لله الذي أذن لبيوته أن تُرفعَ فرقعَ عمادها، وأعاد أحسنها إلى نظر من صرّف
أمورها بما حسن وصرّفها عما دهي، وأحيا الآثار الأموية حتى غدت كالهشمية
تدعو أجوادها وشجّادها، وأنجز وعد أهلها بمن أشارت إلى مباشرته أعلام أعلام
المنابر بالأصابع ونصّت المآذن أجيادها .

نحمده على ما هبنا من الفوائد، وهنأ من العوائد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة يقوم بها الخطاب شاهداً ويقوم بها الخطباء في المشاهد، ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذي أوتى الجوامع من الكلم وجعلت له الأرض من
المساجد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عمروا بيوت العبادات بهدأيته،
وظهروا في مجال الجمع وسجال الجموع تحت رأيتيه؛ صلاة متصلة السير كالسبل،
مُسَبَّلَة الغمام كالذليل، وإضحة كدع الخلق لدلوك الشمس فإحقة كفتيت المسك
إلى غسق الليل .

وبعد، فإن أولى الأمور الدينية بتقديم الأهتمام، وتقدير الاعتزاء إلى الاعتزام؛
وتشهير ساعد الرأي وزهراته على الأكام - أمر تكون إقامة الصلوات أحد
أركانها، وتذبير المصالح مشيراً إلى علوشانه، وأرزاق العلماء والصلحاء تُستدر من
هطاله وهتانه .

وكان الجامع الأمويّ بدمشق المحروسة هذه الأركان بمنزلة الأسّ الراسخ تمكينه ،
والفرع الشامخ في وجه السحاب عرينه ؛ وبينة زمان بنى أمية الذين عفا شرف
مفاخرهم وما عفا شرفه ونفخه ، ووكر الإسلام الذي مضى لبدا أمثاله وما بقي إلا نسر
السماء ونسره ؛ ذو المرأى الشارح والفضل المشروح ، والحسن الذي إن تفعلى
في وصف الجوامع قوم قيل : باب الزيادة مفتوح ؛ تفخر به دمشق وحق
لها على كل مضر أن تفخر ، وتبعث نظرات حسنه الفخر من حملة فصوص
الترخيم إلى الأسود والأحمر ؛ يحمّد الجاور به مغناه وغناه ، ويسع أرباب العلم
والمقاصد نأديه ونأده ، ويطلع المسك سطور مياهه المتجمدة فأقول ما يقرأ من
تنبيهه عزمه باب المياه ؛ وقد عهد أن يتولى نظره كل سني المفاخر ، سرى
المآثر ؛ كريم الفرع والأصل ، ماضي العزم كالنصل ، حائز من أقلامه أمد العلاء
وقصب الخصل .

ولذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال وجه الفضل بدولته الشريفية وأصحا ،
وميزان العدل والإحسان راجحا ، ولا زال في كنف من من به على الدين والدنيا
وآناهما صالحا - أن يفوض إلى فلان نظر الجامع الأمويّ المذكور : لما عرف
من أنه الرئيس الذي ماسد سدي ، والكامل الذي إذا انس [سار] نار فكرته وجد على
النار هدي ؛ وأنه باشر نظر هذا الجامع قديما بجملة ، ورصد سنه فكملة ، وأستشهد
في محضر ديوانه على التزاهة أقلامه المعدلة ، وتديبه المعدلة له ؛ وكثر أوقافه وكانت
قد أضحت ، وشيد عمارة وكانت قد استقلت ، وملا حواصله وكانت أقلام
المكتسبة تُشيد : «أسائلها أيّ المواطن حلت» ؛ وبما ألف هذا الجامع المعمور من
عواطفه ، وعرف من عوارفه ، وشهد من جلوسه لمصالح وفقه أحسن الله مكافأة
جالسه وواقفه ؛ فأثبتت في صدر المحافل أن الله تعالى قد رزقه من الفضل جسيما ،

وَكَتَبَ لَهُ مِنْ شَرَفِ الْأَكْتِسَابِ وَالْإِنْتِسَابِ حَدِيثًا وَقَدِيمًا ؛ وَأَلْقَى إِلَى يَدِهِ قَلَمَ كِفَاةٍ وَأَمَانَةٍ كَانَ كَرْمُهَا لِلْأَمَلِينَ حَصِينًا وَكَانَ قَلَمُهَا لِلْحَائِسِينَ خَصِيمًا ؛ كَمْ وَقَرَّ بِهِ الْمَصَالِحَ قَوِّيًا ، وَكَمْ جَمَعَ بِهَيْمَتِهِ الْمَحَاوِلَةَ مَالًا بِفُحْزِهِ بِهِ مِنْ جُنْدِ الدُّعَاءِ صَفًّا ؛ كَمْ سَرَّ بِمَنَاقِبِهِ سِرًّا سَلَفٍ مَامَنَهُمْ إِلَّا جَوَادٌ لَا يَرْضَى فِي سَبْقِ الْمَكَارِمِ بِحَاتِمِهِ ، وَكَاتِبٌ يَكْبُرُ عَنْ قَوْلِ الْوَأَصِفِ : إِنَّ يَأْقُوتَا فِي فَصِّ خَاتِمِهِ ؛ وَرَيْسٌ هُوَ أَجَلٌ مَا أَهْدَتْ شِيرَازُ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ عَلِي طَرَازِ الْفَضْلِ وَعَالِمِهِ .

فَلْيَبْشُرْ مَا فُوضَ إِلَيْهِ بَعْزِمٍ لِاتَّقَلَّ مَضَارِبَهُ ، وَرَأْيٍ لِأَنَّا فُلَّ كَوَاكِبَهُ ، وَمَعْدِنِ وَفَاءٍ بِالْمَنْصِبِ لَا تَبْرَحُ لِحْنَةَ الْخِيَانَةِ مَهَالِكُهُ وَلِحْنَةَ الْحِنَانِ مَطَالِبُهُ ؛ نَاطِرًا فِي حُسْنِ وَظِيفَتِهَا بِاجْتِهَادٍ لَا يَمَلُّ مِنَ النَّظَرِ ، مُتَمَرِّمًا لِأَوْقَافِهَا بِغَضَنِ قَلَمِهِ الَّذِي لَا يَنْكُرُ لِأَصْلِهِ الصَّائِبِ أَطْيَابِ الثَّرْبِ ؛ مُلَاحِظًا لِمَبَانِي هَذَا الْجَامِعِ بِسَعَادَتِهِ : وَإِنَّ السَّعَادَةَ لَتَلَحُظُ الْحَجَرَ ، صَارِقًا لِدَوَى الْأَسْتِحْقَاقِ مُسْتَحَقَّهُمْ كَمَا عَهَدُوا مِنْ إِمَامِ بَرَاعَتِهِ الْمُتَنْظِرِ ؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يَرْضَى الْوِظِيفَةَ وَالْقَوْمَ ، مُعِينًا عَدُوِّي أَنَامِلِهِ الْخَمْسَ عَلَى عَدَدِهَا مِنْ فَرِيضَةِ اللَّيْلَةِ وَالْيَوْمِ ؛ عَالِمًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْيَا هَذَا الدِّيَّوَانَ فَإِنَّهُ كَمَا عَلِمَ أَصْلُ فِي بَابِهِ ، أَمْرًا بِمَا يَقْتَرِحُ لِنِظَامِ هَذَا الدِّيَّوَانِ وَكُتَابِهِ ، مُتَقَدِّمًا حَالٍ مِنْ إِذَا عَمَّرَ دَوَاةً فِي وَقْفٍ كَانَتْ سَبَبًا لِعُمْرَانِهِ أَوْ سَبَبًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى - لِنَحْرَابِهِ ، مُطَالِبًا مَنْ ظَنَّ أَنَّ حِسَابَهُ يَهْمَلُ فِي دَهْرٍ هَذِهِ الْمُبَاشِرَةَ «فَكَانَ حِسَابُ الدَّهْرِ غَيْرَ حِسَابِهِ» ؛ مُتَخَيِّرًا مِنَ الْكُفَاةِ كُلِّ مَأْثُورِ الْفِضِيلَةِ ، وَمِنِ الْأَمْنَاءِ كُلِّ مَأْمُونِ الرَّذِيلَةِ ، وَمِنِ الْقُؤَامِ كُلِّ مَنْ لَا يَقْعُدُ عَنِ الْوَاجِبِ ، وَمِنِ الْوَقَادِينَ كُلِّ مَنْ لَا يُعَابُ بِطُولِ الْفَتِيلَةِ ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ سَائِقَهُ إِلَى الْفَوْزِ وَدَلِيلَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّهُ بِالسَّدَادِ ، وَيَصِلُ مَفَاخِرَهُ بِالسَّنَدِ وَيَحْرُسُ شَرَفَ بَيْتِهِ مِنَ السَّنَادِ ، وَيَجْعَلُ كُلَّ مَنْصِبٍ كَرِيمٍ بِاسْمِهِ وَقَلَمِهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : «رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النَّجَادِ» .



وهذه نسخة توقيع بنظر مدرسة الشيخ أبي عمر، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للقاضي «تقي الدين» بالجناب العالي، وهي :

الحمد لله الذي عمّر عهد التّقيّ بتقيّه ، وأقرّ نظره بمشاهدة أبيض العريض تقيّه ، وأخصب منازل الأولياء بمن ينوب تّميّره وتديّره عن الغيث مناب وليّه ، ومن إذا شهّد مقام الزّهاد بمعروفه شهّد سداد العزم بسريّه .

نحمده على جليّ اللطيف وخفيّه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وفي الحقّ وفيّه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده أكرم بعبدته ونبيّه ، ورسوله وصفيّه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يمزج أرجها كأفور صباح النهار بمسك عشية .

وبعد ، نغير النظر ما كان به الثّواب مأمولاً ، والعمل مقبولاً ، والآخرة لناهض فيه خيراً من الأولى ، وتخيّر الأكفاء لمناصبه الدّينية سبباً لخير الدّارين موصولاً .

ولما كانت المدرسة الصالحية ببجل الصالحية المعروفة بالشيخ العارف أبي عمر: رضى الله عنه وأرضاه، وسقى سبل الغيث آثاره الطاهرة وثرأه، مما يتعين في مصالحها حسن النظر، ويتبين في القيام بأمرها فضل الآراء والفكر؛ إذ هي زاوية الخير النافعة، ومدرسة الذكر الجامع، وعش القرآن المترنمة أطيّاره بخفقان القلوب الخاشعة؛ وصفة الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافاً، والأصفياء من الطمع الذين لا يتقاضون الدهر إنصافاً وإن صافى؛ ومتركض سوابق الأعمال والأقوال، وهقر

القرء والقراءة على ممر الليالي الطوال، ومعدن التلاوة المأثور غنائها في ذلك الجبل وما كل المعادن ولا كل الجبال؛ والبنية لله وتحتاج من ينظر بنور الله في وقفها، ويحفظ مسالك جمعها وصر فيها، ويمى حال درهمها بتدبيره الوافي: فربما أبقته الأحوال منه على نصفها.

وكان فلان ممن لحظ أمورها على بعد فشغف المبحوط باللاحظ، وحفظها على نأي فكأنما روت بالإجازة عن الحافظ؛ وأدار عليها من رشفات قلعه نغمة الساقى، وأنهلها شربة مضي بها ما مضى من تعدد المال: وفي الجرائد باق يطلب الباقي؛ وسأل أهلها بعد ذلك ملازمته للنظر فلزموا، ورفعوا قصصهم في طلبه لهذه الوظيفة فجزموا؛ وكيف لا؟ وهو نعم الناظر والإنسان، وفي مصالح القول والعمل ذوو اليدين واللسان، وذو العزائم التي تقيدت في حبه الرتب: «ومن وجد الإحسان»؛ والمتقدم فعله ورأيه في العاجل والآجل، والمأمون الذي يعزى إلى عقيلة نسبة الرشيد ولا تجب أن يعزى المأمون إلى مراحل^(١)، كم جرت السنة الأوقاف بأوصافه، وكم روى الجامع الصحيح خبراً عن مسلم عفا فيه، وكم جدد لبنائه زحرفاً بعد ما كاد نادب الرسوم يقف على أحقافه؛ وكم وفر على الأيتام ميراث وفرها، وكم قال اختبار الملوك الباقية: «لاشكرنك ماحييت» فقال ماضي الملوك ذوي الأوقاف: «ولتشكرنك أعظمى في قبرها» - فافتضى الرأي أن يجاب في طلبه المهم سؤال القوم، وأن يتصل أمس الإقبال باليوم؛ وأن تبلغ هذه الوظيفة أملها فيه بعد ما مضت عليها من الدهر ملاءوه، وهذه المدرسة التي لولا تداركه لكانت كما قال الخزاعي: «مدارس آيات خلّت من تلاوه».

(١) يشير إلى المأمون بن هرون الرشيد العباسي وأمه مراحل.

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يُراعى مصالح المؤمنين - أن يفوض إليه النظرُ على هذه المدرسة المعمورة، وأوقافها المبرورة؛ إجابةً لسؤال من فيها من جماعة الفقهاء ورغبتهم فيه، وأرتقايم لعزمه الذي إذا نظر حالها الأول تلا فيه تلا فيه؛ على أن يتبع في أمرها شرط الواقف برأي غير قاعد، وإن كان لا يزيد فيها على أربعمائة نفرٍ إلا أن يزيد ريع الوقف وهو - إن شاء الله - ببركته وهمته زائد.

فليأشرف ما فوض إليه مباشرة من إذا بدأ أعاد، وإذا دُعِيَ لمثل هذا الحال الضعيف طبَّ وعاد؛ مثمراً لها - على عادة غضن قلبه الأخضر - أثماراً، مُستخلصاً للبوقي من أربابها التي تنهب العين وتدعي لفتراتها أنكساراً؛ قائلاً في حال هذه المدرسة بالعطف، مُساوياً في المواساة بين فقراءها عند الميزان والصرف، نازلاً بنور بشره وودّه بينهم منازل القلب والطرف؛ مجهزاً لجيش عسرتهم فإنهم جمع للتلاوة والصلوات، متطلّعا لخبرهم فإنهم أجناد صُفوف الأسيحار وسلاحهم الدعوات؛ وتقوى الله تعالى مُشتق منها اسمه فلتكن شقيقة نفسه في الخلوات؛ والله تعالى يحفظ عليه حظاً نفيساً، وقدراً للنجوم جليسا، ويحيي به ميت الوظائف حتى يقال: أسليان أنت أم عيسى؟



وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع الأمويّ، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به باستمرار القاضي تاج الدين «الجناب العالی» وهي:

الحمد لله الذي رفع لنا برأساً باستقرار تاجها، وجمع لصدور الحارِبِ شملاً بعوائد أبتهاجها، وزين مواقع النعم بالتركار كما تُران لآلي النظام باردواجها، وبين مطالع الفرج بعد الغم: وما الدهر إلا ليل عمّة ثم صبح أنفراجها.

نحمدُه على معادِ الآمالِ ومعاجِها ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له
 شهادةً تمشي البصائرُ إلى الحقِّ بسراجِها ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ القائمُ على
 المنابرِ لمداواةِ الفُهومِ وعلاجِها ، ومُداراةِ الخُصومِ وحجاجِها ، القائلُ له تَأْدِيبُ رَبِّهِ :
 ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ آيةً يَسْرِي الفَظْنُ على مِنْهاجِها ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله
 وصحبه بِجُورِ النِّعمِ والتَّقَمِ عَديها وأجاجِها ، وبُدُورِ مساجِدِ التَّقَى ومَشَاهِدِ الوَعْيِ عند
 عِجاجِ لَيْلِها وَلَيْلِ عِجاجِها ، صلاةً كَصَلَاتِهِمْ أَمَنَةً من خِداجِها ، ما مَدَّتْ نَفْحَاتُ
 الروضِ إلى مَخالطةِ سَيْرِهِمْ يَدَ أَحْتِجاجِها ، وما زَجَّتْ معاليهمُ النُّجُومَ حُسْنَ بَكَّاسِ
 الثُّرَيَّا شَرَفَ أَمْتِراجِها .

وبعدُ ، فإنَّ أَوْلَى الناسِ باستقرارِ مَنْاصِبِ الدِّينِ العَرِيقَةِ ، وأسْتِمْرارِ عُلُوِّ
 الدَّرَجَاتِ : إمَّا من المراتبِ مجازاً وإمَّا من المنابرِ حَقِيقَةً ، وأسْتِمْرارِ الوِظائِفِ بَعِيادَةِ
 فَضْلِهِ ولا سِيماً أَعوادِ الخُطابَةِ ، وأسْتِيبصارِها بَلْفِظِهِ ولا سِيماً إذا سُلِّمَتِ الرِايَةُ
 العِباسِيَّةُ من نُظْمِهِ لِعِرابِهِ - من دَرَجٍ من عُشِّ فُرُوعِها خافِقاً عليه جَناحاً عَالمِيَةً ،
 وصَعدِ إلى عَرَشِها مُقَبَّلَةً بِنِظَرَاتِ الجُفُونِ المُتَسامِيَةِ آثارَ قَدَمِيهِ ، وأَعْرَقَ نَسَبَهُ
 في مَوْطِنِ مَكانِها المِكينِ ، وبلغَ مَقامَهُ مَقامَ سَلَفِهِ أربَعينَ سَنَةً في الطُّلُوعِ بأفْقِها المِئينِ ،
 وقالَ أسْتِحْقاؤُ مِراثِهِ : ”وماذا تَدْرِي الخُطباءُ مِنِّي“ * ”وقَدْ جاوزتُ“ بِمَقامِ السَّلَفِ
 ”حَدَّ الأَرَبِيعينَ“ ، ومَن إذا سَمِعَتْ خُطابَتَهُ قالَ الحَفْلُ : لا فُضَّ فُوه ، ولا عُدِمَ البَيْتُ
 ولا بَنُوهُ ، ومَن إذا طَلَعَ دَرَجَ المِنْبَرِ قالَ المُسْتَجِلُّونَ لَسَناهُ : أهْلَ البَدْرِ؟ قيلَ لهمُ :
 أخُوهُ ، ومَن إذا قامَ فَرِيداً عَدَّ بِالْفِ من فرائِدِ الرِجالِ تُنظَّمُ ، وإذا أُقبِلَ في سَوادِ
 طَبائِسانِهِ واحداً قيلَ : جَاءَ السَّوادُ الأَعْظَمُ .

(١) الرواية الشعراء وهو تريت لسحيم الرياحي .

ولما كان فلان هو معنى هذه الإشارة ، وخسوى هذه العبارة ، وصدر هذا التصدير : ومن سواه أحق بصفات الصدارة ؟ ، ومن إذا ضرب المثل بالخطابة النبائية في حلب قال لخطابته بدمشق : «إياك أعني فاسمعي يا جاره» ؛ ومن نسا في محل نغار طيب المعاقيد ، ومن وضع رجله على المنابر ومدّ عنقه إلى الفراقد ، ومن شمر في أوائل عمره إلى العلياء وحيدا وخلف دونهما من أنداده ألف راقد ؛ ومن إذا صعد للخطابة أنشد الحفدة :

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت أن الدهر للناس ناقد

(١) وكانت خطابة الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة هو الذي كل بنان إلى حسنه يُشير، وكل ذي مذهب إذا عين تصنيف وضعه قال هذا لفقهِ المحاسن هو الجامع الكبير؛ ميزابه (؟) المسلم لرشده، المعلم بطرازي نسبه ورشده، المقدم ليد نصرته سيف خطابة لا يخرج بيد الاستحقاق عن حده؛ تكاد المنابر تعود للنشأة الأولى طربا لسجع بيانه، يُسهب ويقول الناس لئنه لا اختصر، ويودون لو ليس كل يوم سواد أهبتة وزيد فيه منهم سواد القلب والبصر؛ وعارضه من العظاء الكفاة من نوى بدلا فأبى حنوا الدولة إلا عظفا، ونازله وأرد من القضاء ولكن أنزل الله عليه مع القضاء لطفًا .

ولذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر على عادته في خطابة الجامع المذكور، وما يتعلق بذلك : من تدريس وتصدير، وتقرير وتقدير، وتأثيل وتأثير؛ ومحكوم بالتفويض إليه ومحكم، ومرسوم لا يُغير عليه ما رسم به وما رسم به؛ وأن يُمنع دليل

(١) الكلام هنا غير مستقيم ولعل الصواب «ولما كان فلان هو معنى الخ وكان الجامع الأموي هو الذي

الخ تعين أنه المسلم ليد .

الاعتراض ويُدفع ، وَيُكفَّ حَتَّى تَتَّصِلَ العِنايةُ بهذا البَيْتِ الذي هو من بَيوتِ أذنِ
اللهِ أَنْ تُرْفَعَ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ قَوْمًا أَحْسَنُوا صُحْبَةَ الدُّوَلِ فَسَعِدُوا ، وَنَبَّهُوا عَهودَ الخِدْمَةِ
لأَعْقَابِهِمْ وَهَجَّدُوا ، وَحَتَّى يَقُولَ هَذَا النَّجَلُ الظَّافِرُ بعدَ آبائِهِ وَأَخِيهِ : كَيْتَ أَشْيَاخِي
بِئَدْرِ شَهْدُوا .

فَلْيَعُدَّ حَدِيثَ مَنْصِبِهِ القديمِ ، وَلْيَقُمْ إِلَى تَشْنِيفِ الأَسْمَاعِ من تَبِيرِ لَفْظِهِ بأَهْمِيٍّ من
العقدِ النظيمِ ، وَلْيُقَكِّ أَسْرَى القُلُوبِ برواتبِ إشارَتِهِ : فَإِنَّهُ « الفاضلُ عبدُ الرَّحِيمِ » ،
وَيْبُكِ العُيُونِ بوعِظِهِ وَإِنْ أَقْرَاهَا بِمُشَاهَدَتِهِ ، وَلْيَحْرُصْ عَلَى نَخْرِ الدَّوَلَةِ الشَّرِيفَةِ بِهِ
كَمَا نَخَرَ سَيْفُ الدَّوَلَةِ بَابْنَ نُبَاتَتِهِ .

ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو على كل حال أدرب وأدرى بها ، وما استقرت
على قبض سيوفها يده إلا ورجعت الحقوق إلى نصابها ، وكذلك ما هو معدوق
بوظائفه : من مدارس علوم ، ومجالس نظر طامنا نظر في كتبها وهو الصحيح نظرة
في النجوم - لا يحتاج فيها إلى مطالعة الوصايا فإنه من كل أبوابها دخل ، ولا يمر بها
على أذنه فم المبلغ فإنها من فمه أحلى ومن تسويغ فمه أحل ؛ ولكن التذكار بتقوى الله
تعالى فيما يأتي ويذر أس جليل ، ووجهه تتفاضل وجوه الألفاظ من ذكره على لفظ
جميل ، وألفاظ الخطيب المتقى إذا وصلت من القلب إلى القلب وفَتَ بَرَى الغليل ؛
والله تعالى يمدُّه بالطَّافِة ، وَيُجْرِيهِ عَلَى عَوَائِدِ إِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ ، وَيُرْوِي بِصَوَابِ
كَلِمَةِ الأَسْمَاعِ وَبِصَوَابِ الغمامِ عُهُودَ أسلافِهِ .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة المسرورية بدمشق ، من إنشاء الشيخ صلاح
الدين الصفدي ، كتب به للشيخ « تقي الدين السبكي » بـ « الممقر الكريم » وهي :

الحمد لله الذى جعل تقي الدين عليا، وأوجده فردا في هذا الملا فكان بكل علم مليا، وأظهر فضله الجليل فكان كالصباح جليا .

نحمده على نعمه التى تكاثرت فأجملت الغائم، وتوفرت الألسنة على حمده فتعلمت أنبجاعها الحمايم، وتأثرت بموافيقها الأحوال فأخملت زهر الخمايل فى الكمايم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تُعكّر ما صفا من جلتها، ولا ريبه تُوعر ما تسهل من محجتها، ولا ظلمة باطل تُكدر ما أنار من حجتها . ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى جمعت فيه مكارم الأخلاق، وتفرد بمزايا منها أنه حبيب الخلاق، وشارك الأنبياء فى معجزاتهم وزاد عليهم بما أتيح له من خميس لم يعطهن غيره منهم على الإطلاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقهوا فى الدين، وحازوا الأجور لما جروا إلى جز الغلاصم من المُلحدين، وأنزلوا لما نزلوا أبطال الباطل والمعتلين من المعتدين ؛ صلاة يفوح نسيم رياها المتأرجح، ويلوح وسيم حياها المتضرج ؛ ما فرج العلماء مضايق الجدال فى الدروس، وقبّلت ثغور الأقاليم وجنات الطروس ؛ وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد، فإن المدارس - عمرها الله تعالى بالعلماء - لواقفها شروط، ولأهلها همم أنزلها بالنجوم منوط ؛ يغوصون بحور البحوث فى طلب الآلى، ويقطعون ظلل الظلام بالسهر فى حب المعالى ؛ سيما المدرسة المسرورية : فإن واقفها - أتابه الله تعالى - شرط فى المدرس بها شروطا قل من يقلها، أو يتحلى بعقودها أو يحلها ؛ وكان مفرقها قد تحلى بتاج تجوهر، ومغلقها قد ضم منه فاضلا تمهدت به قواعد المذهب لما تمهر ؛ فأعرض عنها، ونفض يده منها ؛ رغبة فى الإقبال على شأنه، وأقطعا إلى مالك الأمر وديانته ؛ فخلا ربعا من أنسه، وكادت تكون طللا بعد درسه .

وكان فلانٌ - أسبغ الله ظله - قد وافق بعض ما فيه شرط الواقف ، وشهد
بشعر علومه البادية والعاكف ، وطاف بكعبة فوائده كل طائف ، ينصرف عنه
باللطائف ؛ وأما "التفسير" فإنه فيه آية ، وأما "الحديث" فإنه الرحلة في الرواية
والدراية ؛ وأما "الأصول" فإنه زار بـ «الرازي» حتى آخفى ، وأما "الفقه" فلو شاء
أملئ في كل مسألة منه مصنفًا ؛ وأما "الخلافة" فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ
المذاهب ، وأما "العربية" فـ «الفارسي» يعترف له فيها بالغرائب ؛ إلى غير ذلك من
العلوم التي هو لها حامل الرأي ، وله بالتدقيق فيها أتم عنايه ، وإذا كان أهل كل علم
في المبادي كان هو في الغاية .

فذلك رسم بالأمر العالی - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه كذا وكذا : وضعا
للشيء في محله ، ومنعا لتاريخ ولاية غيره أن يفجأ في غير مستهله ؛ فالآن أمسى
الواقف مسرورا على الحقيقه ، والآن جرى الخلاف فيها على أحسن طريقه ؛ وهو -
أسبغ الله تعالى ظله - أجل خطرا من أن يذكر بشيء من الوصايا ، وأعظم قدرا
من أن تدل المعية على نكته الخفايا ؛ لأنه بركة الإسلام ، وعلامة الأعلام ،
وأوحد المجتهدين والسلام ؛ والله تعالى يمتع المسلمين ببقائه ، ويعلى درجات ارتقائه ؛
وانخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه ؛ إن شاء
الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الناصرية الجوانية ، من إنشاء الصلاح
الصفدي أيضا ، كتب به للقاضي ناصر الدين «محمد بن يعقوب» كاتب السريومند
بالشام ، حين عاد إلى تدريره بعد انفصاله عنه ، بـ «المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذى بدأ النعم وأعادها ، وأفاء المنن وأفادها ، وزان المناصب السنية
 بمن يليها وزادها ، وشاد عماد المعالى بأربابها وصانها عماد دهي .

نحمده على نعمه التى بدأت بالمعروف وتمت ، وخصصت بالإحسان وعممت ،
 وبرأت من النقايس وسلمت ، وفلت بالأطاف الحفية صوارم الحوادث وثلمت .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضىء بها الحنادس ، وتركو
 بأنواعها منابت الإيمان والمغارس ، وتسمو بأقتنائها إلى عيّن النفوس النفايس ،
 ويرغم المؤمنون بإعلائها من الكفار المعاطس ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
 الذى تم للناس مكارم الأخلاق ، وأجمل بحود كفه الفياض صوب الغيث الدفاق ،
 وفضح البدر اللياح فى الدجى بنور جبينه البراق ، وتقدم النبين والمرسلين فى حلبة
 الشرف على جواد فضله السباق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلی من نصبوا
 للهدى أعلاما ، وأرقى من أصبح العلم لفضيلهم الباهر رقاما ، وأحلى من كان الزمان
 بوجودهم وجودهم للعقاة أحلاما ، وأقوى من كان الإيمان بهم إذا استنجد على
 الكفر أقواما ؛ صلاة لا ينقد لها أمد ، ولا يقنى لها مدد ، ما شب بارق ونمد ،
 وشفى الغام طرف زهر من الرمى ؛ وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن مدارس العلم الشريف لها الذكر الخالد ، والشرف الطارف والتألد ؛
 بها تتبين فوارس الجلال فى مضائق الجدال ، وتتجلى بدور الكلام فى مطالع الكمال ،
 وتبدو شمس الجمال فيما لها من فسيح المجال ؛ والمدرسة الناصرية - أثناب الله تعالى
 واقفها - هى الواسطة فى عقودها ، والذرة الثمينة بلا كفى لها بين قيم تقودها ؛
 قد تدبج فيها البناء ، وتأرجع عليها الثناء ، وتخرج عنها الحسن فإن له بها مزيد
 آعتناء .

وكان المقر الفلاني قد نفض يده من عنائها، ورفض عن اختيار بهاء جنانها؛ وثنى طابته عن محاورتها، ورمى أمنيته من مجاورتها؛ فساء من بها من أهل العلم فراقه، وأوحشهم وجهه الذي أحجل البذور رونقه والبحر أندفاقه، وفقدوا مكارمه التي ماسم «السمعاني» بمثلها ولا وصلت إلى «الصولي» ولا ضمتها أوراؤه .

فذلك رسم بالأمر العالی أن يعاد إلى تدريسها : لأن العود أمدح وأحمد ، والرجوع إلى الحق أسعف وأسعد .

فلباشر ما فوض إليه مباشرة ألفت من كمال أدواته ، وعرفت من جمال ذاته ؛ نأشراً أعلام علومه المتنوعه ، وفضائله التي تقصر عن الثناء عليها أنفاس الرياض المتضوعه ؛ فلو عاصره « ابن عطية » أمسك عنه في تفسيره ، أو « صاحب الكشاف » لغطى رأسه من تقصيره ؛ أو « الرافعي » لأصبحت رايه رأيه في الفقه خافضة رافعه ، أو « النووي » رحمه الله لاستعار منه زهرات روضته اليانعه ؛ أو « الأمدی » لما امتدت له معه في أصوله خطوه ، أو « ابن الحاجب » لما كان له مع ابن الحاجب خطوه ؛ أو « ابن يعيش » لما ذكره في النحو فكان فقيداً ، أو « ابن مالك » لأمسى « تسهيله » تعقيداً ؛ أو « الشبلي » لعلم أنه ما شب له في التصريف مثل شبليه ، أو « ابن عربي » لأعرب عن عجمه وما تمسك صوفي بجبله ، إلى غير ذلك من إنشاء إنشاء ساد فيه العبدین : « عبد الحميد » و « عبد الرحيم » ، ونظم كلما نظماً إلى رشفه طافت علينا قوافيه بكأس مزاجها من تسنيم ، وعلى الجملة فتفصيل معارفه يضيق عن فضاها فضاء هذا التوقيع الكريم ، وسرد محاسنه لا تتسع له حواش ، هذا البرد الرقيم ؛ ولكن أشارت أمملة القلم منها إلى نبذه ، وعلمنا أن القلوب تستأق إلى أوصافه فقلدنا لها من ذلك فلذنه .

(١) لعله « عن تفسيره » .

وأما الوصايا فمنه لا يدكر بشيء منها ، ولا يقال له : دَع هذه الودعة وهذه الدرّة صنّها ؛ لأنّ الأمر والنهي له في ذلك ، وإذا أطلع بدور وصيّة ضوّاً أحوال الدياجي الحوَالِك ؛ ولكن تقوى الله عز وجل ذكرها في كلّ توقيع طرازه المعلم ، ونكسته التي طودها لا يثمل وحدها لا يثلم ، فليكن مستصحب حالها الحالى ، مستصعب فراقها الذى يهونه البال البالى ؛ والله تعالى لا يخلى رُبوع العلم من أنسه ، ويجعل سعده في غد زائداً كما زاد في يومه على أمسه ، والخط الكريم أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة النورية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، كتبت به لقاضى القضاة «نجم الدين الحنفى» بنزول والده عنها بـ«الجناب الكريم» وهى :

الحمد لله الذى أتمى أهلة العلم فأبدرت ، وفروعه فأثمرت ، ونجومه فاستقلت
مطالعها النورية وتورّت ، ولآلئه فى بحار اللفظ والفضل فتجوهرت ، وأنهاره التى
أخذت فى المدّ ماخذ تلك البحار فاسترحبت وأستبحرت .

نجمه على نعمة التى قرّت وقرت ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة إذا خصّلها اليقين وفرت ، وإذا نصّلها الإخلاص مضت فى أوداج الباطل
وفرت ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الحاكّم فى فصل الأفضية لمّا شجرت ،
والناظم دُرر الإيمان حتى زهت فى أعناق العقائد وزهرت ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه فبئس الحق التى ظهرت وطهرت ، وعصاة الإسلام التى سرت خلفها

(١) مستعار من نصل السيف والرمح والسهم ركب فيه النصال وهو حديد .

سرايا الدين نهجرت في الله ونصرت، صلاة طيبة تحلو إذا تكررت، وتحيّة باقية تُشرق شمسها إذا الشمس كورت، وتعبق نفحات نشرها إذا الصحف نُشرت .

أما بعد، فإنّ منازل العلم من خير ما أبقى الآباء للأعقاب، وأكل ما ذخر لنجباء الأبناء على مدى الأحقاب، وأعدل ما شهد بلسان حاله المتمثل أنّ وكر العقاب لابن العقاب؛ وكانت المدرسة النورية الكبرى بدمشق المحروسة هي الواسطة والمدارس دُرر، والصُّبح وأوطان العلم غرر؛ ومنزلة الحكم الأرفع، ويث القضاء الذي أذن الله لصدره أن يُرفع، ومكان ذى اليد الماضى سيف حكمه إذا قُرعت العصا لذي الإصبع؛ وذات العباد التي أدخرها لنجليه، وأعدّ فضلها في العباد والبلاد لفضله؛ وكان ذلك قد نزل لولده فلان عن الحكم على هذا الحكم، ونطق بمزية الاستحقاق وقلوب بعض الأعداء صم بكم؛ ورغب - أجله الله - فيما يرغب فيه من الانقطاع ذوالسن العالى، والقدر العالى، وانتظم تقليده الشريف فكان أجود حلية على أحسن جيد حالي؛ ثم التوقيع بتدريس هذه المدرسة التي رُكّى في أهل الفضل شهيدها، ونظرها الذى خلف في حكمه ولى عهدته عن أبيه: فله أمين هذه الخلافة ورشيدها .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أنّ يفوض إلى فلان تدريس المدرسة النورية ونظرها: لاستحقاقه لها بسفعة منصب الحكم العزيز، ومنشأ الفضل الحريز، ووجيز النزول المكتتب، وقبول هبة والده الذى يعتاد أن يهب الجليل لمن يهب؛ وتشريفه بإنعامها النفيس، وإجلالها بها على مرتبة حكمه وإساطر نظره وسجادة تدريس؛ وعلمها بأن نجم ذلك النير أولى بهذه المنازل، وشبّل ذلك الأسد أحق

(١) لعله «وكان ذلك الامام الموصوف» أى والد نجم الدين .

(٢) نص أهل اللغة على أن السن بمعنى العمر مؤنثة .

بهذا الغاب المائل؛ وأنه كوكب هذا المذهب المنير، وإمام جامعته المعروفين: كبير وصغير، وصاحب شبيبة العزم المقتبل، والرأي الموفى على قياس الأمل؛ وتجنيس الجود والإجاده، وتكميل بحري العلم والبر واجتهاد الزيادة؛ وأنه ممن آتاه الله رفعة في القدر والأسم، وزاده بسطة في العلم والحسم؛ وأحكم بديهته علمه فما تستوقف الأسماع رويته، وأعلاه وعظمه فما هو النجم الذي تستصغر الأبصار رؤيته .

فليباشر تدريس هذه المدرسة ونظرها بعزمه الباهر وصفا، التالى بلسان الحمد: (وإبراهيم الذي وفى)؛ جارياً على أعراق نسبه المشهور، فائض اللفظ والفضل فإنه بحر من البحور؛ مظهرًا من مباحثه التي تقلد العقول بأبهى مما تقلد النحور، مهديًا من رأيه ومن بركة الواقف - رضى الله عنه - بنور على نور، والله تعالى زين بحممه أفق السيادة، ويزيد فيما وهبه من الفضل إن كان التمام يقبل زياده .



توقيع بتدريس المدرسة الريحانية الحنفية، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للفاضل «عماد الدين الحنفى» بـ«الجناب الكريم» وهو:

الحمد لله الذى جعل مدارس العلم بذات عمادها، وصاحب نفلها واجتهادها؛ ومُنشِر عهدها ومُنشئ عهادها، وواصل مناسبتها التي لو آدعها دونه زيد لكانت دعوى زيادها، ومُنصِح فتاويها على منبر قلم أهدر عوده ونفح وأطرب: فناهيك بثلاثة أعوادها!

نحمده على نعمة التي قضى الحمد بأزديادها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُعدّها النفس لمعادها، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله هادى الأمة

إلى سبيل رشادها ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِحَارِ الْعِلْمِ وَأَطْوَادِهَا ، مَا قَامَتْ
الطُّرُوسُ وَالسُّطُورُ لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ مَقَامِ بِيَاضِهَا وَسَوَادِهَا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِمَذَاهِبِ الْعِلْمِ رِجَالًا يَوْصَحُونَ طُرُقَهَا ، وَيَمْدُونَ فِي الْمُبَاحِثِ طَلْقَهَا ،
وَيَعْمُرُونَ مَدَارِسَهَا : فَيَالِهَا مِنْ ذَاتِ دُرُوسٍ يَكُونُ الْعُمَرَانُ مُعْتَلِقَهَا وَمُعْتَبِقَهَا ! .

وَمَا كَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الرَّيْحَانِيَّةُ بِدِمَشْقٍ فِي أَيْدِي الْعُلَمَاءِ نُجْبَةً رِيْحَانِيَّةً ، وَشَقِيْقَةً
نَفْسٍ نَعْمَانِيَّةً ؛ مَاهُوْلَةً الْمَنَازِلِ وَالْمَنَازِلِ بِكُلِّ ذِي فَضْلِ جَلِيٍّ ، وَعِلْمٍ مَلِيٍّ ؛ وَوَصِيفٍ
كَرِيْمٍ ، وَنَفْسٍ نَفِيْسٍ يَتَلَقَّاهُ مِنْهَا رَوْحٌ وَرِيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيْمٌ ؛ وَخَلَّتِ الْآلَانَ مِنْ إِمَامٍ
كَرُمَتْ خِلَالَهُ ، وَعَظُمَتْ خِصَالُهُ ، وَمَضَى وَتَمَضَى وَمَا يَبْقَى إِلَّا اللهُ جُلَّ عَنْ الْحَوَادِثِ
جَلَالُهُ - فَتَعَيَّنَ أَنَّ تَحْتَارَ لِتَدْرِيسِ مَكَانِهَا مِنْ يَفْتَخِرُ بِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ ، وَيَتَشَيَّدُ
بِزِيَادَةِ عِلْمِهِ لِصَاحِبِ مَذْهَبِهَا أَوْعَافٌ مَا شَادَهُ زِيَادُ اللَّتْمَانِ ؛ مِنْ شَيْدِ الشَّرِيْعَةِ
الشَّرِيْفَةِ مَقَالُهُ وَمَقَامُهُ ، وَعِلَاقِ عِمَادِهِ إِلَى عُقُودِ الشُّهْبِ فَاللهُ مُرَادُهُ وَمَرَامُهُ ، مِنْ
لَوْعَاصِرِهِ «أَبْنِ الْحَسَنِ» لِحَسَنِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِقَدْرِهِ الْجَلِيلِ ، وَقَالَ عِنْدَ مُحَاضَرَةِ بَحْثِهِ
كَمَا قَالَ «أَبُو يُوْسُفٍ» : فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ ؛ وَأَسْتِرَادٌ «شَمْسِ الشَّرِيْعَةِ» فَكَيْفَ «السَّرَاجِ»
مِنْ لَمْعِهِ الْبَرِيْقَةِ ، وَقَالَ «أَبْنِ السَّاعَاتِي» : مَا رَأَيْتُ أَرْفَعَهُ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ دَرَجَةً
وَلَا أَبْدَعُ مِنْ هَذَا الذَّهْنِ دَقِيْقَةً .

وَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيْفِ - لِأَزَالِ عَالِيًا بِأَمْرِهِ كُلِّ عِمَادٍ ، زَاهِيًا بِمَحَامِدِ مُلْكِهِ
كُلِّ نَاطِقٍ وَجَمَادٍ ، أَنْ يَقُوِّضَ لِفُلَانٍ لِأَنَّهُ الْمَعْنَى بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْصَافِ
الْحُلُوَةِ إِذَا تَكَرَّرَتْ ، وَالْمَقْصُودُ بِالْفَاطِظِ إِذَا تَعَنَّنَتْ الْأَفْهَامُ وَتَيَسَّرَتْ ؛ وَالْمَعْوَدَةُ فَرَايِدُ
مُبَاحِثِهِ الْمَفْرَقَةُ بِ «إِذَا الْكَوَاكِبُ أَنْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ جَحَّرَتْ» ؛ وَإِمَامُ الْمَذْهَبِ
الْحَنْفِيِّ وَالْحُكْمِ الْأَخْنَفِيِّ ، وَحَصَاةُ الْقَلْبِ الَّتِي تَنْسِفُ بِإِشَارَتِهَا جِبَالَ «النَّسْفِي» ،
وَلِسَانُ النَّظَرِ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى بُعْدِهِ فَأَخْتَفَى فِي قُرْبِهِ الْمَشْرِفِيُّ ؛ وَصَاحِبُ الْقُنُونِ وَمَا

وَسَقَتْ ، وَأَفْنَانِ الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ وَمَا بَسَقَتْ ، وَنُعُوتِ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ وَمَا عَطَفَتْ
من البيان وَنَسَقَتْ .

فَلْيَتَوَلَّ تَدْرِيسَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْمُورَةِ مُؤَيَّدَ الْوَلَايَةِ ، مُجَدِّدَ الْبَدَايَةِ لِحَنِيفِيَّتِهَا
وَالنَّهَائِيَةِ ، سَاجِدًا قَلَمَ الْفَتَاوَى وَالْفُتُورَةِ كَمَا تَلَا كَرَمُهُ وَكَلِمَهُ آيَةٌ بَعْدَ آيَةٍ ، مُنْفِقًا مِنْ
أَلْفَاظِهِ حَتَّى اسْتَغْنَى عَنِ "الْكُتْرِ" وَصَاحِبِهِ ، وَيُرَدِّدُ فَرَعَ الْمَقَالِ عَلَى الْأَصْلِ وَطَالِبِهِ ،
وَيُعْرِضُ عَنْ أَعَارِيضِ "الْبَسِيطِ" ، وَيُغْرِقُ فِي أَفْكَارِ وَارِدِهِ "المَحِيطِ" . وَيَمِدُّ سِمَاطَ
الْعِلْمِ الَّذِي وَفَى بَعْدَ «الْقُدُورِيِّ» وَمَا خَانَ ، وَتَفْخَرُ بِقَاضِيهَا أَعْظَمُ مَدِينَةٍ فَمَا يُضْرِبُهَا -
فَقَدْ « قَاضِي خَانَ » ، وَتُنذِرُ الْمَقْدِمِيَّةَ مِنْ طَلَبَتِهِ فَوَائِدَ الْحَلَقَةِ ، وَيَنْتَقِلُ الْجَنَابَ
الْكَرِيمَ مِنْ تَقْدِيمَتِهَا إِلَى مَا هُوَ أَوْفَى فِي الْغَرَضِ وَأَوْفَرُ فِي النَّقْهَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ رُتَبَ
الْعِلْمِ بِهِ سُرُورًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ بِاسْتِطْلَاعِهَا كِتَابَ حُكْمٍ وَحِكْمٍ يَلْقَاهُ مَنْشُورًا .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «عِلْمُ الدِّينِ
أَبْنُ الْقَفْصِيِّ» قَاضِي قَضَاةِ دِمَشْقَ بـ «المَقْرُّ الشَّرِيفِ» وَهِيَ مِنْ تَلْفِيحِ كُتَابِ
الزَّمَانِ . عَلَى أَنَّهَا بِالْمَدْرَسِ أَلْيَقُ مِنْهَا بِالْمَصْدَرِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى عِلْمِ أُمَّةِ الدِّينِ إِلَى أَعْلَى الْغُرْفِ ، وَمَيَّزَهُمُ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي
يَسْمُو شَرَفُهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، وَأَوْضَحَ بِهِمْ مَنَهْجَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ فَعَلَا بِإِرْشَادِهِمْ سَبِيلَ
الْهُدَى وَأَنْكَشَفَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ مِنْ نِعْمَةِ الْمَتَوَاتِرَةِ كُلِّ حِينٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى إِحْيَاءِ مَعَاهِدِ
الْمَعَاوِدِ مِنْ حَدَا حَدَوِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ ، حَمْدًا يُظْهِرُ الْآيَاتِ الْمَحْمَدِيَّةَ وَالْبِرَاهِينَ ،
وَيَبْسُطُ ظِلَّ مَنْ هُوَ عَنِ الْحَقِّ لَا يَمِينُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَيَعْلَمُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُوتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ لِشَيْبَةَ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا فَكَانُوا أُمَّةً مُسْلِمِينَ ، وَالْعُمْدَةُ عَلَى أَقْوَالِهِمُ الَّتِي نَقَلُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالْجُمُعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي الْآفَاقِ مَنْشُورَةً ، وَرُبُوعُ الْفَوَائِدِ بِطَرِيقَتِهِمُ الْمُثَلَّى مَعْمُورَةً ، وَصُدُورُ الْمَعَايِدِ الشَّرِيفَةِ مَحْتَاجَةً إِلَى صِلَتِهَا بِكِفِّهَا الْفَرْدَ مَسْرُورَةً ؛ وَكَانَ فُلَانٌ - أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَضَاعَفَ جَلَالَهُ - هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ مُبَاشَرَتُهُ الْعُيُونَ وَالْأَسْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَأَشْهَرَ ذِكْرَهُ الْجَمِيلَ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرَمَاتِ وَأَطَاعَهُ مِنْ مُشْكَلِ الْمَذْهَبِ مَا هُوَ عَلَى غَيْرِهِ شَدِيدُ الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَأَضَحَّتْ فِضَائِلُهُ « الْمَدُونَةَ » وَلَفِظُهُ الْجَلَّابَ ، وَكَنَّفَهُ « الْمَوْطَأَ » لِلطَّلَبَةِ يُغْنِيهِمْ عَنْ مَعَاهِدِ « عَبْدِ الْوَهَّابِ » ؛ وَعَزِيْمَتُهُ لَا يَلْحَقُ غُبَارُهَا فِي الْمَعَارِكِ ، وَلَا يَظُنُّ خُدَامُ الْعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالْأَدْبِيَّةِ إِلَّا أُمَّ مَالِكٍ وَأَبْنَ مَالِكٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَجْمَعُ لِمَنْ بَرَعَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أَلْوَانِ الْمَنَاصِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيَرْفَعُ قَدْرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى التَّقْوَى مُؤْتَلِفَةٌ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَىهِ فِي وَظِيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقِ الْحَرُوسَةِ - عَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ - عَوَضًا عَنْ فُلَانٍ بِحُكْمِ نَزْوَلِهِ عَنْهُ بِرِضَاهُ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ النَّزْوَلِ الشَّرْعِيِّ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، عَلَى أَجْمَلِ عَادِهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ مَهْنَةً مَيْسَرًا أَسْوَةَ أَمْثَالِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَاتِهِ الَّتِي حُقِّتْ بِالْعُلُومِ ، وَافْتَخَرَتْ بِجُسْنِ الْمَنْطُوقِ الدَّلَّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ وَيَمُدُّ مَوَائِدَ عِلْمِهِ الْمَحْتَوِيَةَ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ،

وليبيّن ما يحفى على الطلبة بأوضح الدلائل ؛ وليؤدّ الفوائد الواصلة إلى الأذهان على أحسن أسلوب ، وليقرّر الأصول التي أمتدت فروعها بقواعد السنة المحمدية وفي ثمرها الحني تقوية القلوب ؛ وليكرّم منهم من يضح فضله لديه ويين ، وليبسّط همهم بقوله صلى الله عليه وسلم : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» . وليوضح طريق إرشاده ليسهل سلوكها عليهم ، وليجعل وفود فوائده في كل وقت وإصالة إليهم ، وليتبع «إمام دار الهجرة» في مذهبه المذهب ، وليخلد من صفاته الجميلة ما يذهب الزمان ولا يذهب ، وليسمح للفقهاء بمواصلة فضله الأعم ، فإنه أن يهدى به واحد خير من حمر النعم .

والوصايا كثيرة ومنه يطلب بيانها ، وبه تقوى أسبابها ويعلو بنائها ؛ ولكن الذكرى تنفع المؤمنين ، ويظهر [بها] سرّ خبرهم ويستبين ؛ وتقوى الله تعالى هي العروة الوثقى ، والخصلة التي بها يعظم كل واحد ويرقى ؛ فليواظب عليها ، وليصرف وجه العناية إليها ؛ والله تعالى المسئول أن يجعل علم علمه دائماً في الآفاق منشوراً ، وذكره الطيب على السنة الخلاق كل أوإن مذكورا .

المرتبة الثانية

(من توقع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها عدّة وظائف)

وهذه نسخ توقع من ذلك .

توقيع بقضاء العسكر بدمشق ، كتب به للقاضي شمس الدين «محمد الإخنائي»

الشافعي ، بـ «الجناب العالی» وهو :

أما بعد حمد الله تعالى مضاعف النعمة ، ومُرادِف رُتبِ الإحسان لمن أخلص في الخِدمه ، ومُجدِّدِ مَنازِلِ السَّعدِ لمن أطلعتْ كواكبَ آهتِامِه في آفاقِ الأُمورِ المُهمَّة ؛ والصلاة والسلامِ الأتمِّينِ الأَكْبَلينِ على سَيدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ الَّذِي بَشَّرَ بِنَصْرِ هَذِهِ الأُمَّة ، ووَعَدَ بِأَنْ سَيُكشِفُ بِهِ غَمَامَ كُلِّ غُمَّة ، وَأَنَّهُ يَتجاوَزُ عَنْ أَهْلِهَا بِشِفاعَتِهِ وَكَيْفَ لَا ؟ وَقَدْ أُرْسِلَ لِلعالمينِ رَحْمَهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةً تُجْزَلُ لِقائِهَا نِصيبَهُ مِنَ الأَجْرِ وَتُوفَّرُ قِسْمَهُ - فَإِنَّ أَحَقَّ الأَوْلِياءِ مَنْ تَأَكَّدَتْ لَهُ أَسبابُ السَّعادَةِ ، وَكَفانُاهُ بِالْحُسْنى وَزِيارَتِهِ ، وَبَلَّغناهُ مِنَ إِقبالِنَا غايَةَ مَآرِبِهِ وَمَطالِبِهِ ؛ وَعَريفَتِ مِنْهُ العُلومُ الَّتِي لا يُسَكُّ فِيها ، وَالنِّباهَةُ الَّتِي لا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ أَقْرابِهِ يُوفِّيها ؛ وَالخِبرَةُ الوافِيَةُ الوافِرَهُ ، وَالدِّيانَةُ الباطِنَةُ وَالظَّاهِرَةَ ؛ وَسارَ بِعُلومِهِ المِثْلَ ، وَسالَكَ مَسَلَكَ الأَوْلِياءِ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ ؛ وَأَعْتَبِرْتَ أَحْوالَهُ الَّتِي تُوجِبُ التَّقْدِيمَ ، وَأَخْتَبِرْتَ فِعْالَهُ الَّتِي ضاعَفَتْ لَهُ مَزِيدَ التَّكْرِيمِ .

وَكانَ فِلاَنٌ - أَدامَ اللهُ تَعالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي أَتَقَنَّ العُلومَ بَحْثًا وَتَهْذِيبًا ، وَبَرَهَنَ عَنِ المَسائِلِ الشَّرعيةِ بِأَفْهامٍ تَرِيدُها إِلى الطَّالِبينِ تَقْرِيبًا ؛ وَأَوْضَحَ عَوِيصَ مُشْكِلاتِها ، وَصَحَّحَ مِنَ الأَسْنِ العَرَبِ لُغائِها .

فَلِذَلِكَ رُسمَ بِالأَمْرِ العالِي - لا زالَتِ تَمسُّهُ بِالعِنايةِ مُشْرِقَهُ ، وَأَنْواءُ فِضائِلِ أَوْلِيائِهِ مُعَدِّقَهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِلاَنٌ فِي وَظيفَةِ قِضاءِ العِساكَرِ المَنْصُورَةِ الشَّامِيَّةِ : حَمَلًا عَلَى ما بِيَدِهِ مِنَ التَّزولِ الشَّرعيِّ ، عَلَى عِادةٍ مِنَ تَقَدُّمِهِ فِي ذَلِكَ وَقِعادَتِهِ ، وَمَعْلُومِهِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ الدِّيوانُ المَعْمُورُ إِلى آخِرِ وَقِيتٍ . فَهُوَ الحائِظُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لِلعِساكَرِ المَنْصُورَةِ نِعْمَ الصَّاحِبِ ، وَالْمُورِدُ عَلَى سَمْعِهِمُ مِنَ الأَحْكامِ الشَّرعيةِ ما يَقْتَدِي بِهِ الحاضِرُ وَالغائِبُ ؛ وَالقائِمُ بِأَعْباءِ العِساكَرِ المَنْصُورَةِ ، وَالْحائِظُ لِنِظامِ المَلِكِ الشَّريفِ عَلَى أَحْسَنِ صُورِهِ .

فليأشُر هذه الوظيفة المباركة وليحلَّ في قضاء العساكر المنصورة بطلعته السنية ،
وليفصل بينهم في الأسفار كل قضية ، ويعرفهم طرق القواعد الشرعية ، وليحترز
في كل ما يأتيه ويذرّه ، ويقصده ويحذره ، ويورده ويصدره .

والوصايا كثيرةٌ ومنه تُستفاد ، وإليه يرجع أمرها ويُعاد ، ولكن لا بدّ للقلم
من المرح في ميدان التذكار ، والتنبيه على منهاج التقوى التي هي أجمَلُ شعار ؛
والله تعالى يمنحه من إحساننا جزيل العطاء والإيثار ، ويُسمعه من أبناء كرمنا كلَّ
آونةٍ أطيب الأخبار ، بمنه وكرمه ! .



توقيعٌ بنظر جامع يلغا اليحياوى ، كتب به للا مير جمال الدين « يوسف شاه »
العمرى الظاهرى بـ « بالجناب الكريم » وهو :

أما بعد حمد الله الذى أظهر جمال الأتقياء في كل مشهدٍ وجامع ، وقدمه بما أولاه
على كل ساجدٍ وراكع ، وخصه من فضله بما قصرت عنه الآمال والمطامع ؛
والصلاة والسلام الأتمين الأجلين على سيدنا محمد عبده ورسوله مؤلى الخير الواسع ،
والإحسان المتتابع ، ومن أحياناً جود جوده النفوس وسر القلوب وأطرب ذكرك
عظاته المسامع ؛ وعلى آله وصحبه النجوم الطوالع ، والذين أودعهم العلم الذى آتاه
لإقامة دينه من لا تحيبُ لديه الودائع ؛ والتشريف و [الإكرام] ، والتبجيل
والإعظام - فإن أولى من رعيننا له حق الخدم ، ووقوفه في الطاعة الشريفة على
أثبت قدم ؛ من قام بما لم يقم به غيره ، وحسنت سيرته وسيره .

وكان فلانُ أدام الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته ؛ ممن جمل الممالك
ودبرها ، وضبط أموال الأوقاف وحررها ؛ وأرتفع على الرؤوس ، وحصل أموال

الأوقاف التي فطر تحصيلها أجداد الخوثة وسر من مستحقيها النفوس - تعين أن نعرف له مقدار الذي لا يخفى، ونوفيه بعض حقه فإنه الذي بالإحسان قد أوفى .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يقبل على فضل وليه ، ويضاعف له البر المستمطر من غيث جوده ووليّه - أن يستقر فلان في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليأشر هذه الأوقاف ، وليسلك فيها طرق العدل والإنصاف ، وليتبع شرط واقفها - رحمه الله تعالى - المجمع على صحته من غير خلاف ؛ وليحى ما تسعت وتخرب في الجامع المشار إليه وأوقافه بعين بصيرته ، وليتم بالمعروف من معرفته ؛ وهو أعزه الله تعالى أولى من بشره ، وعمر دائره ، وأحرى من تحرى مباره ومآثره ، وميز أوقافه ، وتدارك بتلافيه تلافه . وهو غني عن شرح الوصايا فإنها من آدابه تُعرف ، ومن بحر أدواته تُعرف ؛ وملاكها تقوى الله تعالى الرؤوف ، فليكن على مستحقي هذا الوقف عطوف ؛ والله تعالى يُجزل له أجرا ، ويجعل له ما يفعله من الخير ذخرًا .



توقيع بنظر تربة أرغون شاه ، كتب به « لقبا السيفى بوطا ، بالجناب العالى »

وهو :

أما بعد حمد الله الذى بلغ الأولياء من مبراته الأمل والإرادة ، وألقى مقاليد الأمور إلى من استحق بحسن مباشرته الزيادة ، والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب لواء الحمد والنصر ، ومن جاءت آيات تفضيله كفلق الصبح وجملت محاسنه كل عصر ؛ وعلى آله وصحبه الذين نصره فنصرهم

الله ، وحجبه بأنفسهم عن البأس ولم يحجبه عن الناس لخص جناحه لمولاه ؛
والتشريف والتكريم ، والتبجيل والتعظيم .

ولما كان فلان - أدام الله تعالى نعمته - هو المعروف بالأوصاف الجميلة ،
والمنعوت بالنعوت التي أتت في وصفه بكل فضيلة .

فلذلك رسم بالأمر العلى - لازال إحسانه عميا ، وفضله لذوى الاستحقاق أبدا
مقيما - أن يستقر فلان في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته ،
بالمعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليباشر ذلك بهمة العلية ، ونفسه الأبية ، والوصايا كثيرة وأهمها التقوى :
فليلازم عليها فإنها تحفظه ، وبالسيادة تلاحظه ؛ والله تعالى يكمل توفيقه ، ويسهل
إلى نجاح المقاصد طريقه ، بحمد وآله ! .



توقيع بتدريس الجامع الأموى عودا إليه ، من إنشاء جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للقاضى «نفر الدين المصرى» وهو :

أما بعد حمد الله معيد الحق إلى نصابه ، والغيث إلى مصابه ، والليث - وإن
غاب - إلى مستقر غايه ، وشرف المكان إلى من هو أحق وأولى به ، وبحر العلوم
إلى دوائر محافله فى الدروس وإلى قوى أسبابه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذى هاجر فرجع بغنيمته وإيابه ، وطلع من ثنيات الوداع طلوع البدر المشرق
فى أنشاء نصابه ؛ وعلى آله وصحبه الشائمين سبل صوبه السالكين سبل صوابه ،
ما قطف من غصون أقلام العلماء ممر "البيان والتبيين" متشاهما وغير متشاه -

فَإِنَّ شَرَفَ الْكَوَاكِبِ فِي سَيْرِهَا وَرُجُوعِهَا ، وَنَمُوَّ تَشَعُّلِهَا مَا بَيْنَ قَتْرَةٍ مَغِيْبِهَا
وَطُلُوعِهَا ؛ لَا سِيَّيَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُهْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَيُقْتَدَى بِأَثَارِهِمْ ، وَمَصَابِيحُ الْحَقِّ
الَّتِي تُقَدِّحُ وَلَا يُقَدِّحُ فِي أَزِيدَةِ أَفْكَارِهِمْ .

وكان من قُصِدَ بهذا التَّلْوِيحِ ذِكْرُهُ ، وَعُرِفَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ نَخْرُهُ ؛ قَدْ
حَمِدَ بِمَجَالِسِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمُومِيِّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ سَلَفِ أَعْيَانِهِ ، وَقَامَ بِوُجُودِ الدَّلِيلِ
عَلَى وُجُودِ مَاضِي بُرْهَانِهِ ، وَجَادَلَ لِسَانُهُ وَقَلَمُ يَدِهِ عَنِ الشَّرِيعَةِ : وَغَيْرُهُ مِنَ الْعِيِّ
لَا مِنْ يَدِهِ وَلَا مِنْ لِسَانِهِ ؛ ثُمَّ هَجَرَ مَكَانَهُ هِجْرَةً عَلَى الْعُدْرِ مَحْمُولَةً ، وَهَاجَرَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ
تَعَالَى وَحَرَمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِجْرَةً مَقْبُولَةً ؛ وَرَأَى بَعْضَ الصَّبِيَّانِ التَّقَدُّمَ إِلَى
رَبَّةِ الشَّيْخِ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَأَنَا مِنْ مَحْطُوبَاتِ الْكَافِرِ فَأَنَا مِنْكَ وَلَا أَنْتَ
مِنِّي ؛ ثُمَّ حَضَرَ إِلَى مَحَلَّةِ الْكَرِيمِ مِنْ غَابٍ ، وَرَجَعَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ الْأَمْثَلِ بِهِ : وَمَا كَلَّ
حَمَزَةَ أَسَدِ اللَّهِ فَلَيْسَ كُنَّ فِي ذَلِكَ الْغَابِ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ صَلَاتُ مَرَّاسِمِهِ جَمِيلَةً الْعَوَائِدِ ، جَلِيلَةً
الْفَوَائِدِ ؛ وَأَقْلَامُهَا أَغْصَانُهَا مَمْدُودَةٌ بِهَا الرِّزْقُ فَهِيَ عَلَى الْوَصْفَيْنِ مَوَائِدُ - أَنْ يَسْتَمِرَّ
عَلَى عَادَتِهِ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِبْطَالُ مَا كُتِبَ بِهِ لِغَيْرِهِ : عَمَلًا بِاخْتِبَارِ الْحَاضِرِ ، وَاخْتِبَارِ
نَظَرِ النَّاطِرِ ؛ وَعِلْمًا بِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ لِمَنْ لَهُ إِتْقَانُ عَقْلِهَا وَنَقْلُهَا ، وَتَلَاوُفٌ فِي مَوْضِعِ
الْوَقْفِ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) .

فَقُولُوا لِلْمَنْعُوقِ : مَا كَلَّ عَزَّ بِدَائِمٍ ، وَلَا كَلَّ ذِي طَلَبٍ بِكَمَالِ الْوُجُوبِ قَائِمٍ ؛ وَمَنْ
أَيْنَ لَهُذِهِ الرَّتْبَةُ مِثْلُ هَذَا الْكُفِّ الَّذِي آشْتَهَرَ نَخْرُهُ ، وَزَهَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ شَامُهُ
وَمَصْرُهُ ؟ ؛ وَهَذَا الْإِمَامُ ، وَكُلُّ مُضَاهٍ مَأْمُومٍ ، وَهَذَا الْمِقْدَامُ ، تَحْتَ عِلْمِ الْعِلْمِ وَكُلِّ
مُبَاهٍ مَهْزُومٍ ؛ وَهَذَا النَّائِبُ وَكُلُّ نِدِّ مُشَرَّدٍ ، وَهَذَا الْكَامِلُ وَكُلُّ ضَدِّ مُبَرَّدٍ .

فليستمر على عادته الجميلة مجتلاً لزمانه ومكانه ، مكملاً في وشائع العلم ما يثبى
« ابن الصَّبَّاح » من ألوانه ؛ ما لكأ لما حرره « الشَّافِعِي » ، جازما بفعل مانصبه
« الرَّافِعِي » ، سامياً عن وفاء الواصف : فسواء في ذكره إسراف بيان أو إسراف عي ؛
شاملاً للطلبة المعتادين بعطفه ، مقابلاً للمستفتين بطائفه وأطفه ؛ باحثاً عن دُرر
الجدال بفكره إذا بحث قلم بعض المجادلين عن حنقه بظلفه ، داعياً لهذا الملك
الصالحى فإنَّ دُعاء العالم الصالح سُورٌ من بين يديه ومن خلفه ؛ والله تعالى يُجْريه
على خير العوائد ، ويمده باقبال النعم الزوائد ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بتدريس المدرسة الدماغية بدمشق ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضى
جمال الدين « أبى الطَّيِّب ، الحسن بن على » الشافعى ، وهو :

أما بعد حمد الله رافع منادى العلم بمفردده ، وببنت التقي بقافية سُودده ، ونظم
المفاخر من إذا قيل : « أبو الطَّيِّب » أصغى الحفل لمنشده ، ومشهد الفضل بإمامه :
وحسبك من يكون « الحسن بن على » إمام مشهده ؛ والصلاة والسلام على سيدنا
محمد عبده ورسوله سيد الخلق وسنده ، وعلى آله وصحبه السائرين فى العلم والحلم على
جده ، ما سحَّب نسيم الرِّوض برده وأفتقر لعس السحاب عن تغر برده - فإنَّ للعلم
أبناءً ينشئون فى ظلاله ، ويسكنون فى حلاله ، ويفرقون للخلق بين حرام المشتهيه
وحلاله ، ويجمِّلون وجه الزمان : فلا عدم الزمان منهم جمال وجهه ولا وجه جماله ؛
ترتشف شفاة المدارس من كلمهم كلَّ عذب المساع ، وتشافه منهم كلَّ ذى فضل
ما هو عند البلاغ ببلاغ ، وتُشاهد ما خُصوا به من الشرف والرأسه فلا تعجب أن
محلهم منهما محل الدماغ ! .

وكانت المدرسة الشافعية الدماغية بدمشق المحروسة رأساً في مدارس العلم، وهامة في أعضاء منازل ذوى الحكم والحلم؛ لا تسمو هممتها إلا بكل سامى العمامة، هامى الفضل كالفمامة، ساجع اللفظ إلا أنه أبهى وأزهى من طوق الحمامة، كائد للملحد مكريم للطالب ولا كيد لابن الخطيب ولا كرامه - واسطة بين العادلة والأشرفية تليق بمن يكون عقده كلامه المثنى، ونظامه الأمكن، وبيانه المنشد "أجارة بيتينا" يعنى بيت النسب وبيت المسكن .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لازال يحدد لوجوه العلم جمالا، ولوجوب الحمد نوالا، ولوجود الفضل كرما ما قال قط ولا نوى: لا - أن يفوض إلى فلان - أيد الله مجده، وحرس للسلمين أباه وأعلى بالسعادة جده - تدريس المدرسة الدماغية المذكورة: لأنه جمال العلم المعقودة على خطبته الآمال، المعدوقة بمقدمات فضله وفضله نتائج الأقوال الصالحة والأعمال؛ المحبوبة إلى الله والخلق سيماء وشيمه ولا نكر: فإن الله جميل يحب الجمال؛ ولأنه العالم الذى إذا قال لم يترك مقالا لقائل، وإذا شرح على قياسه أنى بما لم تستطعه الأوائل؛ وإذا جرى العلماء كاد «إمام الحرمين» يقول: أنا المصلى وأنت السابق، «والغزالي»: من لى أن أنسج على منوال هذا اللفظ الرائق؟؛ «وآبن دقيق العيد»: لبت لى من هذه الدقائق بلغه؟، و«آبن الصبأغ»: هذا الذى صبغه الله من المهدي عالما! ومن أحسن من الله صبغه؟؛ ولأنه العالم الذى أحيا ذكر «آبن نقطة» بعد مادارت عليه الدوائر، وأغنى وحده دمشق عن من أنى فى النسب «بعساكر»، ولأنه فى البيان ذو الانتقاد والانتقاء، والعربى الذى إن كان لرقاب الفضلاء «آبن مالك» فإن قرينه «أبو البقاء»؛ والكامل حسبا، ومثل جيده المنقود لا يهرج، والواصل نسبا، ومثل فرعه بعد أصله: «ولله أوس آخرون ونخرج» .

فليباشر هذا التدريس بعزائم سريته ، ومباحث تستنار منها معارف القول التبرية ،
وطرائف لا تحبس بدمشق على نقداتها المصريه ، ولينصر مذهب الإمام الشافعي
رضي الله عنه فإن قومه الأنصار ، وليخفص جناحه للطلبة فطالما خفصت الملائكة
أجنتها ليصير فلا تحجب أن صار ! ، وليفدوا فديته وهو قاعد أضعاف ما أفادهم صاحب
المكان وهو واقف ، وتقوى الله عز وجل أولى ما طالع في سره وجهه من "عوارف
المعارف" والله تعالى يمدّه بإسعاده ولطفه ، ويحوطه بمعقبات من بين يديه ومن
خلفه ، ويضيء بارق كلمه الصيب ، ويطرب أسماع الطلبة بالطيب من معاني
« أبي الطيب » .



توقيع بتدريس المدرسة الركنية الحنيفة بظاهر دمشق ، كتب به للقاضي
بدر الدين « محمد بن أبي المنصور » الحنفي بـ «المقر العالی» وهو :

أما بعد حمد الله الذي أطلع بدر الدين مشرقاً في منازل السعود ، وحرس سماء
مجده فلا يطيق من رام جنبها الاستطراق إليها ولا الصعود ؛ وجعل ركنه الشديد
في أيامنا الزاهرة المشيد وظله الممدود ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على
سيدنا محمد ذى الحوض المورود ، والكرم والجود ؛ وعلى آله وصحبه نجوم الهدى
وأعيان الوجود ، ما أورق عود ، وحمدت عقبى الصدور والورود ؛ صلاة دائمة
إلى اليوم الموعود - فإن أعلام الهدى لم تزل منشورة بمعالم العلماء ، وأقطار الأرض
ما برحت مشرقة بمن تستغفر لهم الحيات في البحر والملائكة في السماء ، وطول
الأرض إلى فضائلهم أشد اضطراباً وأحوج إلى القرب إليهم والانتفاء ؛ وكان فلان -
أدام الله تعالى تأييده - من بيت شهدت الأيام مفاحره ، وحمد الأنام أوائله وأواخره ،

وأصحت عيون الزمان إلى ماثره ناظره، وغصونُ الفنون بفرائده ناصره، وأوصافه
الخليلة للأبصار والبصائر باهره، وأصناف الفضايل من إملائه واردة صادرة .

فلذلك رُسم بالأمر العالی - زاده الله تعالى على العلماء إقبالا، وضاعف إحسانه
إليهم ووالى - أن يستمر المشار إليه فيما هو مستمر فيه : من تدريس المدرسة
الرُكنية الحنفيّة، بظاهر دمشق المحروسة، حملاً على ما بيده من الولاية الشرعية
والتوقيع الشريف: رعايةً لجانبيه وتوقيراً، وإجابة لقصده الجميل وتوقيراً، واستمراراً
بالأحقّ وتوقيراً .

فليباشِر ذلك مباشرة ألفت منه، وأشتهر وصفها الزكي عنه؛ وليوضح للطلبة سُبُل
الهداية، وليوصلهم من مقاصدهم الجميلة إلى الغاية؛ وليسلِّك طريقة والده، فإنها
الطريقة المثلى، وليتحلَّ من جواهر فرائده، فإنها أعلى قيمة وأغلى، وتُميل على
الاسماع فضائله التي لا تُملَّ حين تُملَّى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الخاتونية البرانية الحنفيّة بدمشق، كتبت بها
للشيخ صدر الدين «علي بن الآدمي» الحنفيّ بـ«الجناب الكريم» . وكأنّه في الأصل
لمن لقبه . «بدر الدين» لأنّ البدر هو المناسب لهذا الأفتتاح؛ فنقله بعض جهلة
الكتاب إلى «صدر الدين» كما تراه . وهذه نسخته :

أما بعد حمد الله الذي زان أهل العلم الشريف بصدر أخفى نُوره الشموس ،
وأعلاه - لما حازه من الشرف الأعلى - على الرؤوس ، وجعل كل قلب يأوى إلى
تبيان بيانه يوم الدروس ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكمين على سيدنا محمد الذي
أذهب الله ببركته عن هذه الأمة كل مكر وبؤس ، وخصهم في الدنيا بطيب

الحياة وفي الآخرة بسرور النفوس ، وعلى آله وصحبه صلاة مُمَثِّرة الغُروس - فإنَّ أولى من تتصرف إليه الهمم ، من تبدؤ دلائل علمه كنور لانا على علم ؛ وتسير فضائله في الآفاق سير الشُّموس والأقمار ، وتبرز إذا يُبديها صدره من حجبٍ وأستار .

وكان فلانٌ - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مُهَجَّته - هو الذي أُشير إلى ما حواه صدره الكريم من الفضائل ، وأشهر في دروسه بإقامة الحجج وإيضاح الدلائل ؛ وبرع في العلوم الدينيه ، وفاق أبناء عصره في الصناعات الأدييه ؛ وأنفق كثره على الطلاب ، فأصبح "عمدة المحدثين" وأمسى "مختار الأصحاب" ، «أبو يعلى» ينزل ببابه ، و «أبن عقيل» يرتد على أعقابيه ؛ و «أبن الحاجب» يرفعه على عينه ، و «الرازى» يدخر كسبه لوفاء دينه ؛ و «أبن بطة» يطير من مواقع سهامه ، و «مقاتل» مجروح بحد كلامه ؛ و «أبن قدامة» متأخر عن مجاراته ، و «الأثرم» يحرس عند سماع عباراته .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لازل يجمع لمن برع في العلوم من ألوان المناصب المختلفة ، ويرفع قدر القوم الذين قلوبهم على التقوى مؤتلفه - أن يستمر الجناب الكريم المشار إليه بالمدرسة الخاتونية البرانية الحنفيه ، حملاً على ما بيده من النزول الشرعى والولاية الشرعيه : لأنه الخلاصة التي صفت من الأقدار ، والعدّة ليوم الحدال إذا ولّى غيره الأدبار ؛ والمختار الذي جنت المناصب السنية إلى اختياره دون من سواه ، رغبة فيما آذخره من الفضائل وحواه ؛ "بدايته" "نهاية الطلاب" ، وعلومه "مخفة الأصحاب" ؛ إن حدث «فابن معين» بصحة نقله يحيى ، أو فسر «فجاهد» عن مجاراته يعيا ؛ و «الزحشرى» يبعد عن الحوار ، و «البغوى» يبتغى الوقوف على الآثار ؛ و «سيويه» عند ما يتخو يقصد "التسهيل" من لفظه المغرب المعرب ، و «أبن عصفور» يكاد يطير طرباً لما يُبديه من "المُرِص المطرب" ؛

و « أبو يوسف » أصبح بصُحْبَتِهِ مَنْصُورًا ، و « محمد بن الحسن » أضحى برُفْعَتِهِ
مَسْرُورًا ، هُوَ فِي الْقَدْرِ « علي » وَفِي الطَّرِيقَةِ « محمود » وَفِي الْعُلُومِ « محمد » ،
وَفِي النُّطْقِ وَالْحَرَكَةِ « سعيد » وَفِي النُّظَرِ « أسعد » ؛ وَفِي النُّضَارَةِ « النعمان »
و « طاوس » يَتَحَلَّى جِزَاءً مِنْ كِبَالِ خِصَالِهِ ، و « الحسن » يَقْتَدِي بِحَسَنِ فِعَالِهِ ؛ نَسَأَ
فِي الْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَكَفَلَهُ التَّوْفِيقُ وَزَانَتْهُ الْأَمَانَةُ ؛ فَهُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ ، وَمُسْتَخْلَصُ
دُرِّهَا الْمَكْنُونِ وَمُظْهِرُ سِرِّهَا الْمَكْتُومِ ؛ لَوْ رَأَاهُ « الإمام » لَقَاسَ عَلَيْهِ بِالشَّمْسِ
الْمُنِيرَةِ ، وَلَوْ عَاصَرَ الْأَصْحَابَ لَعَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِهِ قَرِيرَةً .

فَلْيَبْأِشِرْ هَاتَيْنِ الْوُظُفَيْنِ اللَّتَيْنِ آكْتَسَبَتْهُ بَعْدَ نُورِ الشَّمْسِ جَلَالًا ، وَلْيُلْقِ عُلُومَهُ
الَّتِي يَقُولُ الْقَائِلُ عِنْدَ سَمَاعِهَا : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَابَ ، وَلْيُعَلِّمِ الطَّلِبَةَ إِذَا أَدْهَشْتَهُمْ
كَثْرَةُ عُلُومِهِ أَنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ، وَلْيَتَكَرَّمْ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الْإِفَادَةِ فَإِنَّ عَلِيًّا هُوَ
الْكَرِيمُ ، وَلْيَفُقْ فِي مَبَاشَرَةِ النَّظَرِ كُلِّ مَثِيلٍ وَنَظِيرٍ ، وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ؛ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى
عِمَارَةِ مَعَاهِدِهَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَدَاءِ الْوُظَائِفِ بِحَسَنِ مَلَا حِظَّتِهِ ؛ لِيَزِدَادَ عِنْدَ الْخَلِيقَةِ
جَلَالًا ؛ وَفِيهِ - بِمَجْدِ اللَّهِ - مَا يُغْنِي عَنْ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا ، وَيُعِينُ عَلَى السَّدَادِ وَفَصْلِ
الْقَضَايَا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْخَيْرُ بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَالصَّدرُ الَّذِي لَا يَعْدُو الصَّوَابَ
فِي وِرْدٍ وَلَا صَدْرٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسِّرُ الْقُلُوبَ بَعْلُو مَرَاتِيهِ ، وَيُقِرُّ الْعُيُونَ بِبُلُوغِ مَقَاصِدِهِ
وَمَآرِيهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



تَوْقِيعٌ بِحَطَابَةِ جَامِعِ جِرَاحٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لـ « شَرَفِ الدِّينِ بْنِ
عَمْرُونَ » بِـ « الْمَجْلِسِ الْعَالِي » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي قَسَمَ لِلنَّابِرِ شَرْفًا يَتَجَدَّدُ ، وَعَطَفًا مِنَ الْفُصْحَاءِ يَتَأَكَّدُ ؛ وَعَلَمًا
مَرْفُوعًا لَا يَتَعَدَّى وَعَلَمًا مَنْصُوبًا لَا يَتَعَدَّدُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ النَّقْلَيْنِ

وصاحبِ القِبْلَتَيْنِ مُحَمَّد ، وعلى آله وصحبه القانتين القائمين الرُكَّع السَّجْدَ ، ما عَظَّمَ
خَطِيبٌ وَمُجَدِّدٌ ، وبدا في حِلْيَةِ سِيَادَةِ وَأَهْبَةِ خَطَابَةٍ وهو على الحالين مُسَوِّدٌ - فَإِنَّ
لصَّهَوَاتِ المنابرِ فُرْسَانَا ، ولصُّدُورِ المحارِبِ أَعْيَانَا ، ولِعُيُونِ المشاهِدِ أَنَا سِيَّ يَرَاعِي
منها الأستحقاقُ لكلِّ عَيْنٍ إِنْ سَانَا .

ولمَّا كان جامعُ جراحِ المعمورِ بِذِكْرِ الله تعالى مِمَّا أُسِّسَ على التَّقْوَى ، وَوُسِّمَ
بأهلِ الزُّهْدِ سِمَةً إِذَا ضَعَفَتِ السَّمَاتُ تَقْوَى ، بِجَمْعِ الصَّلْحَاءِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَمُتَّجِعِ
الْفُقَرَاءِ : فَنِعْمَ الجامِعُ لهم ونِعْمَتِ الزَّأْوِيَةِ ! ، وَمَفْرَعِ العُظْمَاءِ عِنْدَ اسْتِدْفَاعِ حَرْبِ
وَكَرْبِ ، وَمَطْلَعِ نُورِ الهُدَاةِ الَّذِي أَغْرَبَ فَاطَعَ نُجُومَهُمْ مِنَ الغَرْبِ - تَعَيَّنَ أَنْ
نُخْتَارَ لَهُ الخُطْبَاءَ والأئِمَّةَ ، وَنَتَخَبَ لِنُصْبِهِ مِنْ أَفْضَلِ الأُمَّةِ ، وَتَنَاسَبَ حُضْرًا مِنْبَرِهِ
بِصَاحِبِ عُلُومِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَإِمَامِهِمْ ، الْمَسْرُورِينَ بِهِ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ أَنَا سٍ بِإِمَامِهِمْ .
فُرْسَمَ بالأمر - لا زالت أَعْوَادُ المنايرِ بِذِكْرِهِ أَرْجَهُ ، وَأَعْلَامُهَا كالألْسِنَةِ بِجَمْدِهِ
لِهَجِهِ - أَنْ يَفُوضَ لفلان عِلْمًا بِاسْتِحْقَاقِ شَرَفِهِ لِهَذِهِ الرُّتْبَةِ ، وَصُعودِ
هَذِهِ الذَّرْوَةِ وَالْمَهْضَبَةِ ، ولأنَّه الأوَّلُ بِدرجاتِ الرُّتْبِ النَّفَاسِ ، والأجْدَرُ بِجَنَى فروعِهَا
المَوَائِسِ ، والإِمَامُ على الحَالِيْنَ إِذَا قامتِ صُفُوفُ المساجِدِ وَإِذَا قعدتِ صُفُوفُ
المَدَارِسِ ، والعَرَبِيُّ الَّذِي إِذَا رَقَى ذِرْوَةَ مِنْبَرٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ لَفْظَةُ فَارِسٍ ، وَالوَرَعُ
الَّذِي آثَرَفِي مَنَاصِبِهِ الباقِيَةَ على الفَانِيَةِ ، وَمَنَارِ الحُكْمِ المُضِيئَةِ على مَرَاتِبِ الحُكْمِ
المَاضِيَةِ ، وعلى مَجَالِسِ الدَّعَاوَى مَجَالِسِ الدَّعَوَاتِ ، وعلى مَقَامِ الصَّلَاتِ مَقَامِ
الصَّلَوَاتِ ، وعلى القَضَاءِ الفَرَضِ ، وعلى الرَّجْبَةِ ولو كَمَفْجِحِ القِطَاةِ مِنَ الأَرْضِ ،
وعلى عَرَضِ الدُّنْيَا القَلِيلِ جَوْهَرَ الفَضْلِ الكَثِيرِ ، وعلى "كِتَابِ أَدبِ القَاضِي"
"كِتَابِ الجَامِعِ الصَّغِيرِ" .

(١) لعله وعلى الرحبة المحل الأرقى ولو الخ

فليباشِرْ هذه الوظيفة المباركة : خطيباً تَدْرَأُ مواعِظُهُ الخُطُوبَ ، وَأَعِظًا من قَلْبٍ
تَقِيَّ تَصِلُ هدايا تُقَاهِ إلى القلوب ؛ فَصِيحًا تكاد المنايرُ تهتُرُ طَرَبًا ببيانه ، نَجِيحًا تكاد
أَجْنِحَةُ أعلامها تَطِيرُ فَرَحًا بمكانه ؛ شاملًا بنفحات فضله النَّوَّاسِمِ ، كاملاً ! لو تقدَّم
زَمَانُهُ لم يَقُلْ : « فلا الكَرَجُ الدُّنْيَا ولا النَّاسُ قَاسِمِ » ؛ والله تعالى يسدُّ أقواله
وأفعاله ، ويرفَعُ على المنابر والرُّتَبِ والمراتب مقامه ومقاله ، ويمتعه بهذه الرُّتَبَةِ التي
أشبهت معنى في الخلافة : « فلم يكن يصلحُ إلَّا لها ولم تكن تصلحُ إلَّا له » .

المرتبة الثالثة

(من تواريخ أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتتح بـ «رسم بالأمر» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواريخ من ذلك :

نسخة توقيع بالتدريس بالجامع الأموي والإفتاء به ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
أبن نباتة ، كتب بها للشيخ «نحر الدين المصري» آسمراراً ، بـ «المجلس العالي» وهي :
رُسم بالأمر الشريف - لا زال لدولته الفخر على الإطلاق ، والمن على الأعناق ،
والكرم لطالبي الإرفاد والإرفاق ، والتكريم والتقديم لدوى التأهيل والأستحقاق ؛
ولا بَرِحَتِ النعمُ الثابتةُ للساَجِعينَ بمدحه المطرب قائمةً مقام الأَطواق - أن يستقرَّ
فلانٌ نفع الله ببقائه ، ورفع عيون الأنجم لدرجات أرتقائه ؛ : لفوائده
التي سَمَّلتِ الورى ، وعلت الذرا ، وحمدت الأفهام عند صباحها السرى ، وقعد بها
مُسبِلُ ذيل الحياء وسار بذكره من لا يسير مُشمرًا ؛ ومزلتيه التي نصبت للهدى
عالمًا ، وألفاظه التي أعربت عن بدائع بهرت فما فتح بمثلها العلماء فَمَا ؛ وأستنباطه

الذى يقول للأول : قال وقلتم ، وأقام وزُتم ، واحتياطه الذى يقول للسائلين :
 أهبطوا من أنتساب حلقته مضراً فإن لكم ما سألتكم ، وأنه الفاضل الذى ما استنار
 بعلمه فتى فتاه ، والنافع الذى ما استطب بكلماته سقيم ذهن فلما تحركت شفتاه
 شفتاه ، كم جلس للأشغال فتى أنفس المارة عن أشغالها ! ، ونصر العلم فى حلقته
 المجتدة فكان من أمرائها المنصور ولم يكن للأنداد من رجالها ! ، كم سلم لبيان بحته
 الحقيقى والمجازى ! ، وكم سطر لمناظرتيه الحمديدية مع أهل الزينج سير ومغازى ! ،
 وكم خلص دينار فهمه المصرى على النقد فهيات أن يروز مثله «الرازى» ! ، كم فخرت
 مضراً بانتسابه ! ، ودمشق بسقيا سخابه ! ، وكم قال الرازى : لیت لی هذا الفخر
 فأروى فى الأول بفتى خطيبه وفى الآخر بفتى خطابه .

فليستمر - نفع الله به - على وظيفته المأثوره ، وحلقته التى نصبت على مصايد
 كلماته المشهوره ، ومائدة علمه المنصوبه وذبول منافعها فى الآفاق مجروره ،
 وليواظب على جلوسه بالجامع المنشرح المشروح ، ودرسه المتضمن فتح أبواب العلوم
 وغيره كما يقال : على المفتوح ، سالكا من نهج الإفادة مسالكا ، مكثرأ بأجنحة فتاويه
 الطيارة ما يسطر لديه من أجنحة الملائكة ، متصرفاً على عادة عبادته فى مواطن العلم
 والعمل ، مستنداً فى جلسته إلى سارية يقول لها وقاره وحامه : يا سارية الجبل
 الجبل ، داعياً لهذه الدولة الشريفة : فإن دعاء العالم مثله طائر لآفاق القبول من
 أوكار القبل ، والله تعالى يمدّه بعونه ولطفه ، ويحوط مجالس علمه بالملائكة المقرئين
 من بين يديه ومن خلفه ، بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة القصاصين ، من إنشاء ابن نبأته ، كتب به
 لفخر الدين «أحمد بن الفصيح» الحنفى المقرئ بـ«المجلس السامى» وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم من العلماء أخرهم ذكراً، وأحمدهم أمراً،
وأفصحهم نسب فضائل وفضائل نسب يقول الاستحقاق : كلاهما وتمرا - أن
يرتب فلان ... : لما شُهر من علومه السنيّة، وفوائده السريّة ؛ ووجوه فضائله
الحسنه ، وعيون كلماته المتبذرة إذا كانت بعض العيون مستوسنة ؛ ولأنّه غريب
في الوصف والمكان ، وصاحب علم لا يكاد يوجد له شقيق وإن كان منسوباً إلى
« النعمان » ؛ وإمام قراءات ثبتت له فيها على « أبي علي » الحجّه ، وتوصّحت ببيان
الحجّه ؛ وتعين محله الأثير ، وروى الطالب من علمه عن « نافع » ومن ذهنه
في الفوائد عن « ابن كثير » ؛ وأنه نخر الحنفية القائم في السمعة مقام « رازيها » ،
المطلّ بمنسر قلبه على المعاني إطلال بازياها ، « الأكل » الذي له من علوم صدره
خزانة ، « الصدر » الذي كل صدر يشهد له بعلو المكانة .

فليأشر تدرّيس هذه المدرسة المباركة : حقيقة يجلس صدرها ، خليقاً بتجديد
شرفها وذكراها ، مظهرًا للخبايا النكت في زواياها ، جديراً بأن يكون في خفايا
المسائل ابن جلاها وطلّاع ثناياها ؛ يملأ بيان بحوثه فكر الواعي وسمعه ، ويشير
ببنان قلم فتيانه ما يتجدد له من رفعة ، ويسطّ إدلال الطلبة حتى يأكلوا في القصاصية
معه في القصعة ؛ والله تعالى يسره من مدارس الحنفية بهذه البدايه ، ويقره بما
يتجدد من وظائفها التالية : (وما نريهم من آية) بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدرّيس المدرسة الطرخانية ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
للقاضي جمال الدين « يوسف الحنفي » بترويه من والده ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لازالت مواطن العلم مكملة بذكره ، مبعلة بأمره ،
 مؤهلة لكل يوسف الجمال يذكر عزيز شامه عزيز مضره - أن يستقر فلان في كذا ،
 بحكم ما قرره مجلس الحكم العزيز الشافعي ، ونعم المالك لمذهب شافع ، وأتباعا لما
 حرره الجناب الشريف التقوي ذو النسب الصحابي الذي كل أمره لأمره تابع ،
 وعملا بما رآه رأيه الكريم الذي إذا كان الجمال شافعا كان هو للجمال شافع ، وإذا
 أنشأ من أبناء العلماء فروعا [لا] تمل عليهم الأيام ميله ، وإذا وقفت في طريقهم
 الأنداد قال اقتصار نسبه الأنصاري : ^(٢) يأي الله ذاك وبنو قيلة ، وقبولا لنزول
 هذا الولد الذي أعرقت في آفاق العلم مطالعه ، وإقبالا على هذا الولد الذي نجحت
 في استحقاق التقديم مطامعه ، وعلما بنجابه هذا الفاضل الذي طاب أصلا وفرعا ،
 وقدم نفسه ووالده وترا وشفعا ، وهذا البادي الشيبية الذي يأمر بفضائله على
 الشيب وينهى ، وهذا الواضح الدلالة على مفاخر قومه : فبدا الدعوى وبينتها
 منها ، وهذا النجيب الذي قدمه أبوه منجبا ، وذكاؤه معجبا ، وقلمه في الأوراق
 معشبا ، وأشتغاله : إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت من محفوظات كُتبي
 ما يقارب أحد عشر كوكبا ، وإذا درس كان لطلبته ملاذا ، وإذا عانده معاند قال
 برفيع همته : يوسف أعرض عن هذا ، وإذا قرأ كتب فصاحت أذهل ذوى
 الألباب ، وإذا فتح لتفسير كتاب الله فاتحة ، عود بفضل : (ألم ذلك الكتاب)
 وإذا روى الأحاديث أطربت حقيقته السماع ، وإذا أخذ في دقائق النقل والعقل
 علم وعقل أن الفكرة صناع .

(١) في القاموس «أهله لذلك رآه له أهلا» .

(٢) هي قبيلة بنت كاهل أم الأوس والخزرج .

فليباشِر هذه المدرسة المباركة ببيان عربي وإن كان نَسبها طرخانياً، وعلم روضي لا يعرف العلماء شقيقه وإن كان مذهبه نعمانياً، ومباحث تَدِكِي نَارِ قَرِيحَتِهِ : فكم طَبِخَ لِأَنْدَادِهِ مِنْ أَصْحَابِ «الْقُدُورِيِّ» قَدْرًا ، وَلُزُومِ دَرَسِ يُسْرَ أَبَاهِ بِمَذْهَبِهِ : فَإِنَّهُ الْقَاضِي «أَبُو يُوسُفَ» خَبْرًا فِي الْحَقِيقَةِ وَخُبْرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُصَوِّنُ شَيْبَتَهُ الْمَقْبَلَةَ مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ ، وَيَنْفَعُ بَعْلُومَ بَيْتِهِ الَّتِي مِنْ شَكِّ مِنْهَا فِي الْحَقِّ فَكأنه من الحَدَثَانِ .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي، من إنشاء ابن نباتة، كتب به لـ «شمس الدين بن الخطيب» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت نِعْمُهُ ظَاهِرَةً الْفَضْلَ كَالشَّمْسِ ، طَاهِرَةً الْوُضُوحِ مِنْ دَنَسِ اللَّبَسِ ، وَآفِرَةً الثَّمَوِّ فَيَوْمَهَا قَاصِرٌ عَنِ الْغَدِ زَائِدٌ عَلَى الْأَمْسِ - أَنْ يَرْتَبَّ فَلَانٌ فِي كَذَا وَيَرْتَبَّ لَهُ كَذَا عَلَى الْمَصَالِحِ ، فكم لِلسَّالِمِينَ فِي جَامِعِ عَالِمِهِ مَصَالِحٌ ، وَفِي مَنَافِعِ قَصْدِهِ مَنَاحِحٌ ؛ وَفِي فَوَائِدِهِ نَصِيبٌ ، وَفِي طُرُقِ هُدَاةِ مَعَالِمِ : وَلَا تُشْكِرُ «الْمَعَالِمُ» لِأَبْنِ الْخَطِيبِ ؛ لِيَتَنَاوَلَ هَذَا الرَّأْيَ الْمُسْتَقَرَّ مِنْ أَحَلِّ الْجِهَاتِ وَأَجَلِّهَا ، وَتَكُونَ شَمْسُهُ الْمُبَارَكَةُ خَيْرَ شَمْسٍ تَجْرِي لِمُسْتَقَرِّهَا ؛ عِوَضًا عَمَّا نَزَلَ عَنْهُ مِنْ تَدْرِيسِ الْحَلْقَةِ الْمَعْدُوقَةِ بِصَاحِبِ حِمَصٍ وَتَصْدِيرًا بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ يَبْسُطُ بِهِ أَنْوَارَهُ الشَّمْسِيَّةِ ، وَيَتَقَلُّ أَسْمُهُ إِلَى إِمْرَةِ الْعِلْمِ بِدِمَشْقَ عِوَضًا عَنِ الْحَلْقَةِ الْحَمِصِيَّةِ ؛ فليَعْتَمِدْ مَا رُسم بِهِ ، وَلَا يَتَحَوَّلْ عَمَّا قَضَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ بِمُوجِبِهِ .

الضرب الثاني

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بالشام -

ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ « أما بعد حمد الله » وفيها وظائف)

توقيع بتدريس المدرسة النورية بدمشق ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،

كتب به للقاضي زين الدين « عمر البلقاني » بـ « المجلس العالی » وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل أوجوه العلم زيناً وأى زين ، وأقرلاً ما كنها عيناً
بمن يكون التنبية على فضل مكانته فرض عين ، ونشر أحاديثها بمن إذا حدث عن يد
تمكنه في العقل والنقل قيل : صدق « ذو اليمين » ، وأحيا مذاهبها بمن إذا عقدت
الخصاصر على أمثاله العلماء كان أول العقد وثاني الغيث وثالث « العمرين » ؛
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أوضح تبين الهدى وسنه ،
وأرهب شبا الحق وسنه ، وعلى آله وصحبه الذين منهم « علي » مفتاح مدينة العلم
و« عمر » سراج أهل الجنة ، ما جرت أقلام العلم والجود في هذه الأيام الصالحة
طلقة العنان مطلقه الأئمة - فإن أولى العلماء بمدارس علم لا خلت ، ومجالس
فهم عزت بأهلها فلا تعزلت ، ومشاهد عقل ونقل لا عقلت ألسنتها بعد مستحقها
ولا أنتقلت - من أضاءت مشكاتها النورية بمصايح كلمه ، وفتحت كالمها النورية
عن زهرات الهدى بقطرات قلبه ، وتذكرت بأوقاته الأخيرة عهد أهلها من هداة
الاسلام وأوقات ذى ساميه .

(١) صوابه بحص ، كما يؤخذ من التوقيع .

ولمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمَقْصُودَ بِخِلَاصَةِ هَذَا الْمَعْنَى، وَالْمُدْوَدَ إِلَيْهِ نَظَرُ هَذَا الْوَصْفِ الْأُسْنَى؛ وَالْعَالَمَ الَّذِي تَشَبَّثَ بِأَسْبَابِ مَحَاسِنِهِ بَلَدُ «الْحَرَمَيْنِ»، وَالسَّابِقَ وَإِنْ خَلَا وَقْتَهُ الطَّاهِرُ خَلْفَ وَقْتِ «إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ»؛ كَمَا أَجْتَنَى ثَمَرَ الْفَوَائِدِ مِنْ أَصْلٍ وَفَرَعَ!، وَكَمْ بَاتَ قَلْمُهُ مِنْ وَرَقِ فِتَاوِيهِ وَإِسْكَاتِ مُنَاوِيهِ بَيْنَ وَصْلِ وَقَطْعِ!؛ كَمَا صَدَقَ بَرَقُ بَدِيهِتِهِ الْأَفْكَارِ حِينَ شَامَتْ!، وَكَمْ نَبَّهَتْ عِنْدَ لَيَالِي الْمَشْكِلاتِ «عَمْرُ» ثُمَّ نَامَتْ!؛ وَكَمْ تَهَادَتَ نَظَرُهُ كُتُبَ الْعِلْمِ حَتَّى قَالَ «كِتَابَ الْأُمِّ»: نَعِمَ الْوَلَدُ النَّجِيبُ، وَقَالَ «كِتَابَ الرُّوضَةِ»: نَعِمَ أَخُو الْغَائِثِ الصَّائِبِ عَلَى رِيَاضِ الْقَوْلِ الْمُصِيبِ؛ وَقَالَ «الشَّامِلُ» مِنْ فَضْلِهِ: هَذَا طَلَبْتَهُ «نَهَايَةَ الْمَطْلَبِ»، وَقَالَ «التَّنْبِيهِ» عَلَى مَحَاسِنِهِ: لَيْتَ «النَّابِغَةَ» رَأَى فَدَرَى أَى الرِّجَالِ «المُهَدَّبِ» وَكَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الشَّهِيدِيَّةَ النُّورِيَّةَ بِمَحْضِ الْحَرُوسَةِ قَدْ شَهِدَتْ مَعَ مَنْ شَهِدَ بِفَضْلِهِ، وَسَعِدَتْ بِبُلْبُلِهِ؛ وَوُسِّمَتْ بِعَلَمِ عَالِمِهِ، وَسَمَّتْ سُمُو الشُّمْبَاءِ: هَذِهِ بِمَقَرِّ تَدْرِيسِهِ وَهَذِهِ بِمَجْلِسِ حِكْمِهِ؛ ثُمَّ زَارَ دِمَشْقَ زُورَةً تَشَوَّقَتْ [إِلَيْهِ] بَعْدَهَا تِلْكَ الْمَشَاهِدَ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَى الْعَوْدِ هَاتِيكَ الْمَعَاهِدَ؛ وَقَضَى الْوَفَاءُ أَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا أَحْسَنَ إِعَادَةٍ، وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْأَمَاكِنِ الشَّهِيدِيَّةِ الشَّاهِدَةِ بِرَبِّهِ فَتَكُونَ مِنْهُ عَادَةً وَمِنْهَا شَهَادَةً، وَأَقْتَضَى الْأَسْتِحْقَاقُ أَنْ يَرُدَّهَا بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ وَزِيَادَةَ وَأَحْسَنُ مَا وَرَدَ الْبَحْرُ فِي الزِّيَادَةِ •

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ، وَحَلَّى بِسَيْرِهِ الصَّالِحَةِ سَمْعَ الدَّهْرِ وَشَتَّفَهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلَانٌ فِي تَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ النُّورِيَّةِ بِمَحْضِ الْحَرُوسَةِ عَلَى

(١) يشير إلى بيت بشار في مدح عمر بن العلاء أحد عمال المهدي •

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبهه لها عمراً ثم نم

وبعد

فلا ينام على غرة * ولا يشرب الماء إلا بدم

عادته ، وعلى نهج إفاءته وإفادته ؛ بالمعلوم المقرّر له يجلس الحكم العزيز الشافعي
بدمشق المحروسة : رعايةً لتلك المعاهد النورية التي تتأرجح بها الأصول والبكر ، وأنوار
القبول القائلة لوفدها الطارق : «عليك سلام الله يا عمر» .

فليعد إلى هذه الوظيفة عود الحلي إلى العاطل ، وليقبل على رتبته المرتبة إقبال
الغيث على الماحل ، وليقل بلسان تقدّمه لمعانديه : إن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى
حخص في قابل ؛ ولينصّر بقاعها الحصىة بجلاذ جداله فإنها من أول جند الإسلام ،
وليقيم الآن في هذه الأوقات الشامية فإنه بركة الوقت والبركة في الشام ؛ مُمثراً من
أفلام علومه أزكى الغروس ، مظهرًا من مباحثه النفائس مبهجًا من طلبته النفوس ،
عامراً لمعاهدها بدروسه : ويا عجباً لمعاهد تعمر بالدروس ؛ ذاكرًا للوصايا الحسنة
التي لا تقص عليه فهو أخبر بها ، والتي من أولها وأولها تقوى الله تعالى وهي
بأفعاله أمسك من تفاعيل العروض بسببها ؛ والله تعالى يعضده في رحلته ومقامه ،
ويمتع الرتب تارة يجالس دروسه وتارة يجالس أحكامه ، ويروي صدق مصر
والشام من موارد علمه : هذه بأوفى من نيلها وهذا بأوفر من عمّامه .

المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بأعمال دمشق -

ما يفتح بـ«رسم بالأمر» ، وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بحسبة بعلبك : من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتب بها

لـ«شهاب الدين بن أبي النور» ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازلَّتْ شُهْبُ أوامره عالية السَّنا والسَّناء، وفيَّة لذوى
الاستحقاق بمزيد الأعتناء والأغْتناء، جليَّة البرِّ بمن شهد بحُسنِ حِسْبته حتى لسانُ
الميزان وفمُ الكيلِ وشَفَّةُ الإناء - أن يستمرَّ فلانٌ ... لِما ذكر من أوصافه التي
ضاعفت فيه الرَّغْبَة، وحالفت به سُمُو الرُّتْبَة، وشهدت بها حِسْبته تلو الشُّهود :
وحسبُك من أجمعت على فضله شهادة الفرض وشهادة الحِسْبَة؛ ولِما صحَّ من
كفائه وتجريبه، ووضَّح في هذه الوظيفة من تدرِيبه التي تدرى به؛ ولِما تعيَّن
من استمرارِ شِهابه في المنزلة التي تكتسب من أضوائه وتكتسب، وهذه الرتبة التي
تعلو بمعرفته : وكفاه أنه يرزق من حيث يحسب ومن حيث لا يحسب ! ؛ وأنه
فيها ذو الرأى الزائد، والنفع الوارد، والشهاب الذي نور هدها في وجه المرید وأثر
كحسبته في وجه المارد ؛ وأنه وليها ولاية لا تزال تُذكر وتُشكر، وعرف بوفائها
وكان أوفى من أمر بمعروف أو نهى عن منكر ؛ وأنه قام حق القيام حتى قال
البلد : رعى الله زمانك، وأجهد حتى قال الاعتبار للميزان : لا تذكر الزبغ
ولا تحرك به لسانك .

فليستمرَّ في حِسْبته المباركة استمراراً يستحلى ذكره، ويُستحلى في الأسمِ شِهابه
وفي السِّمة بدره، وليحسب في نفع المسلمين حِسْبَةً يحسبُ بها عند الملائكة ثناءه
وعند الملائكة أجره ؛ سالكا على نهج العزم الجميل، جاعلاً أول نظره من أقوات
الرعية في الدقيق والجليل ؛ مُستبيناً لما ألتبس من غشِّ المطاعم والمشارب فلم يستبين،
حاكماً - ولا سيمياً في قاعات بعلبك - برأى يفرق بين الماء واللبن ؛ حاثاً على بيع
الماكلِ بخبرة من مالا بصره، حريصاً على أن لا يُنشد لسان الداخلِ فيه « ومن لم
يمت بالسيف مات بغيره » ؛ دافعاً ضرر المُجتري البائع عن المُشتري المسكين، ذكياً
فيما يدك فيدحج بسكين ويذبح مُتناوله بغير سكين ؛ قاضياً بالحق في كل ما يُشتري

وبباع، متكلمًا في أنواع الملابس وغيرها بالبائع والذراع؛ وأزنا بالعدل في كلٍّ موزون ومكيول، رادعًا لكلِّ عمالٍ مدهين في كلِّ مدهون ومعمول، حاملاً على الحال المستقيم كلَّ حىٍ لديه وكلَّ من هو على آلةٍ حدباء محمول؛ ومن زاد في الإضرار فليمنع زائده، ومن زاد في الاشتطاط وتجبير الشراء فليقطع بالنكال زائده؛ ومن دسَّ في الأشربة فلا يلبث أن يُغلظ التأديب وأن يُريقه، ومن سقى الضعفاء منها كما يقال: سقيةً فليستقه من السوط ما يكاد ينثر جسمه على الحقيقه؛ ومن عانى صناعةً ليس له فيها يدٌ فليزيمه بما بسط في إفساده اليدين، ومن حكم في صناعة الطب بما لم يسع في المسائل فليصرفه منها بحنى حنين؛ ومن تمرّد في معاملته فليرده بالتهر إلى صالح مرده، ومن عدا وعدا فليعلمه بما يخرج من الترح لا من الفرح من جلده؛ مقدامًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا جزع، مُستعينًا بالديوان فيما أهم؛ فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع؛ مجتهدًا فيما يزيد تقدّم سعيه المشكور، وصنعه المبرور، مُنيرًا لآفاق منصبه وكيف لا وهو الشهاب بن أبي النور؟؛ وتقوى الله تعالى هي السبيل الأقوم فليكن لها منهاجا، وليواظب على طريقة الحق: فكم شر عنها حاد وكم خير منها جا! .



توقيع بنظر السبيل بدرج الحجاز، بالركب الشامى، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به للقاضى «قطب الدين السبكي» وهو:

رُسم بالأمر - لا زال يُقرُّ بالوظائف الدينية من يُجِبُّها ويُحِبُّه، ومن يتوارد على ذكره بادي الشكر وركبته، ومن إذا بدت مطالع الخير فهو نيره وإذا دار فللك الشاء فهو قُطْبُه - أن يستقر... .. : لما ذكر من وصفه الجميل، وأستحقاقه الذى دلَّ عليه

البرهانُ في محفله وبرهن في موكبه الدليل ؛ وديانته التي هي لمباني الأوصاف الرفيعة
 أساس ، وكفاءته التي لها من نفسه نص ومن نفس قومه قياس ؛ ومرباه في بنت
 تقي صحت تجارب معدنه على السبك ، و [دلت] مناقبه على استحقاق الرتب التي يقول
 بشيرها : قفا نبسم ! ويقول حاسدها : قفا نبك ؛ ولما تقدم من تشوفه لهذه
 العزمة الناجحه ، وتشوقه من هذه المبرة الشريفة الصالحية بسلوك تلك الفجاج
 الصالحه ؛ ولأن الضعف عاقه عن الماضى فأطلقته الآن هذه القوه ، وجعلت له
 بأوفى القادرين على الحسنات والإحسان أسوه ، ومكنته في هذه الشقة الطويلة
 على سحب أذيال المعروف من منزل الكسوة إلى منازل ذات الكسوه .

فليباشر هذه الوظيفة المبرورة بعزم يبر من الوجد ما كنه ، وحزم يبر من المدح
 المشكور كامنه ، وسمعة على السنة التذكار يمضى وتبقى حتى تكاد تكون للكواكب
 السبعة تامنه ؛ متصرفاً في الإرفاد والإرفاق ، بآراء يؤيد الله [بها] الذين هم رفاق
 وأى رفاق ؛ منقفاً في سبيل الله على يده أعدل إنفاق ، حامياً عدله من لفظه نفاق ؛
 محصباً بإنعام الدولة الشريفة في القفر الماحل ، حاملاً للقطع على أنهض وأبرك
 الرواحل ؛ مواصلاً لنقل الأزواد إقامته ومسيره ، وبالماء والشراب الطيبين الطهورين
 ضعيفه وفقيره ، وبأنواع الأدوية والعقاقير التي تعم متتابع الركب [و] عقيره ، وتجبر
 على الحالين كسيره ، وبوفاء جميع المستحقين تالياً عن لسان الدولة الشريفة :
 ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ داعياً بخلود ملكها في تلك المشاهد
 التي هي بقبول مصاعد الدعوات وتزول مواعد البركات جديره ؛ والله تعالى يتقبل
 دعاءه وسعيه ، ويحسن كلاءته ورعيه ، بمنه وكرمه ! .

(١) يريد مكينه ولكنه اضطره السجع الى موافقة العامة .

الصنف الثالث

(من التواقيع التي تُكتب لأرباب الوظائف بدمشق - ما يكتب لأرباب
الوظائف الديوانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن بحاضرة دمشق منهم ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح بـ «الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بكتابة الدست بدمشق ، كُتِبَ به لنجاح الدين « عبد الوهاب »
ابن المنجا التنوخي ، عوضاً عن شمس الدين « محمد بن حميد » بالوفاة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل تاج الأولياء أيما حلّ حلّ المراتب وزانها ، وغدا على التحقيق
كفأها ووزانها ، وألبسها من براعته ويراعته عقوداً تزرّ دُررها وجمانها ، ومنح
دستها العليّ من ألفاظها المجيدة بيانها ، وزادها بأصالته نخاراً يستصحب وقتها
وزمانها ، وأرتقى ذروتها التي طالما زاد بالمعالي أركانها ، فتبواً بمزيد المجد مكانها .

نحمدُه على نِعَمِهِ التي أجزلت إحسانها ، وأجمت أمتنانها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ، ويدخر القائل إلى يوم المخاف
أمانها ، ويتبوأ بها في الدار الآخرة من يُخلص فيها جنانه جنانها ؛ ونشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله تعالى به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف هذه
الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل

الهداية وبرهانها ، وأطفأ بنور إرشاده شرر الضلالة ونيانها ، وأحمد بدينه القويم
وصراطه المستقيم معتقدات [طوائف] الشرك وأديانها ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين ما منهم إلا من تزه نفسه النفيسة وصانها ، وسلك في خدمته وصحبه
الطريقة المثلى فأحسن أسرار أموره وإعلانها ، صلاة دائمة باقية تحمد بالأجور
أقترانها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من جددنا رفعة تاجه ، وسددنا قوله في مجلس عدل ينشر فيه
بكلمة الحق ما أنطوى من أدراج ، وحددنا له محل سفارة يلحظ فيه حوائج السائل
فيغنيه عن إلحاحه ولجأه - من هو في السؤدد عريق ، ولسانه في الفضائل
طليق ، وفلمه حلل الطروس بما يفوق زهر الرياض وهو لها شقيق ، وكان فلان
هو الذي علا تاجه مفرق الرأس ، وجلا وصفه صور المحاسن والنقاسه .

فرسم بالأمر العالی - لزال يولي جميلا ، ويولي المناصب الجليلة جيلا - أن
يستقر المشار إليه في وظيفة توقيع الدست الشريف بالشام المحروس ، عوضا عن فلان
بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .
فليباشر ذلك مباشرة تُشكر مدى الزمان ، وتُحمد كل وقت وأوان ، ونيملاً بالأجور
لنا صُحفاً بما يؤديه عنا من خير وإحسان ، والوصايا كثيرة وأهمها التقوى ، فليلازم
عليها في السر والنجوى ، والله تعالى يحرسه ويرعاه ، ويتولاه فيمن تولاه ،
والاعتماد



[وهذه نسخة] توقيع بنظر الخاص ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضي

«بهاء الدين بن ريان» ، وهي :

الحمد لله معلى رتب الأعيان ، ومبغى أحبباء السيادة على ممر الأحيان ، ومبغى
 "بهاء" المناصب ، بمن فضله الواضح والصبح سيبان ، ومبغى ثمرات المناقب ،
 فى منابت أهلها حيث الفرع بأسق والأصل "ريان" .

نحمده على أن يسر البيت المعلى بحسنه ، وأيقظ جفن الآمال من وسنه ؛ ونشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع لنا من خيرى الدنيا والآخرة كرم
 المطالبين ، وشرف المنصبين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المشرق فضله
 على أهل المشرقين والمغربين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصبح الثناء عليهم
 وقفا ، وأشتال الذكر عليهم عطفًا ، صلاة تضيء آفاق القبول بسمعة صبح لا تقط
 ولا تطفى ؛ وسلم .

أما بعد ، فإن للمناصب الدينية نسبة بيوت أهل الديانة ، ولخاص الرتب تعلقًا
 بالخاص من ذوى الكفاءة والأمانة ؛ والمنازل بكواكبها المتألقة ، والحدائق بمغارسها
 المتألقة ، ونفوس الديار بسكان معاهدها المتشوفة المتشوقه .

ولما كان الخاص الشريف والوقف المنصورى لوجه المناصب الشامية بمنزلة
 حسن الشامتين ، ولرائد الخصب من جهتي الدنيا والآخرة محل نفع الغامتين ؛ هذا
 على صنغ البر الممدود مقصور ، وهذا لسحاب الخير سفايح لأنهر جهة لـ «المنصور» ؛
 يعلمو هذا بالناظر فى دقائقه إلى أعلى الدرج ، ويتلو هذا بلسان ميزانه المنفق على
 المارستان : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
 حرج) - لا يلىق الجمع بين رتبتهما إلا لمن يجمع بسعيه فضل الدارين ، ومن يجيد
 بنان قلمه الحلبي حلب ضرعيهما الدارين ؛ ومن نشأ فى بيت سعادة أذن الله لقدره
 أن يرفع ، وأقلام بيته أن تشفع ، ولحاسن ذويه أن تشفع بجمالها إلى قلوب الأولياء
 فنشفع ؛ ومن يسر برواية فضله وبرؤيته السمع والعين ، ومن يقترض شرفه وشرف

إخائه حُبَّ «الحسن» و«الحسين» ؛ ومن تَبَهَّجُ جوانحُ المحارِبِ بتعبده ، وتلهجُ
السنةُ مصابيحَ المساجدِ بالثناءِ على تَرُدِّهِ وتَوَدِّهِ ، وتَسْتَبِقُ جِياذُ عِزِّهِ : فيدنا
الكَمِيَّتُ في الشَّهْبَاءِ تَابِعُ أَدِيهِ إِذَا بَانَ أَدْهُمُ رَسِيلُ تَرَهَّدِهِ ؛ ومن تَقُولُ مَنَاصِبُ
حَلَبَ : لَلَّهِ دَرُّ بَهِائِهِ الْمُقْتَبِلِ ! ؛ ومن يَنْشُدُ ثَبَاتُ وَقَارِهِ مَعَ لَطَافَةِ خُلُقِهِ : «يَا حَبْدًا جَبَلُ
الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ» ! ؛ ومن تَتَفَحُّ أَحْبَارُهُ مَنَافِحَ الْأَزْهَارِ ، ومن يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ جَيْشُ
الْحِرَابِ فِي اللَّيْلِ وَبِمِشْرَتِهِ جَيْشُ الْحَرْبِ فِي النَّهَارِ ؛ ومن تَأْسَى بِلِدَّةِ فَارِقِهَا فِرَاقَ الْعَيْنِ
لِلْوَسَنِ ، ومن يَرَوِي صَامِتُ دِمَشْقٍ وَغَيْرِهَا مِنْ تَدْبِيرِهِ عَنِ «عَامِرٍ» وَعَنِ «حَسَنِ» .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال من ألقابه الشريفة صالح المؤمنين ، وعماد
الداعين لدولته الفاهرة والمؤمنين - أن يفوض للجناب العالی فإنه المعنى بهذه
الأوصاف المتقدمة ، والمقصود بإفاضة حلالها المعلمة ؛ والموصوف الذي يحلو وصفه
إذا كرر ، ويستعيد الأوصاف والأسماع إذا حرر ، والأحق برتبة عز في النظار
مضى وأبقى ثناءه ، ومكان نظري إن لم يقل الدعاء اليوم : أدام الله عزه ! قال :
أدام الله بهاءه ؛ واللائق بتقرير منصب تقصردونه المطامع ، وتصديريديوان إن
أقطعت روايته عن «حمزة» فقد اتصلت روايته عن «نافع» .

فليباشر هذين المنصبين المنجيين ، مجتهداً في مصالح الخاص الشريف ، والوقف
الذي لا تحتاج همته فيه إلى توقيف ؛ حتى يكون خير الخاص عاماً ، وأمر الوقف
تاماً ، ورعيهما بالبركات خير محفوظ ، والمنصوري من جهة المعاضدة قد أضحى وهو
بالعضدين موصوف .

والوصايا متعددة وهو أدرى وأدرب بها ، وتقوى الله تعالى أولى وصية تمسك
المرء بسببها ، وشكر النعمة أدل على نبيه همم الرجال وعلى فضل مهديها ؛ والله تعالى
يسدد قائمه ، ويثبت في مطالع العز قدمه ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بنظر الخزانة العالية، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به للقاضي «تقى الدين
ابن أبي الطيب» بـ«الجناب العالی» وهو:

الحمد لله الذى له خزائن السموات والأرض، وبِحِكمته يهب منها ما يشاء لمن يشاء
رضى المعاند أم لم يرض، وميمته فضلت مراتب أهل التقى على الرتب كما فضل على
النافلة القرض، وبعنايته بنيت بيوت أهل السيادة على الطول وبقي صالح عملهم
إلى العرض، وهداياته سما إلى أعلى الخزائن من تقرضها أوصاف قلبه وقلم أبيه
أحسن القرض.

نحمده على ما منح من خزائن فضله، ونشكره والشكر ضامن المزيد لأهله؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يدخرها الإنسان لنيته وقوله وفعله،
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى جمع بفضله وفرق ببذله، وأعطى ما لم تنطو
ضمائر الأكياس فى صدور الخزائن على مثله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
السالكين سنن فضيلته وفضله، التابعين فى الكرم والبأس قياس بيانه ونص نصله،
ما أطلعت خزانة الوسمى آثار نقت الغيث كالدرهم، وخلعت على الدنيا خلع الروض
مقلنسة بمستدير الظلال مزرورة بمعقود الحكام، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فإن الرتب ذخائر قوم فى خزائن الاختيار، وأخير أهل تركو نقود شيمهم
على محك الاعتناء والاعتبار، وفروع خلف تظهر مظاهر نصولها الزكية سابعة الظل
رائقة الزهر فائقة الثمار؛ إذا احتيج منهم إلى ذخيرة نفعت، وإلى أخير وقت أربى
على عزائم الأول وما صنعت، وإلى فروع شجرة سرت محامدها الضائعة: لا مما
ضاعت بل مما تضرعت.

ولما كانت رتبة نظير الخزانة العالية بدمشق المحروسة أحق بمن هذا وصفه ،
وهذا نعته في مقدمة الذكر الجميل وهذا إليه عطفه ؛ إذ هي مرتبة العلياء ومكانها ،
وزهرة سماء الملكة وميزانها ؛ ومنشأ غيوث صلاحها الهامره ، ومنبت رياض
خارجها الزاهره ؛ وأفق السعادة ومطلع نجمها المنير ، وحنّة أولياء الدولة ولباسهم فيها
حرير ؛ ومعنى شرف الأكتساء والأكتساب ، وماوى الفاضل - والحمد لله - الذى
يحفظها التحصيل بحساب ويعطيها الجود بغير حساب .

(١) وكان الجناب ... من تضم أعطافه أنوار السعادة ، وتحف أطرافه و... (١) ...
السياده ، وتنتقل جلسته : إما من تنفيذ الديوان لمرتبة وإما من تدريس العلم
لسجاده ؛ ذو الفضل والفضائل حسن التجنيس والتطبيق ، والكتابة : من حساب
وإنشاء زاكية النثر على التعليق ؛ ونفحات البر من نفحات العيش أجود ، والشبية
فيها النهى فكانه كما قال البحرى : نسب أسود ؛ والهيم التي حاولت منال الشهب
المتعة ولات حين مناص ، والكلمة التي لوعين « البصرى » فرائد نجرها لقال :
كل هذه درة الغواص ، والعزائم التي رامت المناصب فما قبلت من خراتها سوى
الرفيع وما رصيت من ديوانها سوى الخاص ؛ كم نهبت منه المقاصد « عمر »
ثم نامت ! ، وكم اجلسته كواكب اليمن في صدر محفل ثم قامت ! ؛ كم حوى من
الحمد سنيا ! ، وملا الرباع خيرا وفيا ! ، وقيص الله للفقراء والأيتام حنانا من لدنه
وزكاة وكان تقيا .

(١) بياض بالأصل في الموضعين .

(٢) أخذه من بيت بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبهه لها عمرا ثم نم

يريد عمر بن العلاء أحد عمال المهدي وكان على طبرستان .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا بريح صالح الدهر كالزهر ، مالك نفوس
الأولياء والأعداء : هاتيك بالإنعام وهاتيك بالقهر - أن يفوض إليه نظر الخزانة
العالية مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص الشريف : لأن مثله لا يُصرف عن وظيفة
بسنه تُعترف ، ومن نداءه تُعترف ، وأن اجتماع العدل والمعرفة قاض بأن «عمر»
لا يُصرف ؛ وأن الخاص لخاص الأولياء أمس مكانه ، وأن الخزانة أنسب بمن
عُرف بالصيانة ؛ وأن خزان الأرض وهي مصر لو نطق نظيرها لقال : ليس لي مثل
هذه الخزانة ؛ وأن عين الأعيان أولى بالنظر ، وأن الأنظار لا بل الصحابة أحق
بـ«عمر» ؛ لما علم من سيرته النقية ، وسريته التقيه ، وصفاته التي يمتد فيها نفس
القول حتى ينقطع وفي الأوصاف بعد بقية وبقيه .

فليباشر ما فوض إليه من أعلى المراتب المتجبات ، والوظائف المعجبات المتعشبات ،
والجهات التي مالها كبنية الطيب : والطيبون للطيبات ؛ مستجداً من نظر هذه
الخزانة ثوب سعده الحديد ، مِعْملاً في مصارف الذهب والفضة بصر آرائه الحديد ؛
منها لها عزمه العمري ونعم من ينبه ، مشبهاً في الكفاءة أباه المرحوم وما ظلم من
أشبهه ؛ مقررًا من أحوالها أحسن مقرر ، محرراً من أمورها أولى ما أعتد والخزانة
أولى بالمحرر ؛ حافظاً لما لها بقلم التحصيل حتى ينفذ قلم الإطلاق ، صائناً لو فرها حتى
يُنْفِقَه الكرم خشية الإمساك بعد ما أمسكه الصون خشية الإنفاق ؛ مُستدعياً من
أصنافها كل ما تنوع وتصنف ، وتوسع وتفوف ، مثبتاً كل ما خلع من ديوانها العزيز
وتخلف ؛ مؤلفاً للكساوى^(١) في رحلة كل صيف وشتوه ، مواصلاً للأعمال من دمشق
على كل حال من جهة الكسوة ؛ مُنبيها لإنعامها بقلم الإطلاق التام ، متلقفاً بعصا قلمه
في يده البيضاء ما تأفك عصا الأقلام ، حريصاً على أن يكون أبها في الكرم كما يقال :

(١) لم يرد هذا الجمع فيما بأيدينا من كتب اللغة . والظاهر أنه جرى العامة في استعماله .

«سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ» ؛ عَامِلًا بَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بِهَا يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ ، وَيُلْبَسُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رِدَاءُ الْخَيْرِ الْمَعْلَمِ ، غَنِيًّا عَنْ تَبْيِينِ بَقَايَا الْوَصَايَا الَّتِي هُوَ فِيهَا بَحْرٌ ، وَأَبْنُ بَحْرِ بَحَّابٌ «الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ» ، أَعْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ الْفَضْلَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمَلَأُ أَمَالَهُ بِغَيَامِ الْخَيْرِ الصَّيِّبِ . وَيُدِيمُ سَعَادَةَ بَيْتِهِ الَّذِي لَا يَرْفَعُ الشُّكْرَ لَطِيْبِهِ إِلَّا الْكَلِمَ الطَّيِّبَ .

المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق - مايفتحح : «أما بعد حمد الله»)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

[نسخة] توقيع بنظر الأسرى ونظر الأسوار، كتب بها لدوادار الأمير «سودون الطرنطاي» كافي الشام، وإن كانت هي في الأصل ديوانية أو دينية، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَاءَهُ بِفَضْلِهِ الْوَافِرِ، وَعَمَّهُمْ بِحُسْنِ نَظَرِهِ فَأَشْرَقَ صُبْحُ صَبَاحِهِمُ السَّافِرِ، وَأَتَتْضَى مِنْ عَزَائِمِهِمْ لِنُصْرَةِ الدِّينِ سَيْفًا يَسْرُ الْمُؤْمِنَ وَيَغِيظُ الْكَافِرَ، وَأَجْتَبَى مِنَ الْكُفَاةِ مَنْ يَشِيدُ مَعَاqِلَ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِهِ الْمُتَظَاوِرِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَضَاءَ بِرِسَالَتِهِ الْوُجُودَ ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصِّفَاتِ الْفَائِقَةِ وَالْمَآثِرِ الْحَسَنَةِ وَالْجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَرَسُوا الْمِلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ مِنْ جِهَادِهِمْ بِأَمْنِ سُورٍ، وَأَوْهَنُوا جَانِبَ الْكُفْرِ وَأَنْقَدُوا الْأَسِيرَ وَجَبَرُوا الْمَكْسُورَ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً مَدَى الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، مُعْلِيَةً لِلْأَوْلِيَاءِ عِلْمَ النَّصْرِ الْمُنْشُورِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ عَدَقْنَا بِهِ الْمَنَاصِبَ السَّنِيَّةَ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ جَلِيلَ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ ؛

وَنُظْنَا بِهِ فَكَ رَقَبَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَسْرِهِ ، وَخَلَاصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي لَا يَرِيئُ لِمُسْكِنَتِهِ
وَلَا يَرِيئُ لِكَسْرِهِ ؛ وَأَجْرَيْنَا قَلْمَهُ بِبَدْلِ الْفِدَاءِ ، وَجَعَلْنَا مِدَادَهُ دِرْيَاقًا لِمَرِيضِ الْأَسِيرِ
الَّذِي يَعْدِلُ أَلْفَ دَاءٍ ، وَأَقْمَاهُ لِلْعَانِي مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكَ مُنْقِذًا ، وَلِلدَّافِعِ فِي بَيْدَاءِ الْعِدَا
بِحُسْنِ إِعَانَتِهِ مُنْجِدًا ، وَاللَّسْوَارِ الْمُتَنَعَةِ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ مُتَفَقِّدًا - مِنْ أَصْحَى فَضْلُهُ
ظَاهِرًا ، وَجَلَالُهُ بَاهِرًا ، وَخِلَالُهُ مَوْصُوفَةٌ بِالْمَحَاسِنِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي بَهَرَتْ مَا تُرِهَ الْأَبْصَارَ وَمَلَأَتْ الْأَسْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى
تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ بِالْمَفَاخِرِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَسَارَتْ الرُّبُكَانُ بِذِكْرِهِ الَّذِي طَابَ وَجُودُهُ
الَّذِي شَاعَ ؛ وَصَفَتْ سِرِّيَّتُهُ ، فَأَصْحَى جَمِيلَ الْإِعْلَانِ ، وَوَحَّدَتْ سِفَارَتُهُ ، فَكَانَتْ
عَاقِبَةُ كُلِّ صَعْبٍ بِرِكْتِهَا أَنْ لَا نَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ يُؤَلِّي جَمِيلًا ، وَيُؤَلِّي فِي الْوِظَائِفِ جَلِيلًا -
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَى فِي وَظِيفَتِي نَظَرَ الْأَسْرَى وَالْأَسْوَارِ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى
أَجْمَلِ عَادَةٍ ، وَأَكْمَلِ قَاعِدَةٍ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ
وَقْتٍ : وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، وَتَفْوِيضًا لِجَمِيلِ النَّظَرِ إِلَى أَهْلِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً تُسَرُّ النُّفُوسَ ، وَتَزِيدُهَا الْغِلَالَ وَتَزُكُّوْهَا الْغُرُوسَ ؛ وَلْيُجَرِّ
أَحْوَالَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ عَلَى مَقْتَضَى شَرْطِ الْوَاقِفِ وَالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَلْيَتَصَرَّفْ
فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ أَحْسَنَ تَصْرِيفٍ ؛ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى تَخْلِيصِ الْمَأْسُورِ ، وَإِعَاثَةِ
مَنْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بَسُورٌ ؛ وَيُسَارِعْ إِلَى تَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ الْمُتَنَعَةِ ، وَإِتْقَانِ تَحْصِينِهَا :
لِيَتَضَاعَفَ لِمَنْ حَوَتْهُ مَنَّا الْأَمْنُ وَالِدَّعَةُ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى
وَسُلُوكُ صِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ : فَلْيُؤَاظِبْ عَلَيْهَا ، وَلْيُصَرِّفْ وَجْهَ عِنَايَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُدِيمُ عُلَاهُ ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

تَوْقِيعٌ بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْأَسْرَى ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَرَفِ
الدِّينِ «سَالِمِ بْنِ الْقَلَّاقِسِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدَ بَطَالِحَ الشَّرَفِ قَوَاعِدَ بَيْتِ السِّيَادَةِ ، وَمَشَاهِدَ حَوْكِ
السَّعَادَةِ ، وَمَصَاعِدَ دُرِّ الْأَقْلَامِ الَّتِي قَسَمْتُ مَجَانِي قَصَبِهَا لِلْإِفَاءَةِ وَالْإِفَادَةِ ، وَمَعَاهِدَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَالِكَ سَلَفِهِمُ الْحُسْنَى : وَلَوْ كَانَ التَّمَامُ يَقْبَلُ هُنَا مَرِيدًا قِيلَ :
وَزِيَادَهُ . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَدَّ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ أَرْزَاقَ الْحَقِّ وَشَادَهُ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْمُسْتَرَادَةِ الْمُسْتَجَادَةَ ، مَا أَتَّصَلَ بِحَدِيثِ الْفَضْلِ سَنَدُهُ
وَأَمِنْ بَيْتِ التَّقْوَى سِنَادَهُ - فَإِنَّ الْبُيُوتَ الْمُتَنَزِّعَةَ نَخَارَهَا ، الْمَأْمُونَةَ مِنْ عَرَضِ الْأَيَّامِ
زِحَافَهَا وَأَنْكِسَارَهَا ؛ أَوْلَى بِأَنْ تَنْتَخِبَ لَهُمُ الْمَنَاصِبُ كَمَا تُنْتَخَبُ لِلْبُيُوتِ الْمَعَانِي ،
وَتُسْتَقْرَى الْوُظَائِفُ الْعَلِيَّةُ كَمَا تُسْتَقْرَى لِمَوَاضِعِ كَلِمِهَا الْمَبَانِي ؛ وَتُخْتَارُ لِنَجْلِ الْأَصْحَابِ (؟)
بَيْنَهُمْ كُلِّ جِهَةٍ مَأْمُونَةُ الصَّحَابَةِ ، مَوْفُورَةُ السَّحَابَةِ ، مَجْرُورَةُ ذَيْلِ الْخَيْرَاتِ السَّحَابَةِ ؛
مَصُونَةٌ عَنِ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يُصَانُ لِلْجِهَاتِ مُجِيبًا ، لِائْتِقَانِ الْأَفْضَلِ لِأَنَّ الْأَوْقَافَ
الْأَسْرَى بِالْفَاضِلِ نَسْبًا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَرْتَبَ فِي كَذَا : عَلَمًا بِأَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي إِذَا وَلِيَ
وُظِيفَةً كَفَّاهَا ، وَإِذَا وَعَدَهَا بِصَلَاحِ التَّدْبِيرِ وَفَاهَا وَفَاهَا ، وَإِذَا وَصَلَ نَسَبَهَا بِنَسَبِهِ
كَانَ مِنْ إِخْوَانِ صَفَائِهَا لَا مِنْ إِخْوَانِ صَفَاهَا ؛ وَالْخَبِيرُ الَّذِي آسَتْوَضِعَ بِيَمِينِ الرَّأْيِ
مَدَاهِبَهُ وَمَسَالِكَهُ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي إِذَا مَشَى الْأُمُورَ بِسَطِّ جَنَاحِ الرَّفِيقِ وَإِذَا مَشَى بِسَطِّ
لَهُ أَجْنَحَتَهَا الْمَلَائِكَةَ ؛ وَالْجَلِيلُ الَّذِي إِذَا نَظَرَ ذَهْنَهُ فِي الْمَشْكَلاتِ دَقَّقَ ، وَالْكَاتِبُ
الَّذِي تَعَيَّنَتْ أَقْلَامُ عَلَيْهِمْ وَكَفَاءَتُهُ إِلَّا أَنْ كَلَّمَهَا فِي الْفَضْلِ مُحَقِّقٌ ؛ هَذَا وَخَطُّ عِذارِهِ
مَا كَتَبَ فِي الْخُلْدِ حَوَاشِيَهُ ، وَلَيْلُ صَبَاهُ مَا اكْتَمَلَ ! فَكَيْفَ إِذَا أَطْلَعْتَ كَوَاكِبَ

المسيب دياجيہ ؛ وكيف لا ؟ وأبوه - أعلى الله تعالى جدّه - صاحبُ المجدِ الأئيل ،
والفضل الأصيل ، ووكيلُ السلطنة الذي إذا تأملت محاسنه قالت : حسبنا الله
ونعم الوكيل .

فليأشر هذه الوظيفة برأي يسهل - بمشيئة الله - عسيرها ، ويفك - بعون الله -
أسيرها ؛ وأجتهاد سني يحسن قلبه في الأمور مسرى ، وأعتاد سرى لا يرى ديوان
أسرى منه أسرى ؛ مشيها أباه في عدله ومن أشبه أباه فما ظلم ، وتوقد رأيه لدى
طود حلم وعلم « فيالك من نار على علم ! » ؛ حتى يأمن ديوان مباشرته من ظلم الظالم ،
ويشعل ذكاه حتى يقال : عجبا للشعل نارا وهو سالم ! ؛ ويثمر مال الجهة بتدبيره ،
ويشترك لفظ إطلاق الديوان في ماله وأسيره ، وتنتقل الأسرى من ركوب الأدهم
إلى ركوب الشهب والحجر من دراهمه ودنانيره ؛ ويحمد على الإطلاق ، وينفق خشية
الإسك إذا أمسك [غيره] خشية الإنفاق ؛ ويمشي بتقوى الله - عز وجل - في الطريق
اللاحب ، وينسب إلى ديوانه وقومه فيقال : صاحب طامأ أنتسب من سلفه
لصاحب ؛ والله تعالى يُجج لكواكب رأيه مسيرا ، ويجهز به من ضعف الحال كسيرا ،
ويكافئ سادات بيته الذين (يُطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتايا وأسيرا) .

المرتبة الثالثة

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق -

ما يفتتح بـ «رسم بالأمر الشريف»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

(١)

نسخة توقيع من إنشاء ابن نبأته ، كتب به للقاضي

«علاء الدين بن شرف الدين بن الشهاب محمود» عند موت أبيه وهو صغير ، وهي :

(١) بياض في الأصل ولعله « توقيع بكتابة السر » .

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجبر بيرة مُصاب الأبناء بآبائهم ، ويسرهم بما
يتجدد في كواكب الشرف من علائهم ، ويعتق قلوبهم من إيسار الحزن حتى ينشئوا
من الصغر على أنساب عفتهم وولائهم - أن يستقر اعتماداً على نجابته الشاهده ،
وتحليل همته السائده ، وأستناداً إلى أصالته التي لا يئدي فرعها إلا زكي الثمر ،
ولا يهدى بحرّها إلا أنفس الدرر ، ولا يخلف أفضها إلا كبيراً تستصغر الأبصار
رؤيته : والذنب للطف لا للكوكب في الصغر ، وعلماً أنه من أسرة شهابية لا يهدى
في الإنشاء إلا بنورهم ، ولا يئدث بالعجائب إلا عن بحورهم ، ولا يئبت أفلام
البلاغة إلا عشبهم ، ولا تُعشب روضات الصحائف إلا سحبههم ، ولا تُثبت أفلاك
الكتابة إلا كتبهم ؛ صغيرهم في صدور الإنشاء كبير ، وملقن آيات فضاهم يروى
أعداد الفوائد عن « ابن كثير » ، وعليهم بعد « أبي بكر » تقول المحامد لسلفه
وخلفه : منّا أمير ومنكم أمير ؛ وأنه اليوم لا سيف إلا « ذو الفقار » من أذهانهم ،
ولا قتي إلا « على » من ولدانهم ؛ وأن فرخ البط ساجح ، وسعد القوم للانداد ذابح ؛
وخواتم صحف الجمع الظاهر أشبه بالفوائح ، والبلاغة في الدنيا كنوز والأفلام
في أيديهم مفاتيح ؛ وأت الكلام حليته وسمته ^(١) ، وأنه إذا خدم دولة بعد محلفه قيل
للذاهب : لقد أوحشنا وجهه وللقادم : لقد آنسنا خدمته .

فليأخذ في هذه الوظيفة بقوة كتابه ، وليتناول باليمن واليمين قلم جدّه كما تناول
رأية مجده عرابه ؛ وليتقلد بقلائد هذه النعم عقيب ما نزع التمام ، وليجهد في إمرار
كلمه الحلو الذي أول سمائه فطر ثم صوب الغمام ؛ مجوداً خطه ولفظه حتى تناسب
عقده ، ناشئاً على كتم السر حتى كأن الفؤاد قبره والجنب لحده ؛ مهتدياً بالعلم الشهابي
في برأخيه الأكبر فإنه من بوارق المزن ، مبتدياً مع أخيه الآخر السرور إذ ينزع

(١) في الأصل هكذا "وأن الكلا محلهم" .

عنهما لباسهما من الحزن ، والله تعالى يزيد في فضله ، ويتم عليه النعمة كما أتمها على
أبيه من قبله ، ويفقهه في السيادة حتى يحسن في الفخار رد الفرع إلى أصله .



توقيع بنظر مطابخ السكر ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به للقاضي « شرف الدين
ابن عمرون » وهو :

رُسم ... لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفه ، وأقلام الكفاة
مُصرّفه ، وألفاظ الشكر ثابتة عند ذوى الاستحقاق ومُصنّفه ، والنعماء المنصّفة
لأمثالهم حلوة المذاقين من نوع ومن صفه - أن يستقر ... لما عرف من
شيمه المستجاده ، وهيمه المستراده ، وكفاءته اللاتي بها حسن النظر الثابت بفضاها
رقم الشهاده ، وأصاليته التي نهض أوقها بمهمات الدول فلوراها معاوية - رضى الله
عنه - لقال : يا عمرون أنت عمرو وزياده ، وليا ألف من مباشرته المنيقة خبرا
وخبرا ، وأنظاره السامية إلى معالى الأمور نظرا ، ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر
منها ذوو الهمم العلية ، وجهاته التي عرف بها سلفه وخلفه فلا غرو أن ليس عمامة
مفاحره بيضاء وسكريه .

فليباشر هذه الوظيفة الحلوة معنى ومدافا ، الحليسة عقدا ونطاقا ، المحسوبة على
مطالع الشرف ووفقا وآفاقا ، جاعلا شكر النعمة من أوفى وأوفى من اياه ، وصانف الهممة
من أولى وأول وصاياها ، حافظا للطابع وإن كان عادة آباؤه بذلها ، مدتحرا للجفان
وإن كانت سمة قراهم إزالتها ونقلها ، حريصا على أن لا يجعل لأيدى الأقلام الخائنة
مطمعا ، وعلى أن ينشد كل يوم للتدبير لا للتبذير .

* [لنا] الجففات الغريمتين فى الضحى *

مُحَرَّرًا لِحِسَابِ دِرْهَمِهَا وَمَجْمُوهَا ، وَمَصْرُوفِهَا وَمَحْصُولِهَا ، مُحْتَرِزًا عَلَى مُبَاشَرَتِهِ
 مِنَ الْخَلَلِ فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ ، حَذِرًا مِنْ كِفَّتِهَا وَقَبَانِهَا فَإِنَّهَا تَتَكَلَّمُ فِي الْحَمْدِ أَوْ فِي الذَّمِّ
 بِلِسَانَيْنِ ؛ بَلْ تُعَانُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحَمْدِهِ الْمُقَرَّرِ ، وَتُكْرَرُ الْأَحَادِيثَ الْحَلُوهَ عَنْهُ فَمَنْ
 عِنْدَهَا نَجَحَ حَدِيثُ الْحُلُوهِ الْمَكْرَبِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَدِّئُ مَسَاعِيَهُ بِالنَّجْحِ الْوَفِيِّ ، وَيُلْهِمُ هِمَّتَهُ
 أَنْ تُنْشِدَ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالتَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ! » .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ دَارِ الطَّرَازِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتِ سِيرِهِ بِمَرْقُومِ الْحَمَامِدِ مُطْرَزَهُ ، وَدَوْلَتُهُ بِمَحَاسِنِ التَّائِيدِ وَالتَّائِيدِ
 مُعَزَّزَهُ ، وَنِعْمَهُ وَنِقْمَهُ : هَذِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُجَهَّزَةٌ وَهَذِهِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ مُجَهَّزَةٌ - أَنْ يَرْتَبَ
 فَلَانُ : لِكِتَابَتِهِ الَّتِي رَقَمَتِ الطُّرُوسَ ، وَطَرَزَتِ بِالظُّلْمِ أَرْضِيَةَ الشُّمُوسِ ، وَأُثْمِرَتِ
 أَقْلَامُهُ بِمَحَاسِنِ التَّنْذِيرِ فَكَانَتْ فِي جِهَاتِ الدُّوَلِ نِعْمَ الْغُرُوسِ ؛ وَحِسَابِهِ الَّذِي نَاقَشَ
 وَنَقَشَ ، وَرَقَمَ الْأُورَاقَ وَرَقَشَ ؛ وَأَعْتَرَمَهُ الَّذِي عَلَّمَ رَشْدًا ، وَسَلَكَ طَرِيقًا فِي الْخِدْمَةِ
 جَدَدًا ، وَقَوِيَ أَسْمُهُ وَتَكَاثَرَتْ أَوْصَافُهُ فَمَا كَانَ مِنْ أُنْدَادِهِ أَوْضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا ؛
 وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا قُدِّمَ نَهَضَ ، وَإِذَا سَدَّدَ سَهْمَ قَلَمِهِ أَصَابَ الْغَرَضَ ؛ وَالسَّامِي
 إِلَى سَمَاءِ رُتْبِهِ بِالْقَلْبِ وَالطَّرْفِ ، وَالْمُنَزَّهُ لِقَلَمِهِ الْحُرِّ مِنْ أَنْ يَسْتَعْبِدَ عَلَى حَرْفٍ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةَ بِكَفَاءَةِ عَالِمِهَا الْمُعْوَلِ ، وَأَقْلَامِ إِذَا تَمَشَّتْ فِي دَارِ الطَّرَازِ عَلَى
 الْوَرَقِ قِيلَ : « شَمُّ الْأُنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » ؛ مُسْتَدْعِيًا لِأَصْنَافِهَا وَمَالِهَا ، عَادِلًا
 فِي قِسْمَةِ رَجَائِهَا وَرِجَالِهَا ؛ مُعْمِلًا رَاحَتَهُ بِالْقَلَمِ فَإِنَّ كِتَابَتَهَا مُتَّبِعَةٌ ، مُهْتَدِيًا فِي طُرُقِ
 حِسَابِهَا فَإِنَّهَا طَرُقٌ مُتَشَعِّبَةٌ ؛ مَاشِيًا عَلَى نَهْجِ الْأَحْتِرَازِ ، سَاعِيًا إِلَى الرُّتْبِ بِإِرْهَافِ
 عَزِيمِ كَالسَّيْفِ الْجُرَازِ ، سَعِيدِ السَّعْيِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى يَقُولَ سَنَاءُ الْمَلِكِ

المُسْتَهْضُ له : هذا القاضي السَّعِيدُ وهذه دَارُ الطَّرَازِ ، والله تعالى يوفِّقه في جميع أحواله ، ويؤيِّد مساعي قلمه الذي تنسج أعلام الكفافة على منواله .



توقيع بنظر الرباع ، من إنشاء الشيخ صلاح الدين الصفدي ، باسم القاضي نجم الدين «أحمد بن نجم الدين محمد بن أبي الطيب» ، وهو :

رُسم بالأمر العالی - لزال نجم أوليائه يتقد نورا ، وخاطر أوليائه يتحد بالآمال سرورا - أن يرتب المجلس السامى القضائى - أدام الله تعالى علوه - في نظر الرباع الديوانية ، ومباشرة الأيتام - حرسهم الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأنه النجم الذى بزغ فى أفق الرأسه ، وجمل ما أثره قبيله وأناسه ؛ والأصيل الذى شاد الفضل مجده ، وأحكم الفخر عقده ؛ والرئيس الذى يصدق التفرس فى شمائله ، ويحكم الظن الصائب فى أثناء مخايله .

فليباشر ذلك مباشرة هى معروفة من هذا البيت ، مألوفة من كبيرهم وصغيرهم : فإنهم لا توفيمم ولا ليت ، معتمدا على سلوك طريقة أخيه وأبيه ، مجتهدا على اتباع اعتمادهما فى توخيه الصواب أو تأبیه ، حتى يقال : هذا صنو ذلك الغصن الناضر ، وهذا شبل ذلك اللبث الخادر ، وتصبح الرباع بحسن نظره آهله بالأهله ، كاملة بالحاسن التى تسمى الأقمار منها مستهله ، وتعود الأيتام بمشارفته كأنهم لم يفقدوا بر والدهم ، ولم يحتاجوا مع تديره إلى مساعدتهم . والوصايا كثيرة وأهمها تقوى الله عز وجل فإنها الحصن الأوقى ، والمعقل المنيع المرقى ؛ فليتخذها لعينيه نصبا ، وليشغل

(١) كذا بالأصل ، ولعله : آلائه .

بها ضَمِيرُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ بِهَا صَبَاً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَمِيَّ غُصْنَهُ النَّاضِرُ ، وَيُقَرِّبُكَ الْقَلْبُ
وَالنَّاطِرُ ! وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا أَقْتَضَاهُ ؛
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .



تَوْقِعُ بِاسْتِيفَاءِ الْمَقَابِلَةِ وَأَسْتِيفَاءِ الْجَيْشِ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتِ الْمُنَاقِبُ فِي دَوَائِمِهِ الشَّرِيفَةِ شَمْسِيَّةِ الْأَنْوَارِ ، قُرَشِيَّةِ الْفَخَّارِ ،
مُشْتَقَّةِ الْحَامِدِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآثَارِ ، مُحْصَلَةٌ بِأَقْلَامِ الْيَمِينِ مَا يَبْدُلُهُ الْكِرْمُ مِنْ أَقْسَامِ
الْيَسَارِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... حَسَبَ الْأَسْتِحْقَاقِ الْمُقْتَضَى ، وَالْأَخْتِيَارِ الْمُرْتَضَى ؛ وَعَيْنِ
الرَّأْيِ الَّذِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّأْيِ حَاجِبٌ ، وَتَقَدَّمَ السُّنَّةِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لِقُرَيْشٍ
وَاجِبٌ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الشَّمْسِيَّةِ أَوْلَىٰ بِشَرَفِ آفَاقِهَا ، وَمَنَازِلِ إِشْرَافِهَا وَإِشْرَاقِهَا ،
وَمَطَالَعِ سَعِيدِهَا الْمُتَزَهِّةِ عَنِ اللَّبْسِ ، وَجَلَائِلِ قَلَمِهَا الْعُطَارِدِيِّ فِي يَدِ الشَّمْسِ ؛
وَلِأَنَّ الْمَشَارَإِ إِلَيْهِ أَحَقُّ بِمَصَاعِدِ الْمُتَرْتِقِينَ ، وَلِأَنَّهُ تَرَبَّى فِي بَيْتِ التُّقَى فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .

فَلْيَبَاشِرْهَا تَيْنِ الْوُضُوفَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ بَعَزْمِهِ السَّيِّدِ ، وَمَدَّاتِ قَلَمِهِ الَّتِي
بَجَرَهَا فِي السَّبْعِ بَسِيْطٌ وَظَلُّهَا فِي النَّفْعِ مَدِيدٌ ؛ وَلِيَتَمَثَّلَ بِدِيَوَانِ مُقَابَلَةٍ فَرِيدًا لَا يَرْهَبُ
مُثَالَهُ ، وَلِيَجْزُرَ أَحْوَالَهَا بِضَبْطِهِ حَتَّىٰ يَجْمَعَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ؛ وَلِيُمِدَّ الْجَيْشَ الْمَنْصُورَةَ
مِنْ أَوْرَاقِهِ بِأَعْلَامِهِ ، وَمِنْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِرِمَاحٍ تُعْرَفُ بِأَقْلَامِهِ ؛ وَلِيَسْتَرْفِعَ مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ مَا يَمْحُو بِإِيضَاحِهِ وَتَكْمِيلِهِ مِنْ مُقَدِّمَاتِ ظُلْمٍ وَإِظْلَامٍ ، وَلِيَجْمَعَ بَيْنَ ضَرَّتِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يُمِدُّ قُرَشِيَّتَهُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْعَزْمِ ، وَتَابِعِينَ
بِإِحْسَانٍ مِنْ نَوَافِدِ نَوَافِلِ الْحَزْمِ .



تَوْفِيعٌ بَصْحَابَةُ دِيْوَانِ الْأَسْوَاقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :
 رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَسْوَاقُ نِعْمَةٍ قَائِمَةٍ ، وَأَجْلَابُ كَرَمَةٍ دَائِمَةٍ ، وَلَا بَرِحَتْ
 الْمَنَاصِبُ مُكَمَّلَةً بِكِفَاةِ أَيَّامِهِ الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ ظُنُونَهَا السَّامِيَةَ وَيَرَعُونَ أَحْوَالَهَا
 السَّائِمَةَ - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ : عِلْمًا بِكِتَابَتِهِ الَّتِي وَسَمَتْ الدَّفَاتِرَ أَحْسَنَ سِمَةٍ ،
 وَاسْتَبَقَتْ إِلَى صُنْعِ الْخَيْرِ الْمُسَوِّمَةِ ؛ وَكِفَاةً الَّتِي لَا تَرَالُ تَمُو لَدَيْهِ وَتَتَمِي ، وَيَرَاعَتِهِ
 الَّتِي إِذَا سُئِلَ عَنْهَا السُّوقُ قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ؛ وَدِرَائَتِهِ
 الَّتِي تُعِينُ الْمَمْلَكَةَ عَلَى الْمِيرِ ، وَيَسْهَدُ تَيْمُنَهَا أَنَّ الْخَيْلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرَ ؛ وَتُحَقِّقُ فِيهِ
 الظَّنَّ وَالْأَمَلَ ، وَتَحْوِطُ السُّوقَ عَنِ الْخَائِنِ حَتَّى يَقُولَ : لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ؛
 وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِنْ قَالَ أَوْ فَعَلَ كَانَ مُسَدَّدًا ، وَإِنْ ضَبَطَ دِيْوَانَ الشَّدِّ السَّعِيدِ كَانَ
 عَلَى الرَّائِعِينَ مِنَ الْكُتَّابَةِ حَرَفًا مُسَدَّدًا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُتَمَكِّنًا الْأَسْبَابَ ، مَالِكًا الْحَزْمَ وَالرَّفْقَ حَتَّى تَكْثُرَ
 لَدَيْهِ الْجُلَّابُ ؛ مُعِينًا لِمَيْتِ الْمَالِ عَلَى الْإِنْفَاقِ ، قَائِمًا بِمَحْقُوقِ ذَوِي الْأَسْتِحْقَاقِ ،
 عَالِمًا أَنَّهُ [مَتَوَلَى] أَكْثَرَ جِهَاتِ الْخَيْرِ الْمُطْلَقِ فَلْيَكُنْ بِهَا مُشْكُورًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مُجْتَمِدًا
 فِي رِضَا الْمَطَالِبِينَ حَتَّى يَدَّعُوا سَنَنَ الْمُرْسَلِينَ فِي هَذِهِ [الصِّفَةِ] يَا كُلُّونَ الطَّعَامَ وَيَمْسُونَ
 فِي الْأَسْوَاقِ ؛ مُوَظَّبًا عَلَى الدِّيْوَانِ الَّذِي هُوَ بَصْحَابَتِهِ مَعْدُوقٌ ، سَالِكًا سَبِيلَ الصِّيَانَةِ
 وَالْكَفَاةِ فَكُلَاهُمَا نِعْمَ السَّبِيلَ الْمَطْرُوقَ ، مُحْتَرِزًا مِنْ ذِي خِيَانَةٍ إِنْ غَفَلَ عَنْهُ طَفِيقَ
 مَسْحًا بِالسُّوقِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ عِزَّائِمَهُ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ مِنْ عِلْمٍ ، وَهَمَّتْ الَّتِي قَاسَمَتْ
 « أبا الطَّيِّبِ » : « وَالْخَيْلُ تَسْهَدُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ » .



نسخة توقيع بشهادة الخزانة العالية ، من إنشاء ابن نبأته ، كُتِبَ به لجمال الدين «عبد الله بن العباد الشيرازي» وهي :

رِسْمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ سِمَةُ الْمَنَاصِبِ فِي دَوْلَتِهِ بِأَسْمَاءِ الْكُفَاةِ مُجْمَلَةً ،
وَحَلَّعَ الْمَفَاحِرَ عَلَى بُيُوتِ السِّيَادَةِ مُكَمَّلَةً ، وَخَزَائِنُ الْمُلْكِ بَيْنَ تَقْيِضَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ :
فَبَيْنَمَا هِيَ بِأَقْلَامِ الْكُفَاةِ مُحْتَفَظَةٌ إِذَا هِيَ بِأَقْلَامِ الْكُفَاةِ مُبَدَّلَةٌ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ
السَّامِيُّ ... : عَلِمَا بِمَجَاسِنِهِ الَّتِي وَصَّحَ بِجَمَالِهَا ، وَتَفَسَّحَ فِي الْعِلْيَاءِ مَجَالَهَا ، وَنَجَّحَ
فِي مَنَابِتِ الْفَضْلِ أَصْلَهَا ، وَشَرَفَ بِكُوكَبِ الْإِيْمَنِ اتِّصَالَهَا ؛ وَمَعَالِيهِ الَّتِي تَهَلَّلَ بِهَا
وَجْهُ الْأَصَالَةِ ، وَكَلَّ بَيْتَ الرَّأْسَةِ وَالْحَلَالَةَ ، وَمَسَاعِيهِ الَّتِي آسْتَوْفَى بِهَا أَجْنَاسَ
الْفَضْلِ وَتَوَرَّيْتَهُ فَمَا أَخَذَهَا عَنْ كَلَالٍ وَلَا وَرَثَهَا عَنْ كَلَالَةٍ ؛ وَسِيرَتِهِ الَّتِي تَطْوَى
نَخَارَ الْأَقْرَانِ حِينَ تُنْشَرُ ، وَهَيْمَتِهِ الَّتِي أَنْشَدَتْ السَّعَادَةَ فَرَعَهَا الْكَرِيمَ : «مَبَادِيكَ
فِي الْعِلْيَاءِ غَايَةُ مَعَشَرٍ» ؛ وَمَكَانَتِهِ مِنْ بَيْتِ السِّيَادَةِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ ، الْبَدِيعِ سَنَدُهُ الْمُنِيعِ
سِنَادُهُ ، الْمَدِيدِ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَجْرَةِ طُنْبِهِ النَّابِتَةِ مِنْ حَيْزِ النُّجُومِ أَوْتَادُهُ ؛ وَأَنَّهُ نَجَلُ السَّرَاةِ
الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَأَسْتَشْهَدُوا عَلَى مَنَاقِبِهِمْ كُلَّ عَدُوٍّ وَكُلَّ وَادٍ ؛
وَحَمَلُوا مِنْ صِنَاعَتِهِمْ رَايَاتٍ عَبَّاسِيَّةً سَارَتْ بِهَا رِمَاحُ أَقْلَامِهِمْ تَحْتَ أُبْدَعِ سَوَادٍ ،
وَمَلَعُوا قَدِيمَ الْأَوْطَانِ بِشَرَفِ الْأَخِيرِ : فَسَوَاءٌ عَلَى شِيرَازَ مُحَاسِنُ «أَبْنِ الْعَمِيدِ»
وَمُحَاسِنُ «أَبْنِ الْعِمَادِ» ؛ وَتَدَيَّنَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهَذَا النَّجْلِ السَّعِيدِ طُرُقَ الْمَرَاتِبِ كَيْفَ
تُسَلِّكُ ، وَإِحْرَازَ الْمَنَاصِبِ كَيْفَ يَكُونُ لَهَا يَدُ أَرْبَابِ الْبُيُوتِ أُمْلَكُ ، وَدَرَجَاتِ
الْوِزَائِفِ كَيْفَ تَسُرُّ الْوَالِدَ بِالْوَلَدِ حَتَّى يَقُولَ : لَا أَبْلِي هِيَ الْيَوْمَ لِي أُمُّ لَكَ ؟ ؛
كَمْ آسْتَنْهَضَ وَالِدُهُ لَجَلِيلِ فَكَفَى ، وَبِحَمِيلِ قَصْدٍ فَوْفَى ؛ وَأَوْقَاتٍ عَلَتْ حَتَّى أَصْحَتْ

إلى علاه تَنَسَّب ، ومناصِبَ رُزِقَ - بتقواه فيها - من حيثُ يَحْتَسِبُ ومن حيثُ لا يَحْتَسِبُ ، وجاء هذا الولدُ ذخيْرَةً والديه خُسْنَتَ الخزانةِ الذَّخِيْرَةِ ، وعُضِدَتِ الأَوْلَادُ من السيادةِ بالأخِيْرَةِ .

فليباشِرْ هذه الوظيفةَ مباشرةً هي أعلى منها وأشرفُ سِيْرِهِ ، مُجْتَهِدًا فيما يَبِيضُ وَجْهَهُ عَلَيْهِ ونَسَبِهِ ، عارفاً قَدْرَ هذه الرتبةِ من أوائلِ رُتَبِهِ ، متيقِّظًا الأفكارَ والطَّرْفَ ، متأرِّجَ المعرفةِ إذا ذَكَرُوا العَرَفَ ، زائِجًا تَبَرُّشهادتهِ على التعلِيْقِ فلا يُتَّقَدُ عَلَيْهِ في مُتَحَصِّلٍ ولا صَرَفٍ ؛ حتَّى تقولَ الخزانَةُ : نِعْمَ العِزْمُ الشاهد ! وحتَّى يشهدَ بوفاءِ فَضْلِهِ المِضْمُونِ ، وحتَّى يَعْلَمَ بأمانتهِ أنَّ عبدَ الله هو «المأمون» ؛ وتقوى الله تعالى في الوصايا أولَ وأولى ما تَمَسَّكَ بِهِ ، وأستقامَ على شَرَفِ مَذْهَبِهِ ، واللهُ تعالى يُسِّرُ الإسلامَ بِنَبِيِّهِ قَدْرَهُ وَيُقِرُّ الأوصافَ بِمَهْدِيهِ ! .



تَوْقِيْعٌ بِشَهَادَةِ الأَسْوَارِ ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال يُمَدُّ على الإسلامِ من عِنَايَتِهِ سُورًا ، وَيُجَدِّدُ للأولياءِ بِرًّا مَيْسُورًا ، وَيُسْعِدُهُمْ بِكُلِّ تَوْقِيْعٍ يَكُونُ بِالحِسابِ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا - أن يَرْتَبَ المجلسُ : عَلِمًا بعِزْمِهِ الساهدِ ، وحرْمِهِ الشاهدِ ؛ وكِفَايَتِهِ وأمانَتِهِ التي ما كان وَصْفُهَا حَدِيثًا يُفْتَرَى ، ونَظَرًا لِحَالِهِ وحَالِ الأَسْوَارِ : فَيَالِهَا شَهَادَةٌ كانَ أَصْلُهَا نَظْرًا .

فليباشِرْ هذه الرتبةَ المباركةَ كما عهدَ منه مباشرةً حَسَنَةَ الآثَارِ ، مُشْرِقَةَ الأَنْوَارِ ، جاعِلَةً تِلْكَ العَمَائِرَ حَلِيَّةً لِدِمَشقِ : فبينما هي سُورٌ إذا هي سِوَارٌ ؛ ضابطًا لِمَتَحَصِّلِهَا وَمَصْرُوفِهَا ، مَحْرَّرًا لَوْفِهَا مُحْتَرِّمًا من وُقُوفِهَا ، جاريًا على جميلِ عادتهِ ، زائِجًا بِكْرَمِ الله

تعالى على التوفيق تبرُّ شهادته ؛ حتى تشهد هذه الوظيفة بهِمته المتمكِّنة الأسباب ،
ويضرب بين المدينة وبين من كادها بسورِ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ؛
والله تعالى يسدده في كلِّ أمر ، ويحفظ هِمته وبركته «ليوم كريمةٍ وسدادٍ نغر» .



توقيع بمشارفة خزان السلاح ، لمن لقبه «جمال الدين إبراهيم» وهو :

رسم بالأمر العالى - أعلى الله تعالى أعلام حمده ، وجعل أحكام المقادير من
جنده ، ولا زالت أفلاك الشهب من خزان سلاح سعده - أن يرتب ... : حملاً
على حكم النزول الشرعى ، والطلوع إلى رتب الاستحقاق المرعى ؛ وعلمًا بكفايته
التي بلغت آمالا ، وجعلت للوظائف بذكره جمالا ، وثمرت بقلبه للجهات مالا ،
وأوصلته على رغم الأنداد لما لا ؛ وأعتادا على أمانته التي أعدها ملاذا ، وأكتفى
بها سلاح عزمه نفاذا ؛ وصيانتها التي طالما اعترض [لها] عرض الدنيا فقالت :
يا إبراهيم اعرض عن هذا ؛ واستنادا إلى نساته في بيت علب في المناصب أعلامه ،
وصدقت في المراتب حلومه وأعلامه ، وتناسبت الآن تصرفاته السعيدة : فيما في تدبير
الجيوش وإما في تمييز السلاح أعلامه .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بعزم بادي النجا والنجاح ، وقلم على حالي وظيفته^(١)
وهيمته ماضى عزم السلاح ؛ مقررا لعمليها ومعمولها ، ضابطا لواصلها ومجولها ؛ حتى
يذهب لسان سيفها بشكره ، وتطلع أهلة قسيها بيمين ذكروه ، وتكون كعوب رماحها
كلها كعب مبارك بمباشرته وبشره ؛ والله تعالى يسد قلمه في وظيفته تسديد
سهامها ، ويوفر له من أنصبا المراسد وسهامها .

(١) هو مصدر نجا نجاه بالمد وقد يقصر ،



قلتُ : وهذا توقيعٌ بوظيفةٍ بكتابة ديوانيةٍ لسامريٍّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال قلمُ أوامره الفِضِّي يُظهِرُ ثَمَره ، مُسَمِّعًا حَدِيثَ الإِنْعَامِ الشَّامِلِ حَتَّى سَمَره - أن يَرْتَبَ فلانٌ في كذا : علمًا بكفايته التي يُعَدِّرُ بها في قَوْمه على سُلُوكِ التَّيِّه ، وَحِذْقِ حِسَابِهِ الذي هو ألدُّ من السَّلَوى مُجْتَنِبِهِ وَجُحْتِيهِ ؛ وَقَرِيحَتِهِ التي إِذَا آخْتَارَهَا آخْتِيَارَ قَوْمِ مُوسَى فَازَ من العَمَلِ بِمَطْوَئِهِ ، وَإِذَا قِيلَ : يَا سَامِرِيُّ مَا قَدَّمَكَ على القُرْنَاءِ في الحِسَابِ ؟ قال : بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ؛ وَأَمَانَتِهِ التي حَاطَتْ حَيَاطَةَ الصَّعْدَةِ السَّمْرَاءِ ، وَرَفَعَتْ رَايَتَهُ على الأَنْدَادِ قَائِلَةً : مَا حَاطَ البَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ كَصَاحِبِ الحُمْرَاءِ ! ؛ وَاعْتَمَدًا على كِتَابَتِهِ التي شَهِدَتْ بها من حُسْبَانَاتِهِ الأَسْفَارِ المَبِينَةِ ، وَإِقْرَاءِ لِمَصْنَعَاتِهِ التي سَحَرَتْ الفِكرَ حَتَّى قِيلَ : هَذَا من شَعْبِ القَرَايِينِ وَالكَهَنَةِ .

فليباشر هذا الاستيفاء لأوفى منه مترقيًا ، ولكلمات الاختيار متلقيًا ؛ ناهضًا بالخدمة ، مجددًا باعترامه الإسرائيلي ذكر النعمة ، عارفًا قدر الإنعام الذي رعى وشمل كل ذمه ؛ سالكًا من الاجتهاد في خدمة حسابه كل طريقه ، غائظًا للحساد من أهل ملته ؛ فيعبدون العجل مجازًا وحقيقه ؛ مجتهدًا في استنزال المن لا المنع ، موعودًا آلاف الحواصل بعشر كلمات راتية منه في السمع ، معلقًا على جميعها هيكلًا من أمانته فهو أدري في الهيكل بشرط الجمع ؛ صائبًا لنفسه من عدوان الخيانة حتى لا يعدو في سبت ولا في أحد ، متترها عن أكل المال مع الخونة حتى يقال : نعم السامري الذي لا يأكل مع أحد .

الضرب الثاني

(من الوظائف الديوانية بالشام - ما هو خارج عن حاضرة دمشق .
وغالب ما يكتب فيها من التواقيع مفتوح بـ «رسم»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنظر غزّة، وهي :

رُسم بالأمر - لازل النصر المكرر، يخلو بذكره، والسعد المقرّر، يخلو وجوه الآمال
بدهره، ولا برح سراج الخدم مضيأ عند ليالى نيه الحالك وأمره - أن يستقر
فلان... : لما عرف في المناصب من هوضه الذى راق وراج، وفي المهمات
من رأيه الذى يمشى أحوال الجهات المستقيمة بسراج، ولما شهره في الأنظار
المتعددة من علو الهيم، وفي الوظائف المترددة من العزمات التى يقول السداد :
نبه [لها] عمراً ثم نم؛ ولما وُصف من أمانته ودرأيته وهما المراد [تان] من مثله،
وراسة خلقه وخالقه المشيدين عن حسن الثناء وسهله، وآثاره الحميدة المتقلات
وكيف لا؟ وهو المنتسب إلى سلف يحمّد لسان الإسلام أشر عقله ونقله .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة على العادة مباشرة يحمّد أثرها، ويُسند عن صحيح
عزمه خبرها وخبرها، ويورق بغيره الأقلام ورق حسابها ويورق ثمرها؛ مجتهداً
فهو من نسل المجتهدين فى عوائد التحصين والتحصيل، والتأثير والتأثيل، ملياً بما
يجبر كسر هذه البلاد بالصحة ويأسو جرحها بعد التعديل، حريصاً على أن يحيى -
بمشيئة الله تعالى وتدييره - عملها الذى لم يُبق الموت من ذمائه غير القليل؛ سالماً

(١) أنظر حاشية ٢ ص ٣٨٨ من هذا الجزء .

من التزاهة والصيانة طريقتة المثلى، ومن الكفاءة والأمانة عاداته التي ترفع درجته - إن شاء الله - إلى ما هو أعلى وأعلى؛ مسترفعا للحساب ولقدره في الخدمه، شاكرًا: فإن الشكر صميم لأزدياد النعمة بعد النعمة، سراجًا وهاج الذكاء على المنار ولا ظلم مع وجوده ولا ظلمه؛ والله تعالى يعلى قدره، ولا يُطْفئ ذكره.



توقيع بصحابة ديوان الحرمين، من إنشاء ابن نبأته، لمن لقبه «شمس الدين» وهو:

رسم بالأمر - لا زالت أوامره نافذة في الآفاق، عاطفة عطف النسق على ذوي الاستحقاق، مطيعة شمس التقى والعلم في منازل الإشراق - أن يستقر المجلس ... :
علمًا باستحقاقه لما هو أكثر وأكبر، وأوفى وأوفر، وإطلاعًا لشمسه وإن اعترضها غم غيم في مطالع شرفها الأنور؛ وإعلامًا بأنه غيم يزور ويؤول، ونقص لا يقيم إلا كما يذهب عارض من أفول؛ واعتمادًا على ما عرف من وفاء صحابته، وألف من سناء درايته ودرابته، ووصف من أيام ديونته بعد أيام حكمه بعد أيام خطابته!؛ وأستنادًا إلى نشأته في بيت العلم المستفاد، والحكم المستجاد، والفضل المستزاد، وتربية الوالد الذي كان الاختيار يحلف بالفخر أنه ما يرى أظهر من ذات العباد.

فلباشر صحابة ديوان هذين الحرمين الشريفين بأمل مبسوط، وحال بينا هو منحوس حظ إذا هو - إن شاء الله - مغبوط؛ واجتهاد مضمون لجدواه فضل الزيادة، وسير لا يزال بشمسه حتى تجرى لمستقر لها من منازل السعادة، ومباشرة لأوقافها ثعان وتعاد أجمل إعانة وأكمل إعادة، وصحابة يتنوع في نفعها ويتعين حتى تكون [منه] عادة ومنها شهاده.

أيام كان بديوانه . وهو لفظ تخفيف ليس بعربي .



تَوْقِيعٌ بنظر الشعرا وبانياس، من إنشاء ابن نباتة، لمن لقبه «صدر الدين» وأسمه «أحمد» بالعود، وهو :

رُسم بالأمر - لا زالت صُدُور الكُفافة مُنْشِرحَةً في أَيَّامه ، مُنْشِرحَةَ الآمال
في إنعامه ، ولا بَرِحَ عَوْدُهُ أَحْمَدَ إِلَى المَناصِبِ في ظلالِ سَيُوفِهِ وَأَقلامِهِ .

ومنه : فليباشر هذه الوظيفة الشاكرة له أولاً وآخراً ، وليجتهد فيما يزيد من
الأعتناء والأغتناء باطناً وظاهراً ، وليسترد بشكره من النعمة فما أخلف وعد المزيدي
شاكراً ، وليحرص على أن يرى أبداً في المراتب صدراً ولا يرى عن ورود الإحسان
صادراً .



تَوْقِيعٌ بنظر حمص، من إنشاء ابن نباتة، كتب به لابن البدر ناظر حمص
بالنزول من أبيه عند ما أسن، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال حَسُنُ النَّظَرِ من مَواهِبِهِ ، وَيَمُنُّ الظَّفَرِ من مَراكِبِهِ ، وَسَقَى
البلاد صَوْبَ العَدْلِ من سِحايبِهِ ، ولا بَرِحَ سِنا البَدْرِ من خَدَمِهِ فإذا أَحَسَّ بالسَّرارِ
ألقى الخَدَمَةَ إلى أَزْهِرِ كَواكِبِهِ - أن يَسْتَقِرَّ المَجلِسُ ... : لِمَا عُلِمَ من رَأْيِهِ الأَسَدِ ،
وعَزَمَهُ الأَسَدِ ، ومَرَبِّي والده حَتَّى يَبِينَ عِظَمُ المَنايا بِالشَّيْلِ عِندَ ما وَهَنَ عِظَمُ الأَسَدِ ،
ورُكُونًا إلى نِجابَتِهِ التي سَمَّتْ أَصلاً وفَرَعًا ، وَقَدُمْتُ غِناً ونَفَعًا ، وَتَبَسَّمتُ كِئامُ
أَصْلِها المِستأنَفَةِ حَيْثُ كادَ الزَمانُ يَنعِي 'منه يَنعًا ، وَأَسْتنادًا إلى أَنَّ الصِّناعةَ شابَهُ ،
وَسَماتِ التَّمَكِّينِ هابَهُ ، وإلى أَنَّ أَغْصانَ العِزائمِ نَصَرَهُ ، وإلى أَنَّ مَعَ القُدْرَةِ قُدْرَهُ ،
وإلى أَنَّ كَوكَبَ العِزِّ في المَترلةِ قَدِ خَلَفَ بَدْرَهُ ، وَأَعْتادًا على سِهامِ تَفْفيذِهِ الصَّابِئِ ،

وأحكام هممه الواجبه ، وأقلام يده التي تُحسِنُ إخراج الأمل فيه وكيف لا ؟ وهى الحاسبة الكاتبة .

فليأشر هذا النظر المفوض إليه سامياً نظره ، زاياً في الخدمة خبره وخبره ، شاكراً هذا الإنعام الذى برأياه وأسعد جدّه ومزید الإنعام مضمون^(١) المزید لمن شكره ، عالماً أنّ هذه المملكة المحصية من أقدم ذخائر الأيام ، وأكرم ما أفاء الله من غنيمتها وظلّها على جُند الإسلام ، وأنها من مراكز الرماح كما شهير فليمدّها من تديره برماح الأقلام ؛ وليواظب بحسن نظره على تقرير أحوالها ، وتقريب آمالها ، وتأثير المصالح فى أعمالها ، ولا يمحّص أمرها فى التصديق فكفى ما حصّتها الأيام على تعاقب أحوالها ؛ بل يجتهد فى إزاحة أعتادها بسداد الرأى الرابع ، وإشاعة الذكر الحسن مع كلّ غادٍ ورائح ، ورفع الأيدي بالأدعية الصالحة فى تلك المشاهد للملك «الظاهر» فى هذا الوقت والملك «الصالح» ؛ حتى يشهد سيف الله «خالد» بمضاهى سيف حزمه وعزمه ، وحتى يتوقّر من غرض الخير والحمد نصيب سئمه ، وتقوى الله تعالى أول الوصايا وآخرها فلتكن أبداً فى همّة فهمه .



توقيع بنظر الرحبة ، من إنشاء ابن نباتة لمن لقبه «تاج الدين» وهو :

رُسم بالأمر - لا زال مليء السحاب ، بسقيا الآمال الواردة ، مملوء الرحاب ، بكفاة الأعمال السائده ، مخدوم الممالك والأيام بأقلام الدواوين الحاسبة وأقلام الدواوين الحامده - أن يستقر : لكفاءته التى وافق خبرها الخبر ، ونشر ذكرها نشر الخبر ، وصناعة حسابه التى لو عاش «أبو القاسم المعرى» لم يكن له فيها قسيما ،

(١) لعل هذه الكلمة زائدة من قلم النسخ .

ولو عاصرها «أَبْنُ الْجِرَاحِ» بِقَدَمِهِ وَإِقْدَامِهِ لَا نَقْلِبَ عَنْهَا جَرِيحَ الْفِكْرِ هَزِيمًا ؛
بَلْ لَوْ نَاوَأَهُ الشَّدِيدُ الْمَاعِزُ لُدْمِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ ، وَالتَّاجِ الطَّوِيلُ لَرَجَعَ عَنِ هَذَا التَّاجِ
الطَّائِلِ رُجُوعَ الْمِسْكِينِ .

فَلْيَبْشِرْ مَا فُوضَ مِنْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ إِلَيْهِ ، وَنَبِّهِ الْأَخْتِبَارَ فِيهَا نَظْرَهُ الْجَمِيلَ وَنَاطِرِيَهُ ؛
جَارِيًا عَلَى عَوَائِدِ هَمَمِهِ الْوَثِيقَةِ ، مَا شِئًا عَلَى أَنْجِحَ طَرِيقَ مِنْ آرَائِهِ وَأَوْضَحَ طَرِيقَهُ ،
نَازِلًا مَنزَلَةَ الْعَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي لَوْ صُوِّرَتْ بَشْرًا لَكَانَ نَاطِرُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛
مُفَرِّجًا لِمَضَائِقِهَا حَتَّى تَكُونَ كَمَا يُقَالُ رَحْبَهُ ، مُقْتَحِمًا مِنْ حُرُونِ أَحْوَالِهَا الْعَقَبَةِ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ ؛ فَكَّ مِنْ رِقَابِ السُّفَّارِ الْمَعْوَقِينَ رَقَبَهُ ؛ وَأَطْعَمَ أَرْبَابَ
الْأَسْتَحْقَاقَاتِ فِي يَوْمِ ذِي مَسْغَبِهِ ، وَسَاعَفَ بِتَيْسِيرِ الْمَعْلُومِ كُلِّ كَاتِبِ ذِي مَتْرَبِهِ ؛
حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُغْنِيَ الدِّيْوَانَ بِوَفْرِهِ ، وَتُغْنِيَ حُدَاةَ التُّجَّارِ بِشُكْرِهِ ، وَعَلَى أَنْ يَقُومَ
رِجَالُ الْأَسْتِخْدَامِ فِي الْمُهَيَّمَاتِ بِنَصْرِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُسَاقَ بِفَضْلِ قَلْبِهِ الْأَمْوَالُ أَحْسَنَ
سَوَاقٍ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِ الرَّحْبَةِ مِنْ إِحْسَانِهِ « مَالِكٌ » وَمِنْ جَدْوَى تَدْيِيرِهِ
« طَوْقٌ » ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ فِي الْمَصَالِحِ مِنْهَا جَهَهُ ، وَيُعَلِّي عَلَى رُءُوسِ الْأَوْصَافِ تَاجَهُ .



تَوْقِيعٌ بَنَظَرِ جَبْرٍ قَبْلَ أَنْ تُنْقَلُ إِلَى عَمَلِ حَلَبَ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ
« لَهْبَةُ اللَّهِ بْنِ النَّفِيسِ » ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لا زالت المناصبُ في دولته الشريفة تستقبلُ هبةَ الله بِشُكْرِهَا ،
وَتَنَائِجَ الذِّكْرِ النَّفِيسِ بِمَقْدَمَاتِ نَشْرِهَا وَبِشْرِهَا - أَنْ يَرْتَبَ : لِكِفَايَتِهِ
الَّتِي أَشْتَهَرَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي طَهَّرَتْ فَظَهَرَتْ ، وَمُبَاشَرَتِهِ الَّتِي ضَاهَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ
إِذَا زَهَرَتْ ، وَنُجُومَ الْأَرْضِ إِذَا أَزْهَرَتْ ؛ وَأَنَّهُ الَّذِي جُرَّبَ عَزْمُهُ فَزَكَ عَلَى

التَّجْرِبِ ، وَرَقَى فِي مَطَالعِ التَّدْرِيجِ وَالتَّدْرِيبِ ، وَنَصَّ حَدِيثُ اجْتِهادهِ الْمُقْتَرَبِ فَكَانَ سَابِقًا عَلَى النَّصِّ وَالتَّقْرِيبِ ؛ وَأَنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ مِّنْ أَطَابِ النَّارِ يُخْ خَبَرَهَا ، وَقَصَّ سِيرَهَا ، وَحَمَدَ صَاحِبِهَا الْعُقَيْلِيَّ مِنْ قَدِيمِ أَثَرِهَا ، وَعَرَفَ بَرَكَتَهَا لَمَّا آسْتَسْقَى بِهَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْحَيَوانِ مَطْرَهَا .

فَلْيَبْأِشِرْ هَذَا النَّغْرَ الْمَحْرُوسَ بِكِفَاءَةِ بِاسْمِهِ ، وَعَزْمَةِ كَالْحُسَامِ لِأَذْوَاءِ الْأُمُورِ حَاسِمِهِ ؛ وَرَأَى لِلنَّجَاحِ حَسَنَ الْأَسْتِصْحَابِ ، وَتَمَيُّزَ كَمَا مَلَأَ الرَّحْبَةَ فَلَيْمَلَأُ بِمِضَاعَفَتِهِ الرَّحَابَ ؛ مُؤَفِّرًا الْعَدَدَ لِلْحَوَاصِلِ وَحَوَاصِلَ الْعِدَادِ ، فَاتِحًا لِأَفْوَاهِ الْقُفُولِ بِذِكْرِ الْجَمِيلِ فِي التَّهَامِ وَالنَّجَادِ ، مَاشِيًا فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ عَلَى سَدَادِ الطَّرِيقِ وَطُرُقِ السَّدَادِ .



تَوْقِيعُ بِنَظَرِ الْبِقَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يُهَيِّئُ لِلْكَفَاةِ رِزْقًا ، وَيُهَيِّئُ لِتَجْدِيدِ الْمَنَاصِبِ مُسْتَحَقًّا ،
وَلَا بَرِحَتْ الْبِقَاعُ بِأَيَّامِهِ الْكَرِيمَةِ تَسْعَدُ كَمَا تَسْعَدُ الرَّجَالُ وَلَا تَشْقَى - أَنْ يَرْتَبَّ ...
حَسَبَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مَكْتَابَةُ الْجَنَابِ الْفُلَانِي : مُنْبِئًا عَلَى قَدْرِ هَذَا النَّاطِرِ الْمُهْتَدِبِ وَصَفُهُ ،
الْمُرْتَبَّ عَلَى نَحْوِ الثَّنَاءِ نَعْتُهُ وَعَظْفُهُ ؛ الْمَشْهُورِ بِمَبَاشَرَتِهِ آتِنْفَاعِ الْوِظَائِفِ وَأَرْتِفَاعِهَا ،
الشَّاهِدِ بِكِفَاءَتِهِ وَأَمَانَتِهِ مَسَالِكِ الْأَعْمَالِ وَبِقَاعِهَا ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَبَاشَرَتِهِ الزَّكِيهِ ،
وَكِتَابَتِهِ الَّتِي لَا يُدَاهِنُهَا الْمُدَاهِنُونَ وَهِيَ نِعْمُ الْبَعْلَبَكِيَّةِ ^(١) .

فَلْيَبْأِشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمَتَيْمَنَةَ بِمَطَالعِ رَشْدِهِ ، وَمَطَالِبِ سَدْدِهِ ، عَالِمًا أَنَّ الْبِقَاعَ كَالرَّجَالِ تَسْعَدُ وَتَشْقَى : فَلْيَكُنْ سَعْدُهَا عَلَى قَلْبِهِ وَيَدِهِ ؛ مُجْتَهِدًا فِيمَا يُبَيِّضُ وَجْهَهُ

(١) نسبة الى بعلبك عند من يجعله اسما واحدا ويمتعه من الصرف فأما من يضيف الأول الى الثاني ويجرى الأول بوجوه الاعراب فالنسبة عنده بعلبي .

شَاكِرِهِ، حَرِيصًا عَلَى أَزْدِيَادِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَقْدِ حِسَابِ الْعَمَلِ مَحَلَّ بَنَانِهِ
بِفَعْلِهِ الْآنَ مَحَلَّ نَظَرِهِ، مُتَمَرًّا لِأَمْوَالِ النُّوَاحِي وَغِلَالِهَا، وَاضِعًا عَنْ أَرْبَابِ
الْأَسْتِحْقَاقَاتِ مَا عَلَيْهَا مِنْ سُوءِ التَّنْدِيرِ: مَنْ إِصْرُهَا وَأَغْلَالِهَا؛ مَحْتَاطًا لِنَفْسِهِ
فِي الْحَوَاطِ حَتَّى لَا يُذَكَّرَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا يُعْرَفَ قَلَمُهُ إِلَّا بِمَيْرٍ؛ نَاثِرًا حَبَّ حُبِّهِ حَتَّى
تَهْوِي إِلَيْهِ أَلْفَاظُ الثَّنَاءِ هَوِيَّ الطَّيْرِ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ مَقْصَدَهُ: فَإِنَّهَا السَّبِيلُ إِلَى فَوْزِ
الدَّارِينَ لَا غَيْرَ.

الصنف الرابع

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - تواقع مشايخ الخوأنق،

وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح بـ«الحمد لله»)

وهو توقيع شيخ الشيوخ بدمشق: وهي مشيخة الخانقاه الصلاحية المعروفة
بالشميصاتية. وقد تقدم أنها يكتب بها أيضا من الأبواب السلطانية. ثم هي تُفرد
تارة عن كتابة السر بالشام، وتارة تُضَافُ إليها.

توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة، كُتِبَ بِهِ
للشيخ «علاء الدين علي» مفردة عن كتابة السر، وهو:

الحمد لله الذي جعل شرف أوليائه عليا، وفضلَه الجليل جليا، واتصالَ علامهم
كاتصال كوكب الشرف بإيلاء الخيرات مليا، وحاضرَ أفقهم كغائبه إذا سطرت
دعواته واستمرت هباته كان على كلال الحالين وليا .

نحمده على توالى النعم الأنيقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تستمر بأصنافها فروع الحقيقة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أجدر الخلق
بكرم الخليفة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه أحسن طريق
وسلكوا في أحسن طريقه ، صلاة دائمة لا تزال بها عقائد الإخلاص موقفة وألسنة
الذكر طليقة ، وتحيية إذا بدت في حضرة الأذكار كانت للأعين من النور نهاره
وكانت للأبصار من القدر شقيقه .

أما بعد ، فإن أولى المراتب الدينية بتقديم العناية ، وتفضيم الرعاية ، وتكريم التولية
ولا سيما إذا كانت منتسبة إلى أهل الولاية - مرتبة مشيخة الشيوخ التي يجمع عباد الله
الصالحين نطاقها ، ويضمهم رواقها ، وتطلعهم مطالع كواكب الهدى آفاقها المنيرة
وأوفائها .

ولما خلت الآن هذه الرتبة بالشام المحروس من شيخ تدور هذه الطائفة على
قطبه ، وتجتمع على مائدة قرباته وقربه ، وتمشى على قدمه وتناجى صلاح أحوالها
عن قلبه - تعين أن نختار لها من كملت بالله أداته ، وصفت في مشاهد الحق
ذاته ، وزكت في علمي الإبانة والأمانة شهادته المفصحة ومشاهداته ، وأجمع الناس
على فوائد تسليكه وأسلاك قلبه حيث بدت في وجوه الحسن حسنة ، ووجوه
الشام شاماته ؛ لما شهر من معرفته وعرفانه ، ولما دعى له ببقاء نوح لما فاض

في العلم من طوفانه ؛ ولمّا قام في الأذهان من طبقة قدره الموصوف ، ولمّا سار من رسالة أخباره فإذا قالت الآثار : « هذا السرى » قال الإيثار : « وفضله معروف » .

فليأشر هذه المشيخة المباركة بصدر السالكين رحيب ، ويرّ السائلين مجيب ، وفضل يقول الرائد والمريد مدار إقامته : قفّا نيك من ذكرى منزل وحيب ، وبشر وبشرى يملآن عين المجتبي ويد المجتدي ، وعطف ولطف إذا قال الذّاكر لمن مضى : راح مالكي ! قال المعين : وجاء سيدي ، وليراع أمور الخوانق الشامية ما غاب منها وما حضر ، وما سمع منها وما نظر ، ولهدب قلوب ساكنيها حتى يعود كإخوان الصفاء من المودة قوم كانوا إخوان الصفا من الحجر ، قائماً بحق الرتبة قيام مثله من أئمة العلم والعمل ، داعياً لهذه الدولة العادلة فإنه أقصى دواعي الأمل ، معرباً - لأنّ العربيّة من علومه - عن الإيضاح غنياً عن تفصيل الجمل ، وهو المسلك فما يحتاج لتسليك درر الوصايا ، المحبوء لمثل هذه الروايات المبرورة : فنعيم الروايات المحبوة بنعم الحبايا ، والله تعالى يعيد على الأمة بركاته ، ويمتعمهم باستسقاء الغوث : إماماً بسطها عند بره ! وإماماً بسطها عند دعواته .



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام أيضاً ، مضافة إلى كتابة السريه ، كتب بها للقاضي ناصر الدين « محمد بن أبي الطيب » كاتب السر بالشام بـ « الملقر الشريف » وهي :

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بمعرفة الحق واتباعه ، وجعلهم خواصه الذين غدوا من أتباع الحبيب وأشياعه ، ورفع ذكركم على رؤوس الأشهاد وآواهم إلى مقام الأئس في محلّ القرب بالتسليك المحمدي الذي أوصل إليه مزیده بانقطاعه ، وخصهم

ببركات من حصّهم على الأعمال الصالحة بتّصيده الجميل وعلمه الغزير واتّضاعه ،
ومنتحهم بمن أوضّح لهم الطريق المستقيم بإبدائه الحقّ وإبذار إبداعه ، وغدّاهم بالحكمة
فنشّوا بالمعرفة وصار لهم العقل السليم بالتّحفظ من الأهوية الرديّة فسأمت لهم الطيبة
على قانون الصّحة بحسن تركيبه وأوضاعه ، وأفاض عليهم من بحر علمه ما نالوا به الرشد
فصاروا أولياء بملازمة أوراده ومتابعة أوزاعه .

نحمده على ما ألهنا من وضع الشّيء في محله ، وإيصال الحقّ إلى أهله ، وإجابة
سؤال الفقراء وإعانتهم بمن أغناهم عن السؤال بفضائله وفضله ، حمداً يعيد كشاف
الكرب على مريديه وطالبته ، ويرفع مقام من قام بشعار الدين بتعظيم قدره وعلو
درجته ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي من تقرب منه ذراعاً ،
تقرب منه باعاً ، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة وإذا تقرب إليه عبده بالنوافل
أحبه ، ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من
ورقة إلا يعلمها ولا حبه﴾ . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت
الأكوان من نور هديه فأهتدت به أصحاب المعارف المسلمون لموجدهم الأمر
والإرادة ، ومن هو روح الوجود الذي أحيا كلّ موجود وسلك طريق سنته
الموصلة إلى عالم الغيب والشهادة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صفت
قلوبهم من الأكدار وإلى التقوى سبقوا ، وصدقوا في المحبة فاستحقوا ثناء مولاهم :
﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾ ، فمنهم من شئت من فيه راحة كيد مشويّة من
خشية الله ، ومنهم من حدث بما شاهده ببصره وبصيرته على البعد ورآه ، ومنهم
من أحيا ليله واستحييت منه ملائكة السماء ، ومنهم من آخذة أخا إذ هو باب
مدينة العلم وركن العلماء ، صلاة دائماً تطيب أوقات المحبين ، وتطرب بسماعها
قلوب المتقين أهل اليقين ، وسلم تسليماً .

أما بعد، فإنَّ أولى مَنْ قدَّمناه، إلى أهل الصَّلاح، ورفعناه، إلى محلِّ القُربِ وروح الأرواح، وحقَّناه، على أهل الخير، ومكَّناه في حُزبِ الله الذي غلبَ لما اجتهدوا على إخراج حُزبِ الشَّيطان من قلوبهم وزحفوا على قراره بجيشِ التَّقوى وسمَّتهم الزُّهد وحُسن السَّير؛ وولَّيناه أجلَّ المناصب الذي تجتمع فيه قلوبُ الأُولياء على الطَّاعة، وأحلَّلناه أرفعَ المراتبِ الذي خطبه منهم خيارُ الجُمع لجلوةِ عروسِ الجمال في الخَلوة بعقد ميثاقِ سُنَّةِ المحبَّة وشهادة قلوبِ الجماعة - من جملة صورةٍ ومعنى، وأفتخر به أحدٌ ومثنى؛ وباشره على أحسن الوجوه، وبلغَ كلاً من مُريديه وطلَّبتِه من فضائله وفضله ما يؤمِّله ويرجوه؛ ومدَّ موائدِ علومه المحتوية على أنواع الفضائل المُعدِّية للقلوب، وجلس في حلِّ الرِّضا فكسا القومَ الذين لا يَشقُّ بهم الحَلِيسُ ملايسَ التَّقوى المطهرة من العيوب؛ وظهر في محفلهم للهداية كالبدر وهم حوله هاله، وكان دليلهم إلى الحقِّ فعدوا بتسليكه من مشايخ الرِّسالة؛ وجاهد في بيان معاني القرآن العظيم حتى قيلَ لما فسره: هذا «مُجاهد»، وأستدلَّ على تزيهه من تكلم به - سبحانه - عن التشبيه والتعليل «وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد»، ونقل الحديثَ الحمديَّ الذي هو «موطاً» لتفهم «الغريب» منه وميز «صحيحه» لكلِّ «مُسلمٍ» فأطرب بسجاعة الوُفود، وأفاد العباد «تنبيه الغافلين» فقاموا في الخدمة فأصبحوا تعرفهم بسياهم: (سماهم في وجوههم من أثر السُّجود)؛ وخفَّض جناحه الذي عبر به الشَّعري العبور والنسر الطائر، وسار إحسانه إلى طوائف الفقراء فصار مثلاً فحببنا «المثل السائر».

وكان فلانٌ - أعاد الله تعالى من بركاته وأسبغ ظلاله - هو الذي أقامه اللهُ تعالى لهذه الطائفة المباركة مرَّة بعد مرَّة، ودُكرت صفاته الجميلة فكان مثله للعيون قرَّة؛

وَأَتَصَفَّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَلَأَتْ الْأَفْوَاهَ وَالْمَسَامِعَ كَمَا مَلَأَتْ مِرْءَاتَهُ الْمُقَلَّ، وَحَصَلَ
 الْبَشَرُ بِمَعْرُوفِهِ الَّذِي نَتَبَعَهُ السَّرِيُّ أَبُو يَزِيدَ بَجْرِيٍّ عَلَى عَادَةِ الْقَوْمِ الْكِرَامِ وَوَصَلَ بِهِ
 وَنَبَعَتْ عِنَاصِرُ فِضَائِلِهِ فَكَانَتْ شَرَابَ الَّذِينَ صَفَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَدِّهَا، وَأَمْطَرَتْ
 سَحَابَ عِلْمِهِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّائِرَةَ مِنْ سَمَاءِ الْحَقِيقَةِ فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بَقَدْرِهَا، وَظَهَرَتْ لَمْعَةُ
 أَنْوَارِ شَمْسِ مَعَارِفِهِ عِنْدَ التَّجَلِّيِّ عَلَى الْمُرِيدِ، وَسَاقَ نُفُوسَ الْقَائِمِينَ لَمَّا عَزَّ مَطْلَبُهُمْ
 بِأَصْلِهِ الَّذِي شَرَحَ طَلَّاسِمَ قَلْبِ الْقَائِي بِذِكْرِ الْبَاقِي فَعَرَفُوا فِي بَحَارِ الْمَحَبَّةِ (وَجَاءَتْ كُلُّ
 نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَرْفَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ،
 وَيُنْبِي لَهُمْ فِي جَنَّاتِ الْقُرْبِ قُصُورَ الرِّضَا: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا) وَمَنْ يَزِيدُهُمُ الْإِكْرَامَ -
 أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ : وَظَيْفَتُهُ الَّتِي نَخَرَجَتْ عَنْهُ ،
 الْمَرْسُومُ الْآنَ إِعَادَتُهَا عَلَيْهِ ، عَوْضًا عَنْ كَانَتْ بِيَدِهِ ، بِمَعْلُومِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ الشَّاهِدِ
 بِهِمَا دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ ؛
 تَفْوِيضًا نُظِمَتْ بِالْقَبُولِ عُقُودُهُ ، وَدَامَتْ فِي دَارِ السَّعَادَةِ سُعُودُهُ ، وَفِي دَرَجِ الْمَعَالِي
 صُعُودُهُ .

فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ ، وَلْيَبْلُغِ الْفُقَرَاءَ مِنْ إِقْبَالِهِ الْجَمِّ الَّذِي أَلْجَمَ عُدُوهُ الْمُنَى وَالسُّوْلَ ؛
 وَلْيُعَامِلِ الْمُرِيدِينَ بِالسَّفَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ رَحْمَةِ دِينِهِ وَإِفْضَالِهِ ، وَلْيَشْمَلْ كَلًّا مِنْهُمْ
 بِعِنَايَتِهِ وَأُظْفِهِ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَشْفَقُهُمْ عَلَى عِيَالِهِ ؛ وَلْيَأْمُرْهُمْ بِمُلَازِمَةِ
 إِقَامَةِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ ، وَإِذَا مَالُوا - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى - يَوْمًا
 إِلَى مُنَافَسَةِ بَيْنِهِمْ فَلْيُقِلِّ : أَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
 الْمَيْلِ ؛ وَلْيُفَسِّحْ لَهُمْ حَرَمَ الْخَيْرِ الَّذِي وَقَفُوا فِيهِ نُجَاهَ قَضَرِ تَعَبُدِهِ الَّذِي عَلَا بِالْجَوْهَرِ

الفَرْدِ وَقُوَّةَ الإِخْلَاصِ ، وَلِيُدْخِلَهُمْ مِنْهُ جَنَّةَ إِقْبَالِ فَوَائِدِهِ الَّتِي فِيهَا مِنْ أَبْكَارِ مَعَانِيهِ
 حُورٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِ أَدَانِيهِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِئْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ وَأَعْجَزَ قَصْرُهُ الْعَالِي
 وَجَوْهَرُهُ الْعَالِي كُلِّ بِنَاءٍ وَعَوَّاصٍ ؛ وَلِيَجْعَلَهُمْ لَهُ عَلَى جَبَلِ اعْتِمَادِهِ وَمَرْوَةٍ مَرْوَةٍ
 إِخْوَانَ الصِّفَاءِ ، وَلِيُقِيمَهُمْ فِي رُكْنِ مَقَامِ الْمُنَاجَاةِ إِذَا زَمَزَمَ مُطْرِبُ حَيْمٍ تَلْقَاءَ أَهْلِ
 الْوَفَا ؛ وَلِيَقْدِمَ السَّابِقِينَ بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَنَجْدَتِهِمْ بِالْوَرَعِ الَّذِي يَغْلِبُونَ بِهِ الشَّيْطَانَ
 فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ، وَلِيَسْدُوا قُلُوبَهُمُ الْمَرْضَى بِشَرَابِ الْمَحَبَّةِ وَتَرْكِيبِ أَدْوِيَةِ
 الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الدُّنْيَا لِيَعْتَدُوا وَقْتَ السَّحْرِ [بِحَدِيثِ] [هَلْ مِنْ تَائِبٍ] وَلَا يَسْقِيَهُمْ كَاسَاتِ
 تَضَعُفُ عَنْهَا قُوَّتُهُمْ حَتَّى يَنْقُوْا مِنْ بَرْدَةِ الْهَوَى الْمُضِرَّةِ وَيَغْتَسِلُوا بِحَارِّ مَجَارِي دُمُوعِ
 الْخُشُوعِ وَيَلْبَسُوا جَدِيدَ مَلَابِيسِ التَّقْوَى وَيَغْدُوا مِنَ الْحَبَائِبِ . وَمِنْهُ تُعْرَفُ الْوَصَايَا ،
 وَعَنْهُ تُثَقَلُ الْمَزَايَا ، وَكَرَمُ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا ؛ وَلِيَأْمُرَ السَّالِكِينَ بِمَدَاوِمَةِ الْأَعْمَالِ
 الَّتِي قَامَتْ بِحُسْنِ الْعَقَائِدِ وَأَسْتَقَلَّتْ ، وَلِيَحْضُرَ الْمُرِيدِينَ أَوَائِلَ التَّسْلِيكِ عَلَى ذَلِكَ
 فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ ؛ وَلِيَعْرِفَهُمُ الْمَحَبَّةَ بِذِكْرِ اللَّهِ لَثَلَا
 يَقُومُوا عَلَى قَدَمِ الْهَيْامِ ، وَلِيَسِينَنَّ لَهُمُ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَعْرِفُوا الْمَعْنَى لِيَقْطَعُوا الْهَوَا حِرْفِي طَلَبِ
 الصِّيَامِ ؛ وَلِيَفَرِّقَ بَيْنَ الْوَارِدَاتِ بِمَلَازِمَةِ الْأُورَادِ لَثَلَا يَقَعُوا مِنَ الْأَشْتِبَاهِ فِي حَيْرِهِ ،
 وَلِيَأْمُرَهُمْ بِادِّخَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِتَكُونَ التَّقْوَى لِقُلُوبِهِمْ قُوَّتًا وَالزُّهْدُ مِيرَةً ؛ وَلِيَقْمَعَ
 أَهْلَ الْبِدْعِ ، وَلِيَرْفَعَ مَنْ آتَضَعَ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ أَوْقَافِهِمْ بِجَمِيعِ الْخَوَاطِقِ وَالرُّطْبِ
 وَالزُّوَايَا بِالْجَمِيلِ مِنَ النَّظَرِ ، وَيَزِيدَ فِي الْأَجُورِ بِمَا يُوَثِّرُ فِيهَا نَظْرُهُ الَّذِي مَازَالَ لَهُمْ مِنْهُ أَوْفَرُ
 نَصِيْبٍ خَبْدًا الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ ، وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَهِيَ مُفِيدَةٌ وَعِنْدَهُ مَنَبَعُهَا ، وَتَقْوَى
 اللَّهِ الَّذِي هُوَ شَيْخُهَا وَمُرِيدُهَا فِي بَيْتِهِ الْمُبَارَكِ حَلَاوَةٌ ذَوْقُهَا وَجَمْعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
 يَكْلُوهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِآيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ ، وَيَرْفَعُهُ بِهَا وَيُرْقِيهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ .

المرتبة الثانية

(من تواقيع مشايخ الأمكنة بحاضرة دمشق - ما يفتح به «أما بعد

حمد الله» وفيها وظائف)

نسخة توقيع بمشيخة إقراء القرآن ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للشيخ شهاب الدين «أحمد بن النقيب» بـ «المجلس العالى» وهى :

أما بعد حمد الله رافع شهب الهدى أعلما، وجاعل رتب أفضلها أعلى ما ، ومحل
أحمدها من مدارس الآيات منازل بدر إذا مح الحاق من هذا أسما أثبت من سمو هذا قمرأ
تماما، ومسكنه من مواطن الذكر جنات قوم بارتقاءهم وبقاء ذكهم خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرفع من آخذ القرآن إماما،
وأنتفع من عقد استحقاق النبوة على حمده خنصرا وجلا الحق بهداه إبهاما، وعلى آله
وصحبه أمتع من ليس بسردي الآيات درعا وأقسم من بركتها سهاما - فإن وظيفة
يكون القرآن الكريم، ربيع فصلها وفضلها، ورتبة يكون الذكر الحكيم، مداوى قلوب
جنفها، ومشيخة يكون مرید الآيات البينات وريد زوايا أهلها - لأحق أن تختير لها
الأكفاء من ذوى الفضل الأثير، والأدلاء على أشرف نتائج الهداية من ذوى الحليم
الساكن والعزم المثير .

ولما كانت مشيخة إقراء القرآن بالترتبة المعروفة بأمر الصالح بدمشق المحروسة :
هى كما يقال : أم العلم وأبوه، وأخوه وحموه، وصاحبته وأهل الكتاب والسنة بنوه،
وخلت الآن من شيخ [كان] يحمي حماها، وتقسيم الحلوات والآيات من بركته وتلاوته
بـ «الشمس وصحها والقمر إذا تلاها» وكان فلان هو الذخيرة الخبوءة لهذا الأمر ،
وذو السيرة المحبوة بهذا الشرف العمر، وصاحب القراءة والبيان الذى لا يعوز زمان

طَلَبْتَهُ [أبو] عُمَرُ وَلَا أَبُو عَمْرٍو، وَالْجَامِعُ لِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِجَمْعِ سَلَامَةٍ فِي فَنِّهِ، وَصِحَّةٍ فِي شَرْفِ ذَهْنِهِ، وَجَوَازِ أَمْرٍ يَشْهَدُ أَنَّ الْبَحْرَ يَخْرُجُ [لَدَى] الْمَشْكَلَاتِ مِنْ صَدْرِهِ وَيَدْخُلُ عِنْدَ عَقْدِ الْحُبِّ فِي رُؤْيِهِ، وَالْقَارِيُّ الَّذِي إِذَا قَالَ مُبِينًا قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، وَالتَّالِي الَّذِي إِذَا قَصَرَ أَوْ مَدَّ، مَدَّ إِلَى سَمَوَاتِ الْعُلَى بِأَسْبَابِ، وَالْمُشِيرُ إِلَى عِلْمِهِ الْمَرْسُومِ بِمُصْحَفِهِ فَلَا عِدَمَ إِشَارَتِهِ وَمَرْسُومَهُ أَوْلُو الْأَبَابِ، وَالْمُجَلِّي وَإِنْ سَمَّاهُ الْعُرْفُ تَالِيًا، وَالْمُنْتَقِبَ عَنِ غَوَامِضِ التَّفْسِيرِ: وَ «أَبْنُ النَّقِيبِ» أَوْلَى بِسِنْدِ التَّفْسِيرِ عَلِيًّا، وَالْإِمَامَ السُّنِّيَّ وَإِنْ سَمَّاهُ الشَّرْعُ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ دَهْرًا وَأَقَامَ لَهُ فِي أَفُقِ كُلِّ فَضْلٍ دَاعِيًا، وَالسَّامِي الَّذِي يَسْلُكُ بِفَخْرِهِ عَلَى «الْعِرَاقِيِّ» أَوْضَحَ مَحَجَّهُ، وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي مَا «لِلْفَارِسِيِّ» دَخُولٌ فِي بَابِ تَيْفَنِهِ وَإِنْ جَاءَ بِحُجَّةٍ، وَذُو الرِّوَايَاتِ الْمُرُويَةِ سَخَائِبُهُ، وَخَلْفَ الْعُلَمَاءِ الْأَبْيَضُ فَمَا «خَلْفَ الْأَحْمَرِ» مِمَّا يُقَارَبُهُ، وَلَا «تَعَلَّبَ» مِمَّا تَضَجُّ لَدَيْهِ تَعَالِيَهُ، وَلَا «أَبْنُ خُرُوفٍ» مِمَّا يُدَانِيهِ وَهُوَ «الَلَيْثُ» وَمِنَ الْأَقْلَامِ مَخَالِبُهُ، وَبَقِيَّةُ السَّادَةِ الْقُرَاءِ الْمُنَشَّدُ قَوْلَ الْحَمَائِيِّ .

وَأَيُّ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمْ * إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ!
بُدُورُ سَمَاءٍ، كَلَّمَا غَابَ كَوَكَبٌ، * بَدَا كَوَكَبٌ، تَأَوَّى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ!

تَعَيَّنَ أَنْ يُخَطَّبَ لِهَذِهِ الْمَشِيخَةِ خُطْبَةَ الْفَتَى لِأَقْتِبَالِ مَجْدِهِ وَالشَّيْخِ لِتَوْفِيهِ، وَيُطَلَّبَ لِهَذِهِ الرِّتْبَةِ طَلِبًا يَقْضِي الْأَمْلُ فِيهِ بِعِنْوَانِ تَيْسِيرِهِ .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ... : وَضَعًا لِلْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا، وَرَفْعًا لِأَقْدَارِ الْأَفْاضِلِ إِلَى أَعْلَى رُتَبِ الْفَضْلِ وَأَجْلَهَا، وَعِلْمًا بِمَقْدَارِ هَذَا الْعَالَمِ السَّابِقِ فِي أَفُقِ الْهُدَى شَهَابًا، الْمُدَقِّقَ عَلَى رِيَاضِ الْعِلْمِ سَخَابًا، النَّاقِلَ إِلَى مَجَالِسِ الْأَشْتِغَالِ خُطًّا يَقُولُ لَهَا الْمُؤْمِنُ بِالْإِكْرَامِ وَالْكَافِرُ بِالْإِرْغَامِ: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) .

(١) هو حفص بن عمر الدُّورِيُّ .

فليأشُرْهـ هذه الوظيفة مباشرة مثله من ذوى الأناة والإفادَة ، وكُفَاةِ المناصب
الذين على سَعِيهِمِ الحُسْنَى وعلى الدَّوْلَةِ تَصَلُّ الزِّيَادَةِ ؛ وَلَيْسَلُكُ في الأشغال عادة نُطْقَه
الأحْسَنُ ، وَلِيَعَامِلَ طَلَبَتَه في المباحث بغير ما أَلْفُوا من الخلق الأَخْشَنُ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ
قد جُمِعَ بين ربه وتُرْبَةِ الأُمِّ كى تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنُ ؛ فَلْيَسْرَهَا بِنَبْلِهِ ، وَلْيَبْرَهَا بِفَضْلِهِ ؛
وَلْيُوَفِّرِ السَّعَى إِلَيْهَا كُلِّ وَفِيَةِ فِي المَسِيرِ ، وَلْيُقَسِّرْ أَحْلَامَ أَمَلِهَا فِيهِ فَمِنْ مُفْرَدَاتِ عُلُومِهِ
التَّفْسِيرِ ؛ وَلْيُحْسِنِ لِنَلَامِدَتِهِ الجَمْعَ ، وَلْيُحِمِّ حَمِيَّ رَوَايَاتِهِمْ من الخَطَا وَلَا يَعْجَبُ أَنْ يُحْمَى
حَمِيَّ السَّبْعِ ! ؛ تَالِيَا كَلَامَ رَبِّهِ كَمَا أَنْزَلَ وَحَسْبِهِ ، دَاعِيَا بِذَسَبِ قِرَاءَتِهِ إِلَى ابْنِ كَعْبٍ
خَبِذَا نَسَبُهُ المَبَارِكُ وَكَعْبُهُ ؛ نَاصِبَا بِمَنْظَرِ شَخِصِهِ أَشْخَاصَ أَمْثَالِهِ الأَوَّلِ بَعْدَ مَا ضَمَّهُمْ
صَفِيحِ التَّحْدِ وَتُرْبِهِ ، حَتَّى يَمِيسَ « الكِسَائِيُّ » فِي بُرْدِ مَسْرَتِهِ الفَاخِرِ ، وَيَفْتَحَ عِيُونَ
« حَمْرَةَ » عَلَى زَهْرَاتِ رَوْضِ عَيْقِ المَبَاخِرِ ، وَيَتَرَنَّمُ وَرَشَانُ « وَرِش » فِي الأَوْرَاقِ
عَلَى بَحْرِ الزَّأخِرِ ؛ وَيُظْهِرُ بِفَضْلِهِ ذِكْرَ « الشَّاطِطِيَّ » فَيَكُونُ « القَاضِي الفَاضِلُ » رَحِمَهُ اللهُ
قَدْ أَظْهَرَ فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ وَ« القَاضِي الفَاضِلُ » أَجَلَهُ اللهُ قَدْ أَظْهَرَ فِي الزَّمَنِ الآخِرِ ،
وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى كَمَا عَلِمَ خَتَامُ الوَصَايَا البِيضِ فَلْيَتَنَاوَلْ مِسْكَهَا الَّذِي هُوَ بِشَدَا المِسْكِ
سَاحِرٌ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِعُلُومِ صَدْرِهِ الَّذِي مَا ضَاقَ عَنِ السُّؤَالِ فَمَلَّهُ ، وَيَمْتَعُ بِعُلُومِ
قَدْرِهِ الَّذِي إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ لِفَضْلِ التَّنَاءِ فَمَنْ لَهُ .

المرتبة الثالثة

(من تواقيع مشايخ الأماكن بحاضرة دمشق - ما يُفْتَحُ بِ«رُسْمِ بالأمر»)

تَوَقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الجَوَالِيْقِيَّةِ ، من إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بنِ نُبَاتَةَ ؛ وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالأَمْرِ - لا زال حُسْنُ اعتقاده يَسْتَنْزِلُ النَّصْرَ فَيُنْصَرُ ، وَيَسْتَبْصِرُ مُطَالَعِ
الْفَوْزِ فَيُنْصَرُ ، وَيَسْتَجِلِبُ الأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ من كُلِّ زَاهِدٍ إِذَا حَامَ فِي أَفْقِ العِبَادَةِ

حَلَّقَ وما قَصَّر - أن يستقر ... : حملاً على الوصية التامة الحكم والأساس ، وعلماً
بأنه ممن حلَّ في مشيخته لباس بلاس^(١) ، ونزع في الزهد عما عدَّ زينةً في النَّاسِ ؛
وسرَّحَ شَعْرَهُ حقيقة التَّسْرِيحِ فأطلقه ، ومَحَارِقَ سَوَادِهِ وبياضه فأعتقه ؛ ولازمَ
طريقَ مشايخه فإ ، وشَكَرَ الحَالَ فجعل في منبت كلِّ شَعْرَةٍ لساناً للشُّكْرِ وفاً ؛ وسرَّ
طائفةً ورَدُّوا على آثاره مناهل الوفا ، وصَفَّتْ قلوبُهُم ووجوهُهُم فدارت عليهم
كُفُوسُ إِخْوَانِ الصِّفَا ؛ حتَّى مَشَوْا إلى مطالب الخير مشى الرَّخَاخ ، وفَاخَرُوا أقواماً
دَسَّوْا عِزَّةَ رُتَبِهِمْ فَلَوْلَا أَدْبُهُمْ لَأَنْسَدُوهُمْ : «عقولُ مُرْدٍ ولحَى أشياخ» .

فَيُقِمُّ في مَشِيخَتِهِ قِياماً يُحْيِي القومَ بأنفاسِهِ ، وَيُهَيِّجُهُم بِكرامةِ الكَشْفِ من قَلْبِهِ
وتكريمِ الكَشْفِ من رَأْسِهِ ؛ سَالِكاً بِهِم في طرائقِ الخير مُسْتَبْشِرِينَ ، آمِراً بتَقْصِيرِ
المِلايِسِ وَرَعاً حتَّى يَدْخُلَ بِهِم إلى النُّسْكِ مُحَلِّقِينَ ومَقْصِّرِينَ ؛ واللهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِ ،
وَيُنْفِي حَالَهُ بِمُدْهَبٍ مَدْهَبِهِ .

الضرب الثاني

(من توابع مَشِيخَةِ الأماكن - ماهو بأعمالِ دِمَشْقِ ، وفيه مرتبة

واحدة ، وهي الأفتتاح بـ«رسم»)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخةُ تَوَاقِعِ بِمَشِيخَةِ الحَرَمِ الخَلِيلِيِّ ، من إِنْشاءِ الشَّيْخِ جمالِ الدينِ بنِ نُبَاتَةَ ،
كُتِبَ بِهِ للشَّيْخِ «شَمْسُ الدِّينِ بنِ البرهان» الجعبري بـ«المجلس» وهي :

رُسمُ بالأمرِ الشَّريفِ - أعلاه اللهُ تَعَالَى ، وبَسَطَ عَدْلَهُ الذي لا يبلِغُهُ الوَاصِفُ
ولو تَعَالَى ، وَسَمَرَى لِأولياءِ بَنِي الأَولِياءِ بِرَّهَ الذي تَسَنَّنَ بِسُنَّةِ الغَيْثِ ثم تَوَالَى - أن

(١) البلاس كسحاب المِسْحِ فارسيّ معرب .

يستقر ... - أدام الله تعالى بركته الأتباع، وباقتداء سلفه الأرتفاع، وأعاد من
بركات بيته الذي قام البرهان بفضلته وقال بوضوح شمسه الإجماع - في مشيخة حرم
سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه، على عادته القديمة المقدمه، ومستقر قاعدته
المعلومة المعلمه، بعد إبطال ما كتب به لغيره فإن هذا الولي أولى، ولأن الحق معه
وباع الحق أطول على المعنيين إطالة^(١) وطولاً، وضماً للشئ في محله الفاجر، وحملاً
على ما بيده من توافيق شريفة توارث بركتها ملوك البسيطة في الأزل والآخر، وعلماً
أنه بقية العلم المشيد، والزهد العتيد، وخليفة السلف الصالح وما منهم إلا من هو
«أمين» العزم «رشيد»، وأنه الشيخ وكل من عرفه في بقائه ولفائه مرديد، والقائم
بالمقام الخليلي - صلوات الله تعالى على ساكنه - مقاماً مجتبي، والمنتسب إلى خدمة
الحرم الإبراهيمي محمدوما صلى الله عليه ونسباً، والقديم الهجرة فلا تركه الأوطان
ولا تهجره، والمقيم بالبلد الخليلي على إقامة الخير: فما ضره أن العدو يشكوه إذا كان
«الخليل» يشكره، وقد سبقت له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزها
تماماً، وشكرها لزاماً، وكانت على الصادين والواردين كذلك النار النبوية برداً وسلاماً.
فليعد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التوافيق الشريفة التي بيده، وليكن يومه
في الفضل زائداً على أمسه مقصراً عن غده، بثناء يتلقى أضياف أبي الأضياف،
بأليف أحوال الداخلين إليه شتاءً وصيفاً وإن لم تكن رحلة إيلاف، جارياً في بركة
التدبير والتمير على عادته وعادة سلفه فنعم الخلف ونعم الأسلاف، مؤظماً على عادة
تقواه ورفع الأذعية لهذه الدولة الشريفه، جاعلاً ذلك منه أول وأخير كل
وظيفة، والله تعالى ينفع ببركات سلفه وبه، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته
بالخيرات وفضل تعبته.

(١) الأنسب «طولا وطولاً» .



تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الزَاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ وَنَظَرِهَا، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بِرَهَانَ الدِّينِ»
أَبْنِ الْمَوْصِلِيِّ بِـ «الْجَنَابِ الْعَالِي» وَهُوَ :

رُسم ... - لِأَزَالِ يُجْرَى الْأَوْلِيَاءَ فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَيَّ أَجْمَلَ عَادَهُ، وَيَخْتَارُ مِنْهُمْ لِمَوَاطِنِ
الْخَيْرِ مَنْ يَرَعَاهَا بِنَظَرٍ يُنَمِّرُهَا السَّعَادَةَ - أَنْ يُجْمَلَ فَلَانٌ فِي وَظِيفَتِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ
بِالزَاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، عَلَيَّ حَكْمَ الْأَنْزُولِ وَالتَّقْرِيرِ الشَّرْعِيِّ الْمُسْتَمَرِّ
حُكْمَهُمَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، وَأَسْتَمَرُّهُ فِي الْوِظِيفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ بِمَقْتَضَاهُمَا ، وَمَنْعِ
الْمَنَازِعِ بِغَيْرِ حَكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ بِمَا يُقْتَدَى بِهِ مِنْ تَسْلِيكِهِ وَتَأْدِيبِهِ ، وَتَسْرِعْ رَغْبَتَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ
وَمِنْ عَنَايَةِ تَهْدِيئِهِ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَا تُنْقَالُ لِمِثْلِهِ إِذْ هُوَ مُعَامِلُهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ أَهْمُّهَا وَأَعْظَمُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرشِدَنَا إِلَيْهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ آعْتَادَنَا عَلَيْهَا ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

الصنف الخامس

(مَّا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ بِالشَّامِ - تَوَاقِيعِ الْعُرَبَانِ)

وَالَّذِي وَقَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَرَسُومٌ مَكْتَتَبٌ بِرُبْعِ تَقْدِيمَةِ بَنِي مَهْدِيِّ بِـ «الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ» بِغَيْرِ يَأْ، كُتِبَ بِهِ لـ «مُوسَى بْنِ حَنَاسٍ» مَفْتَتِحًا بِـ «أَمَّا بَعْدُ» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَمَعَ عَلَيَّ الطَّاعَةَ الشَّرِيفَةَ كُلَّ قَبِيلَةٍ ، وَبَسَطَ عَلَيَّ ذَوِي
الإِخْلَاصِ ... (١) ... الظَّلِيلَةَ ، وَالشَّهَادَةَ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

(١) بِيَاضٍ فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ «ظِلَالُ نِعْمَةِ الظَّلِيلَةِ» .

شهادة أتخذها للتوحيد دليلاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي
 أتخذ الله تعالى حبيبه وخليفه ، وآتاه الدرجة الرفيعة والوسيلة ، وعلى آله وصحبه
 صلاة مباركة أصيله - فإن الأولى لتركية القوم تُرعى ، وذا الإخلاص ينجح له
 كل مسعى ، والجدير بالنعم من يُجيب بالطاعة حين يدعى ، من سلك في الخدمة
 الشريفة مسلك الأسلاف ، وتجنب ما يُفرض إلى الشقاق والخلاف ، فعند ذلك
 رفعت مراتبه ، وضاعفت مواهبه ، وأنزنا بالإقبال الشريف كواكبه ، وأجملنا مكاسبه ،
 وبسطنا في رُبع تقدمه بنى مهدي كلامه ، ونقدنا أمره على طائفته : قوله وإبرامه ، من
 أضحى مشكوراً من كل جانب ، مجتهداً في المصالح وبلوغ المآرب ، من عرف بالأمانة
 فسلكها ، وأشهر بالصيانة فملكها ، وحاز أوصافاً حسنة ، وسيرةً نطقت بها
 الأئسنه ، وكان فلان هو الذي أضحى على عرابه مقدماً ، ومن أكارهم معظماً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزالته مراسم الشريفة عالية نافذة ، وأوامره
 بصلة الأرزاق عائده - أن يستقر ... على عادته وقاعدته : حملاً على ما بيده من
 التوقيع الكريم .

فليباشر هذه الإمرة مع شركائه مباشرة حسنة ، وليسير فيها سيراً تشكره عليه
 الأئسنه ، وليظهر السداد ، وليبدل الطاعة والاجتهاد ، وليسلك المسالك الحسنة ،
 والله تعالى يجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، والوصايا كثيرة
 وملاكها تقوى الله تعالى ، والله تعالى يجعل إحساننا إليه يتوالى .

قلت : وقد تقدم أنه يكتب بإمرة بنى مهدي من الأبواب السلطانية أيضاً .
 على أن هذا التوقيع من التواقيع الملققة ، ليس فيه مطابقة للتواقيع ، وليس برائق
 اللفظ ، ولا مؤنق المعنى .

(١) هذا الكلام كما به عليه المؤلف بعد غير منسجم بل غير مستقيم .

الصنف السادس

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - تواقع زعماء

أهل الذمة : من اليهود والنصارى)

وهذه نسخة تَوقِيع لبطرك النصارى مفتتحاً بـ «أماماً بعد» كتب به للبطرك

« ميخائيل » وهى :

أماماً بعد حمد الله الذى جعلنا نَسْمَلُ كُلَّ طائفةٍ بمزيد الإحسان، ونُقِيضُ من دولتنا الشريفة على كلِّ بلاٍ أطمئناناً لكلِّ مِلَّةٍ وأماناً، ونُقِرُّ عليهم من آخثاره ونُزاعِهم بمزايا الفضل والأمتنان؛ والشهادة بأنه الله الذى لا إله إلا هو الواحد الذى ليس فى وحدانيته قولان، والقرء المنزه عن الجوهرة والأقنوم والوالد والولد والحلول والحداث، [شهادة] أظهر إقرارها اللسان، وعملت بها الجوارح والأركان؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الملل والإنس والجن، الذى بشر به عيسى وآمن به موسى وأنزل عموم رسالته فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فصَحَّ النقل بنبوته وآدم فى الماء والطين وأوضح ذلك البرهان، وعلى آله وصحبه الذين سادوا بإخلاص الوجدانيه، وشادوا أركان الملة المحمديَّة، وأعزوا الإيمان وأذلوا الطغيان، صلاةً ينفخ طيبها، ويُفصح خطيبها، ويفرح بها الرحمن - فإنَّ أولى من أقمناه بطريكا على طائفة النصارى المملكيَّة، على ما يقتضيه دين النصرانية والملة العيسويَّة؛ حاجباً لهم فى أمورهم، مفضحاً عما كمن فى صدورهم - من هو أهل هذه البطريكيه، وعارف بالملة المسيحيَّة؛ أخذها لها أهل طائفته، لما يعلمون من خبرته ومعرفته، وكفايته ودربته؛ ونُدب إلى ولايةٍ يستحقها على أبناء جنسه، ورغب فى سلوكه لها مع إطابة نفسه، مع ماله من معرفة سرت

(١) يريد اختاره لها .

أخبارها ، وظهرت بين النصارى آثارها ؛ وكان فلانٌ - أدام الله تعالى بهجته - هو من النصارى الملكة بالمعرفة مدكور ، وسيره بينهم مشكور ، القائم فيهم بالسيرة الحسنه ، والسالك في مذاهبهم سيرا تشكره عليها الأنسنة .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم لكل طائفة شاملا ، ويره الجسيم لسائر الملك بالفضل متواصلا - أن يستقر بطركا على النصارى الملكة بالشام وأعماله ، على عادة من تقدمه في ذلك ، وتقوية يده على أهل ملته ، من تقادم السنين بحكم رضاهم ، ومنع من يعارضه في ذلك : حملا على ما بيده من التوقيع الكريم المستمر حكمه إلى آخر وقت .

فليأشر هذه البطركية مباشرة محمودة العواقب ، مشكورة لما تحلت به من جميل المناقب ؛ وليحكم بينهم بمقتضى مذهبه ، ويسر فيهم سيرا جميلا ليحصل لهم غاية فصدده ومأربه ؛ ولينظر في أحوالهم الرحمه ، ويعمل في تعلقاتهم بصدق القصد والهيمه ؛ وليسلك الطرق الواضحة الحليه ، وليتخاقل بالأخلاق المرضيه ، وليفصل بينهم بحكم مذهبه في موارثهم وأنكحتهم ، وليعتمد الزهد في أموالهم ومتعتهم ؛ حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممثلا لأمره ، واقفا عندما يقدم به إليه في سره وجهره ؛ منتصبين لإقامة حرمة ، وتنفيذ أمره وكلمته ؛ وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان ، ويرفق بذوى الحاجات والضعفاء : من النساء والصبيان ، والأساقفة والمطارنة والقسيسين زيادة للإحسان ؛ إحسانا جاريا في المساء والصباح ، والغدو والرواح .

فليمتثلوا أمره بالطاعة والإذعان ، وليجيبوا نهييه من غير خلاف ولا توان ؛ ولا يمكن النصارى في الكنائس من دق الناقوس ، ورفع أصواتهم بالصجيج ولا سيما عند أوقات الأذان لإقامة الناموس ؛ وليتقدم إلى جميع النصارى بأن كلاً منهم يلزم

زيه، وما جاءت به الشروط العَمَرِيَّة - عمر بن الخطاب رضى الله عنه - لتكون أحوالهم في جميع البلاد مرعيه؛ وليخش عالم الخفيات، وليستعمل الأناة والصبر في جميع الحالات؛ والوصايا كثيرة وهو بها عارف، والله تعالى يلهمه الرشد والمعارف.

قلت: وهذا التوقيع فيه ألفاظ ومعان غير مستحسنة، وألفاظ ومعان منكرة، أخشها قوله: مفضحاً عما كن في صدورهم. فإنه لا يعلم ما تخفي الصدور وتكنه إلا الله تعالى.

واعلم أنه ربما أفتح توقيع البطريرك عندهم بـ «رسم بالأمر».



توقيع لبطريرك النصارى بالشام أيضاً، كتب به للبطريرك «داود الخورى»
بـ «البتريك المحتشم» وهو:

رسم بالأمر - لا زال يعز بالالتجاء إلى حرمه من يأوى إليه، ويقصد عدله من أهل الملل ويعتمد عليه - أن يستقر فلان - وفقه الله تعالى - بطريك الملكية، بالملكة الشريفة الشامية المحروسة، حسب ما اختاره أهل ملته المقيمون بالشام المحروس ورغبوا فيه، وكتبوا خطوطهم به، وسألوا تقريره في ذلك دون غيره؛ إذ هو كبير أهل ملته، والحاكم عليهم ما امتد في مدته؛ وإليه مرجعهم في التحريم والتحليل، وفي الحكم بينهم بما أنزل الله تعالى في التوراة ولم ينسخ في الإنجيل؛ وشرعته مبنية على المسامحة والاحتمال، والصبر على الأذى وعدم الأكرث [به] والاحتفال.

نفذ نفسك في الأول بهذه الآداب، وأعلم بأن لك في المدخل إلى شريعتك طريقاً إلى الباب؛ فتخلق من الأخلاق بكل جميل، ولا تستكثر من متاع الدنيا

فإنه قليل ، وقدّم المصالحة بين المتحاكمين إليك قبل الفصل البتّ فإنّ الصلح كما قيل : سيّد الأحكام ، وهو قاعدة دينك المسيحيّ ولم تخالف فيه المحمديّة الغراء دين الإسلام ، ونظف صدور إخوانك من الغلّ ولا تقنع بما يظّفه ماء المعمودية من الأجسام ؛ وإليك الأمر في البيع ، وأنت رأس جماعتك والكلّ لك تبع ؛ فأياك أن تتخذها لك تجارةً مريحه ، أو تقتطع بها مال نصرانيّ تقربه فإنه ما يكون قد قربه إلى المدبح وإنما ذبحه ؛ وكذلك الديارات والقلالي ، [يتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر في^(١) الأيام والليالي ؛ وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، وليعلم أنّهم إنما أعتزلوا فيها للتعبّد فلا يدعها تتخذ متزهات ؛ فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلّل في هذه الدنيا والتعفف عن الفروج ، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود يبقى له خروج ؛ فليحدّزهم من عملها مصيده للمال ، أو خلوة له وليكن بالنساء حراماً ويكون إنما تنزه عن الحلال ؛ وإيأه ثم إيأه أن يؤوى إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتّم عن الإنهاء إلينا مشكل أمرٍ ورد عليه من بعيد أو قريب ؛ ثم الحدّر الحدّر من إخفاء كتاب يرد [إليه] من أحد من الملوّك ، ثم الحدّر الحدّر من الكتابة إليهم أو المشى على مثل هذا السلوك ؛ وليتجنّب البحر وإيأه من اقتحامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين ينقع ؛ والتقوى مأمور بها أهل كلّ مله ، وكلّ موافقٍ ومخالفٍ في القبلة ؛ فليكن عمله بها وفي الكفاية ما يغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .



توقيع براسة اليهود بالشام ، مفتوحاً بـ «رسم» من إنشاء الشيخ جمال الدين
ابن نباتة ، وهو :

(١) مأخوذ من «التعريف ص ١٤٥» .

رُسم بالأمر - لا زال جُوده في كلِّ مله ، وعمامُ كرمه على الخلق كأنه ظله ،
 وذِمَامُ نعمه يُبلغُ المسلمَ والذميَّ من الاستحقاق محله ، أن يستقرَّ الحكيم ... (١) ...

ومنه : - وأن يعاملهم على ما ألوه من الأحكام ، ويُنيّف صاحبَ حقّهم
 من مُتطلبهم : حتّى لا يعدّوا أحدٌ في سببٍ ولا في سائر الأيام ؛ ويهدّب وحشيّ
 جاهلهم بيأسه ، ويعالج سقمَ كاهلهم حتّى تطلع الصّفراءُ من رأسه .

فليقمُ مقامًا في هذه الطائفة القديمه ، وليعبّر من أسفارٍ عبرانيّة عن عوائد قضاياهم
 النظيمه ؛ مفرحًا بمعرفته كلِّ حزان ، جامعًا كلَّ شعثٍ على عدلٍ عنده وإحسان ؛
 شاكرًا لظلالِ النعمه ، عارفًا بالعوارف التي ترعى يمينها كلُّ ذمه .

النيابة الثانية

(من النيابات التي يكتب عن نوابها بالولايات - نيابة حلب)

وهي على نحوٍ من نمطِ دِمَشقَ فيا يكتب عن نائبيها . فيكتب عن نائبيها أيضًا
 بالتواقيع لأرباب الوظائف بحاضرة حلب وأعمالها : من أرباب السيوف ، وأرباب
 الأقلام الدّينية ، وأرباب الأقلام الديوانية ، ومشايخ الأماكن وغيرهم ، مرتبةً على
 المراتب الثلاث : من الافتتاح بـ «الحمد لله» ، والافتتاح بـ «أما بعد حمد الله» ،
 والافتتاح بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخُ تواقيع مما كتب به لأرباب السيوف بحاضرة حاب وأعمالها ،
 يُستضاء بها في ذلك :

(١) بياض بالأصول .

تَوْقِيعٌ بِنِقَابَةِ الْأَشْرَافِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ عِزِّ الدِّينِ «أحمد بن أحمد الحسيني»
بـ «المقر العالی» وهو :

أما بعد حمد الله الذي خلّد السيادة في بيوت الشريف أحمد تخليد ، وقلّد تقاليد
السعادة ، لأهل الإفادة ، أسعد تقليد ، وجدّد الرفادة ، لحرم العبادة ، بعز العصابة
المحمدية آكد تجديد ، والصلاة والسلام على سيد الخلق الذي عقد العهدين لأمتيه ،
بالتقنين : من كتاب الله وعترته ، وسر النفوس المؤمنة هداها بكل أبي من أسرته ، وأقر
العيون المراقبة بكل سري من أهل بيته تبرق أنوار النبوة من أسرته ، وعلى آله حبل
النجاة لتمسك ، وسبل الهداة للتمسك ، وصحبه نجوم الهدى ، ورجوم العدا ، وأمة
الخير لمن بهم اقتدى ، صلاة وسلاما ، يتعاقبان دواما ، ويتلازمان على الألسنة مدى
المدى لزاما ، ما حلا بعين وطف ، وما علا علوى ذرا شرف - فإن أهم ما أعتنى
به ولاة أمور الإسلام ، وأعم ما أقتنى منه رعاة أجور الحكام - رعاية مصالح أهل
البيت ، وأتهاز الفرصة في موالاتهم حتى لا يقال لقواتها : ليت ؛ وتعظيم ما عظم الله
تعالى من حقوقهم ، وتكريم ما كرم رسوله من رهم واجتناب عقوبهم ، وتقديم
أحقهم بالتقديم لاحق سباقهم إلى غايات الغلوات وسبوقهم ، والتعبد بالتعب
والاجتهاد في نفعهم ، ونصب النفوس للنصب لتجر ذبول الفخر بموالاتهم ،
وإعلائهم على الرؤوس ورفعهم ، اختيارا لرأي من زاد في العناية بالعتر الطاهرة
وأربي ، وأتمارا بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾
خصوصا نِقَابَةَ الْأَشْرَافِ ، والنظر فيما لهم من الأوقاف ؛ فهي شاملة جمعهم ، وجامعة
شمليهم ، وواصلة نفعهم ، ونافعة كلهم ؛ وبفضل مباشرها تُسبغ عليهم النعمة ،
وُستدر بركة إجماعهم عليه سُحبُ الرّحمه ؛ وبكفالاته تُجمع المنّة لمراتبهم وأحسابهم ،
وبإياليته تُدفع الظّنة عن مناقبهم وأنسابهم ؛ وهو القائم عن ولاة الأمور من خدمهم

بفروض الكفاية، والدائم الدأب لمرآة أدبهم لتحسن لهم الرعايه، فوجب الاحتفال
 باختيار من يُحلى هذا المنصب الشريف، وتعين الأبهال في أمتياز من يُسبغ عليه
 هذا الظل الوريث، ممن قدم في هذه السيادة بيته، وأرتفع بنفض العيش لقرايته
 بعفافه وديانته صيته؛ وتنزه عن كل ما يشين وتبرا، واكتسى حلل الفخار العلية
 ومن أعراض الدنيا الدنية تعزى .

وكان فلان بن فلان - أسبغ الله تعالى ظلالهم، وضاعف بمعالى الشرف
 جلالهم - ممن حاز في هذه الخلال المنازع، وجاز نهاية هذه الخصال بلا منازع،
 وورد من حياض المناقب الجميلة أعذب المشارع؛ ودرى المراقى إلى المجد ودرج،
 وبلغت نفوس محبيه من مخايل سُعوده الأرب، وقوت عيون أقاربه بما حصل له
 من القرب؛ ونشأ في حجر السعادة، وأرتضع لبان الإفاده، ولحق بالسابقين الأولين
 من أهل بيته في الزهاده، وتبذل بالإخلاص فظهرت على وجهه أنوار العباده؛
 وأنقطع على العمل، وبلغ من العلوم الأمل: قووم تشبث بالمجرة وهو شامة
 في شامه المنسوب :

ورث السيادة كبرا عن كابر! * كالرُيح أنبوب على أنبوب.

أصل نخار سما، وفرع نجار تما، وغيث فضيل همى؛ أثبت في أعلى المعالي قدما،
 وناسب قدره سعيه كرها؛ وجلت صفات محاسنه اللائقه، وحلت الأفواه مدايح
 سجاياه الرائقه، وتملت الألسن وما ملت ما تملى عنه بالخير كل ناطقه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازلت أوامره يرآل مولاته ماضيه، ونوايه
 بقهر أهل معاداته قاضيه - أن يستقر... استقرارا يقر عين العلاء، ويسر نفوس
 أهل الولا؛ ويضع الأشياء في محلها، ويسند الأمور إلى أهلها؛ ويستجلب الأذعيه،

ويجمل بالولاء الجميل أُلويَه ؛ ويشرح خواطر الأشراف ويطيب نفوسهم ، ويرفع
بعد سُجودِ الشكر بالدعاء رءوسهم .

فليأشِرْ هذه الوظيفة مباشرة يقفوها آثار بيته الطاهر ، بعزم كريم : لكلِّ مُصلِح
بالخير غامر ، ولكلِّ مُفسدٍ بالضمير قاهر ؛ وحزم حليم : لكلِّ حقٍّ ناصر ، ولكلِّ
كثير جابر ؛ وليصل بالبرِّ رحمة ، ولينزل للضعيف كلمة ؛ وليقم بأعباء هذه الوظيفة
قيام عمه الشريف وأبيه ، وليصم عن أموال الأوقاف صياماً يقربه الله تعالى به
ويحتنيه ؛ ليحمد ، هذا المنصب الجليل ، في بيته الأصيل ، عوده على أحمد ؛
ولينفع قرابته بتتمير أموالهم ، ولينفع النهضة بالمعرفة في تثير غلالهم ؛ : لتدر بركته
أخلاف أرزاقهم ، وتقر خواطرهم بمضاعفة أرزاقهم وإطلاقهم ؛ ويخصب
في جنابه مرعاهم ، ويقرب في بابه مسعاهم ؛ وتتطق بشكره ألسنتهم الشريفة ، وتتطبق
على صحبته ظلال بيوتهم الوريقة ؛ وليعتبر ويختبر أشغالهم ولينمغ شبانهم من الاحتراف
بجرف الأدياء ، وليأمر الآباء بتعهد تربية الأبناء ؛ وليأمرهم من العمل بما يناسب
معاليهم ، وليجبرهم بتدبيره السديد جبراً يميزهم بحسن السمات من أوليائهم : وكلنا
من مواليتهم .

والوصايا كثيرة ، وعين علومه بتعدادها بصيره ؛ وتقوى الله تعالى لا يهمل النص
عليها ، والإشارة بحسن البيان وحسن البنان إليها ؛ فلتكن ركن استناده ، ورأس
مال اعتماده ؛ والله تعالى يديمه في صعود درج السعود مدة حياته ، ويجمع له خيري
الدنيا والآخرة برفع درجاته .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الجيوش بحلب ، كتبت به لـ «ناصر الدين بن ايتبك»

بـ «السامى» بغير ياء ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف يُعَضِّدُ الجيوشَ بأعضدِ ناصر،
ويُرَشِّدُ أولياءَ الخِدمةِ إلى ارتقاءِ رُتبِ المعالي فكلُّ إنسانٍ عن إدراكِ محلِّها قاصر -
أن يستقرَّ فلانٌ - أدام الله توفيقه ، وجعل اليمينَ والسَّعدَ قَرينَه ورَفيقَه - ... استقرَّ أَرَأَى
يُظهِرُ ما لم يُحَفِّ من نَهَضَتِهِ وكَفَايَتِهِ ، ويُشهرُ مَعْلَنَ سَرِّ يَقْظَتِهِ ودِرَايَتِهِ ؛ لأنَّه الفارِسُ
الذي أعزَّ كلَّ راجِلٍ بِشِجَاعَتِهِ ، وأُمَّارِسُ الذي خَبَرَ الوَقائِعَ بِحُسْنِ دُرَيْتِهِ ودِرَايَةِ
صِنَاعَتِهِ ؛ والبارِفُ الذي اتَّصَفَ بِالخِبْرَةِ وحُسْنِ الصَّفَةِ ، وعُرفَ في أُمُورِهِ بِالْعَدْلِ
والمَعْرِفَةِ ؛ والهَامُ الذي عَلَتْ هِمَّتُهُ فَوْقَ كُلِّ هِمَّةٍ ، وكَشَفَ بِجَزِيلِ مُرُوءَتِهِ مِنَ
الْكُرْبَاتِ كُلِّ عُجْمَةٍ ؛ وسارَ في الجيوشِ سيرةَ والدِهِ ، فَشَهِدَ كُلَّ ما حَوَاهُ مِنْ طَارِفِ
الْفَضْلِ وَتَالِدِهِ .

فليأشُرْ ذلك : سائراً في الجنود أحسن سيره ، مُراقباً الله تعالى فيما يُبْذِرُهُ مِنَ القَوْلِ
وَالفِعْلِ وَالعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ ؛ مُلَازِمًا ما يُلْزِمُهُ مِنَ حُقوقِ هذه الوظيفَةِ ، قائماً بما يجب
من أداءِ الخِدمةِ الشَّرِيفَةِ ؛ وَلينفِذَ ما يُؤَمَرُ بِهِ مِنَ الأوامرِ ، عالماً بما يتعيَّنُ من
حقوقِ المأمُورِ والأمرِ ؛ [وليجتهد] في جَمْعِ العساكرِ وإِعلامِهِمُ بِالْمِهْمَاتِ ، وَلينفِذَ
أحوالَ الجُنُودِ في سائرِ الأوقاتِ ؛ وَلينسِفِرِ النَّقَابَ عَنِ الوُجُوهِ بِالْحِلْيَةِ يَوْمَ العَرَضِ ،
وَلينسِبِلِ حِجَابِ السَّتْرِ عَلَيَّ مِنْ أدركِهِ العَجْزُ عَنِ أداءِ الفَرَضِ ؛ وَالوَصايا كَثِيرَةٌ لِاتِّحَاجِ
إِلَى التَّعَدُّدِ ، وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى هِيَ العُمْدَةُ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَعَلَيْهَا الأَعْتِمَادُ .



تَوْقِيعٌ بِالْمِهْمَنْدَارِيَّةِ بِحَبَّ ، كُتِبَ بِهِ لـ «غرس الدين الطناحي» بـ «بالجناب
العالِي» وَهُوَ :

رُسمُ الأَمْرِ الشَّرِيفِ - لا زالت عِزَّتُهُ تَتَدَبُّ لِلْمِهْمَاتِ مِنْ غُرْسَتِ بَرِياضِ
وَلِيَّهِ أَدْوَاحُ الهِمَمِ فَزَكَ غَرَسًا ، وَتَقَرَّرَ لَهَا مِنْ شَابِ نَوْدِهِ فِي إِفَادَةِ الوُفُودِ فَأَجَابَ

قَصْدًا وَأَطَابَ نَفْسًا ، وَلَا بَرِحَتْ عِنَايَتَهُ تَشْمَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ خِدْمَتِهَا كُلِّ شَهْمٍ إِذَا سَلَ
عَضْبًا أَزَالَ نَفْسًا وَأَسَالَ نَفْسًا ، وَتَعَيَّنَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ كُلِّ جَمِيلٍ يَوَدُّ الْمُنَافِسُ
لَوْ شَاهَدَهُ وَلَا يَجْسُرُ يَدَ الرُّقِيِّ مِنْهُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِأَنَّهُ ذُو الْهَمَمِ الَّتِي
لَا تُلْحَقُ جَيَادُهَا ، وَلَا تُسْبِقُ جَوْدَةَ جَيَادُهَا ^(١) ؛ لِأَنَّهَا لِيَصْغَارِ هِمَمَهُ فَأَتَى تَدْرَكَ
بِكَارِهَا ، وَلَا تَدْرَكَ سَوَابِقَهُ فَأَتَى تَقْتَفِي آثارَهَا ؛ لَهُ قَدَمٌ إِقْدَامٍ فِي الثَّرَى لَا يَزَالُ رَاسِخًا ،
وَهَامَةٌ هِمَّةٍ لَمْ يَزَلْ شَرَفُهَا عَلَى الثَّرَى بَادِخًا ؛ وَلِأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي تَفَرَّسَتْ فِي مَخَالِيهِ
الشَّجَاعَةُ ، وَتَبَضَّعَ الشَّهَامَةُ فِي الْحُرُوبِ فَكَانَتْ أَرْبَعَ بَضَاعَةٍ ؛ كَمْ أَزْرَتْ سُمْرَ رِمَاحِهِ
بِهَيْفِ الْقُدُودِ ، وَأَنْجَلَتْ بِيضَ صِفَاحِهِ كُلِّ خَوْدٍ أَمْلُودٍ ؛ وَكَمْ جَرَّدَتْ مِنْ مُطْرِبَاتِ
قَسِيهِ الْأَوْتَارِ فِتْرَاقِصِ الرُّعُوسِ ، وَشَرِبَتْ الرِّمَاحُ نَحْمَ الدِّمَاءِ فَعَرَبَدَتْ عَلَى النَّفُوسِ :
لَهُ هِمَمٌ تَعْلُو السَّحَابَ رِفْعَةً ، * وَكَمْ جَادَ مِنْهَا بِالنَّفَائِسِ وَالنَّفْسِ !
وَأُنْجَى ثِمَارُ الْفَضْلِ مِنْ دَوْحِ غَرَسِهِ ! * وَلَا غَرَوَ أَنْ يُجْنَى الثَّمَارُ مِنَ الْغَرَسِ !
فَلْيَبِشْرْ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ مَبَاشِرَةً تَحْمَدُهُ فِيهَا الْوَرَادُ ، وَتَشْكُرُهُ بِالْقَصْدِ أَلْسِنَةُ الْقُصَادِ ،
وَتَذْكُرُهُ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ وَادٍ ؛ وَلِيُهَيِّئْ لَهُمْ [مِنَ الْقُرَى مَا يَهَيِّئُهُ] ^(٣) الْمَضِيفُ ،
وَلِيَحْصُلْ لَهُمُ التَّلَادُ مِنْهُ وَالطَّرِيفُ ، وَلِيَتَلَقَّهْمُ بَوَجْهِ الْإِقْبَالِ ، وَلِيَبْدَأَهُمُ بِالْخَيْرِ لِيَحْسُنَ
لَهُ الْمَالُ ، وَلِيَجْعَلَ التَّقْوَى إِمَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ ، وَلِيَتَّصِفَ بِالْإِنصَافِ فَهُوَ
أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .



تَوَقِّعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْبَرِيدِيَّةِ بِحَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِعِمَادِ الدِّينِ « إِسْمَاعِيلُ » بِ« الْمَجْلِسِ
الْعَالِيِ » وَهُوَ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ مُشِيرًا إِلَيْهِ بِعَلَامَةِ التَّوَقُّفِ وَلَا تَوَقُّفَ لِأَنَّ الْأَوَّلَى جَمْعٌ جَيِّدٌ تَقْبِضُ الرَّدَى ، وَالثَّانِيَةُ
جَمْعُ جَوَادٍ لِلْفَرَسِ الرَّائِعِ السَّابِقِ .
(٢) ذِكْرُ الْقَدَمِ وَهِيَ أَنْثَى مَجَارَاةٌ لِلْعَامَةِ .
(٣) زِيَادَةٌ تَطْلُبُهَا صِحَّةُ الْمَعْنَى .

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عِنَايَتُهُ الكريمةُ تقدّمُ إلى الرُتبِ العَليَّةِ من بَني
 أُسِّ إقْدَامِهِ من المروءةِ على أشرفِ عمّادٍ ، وتُعيّنُ للمهمّاتِ الشريفةِ من أمتطى من
 جِيادِ العزمِ أسبقِ جوادٍ ، وتندبُ لها من أولياءِ خَدَمِهِ كلَّ ندبٍ لم يزل ساعداً سعده
 مَبِيناً على السدادِ ، وتُصعِدُ إلى أفقِها من ذوى الشَّهامةِ من فاقَتْ بِمِيسِنِهِ الصَّعادِ -
 أن يستقرَّ ... : لأنَّهُ ذُو الهِمَمِ التي سامحى بها الفراقِدُ ، والكُفءُ الذي نشِطَ
 إلى القيامِ بالعزائمِ إذا قعد عنها من ذوى الهِمَمِ ألفَ راقِدٍ ؛ والمقدّمُ الذي قدّمه
 الإقْدَامُ على قَضَاءِ الأمورِ المُهمِّاتِ ، وحلّى أجيادَ ذوى المآربِ إذ حلَّ لهم منها
 بِمَن عَزَمِهِ المُشكلاتِ ؛ ماعلاً جوادَ بريدٍ إلّا وسابقَ الطَّرفِ بل الطَّرفِ إلى المرادِ ،
 ولا ندبٍ إلى مُهِمٍّ لكم فيه نيلاً لأملٍ إلّا قدح من رأيه في فضائه أوزى زنادٍ ؛
 والفرسُ الذي تمايلتْ بكفِّهِ العوامِلُ مُجَبِّاً فأنجلتِ الأغصانُ ، وحلّتْ إذ حلّتْ
 بقلوبِ الأعداءِ وإن كانت من المُرآنِ ؛ والشَّهْمُ الذي سبقَ السَّهمَ إلى العَرَضِ ،
 والشُّجاعُ الذي ما أعرَضَ عن مُحارَبَةِ الأقرانِ : فصنّى جوهرَ شجاعته من العَرَضِ ؛
 واليقظُ الذي لم يكن يناظره إنسانٌ ، ولا أنطق على أسيافه المُسهِّدِ بِمِيسِنِهِ أجفانٍ .
 فليباشِرْ هذه التَّقْدِمةَ مباشرةً يشهدُ الحاسِدُ له فيها بالتقديمِ ، ويُقرُّ الحاجِدُ أنه أهْدَى
 لما أُسْدَى إليه إلى صراطِ عَزْمٍ مُستقيمٍ ؛ وليطِرْ إلى قَضَاءِ المُهمّاتِ الشريفةِ بأجِنحةِ
 السِّدادِ ، وليمتطِ من جوادِ الجوادِ أسبقِ جوادٍ ؛ وليسوِّبِ البريديةِ في الأشغالِ ، وليقبلِ
 عليهم فيما يرومونه من حُسْنِ السَّفارةِ بوجهِ الإقبالِ ؛ وليسلُكِ سَنَنِ الصِّدْقِ والتَّقوى
 وليجعلهما له أحسنَ سُنَّةٍ ، وليلبسِ سوابِغَ الإنصافِ فإنها من سهامِ الخللِ جُنَّةٌ .



نسخةٌ توقيع بناية عينتاب، كُتِبَ به لناصر الدين «محمد بن شعبان» بد «المجلس
 العالى» عوضاً عن كان بها، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم، يرفع لناصر الدين قدرا، وأمتنانه
الجسيم، ينقذ له في حفظ الممالك المنصورة أمرا، ويؤلى أمر الرعية من حسنت
سيرته سرا وجهرا - أن يستقر... .. : لأنه شهم سهم عرفانه مصيب، وفارس
ربع خبره وخبره خصب، له مناقب جليله، وسيرة محمودة جميلة، تنقل في المراتب
تنقل البدر في صعوده، وأرتقى ذروة السيادة أرتقاء الكوكب في منازل صعوده؛
ما باشر مبشرة إلا ونشرت له بها أعلام شكره، ولا علا منزلة إلا تليت بها سور حمد
وذكره؛ لم يزل متبعا للحق في أحكامه، سالكا سبل الصواب في تقضيه وإبرامه؛
فتح له إقبالنا الكريم بابه، فلذلك قدم على غيره في هذه النيابة .

فلبيا شرها مقتنيا آثار العفاف، مرتديا أودية العدل والإنصاف؛ مقيما منار
الشرع الشريف، منصفًا من القوى الضعيف؛ والله تعالى يوفقه للصواب فيما
تولاه، وانخط الكريم شاهد أعلاه .

قلت: وعلى نيابة عينتاب هذه يقاس ما في ممانها من نيابات العشرات، فيجري
الحكم في تواقعها كذلك . أما الطبلخانات فقد تقدم أن الأصل أنه لا يؤلى فيها
إلا من الأبواب السلطانية .



وهذه نسخة مرسوم بإمارة الركب الحلبي المتوجه إلى الحجاز الشريف، كتب به
لشهاب الدين «أحمد بن الطنبغا» ب«الجناب الكريم» . واليباض فيه وصل
واحد، وهي :

رُسم بالأمر العالی - لا زال يمنح وقد الله تعالى بمن لم يزل شهاب هممه في أفق
الصيانة منيرا، ويسند أمرهم إلى كل ندب لا يزال على الحق ظاهرا وعلى ذوى الباطل

ظهيراً - أن يستقر فلان من أعيان الموالى الأمراء الطبلخانات بحلب المحروسة -
 أعز الله تعالى نصرته - أميراً على ركب الحاج الحلبى في هذا العام المقبل ، على أجمال
 العوائد ، وأكمل القواعد ، حسب ما رسم به . استقراراً يحمده الوفاء عند صباح هممه
 السرى ، ويبلغ بهم قري الغفران بأمر القري ، وينال به طيب العيش بطيبة وطابه ،
 ويدرك بجياد فضله آراهه ، ويمنح به زيارة سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ،
 ويفوق به سهم إصابته من البشر إلى مراحي المرام ، ويشهد به بين قبره ومنبره روضة
 من رياض الجنة ، ويلبس به سوايق القبول لتكون له من سهام الذنوب أوقاً جنة ،
 ويتردى [به] برود التقى حين ينزع محرمات الإحرام ، ويقبل به على ذكر الله تعالى
 في الوهاد والبساج والآكام ، ويستقبل به حرم بيت الله الحرام ، ويشب له
 الهنا حين دخوله المسجد من باب بنى شيبه ، ويتعاطى به أسباب التوبة ، لينال
 من العفو من الله الكريم سببه ، ولا يقتصر به عن التطاول إلى الدعاء إلى الله تعالى
 لتعمه الرحمة بفضله وطوله ، ويدخل به حرماً آمناً يحفظ الناس من حوله ،
 ويفتح به إلى المقام باباً من الأمن إلى يوم القيامة مقيم ، ويذكر بوقوفه بعرفات
 وقوفه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ .

فيا بشر هذه الإمرة المباركة مباشرة يتقط منها ليجر المنام ، وليصرف وجهه
 سهامه إليها في المسير والمقام ، ولينفق على الحاج من كنوز معدلته ، وليجعل القيام
 بمصالحهم من أكبر همته ، وليسع بالصفاء في حراستهم من أهيل الفساد ، وليعتمد
 صونهم من ذوى العناد ، وليعاملهم بالإرفاد والإرفاق ، وليقطع من بينهم شقة
 الشقاق ، وليجعل تقوى الله إمامه في القول والعمل .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الوظائف الدينية بحلب :

توقيع بقضاء القضاة، كتب به لقاضي القضاة جمال الدين «إبراهيم بن أبي جرادة» قاضي قضاة حلب المحروسة الشهير؛ «أبن العديم» من إنشاء ... الحنفى بـ «المقتر الكريم» وهو .

الحمد لله الذي رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملابس أهلها حلل الجمال، وجمع شملها فأقترت بألفها آقتران النيرين: شمس الضحى وبيت الكمال، ورفع عنها يد المتناول والمتناول فأصبح رقم طرازها الموشى منتسجا على أحسن منوال، وقطع الأطماع عن إدراك شأوها فلا يصل إليها إلا كل خيل من الرجال .

نحمده على نعمه التي أعترف من أعترف من بجرها الوافر بالخير الكامل والفضل المديد، وأقترف من أقترف ثمار جودها جميل النوال المفيد، وجزيل الإحسان العديد؛ حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده، ويعم بالإنعام الشامل نائله ومزيده؛ ونشكره على مننه التي يقصر لسان الإطناب عن حصرها وتعدادها، وتعجز بنات الفكر عن إدراك وصفها وتردادها، شكرياً ينال به العبد رضا المعبود، ويبلغ به من مقاصد الكرم والجود غاية المقصود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد، ولا والد له ولا ولد ولا ند؛ شهادة تبص وجه قائمها عند العرض، وينطق بها لسان التوحيد يوم تبدل الأرض غير الأرض؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله به الحق وأعلنه، وبهر بحقائق معجزاته العقول فاعترف

كُلُّ بَصِيحَةٍ مَا عَرَفَهُ وَبَيَّنَّهُ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَصَرَ اللَّهُ بِهِمْ
الإِسْلَامَ وَأَبَدَ أَحْكَامَهُ ، وَأَحْكَمَ بِهِمْ مَبَانِيَ الإِيْمَانِ الْمُتَمَيِّزَةِ وَأَيَّدَ إِحْكَامَهُ ؛ صَلَاةً تَتَعَطَّرُ
بِنَفَحَاتِ عَرْفِهَا أَرْجَاءُ الْمَدَارِسِ ، وَيُنَادِي لِسَانُ فَضْلِهَا لِرَأْيِدِ فِرَائِدِ الْمَعَالِي عَلَى طَوْلِ
الْمَدَائِرِ .^(١) وَسَلَّمْ وَمَجِّدْ وَكْرَمْ ، وَشَرَّفْ وَبِجَلِّ وَعَظِّمْ .

وبعد : فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ لِحْظَتِهِ عَيْنُ الْعِنَايَةِ وَالْقَبُولِ ، وَأَجْدَرُ مِنْ بَلَّغٍ مِنْ مَقَاصِدِ
الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ غَايَةَ الْقَصْدِ وَالسُّؤْلِ ؛ وَأَعَزُّ مِنْ رَقِيٍّ ذُرَا الْمَعَالِي وَأَرْتَقِي ، وَأَجَلُّ مَنْ
وُصِفَ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَنُعِتَ بِالذِّيَانَةِ وَالتَّقِيٍّ - مَنْ سَارَتْ سِيرَةُ فَضْلِهِ فِي الْآفَاقِ ،
وَدَلَّ عَلَى صَفَاءِ السَّرِيرَةِ مِنْهُ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ ؛ وَأَشْتَهَرَ بِالْعُلُومِ الْجَزِيلَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ
الْجَلِيلَةِ ، وَعُرِفَ فِي الْإِنصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ وَالْحِصَالِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَأَظْهَرَ مِنْ
الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ ، مَا حَيَّرَ الْعُقُولَ ، وَحَقَّقَ مِنَ الْمَسَائِلِ اللَّطِيفَةِ ، مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمُنْقُولِ
وَالْمَعْقُولِ ؛ وَدَقَّقَ الْمُبَاحِثَ حَتَّى اعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
وَالْمَجَازِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعَارَةٍ إِذَا تَشَبَّهَ الْأَخْصَامُ ؛ وَحَكَّمَ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَأَحْكَامُهُ
مَرْضِيَّةٌ ، وَقَضَايَاهُ فِي الْجُمْلَةِ قَدْ أَتَتْ فِيهِ مُقَدِّمَةٌ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَثَابَرَ عَلَى إِيْقَاءِ
الدُّرُوسِ فِي وَقْتِهَا وَأَوَانِهَا ، وَقَرَّرَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ فِي مَحَلِّهَا وَمَكَانِهَا ؛ وَأَفَادَ طُلَّابَ الْعِلْمِ
الشَّرِيفِ مِنْ فَوَائِدِهِ الْجَمَّةِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ غَوَامِضِ الْمُبَاحِثِ بِجَلَالِ عَنِ الْقُلُوبِ
كُلِّ عُجْمَةٍ ؛ وَجَالَ فِي مِيَادِينِ الدُّرُوسِ خَيْرَ الْأَبْطَالِ ، وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ
اللِّقَاءِ فَرَدَّ مُتَأَسِّفًا كُلَّ بَطَّالٍ ؛ وَنَظَرَ فِي أُمُورِ الْأَوْقَافِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَأَتَقَنَ بِحُسْنِ
النَّظَرِ وَجَهَ ضَبْطُهَا ، وَأَجْرَى أُمُورَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَرْضِيَّةِ فَوَافِقِ الْمَشْرُوطِ
فِي شَرْطِهَا ؛ وَجَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمْلِهَا فَأَجْمَلَ وَفَصَّلَ ، وَحَفِظَ أُمُوهَا فَخَصَّلَ

(١) مراده ارس من رسايرسو .

وأصل ؛ فهو الحاكم المشهور بالعدل والمعرفه ، والناظر الذي حمى الأمور
تصرفه ؛ والإمام الذي أتم الأنام بأقواله وأفعاله ، والعالم الذي يحمى الطالب إليه
شد رحاله ؛ والمدرس الذي أفاد بفقهِه المفيد النافع ، وترفع في البداية والنهاية
فهو المختار في المنافع ؛ وسلك منهاج الهداية ، فنال من العلوم الغاية ؛ فبدائع
ألفاظه لعقائد الدين منظومه ، وكثر عرفانه عزيز المطلب ومحاسنه المشتملة على
الكمال معلومه .

ولما كان فلان - أعز الله تعالى أحكامه ، وقرن بالتوفيق والسداد نقضه
وإبرامه ؛ هو المشار إليه بالأوصاف والتعوت ، والمعول عليه إذا نطق بالفضائل
والحاضرون سكوت ؛ والمشكور أثر بيته المشهور ، والمنشور علم علمه من السنة
والشهور ؛ ياله من بيت لم يزل معموراً بالتقوى والصلاح ، محمياً بأساحة أهله ؛ فمن
أحكامهم السيوف ومن أفلامهم الرماح ؛ فهو العديم المثل وبيته العديم ، وحرَم
فضيل ينجح إليه الراحل والمقيم ؛ فاستحق أن تقابل مقاصده بالإقبال ، ويقابل
بما يؤمله مقابلة مثله ولا كسائر الأمثال .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت مراسم المطاعة تقر الحق في يد مستحقه ،
وترد الأمر إلى وليه ومالك رقبه ؛ وتسوق هدى الإحسان إلى محله ، وتضع
الاستحقاق في يد مستحقه والحق وضع الشيء في محله - أن يستقر بحكم
ظهور الحق بيده المباركه ، وخفاء الباطل الذي ليس له في الحق مشاركة ؛ استقراراً
مباركاً مميوناً ، بالخير والسعد مقروناً ؛ لأنه الأحق بأمر وظائفه ، والطائف حول
حرمة المنوع طائفه ؛ وأولى من عقلت عليه عقيلته ، وردت إليه فريده ؛ وبأشر
بنفسه الكريمة ما عهد إليه سلفه ، وأنفرد به فلا يناله - إن شاء الله - إلا خلفه ؛

طلبا ألفت منه الأوقاف من الشفقة والخير، وحفظ جهاتها المحمية عن تطاول يد الغير؛ ونعم بحسن نظره من المدارس كل دارس، وفازت منه الدروس بالعالم العاريف والبطل المارس .

فليباشر ذلك على ما تقدم له من حسن المباشرة، وليجتهد - على عوائده - في تحصيل ريعه مثاراً على الأجور أشد مثابره؛ وليصرف أموال الأوقاف في مصارفها، بعد العارة والتثمين المبدئين في شرط واقفها؛ وليسو - على مقتضى معدلته - بين القوى والضعيف، والشاب الصغير والشيخ النحيف، على قدر تفاوتهم في العلم الشريف؛ وليطلق لسانه في إلقاء الدروس على عادته، ويُمهد للمستغنين طريق الفهم لينالوا القصد من إفادته؛ وهو بحمد الله تعالى أولى من أدى الأمور على الوجه المستقيم، ووفى المناصب حقها فإن الوفاء جدير بـ«إبراهيم»^(١).

والوصايا كثيرة وإليه مرجوعها، ومن يحار علمه ودينه المتين ينبوعها؛ والله تعالى يؤيد به المناصب، ويرفع بعلو رتبته المراتب .



نسخة توقيع بخطابة جامع، كتب به لقاضي القضاة «كمال الدين عمر» ابن قاضي القضاة جمال الدين إبراهيم بن أبي جرادة الحنفى، الشهير بابن العديم بـ«المقر الشريف» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عنايته ترقى في منازل المجد من تتائل بفضله بهجة وكالا، وتدل جياها لفرسان الفضائل فتجيد لهم في ميدان البلاغة مجالا،

(١) يشير الى قوله تعالى : (وإبراهيم الذي وفى) .

وَسَلَّمَ رَأْيَهَا [إلى من صدق بارق سعده ، ووهب من العلم^(١)] ملكا لا ينبغي لأحدٍ من بعده - أن يستقر... .. لأنه الإمام الذي [لو] تقدّم عصره لكان أحد أئمة الاجتهاد، والعارف الذي بلغ بولايته مُريد الفضل غاية المراد، والعالم الذي وجدت أخبار علومه نسبة يطابقها في الخارج صالح العمل ، وأتبع سنن الكتاب والسنة فلم يتخلل طريقته المثلى خلل ، والمحقق الذي وجد إلى كنه الحقيقة أكل مجاز ، والمفوه الذي بلغ من البلاغة في كلام البشر حد الإعجاز ؛ إن خطب سنّف بدرر مواعظه الأسماع ، وشرف بغير فرائده الأسماع ؛ وأهترت أعواد المنابر طرباً لكلمه الطيب ، وروى أوام القلوب سحّ فضله الصيب ؛ وإن قرأ في مجراه أقر بفضله الجمع الجامع ، وأستقلّ « ابن كثير » حين وجد « الكسائي » عارياً مما لديه وفضله الجتم أكل « نافع » :

خَطِيبٌ إِذَا الصَّادِي تَصَدَّى لِفَضْلِهِ : * لِيَرَوِي ، فَأَنْوَأُ الْعُلُومَ تُغِيثُهُ !

وَإِنْ يَرُو الْجَلَّاسَ أَخْبَارَ أَحْمَدٍ ، * نَخِيرُ جَلِيسَ لَا يَمَلُّ حَدِيثُهُ !

وهو الكامل الذي أدرك درجات الكمال في البداية فأمّن في النهاية وهو قاض من النقص ، وسارت عيس الطلاب إلى حضرته الكريمة وأخذة ولكن بالنص ؛ والصاحب الذي استصحب يسار العقاة باليمين ، وأزال ظن قاصده في ربه الشامل باليقين ؛ كم أطلق بأقلامه المفيدة مكرمة بصلة الأرزاق ، ونسخ بمحقق فضله رفاع الأول بالعتاء على الإطلاق ؛ ولو نظر الملكان : هاروت وماروت ماملكه من

(١) الزيادة يقتضها المقام .

(٢) الأوام بالضم العطش .

كاتبته السَّاحِرَةَ لِأَقْرَبَا أَنَّهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ ، وَلَوْ قَابَلَهُ «أَبْنُ هَلَالٍ» لَأَنْحَسَفَ بَدْرُ فَضْلِهِ
عند الكمال :

فَفِي كَفِّهِ الْأَقْلَامُ تَهْرَأُ بِالْقَنَاءِ ، * وَتَحْشَى سَطَاهَا الْأَسَدُ فِي غَابِ غَائِبِهَا !
يُرْوَعُ سَيْوَفَ الْهِنْدِ وَرَى يَرَاعِهِ ، * وَقَدْ طَارَ مِنْ خَوْفِ حَدِيدِ دُبَابِهَا !

فليباشِرْ هذه الخطابة مباشرة ترشّف منها كُؤُوسَ كلمه الأسماع ، وليكشِفْ لها
عن وجوه فضائله القناع ، وليُنثِرْ عليهم من دُرَرِ بلاغته ما تلتقطه أفواه المسامع ،
وليُنشِرْ من طَيِّ لسانه عِلْمَ علمه الذي لا يقاس عليه غيره أبنى الله والفارق الجامع ؛
وليُطِرِبْ بمواصله أُنْبجاعه القاطعة بفضائله المكمّله ، وليُظهِرْ ما جمعه من محاسنه التي
هى الجمع الذى لا نظيره ؛ وليُثَبِّقْ على الجمع يوم الجمعة مما آتاه الله تعالى من كنوز
الفضائل ، وليبلّغهم من بلاغته التي أنحلت ذكر «قُسِّ» و «سجبانٍ وأئيل» ؛ وأنت
- أسبغ الله تعالى ظلالك - معيدُ الفضائل فأنتى تهدي إليك الوصايا ؛ والمُتَّصِفُ
بصفات الكمال فكيف تُعرض عليك المزايا ؛ ولكن الوصية بتقوى الله تعالى من
شعائر الإسلام ، والله تعالى يُديمك غُرَّةً في جبهة الأيام .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور ، كُتِبَ به للقاضى علاء الدين
«عليّ الصَّرْحَدِيّ» الشافعيّ ، نائب الحكيم العزيز بحلب بـ «المقرّ العالى» وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت صدقاته تمنح دروس العلم الشريف بعلى العلوم ، وتندب
لها من ذوى الاجتهاد من سائر بهيمه البرق وسائر النجوم ، وتقرر للطلّابة من

(١) فى الأصل «دوى» بتشديد الياء وهو تحريف .

أولى العناية من حَقِّقِ الفضائل وأطلع على سيرها المكتوم، وتدير عليهم من مشرب
فوائده ما يحال أنه الرحيق المختوم - أن يستقر فلان استقراراً تقرُّ به عين
الطلاب، وتلمح من صوب فضله عين الصواب؛ ويشيد به دارسُ الدروس، ويطلع
به في سماء الفضائل أنور شمس؛ وتُنشر به أعلام العلوم من طيِّ الألسنة، ويذهب
من كلِّ الطلبة في تحصيل العلم الشريف وسنه؛ لأنه الخبر الذي شهدت بفضل
الأسفار، ورحلت إلى فوائده الجمَّة السقار؛ والبحر الذي جرت سفن الأذهان
به فلم تُدرك غاية قراره، وعجزت الأمثال عن خوض تياره؛ والعالم الذي أقر بعلمه
الأعلام، وشهدت بإحكام أحكامه الأحكام؛ ما برز في موطن بحث إلا وبرز على
الأقران، ولا جراه مجتهد إلا وكانا كفرسي رهان، ولا نطق بمنطق إلا وانجبت
مقدمات هممه العلية واجتهاده على فضله أكل برهان، ولا أجرى جياذ علومه
إلى غاية إلا مطلق العنان، ولا رآه من أخبر عن فضله إلا تمثله له: ليس الخبر
كالعيان؛ إن تصدَّر للفوائد ألتقطت الأسماع در علمه النفيس، وإن درس تحال
الطلبة أنه «أبن إدريس»، فهو طود فضيل لا يسامى علواً ورفعاً، ولا ينوى مناواته
مناوى ولو كان «أبن رفعة»:

إمام غداً للسالكين مسلِّكاً، * عليم، وممَّ أولى الفضائل من ولي!

علا فأسال البحر من فيض علمه! * وذلك سيل جاء بالفضل من على!

فليباشر هذا التدريس المبارك مباشرة يثبت بها فوائده، وينثر بها فرائده؛
ويطرب الطلاب بطريف العلم وتالده، ويجمع لهم من صلة الفضل وعائده؛ ويلازم
المباشرة ملازمة لا ينفك عنها أيام الدروس، وليزر القلوب بمصايح الجباب والسنة
ويسر النفوس.

وأنت - أمتع الله بفوائدهك - من نُورِكَ الوصايا تُقتبس ، ولم آتس الطالبُ نارَ
فضلاً فأتى منها بأُورِ قَبَسٍ ، والله تعالى يُبقيك للعلوم كَثْرًا لا تُفنى مواهبه ، ويُديمك
للطلاب بحرًا لا تنقضي عجائبه .



وهذه نسخةُ تَوقِيعِ بَتَدْرِيسِ بالجامع المذكور لِحَنَفِيٍّ ، كُتِبَ به للشَّيخِ شَمْسِ الدِّينِ
«محمد القرمي» الحنفي ، بـ«الجناب العالی» ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت عِنايتهُ الكريمةُ تُطَلِّعُ شَمْسَ الدِّينِ للهداية في أفق المدارس ،
وُتَسَيِّدُ بالعلماء الأعلام من رُبوعها كلِّ دارِسٍ ، وتمنحُ الفُقهاءَ بمن إذا تصدَّى
للاِفَادَةِ جادَتْ نَفْسُهُ بالدررِ النَّفائِسِ ، وتندبُ لها من أوليِ البلاغة من إذا أَلْفُ
فَصَلًا وُجِدَتْ عُصُونُ أَقْلَامِهِ في رَوْضَاتِ الطُّروسِ أَحْسَنَ مَوَائِسِ - أن يستقرَّ
فَلاَنُ : أَسْتَقْرَارًا تُجَلُّ به الدُّروسُ بالفوائد ، وتمنحُ الطَّلَبَةَ منها بالصَّلَةِ والعائِدِ ؛ ويمدُّ
لهم من مَوادِّ العلوم أشرفَ مَوائِدِ ، ويوردُهم من مَناهِلِها أعذبَ مَواردِ ؛ لأنَّهُ شَمْسُ
العلومِ ومِصْبَاحُها ، وقَرَّ لَيْلِ المُشكلاتِ وصَباحُها ؛ وساعِدُ الفِتاوى الطَّائرةِ بفضائله
في الآفاقِ وجَناحُها ، وروحُ كُثُوسِ العلومِ وِراحُها ؛ وطَبيعةُ الحقائقِ وعُنوانُها ،
وعِينُ الدقائقِ وإِسانُها ؛ والإمامُ الذي أُنتمُّ به الطُّلابُ فاستحقَّ الإمامه ، والعالمُ
الذي أجتهد على فضلِ العلومِ فاستوجب أن يُنعتَ بالعلامة ؛ والفاضلُ الذي
ضَبِطَتْ أقواله : للأطلاعِ على سِرِّها المكتومِ ، فأختصَّ فِعْلُ علمه المتعدِّي باللزومِ
لِإِتِصافِهِ بالعمومِ ؛ كَمِ التَّنْقِطِ من دُروسه الجواهرِ ، وتمثلُ لأبكارِ فوائده : كَمِ تَرَكَ
الأوَّلِ لِلاَخرِ ؛ قابِلَتَهُ الأَسْفارُ عن وجوهِ فوائدها بالإسفارِ ، وأظهرتْ لُدْكاءَ ذِكاؤه
ما صَمَّتْهُ أحشأؤها من الإضمارِ ؛ فهو المُختارُ لهذا التَّدْرِيسِ : إذ دَرَّرُ فوائده مَنظُومه ،
والمُجْتَبَى لِلاِفَادَةِ بسُلوْكَه طُرُقَ الهدايةِ إلى دقائقها المكتومه ؛ وكَمِ أَسْتَنارَتِ الطَّلَبَةِ

من سَمَرِ فَضْلِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ ، وَجَمَعَ فِي صَدْرِهِ بَحْرَى الْمَقُولِ
وَالْمَعْقُولِ حَتَّى قِيلَ : هَذَا "مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ" :

هُوَ الْبَحْرُ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ عَجَائِبُ ، * وَوَأَفْرَ فَضِيلٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي الْبَحْرِ !
بَلَغَتْهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ ، وَإِنَّمَا * بَدِيعُ مَعَانِيهَا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ !

فَلْيَبْشُرْ هَذَا التَّدْرِيسَ نَائِرًا دُرَّرَ فِرَائِدُهُ ، نَاشِرًا غُرَرَ فَوَائِدُهُ ؛ جَائِدًا بِجِيَادِ فَضَائِلِهِ
السَّابِقَةَ إِلَى الْغَايَاتِ ، عَائِدًا بِصَلَاتِ حَقَائِقِهِ لَتَنَكَّلَ لِلطَّلَبَةِ بِهِ الْمَسْرَاتِ ؛ وَلِيَلْزِمَ أَيَّامَ
الدَّرُوسِ مَا أَسْدَى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُظُفِيهِ ، وَلِيَرْتَقِيَ مِنْ دَرَجِ التَّقْوَى لُغْرَفِ الْمَعَارِفِ
الشَّرِيفَةِ .



وهذه نسخة توقيع بإمامة وتصدير بجامع منكلي بغا الشمسى بحلب ، كُتِبَ بِهِ
للشيخ شمس الدين «محمد الإمام» ، بـ«الجناب العالى» ، وهى :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الْعَمِيمَةُ تُطْلَعُ شَمْسُ الدِّينِ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي ، وَتَرْفَعُ
مِنْ أَوْلِيَائِهِ خِدْمَةَ مَنْ جِيَدُهُ بِالْفَضْلِ حَالِي ؛ وَتَمْنَحُ بَرَّهَا مَنْ أَعْرَبَتْ عَنْ لَحْنِهِ الطَّيِّبِ
وَتَسْتَنْفِتُ مِنْ فِيهِ بِاللَّالِي ، وَتَسْفَحُ غَيْثَ جُودِهَا عَلَى مَنْ أَجْمَعَ عَلَى طَيْبِ مُسَامَرَتِهِ
وَرَفَعَ أَدْعِيَتِهِ الْأَسْمَاعُ وَاللِّبَالِي - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلَانُ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى ضِيَاءَ شَمْسِهِ ، وَبَنَى لَهُ
رَبْعَ السَّعْدِ مِنْ جُودِهِ عَلَى أُسِّهِ - ... لَأَنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي شَهِدْتُ بِحُسْنِ قِرَاءَتِهِ
الْمَحَارِيبِ ، وَالْآتِي مِنْ فَضْلِ فَضَائِلِهِ بِالْأَغَارِيبِ ؛ وَالْفَاضِلُ الَّذِي سَلَكَ طُرُقَ الْفَضَائِلِ
أَحْسَنَ سُلُوكِ ، وَشَهِدَ بِسَبْقِ جِيَادِ جُودِهِ فِي حَلْبَةِ الْأَخْتِبَارِ كُلِّ حَتَّى الْمُلُوكِ ؛ وَالْكَامِلُ
الَّذِي كَمَلَتْ أَوْصَافُهُ الْمَحْمُودَةَ فَأَمِنَ النَّقَائِصَ ، وَأَخْتَصَّ بِجَمِيلِ الشِّيمِ وَحُسْنِ الْخِصَائِصِ ؛
مَا أُمَّ إِلَّا وَشَهِدَ بِفَضْلِهِ كُلِّ مَأْمُومٍ ، وَأَقْرَبُوا أَنْ أَسْمَاعَهُمْ أَرْتَشَفَتْ رَحِيقَ فَضَائِلِهِ مِنْ

كأسيها المختوم ؛ وما سامر الخواص إلا وشهد العوام بحسن صفاته ، ولا حدث إلا
وكانت الملوكة من روايته .

فليباشر هذه الوظائف المباركة مباشرة تقرُّ بها النواظر ، وتجتمع الألسنة على أنه
أكرم إنسان وخير ناظر ؛ ولتصدّر لإلقاء الفوائد ، وليكسب الأسماع من علمه
بالطريف والتألد ؛ ولتناول معلومه أوان الوجود والأستحقاق ، هنياً ميسراً من غير
تقييد على الإطلاق ؛ وليتق الله فيما أسدى إليه من ذلك ، وليسلك من سنن التقوى
- بقدّم الصدق - أحسن المسالك .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها :

توقيع بكتابة الدست بحلب ، كتب به ل«بهاء الدين بن الفرفور» ونظر بيته
المال بحلب ، ب«الجناب العالى» ، وهو :

رسم بالأمر - لا زال ينظم عقود الإحسان في أجياد أوليائه ، ويؤجل لهم بوافر
نظيره وافي عطائه ، ويؤجرى بهاء الدين على أحسن نظام فينجز له عدة وفائه - أن
يستقر أستقراراً يباغ به وجوه الآمال ، ويكسو الدواوين ملايس البهاء
والكمال ، ويزيدها رفعة بما يفضله من ذلك الجمال ؛ لأنه الفاضل الذى إذا
قصد المعاني أصاب ، وإذا سئل عن كل معنى لطيف أجاد وأجاب ؛ والفصيح
الذى إذا تكلم أجزل وأوجز ، وأسكت كل ذى لسن بفصاحته وأعجز ؛ والبلغ الذى
أبداع في مكاتباته بمنثوره ومنظومه ، واللييب الذى أطلع من أزهار كلمه المسموعة
في رياض الطروس ما يوجب الروض إذا افتخرت بمشمومه ؛ والكاتب الذى قطعت
بمعرفة الأقلام ، والحاسب الذى عقدت على خبرته خناصر الأنام ؛ والأديب الذى

جمع بين قلم الإنشاء الشريف (؟)، وحاز ما في ذلك من تآليد وطريف؛ فله دره من كاتب زين الطروس بحسن كتابته، وجمل الألفاظ والمعاني بحملي درايته وفصاحته .
 فنباشر ما عُدق به من ذلك مباشرةً مقرونةً بالسداد ، مشكورةً المساعي والأعتماد ؛ مظهرًا براعةً يراعه ، باسطًا يدَ إبداعه الجميل وإبداعه ؛ مفوفًا حواشي القصص بتوقعاته ، مؤشياً برود الطروس بترصيعاته وتوشيعاته ؛ ناظرًا على اعتماد مصالح بيت المال المعمور ، وتحصيل حواصله على الوجه المشهور والطريق المشكور ؛ عاملًا بتقوى الله عز وجل في ضبط مصالح ديوان الجيوش المنصوره ، سالكًا من حسن الاعتماد طرقًا على السداد والتوفيق مقصوره ؛ والوصايا كثيرةً وتقوى الله تعالى عمادها ، فليجعلها عمده فيما يتم به للنفس المطمئنة مرادها ؛ وليناول معلومه المستقر لذلك أوان وجوبه ، والله تعالى يبلغه غاية قصده ومطلوبه .



توقيع بصحابة ديوان الأموال بحلب ، من إنشاء ابن الشهاب محمود ، كتب به للقاضي شمس الدين « محمد بن محمد » ، أحد كتّاب الدست بحلب ، بد المجلس العالی ، وهو :

رسم بالأمر - لازالت صدقائه العميمة تسر نفوسا ، وتطلع في هالات الوظائف السنية عوض الشمس شموسا ؛ وتسقى غرس نعاها الهبات الهنية فترهى أغصاناً يانعةً وغروسا - أن يستقر ... : لأنه الأوحُد الكامل ، والرئيس الفاضل ؛ ولأنه حاز قصب السبق في المبشرات ، والمناصب الجليلة والمراتب السنيات ؛ طالما بذل جهده في خدمة الدول ، وسلك بحملي مباشرته طريق السلف وسبيل الأول ؛ فأدرك بحسن سيرته ويمن طريقته نهاية السؤل وغاية الأمل ، وأتى الأمور على

قَدْرٍ وَلَا يُقَالُ : عَلَى عَجَلٍ ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَمِينُ فِي صَنْعَةِ الْإِنشَاءِ ، وَالتَّابِعُ فِي فَتْنَةِ فُنُونِ
 الْأَدْبَاءِ ؛ إِنْ رَقِمَ الطُّرُوسَ طَرَزَ ، وَإِنْ بَارَزَ الْأَقْرَانَ فِي مَوَاطِنِ الْإِفْتِخَارِ بَرَزَ ؛ وَإِنْ
 بَسَطَ الْجَرَائِدَ ، تَغَارَ مِنْ حُسْنِ الْخَرَائِدِ ؛ طَالَمَا نَطَقَ بِالْحِكْمِ ، وَأَشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ
 مِثْلَ أَشْتَهَارِ النَّارِ عَلَى عِلْمٍ ؛ نَظَمَ الْمَحَاسِنَ فِي نَثْرِ الْبَدِيعِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِيمَا يُبْدِيهِ
 مِنَ الْإِنشَاءِ وَيُخَلِّيه مِنَ التَّضَرُّعِ ؛ قَدِمَتْ هِجْرَتُهُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَقْتَضَتْ مِنْ
 زَهْرِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ مَنَاصِبٍ وَأَجْمَلَ وظيفه ؛ وَتَخَلَّى جِيدَهُ بِالْقَلَائِدِ ،
 وَحَصَلَ بِسَعْيِهِ مَجْمُوعَ الْفَرَائِدِ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ قَدْ
 اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ ، وَاسْتَوْجَبَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ نِهَآيَةَ التَّكْرِيمِ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوُضُفَةِ مَبَآشِرَةً حَسَنَةً الْآثَارِ ، جَمِيلَةً الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ نَظْمًا بِقَلَمِهِ
 الْحِسَابِ عَلَى أَنْوَاعِهِ ، مُحْكَمًا لَهُ عَلَى سِدَادِ أَوْضَاعِهِ ؛ وَلِيُطَلِّعَ شَمْسَهُ فِي سَمَاءِ هَذِهِ الْوُضُفَةِ ،
 وَلِيَجْنِيَ مِنْ رَوْضِهَا الْأَرِيضِ كُلَّ يَانِعَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ بَوَادِرُ خَيْرٍ سَرَّتْ إِلَيْهِ ،
 وَسَوَائِعُ نِعَمٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَلِّيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرًّا ،
 وَتَرَادِفَ عَلَيْهِ تَتْرَى ؛ وَتُعَلِّيَ لَهُ بَيْنَ رِفَاقِهِ الْمَرْفُوقِينَ قَدْرًا ؛ وَمِثْلَهُ لَا يُنْبَهُ عَلَى وَصِيَّةٍ ،
 لَا دَانِيَّةٍ وَلَا قَصِيَّةٍ ؛ لَكِنِ التَّقْوَى لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُغْفَلَ عَنْهَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا
 أَعْتَادَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الْمَقْرَّرَ لَهُ عَلَى الْوُضُفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي غُرَرِ
 الشُّهُورِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ بِمِضَاعِفَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِ أَوْقَاتَ الشُّرُورِ ، وَيَقِيهِ
 بِلُطْفِهِ كُلَّ مَحْذُورٍ .



تَوْقِيعُ بِنظَرِ بَهْسَنِيٍّ ، مِنْ عَمَلِ حَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِفَتْحِ الدِّينِ «صَدَقَةُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ»
 عَبْدَ الرَّحِيمِ الْمِصْرِيَّ ، بِ«الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لازالت صدقائه العميمة تفتح لأولياء خدمته أبواب الخيرات ، ولا برحت تُهدى إليهم أنواع المسرات - أن يستقر... .. في وظيفة النظر بمدينة بهسنى المحروسة عوضاً عن بها ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، على العادة فى ذلك والقاعدة ، استقراراً يسر خاطره ، ويقر ناظره ؛ لأنه الماهر فى صناعته ، والرأى فى متاجر بضاعته .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنه ، لتصبح الألسنة بشكرها معلنه ؛ وليصرف قلبه فيما يعود نفعه عليه ، وليجتهد فيما يستجلب الأثنية إليه ؛ وليقبض معلومه أوان وجوبه هنياً ، وليتناوله بيد استحقاقه مرئياً ؛ والوصايا كثيرة وهو - بحمد الله تعالى - غير محتاج إليها ، لأنه الفاعل لها والدال عليها ؛ وتقوى الله تعالى عمادها ، وبه قوامها وسنادها ؛ فليتمسك بسببها فى الحركات والسكات ، والله تعالى يهيئ له أسباب المسرات .



توقيع بكتابة الإنشاء ونظر الجيش بدبرىكى ، كتب به للقاضى شهاب الدين « أحمد ابن أبى الطيب العمري العثماني » ، بـ « بالجناب الكريم » ، وهو :

رُسم بالأمر - لازال يجمل الثغور بمن تزهو برحيق كلمه الطيب [المناصب] ، ويكمل محاسنها بمن لم تزل الصحف تقود من جواد فضله أجمل جنائب ، وحبابها بشهاب يهتدى إلى المقاصد بنجم رأيه الناقب ؛ وسرها بكل نذب لم تزل كتيبه ترد من الدعار الكئاب - أن يستقر... .. فى وظيفتى كتابة الإنشاء الشريف والجيش المنصور بدوركى المحروسة ، عوضاً عن فلان ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر

(١) لغة فى دبرىكى كما سلف قريباً وتقدم فى ج ٤ ص ١٣٢ من هذا المطبوع .

وَقِيَتْ . لِأَنَّهُ مِنْ بَيْتِ رُفِيعِ عِلْمِ قَدْرِهِ عَلَى السَّحَابِ ، وَأَنْتَصَبَتْ رَايَةً أَرَاءَهُمْ بِالْتِمِيزِ فِي مَوَاقِبِ الْعِزَّةِ عَنِ الْمَوَاقِبِ ، وَأُضِيفَ إِلَى مَجْدِهِمْ شَرَفُ الْكِمَالِ فَانْجَرَّ بِالإِضَافَةِ ذَيْلُ مَجْدِهِمْ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَجَزَمَ أَوْلُو الْفَضْلِ بِنَسَبَتِهِمْ إِلَى الْمَعَالِي فَخَازُوا قَصَبَهَا أَسْتَحْقَاقًا وَمَا زَاخَمُوا عَلَيْهَا بِالْمَنَّاكِبِ ؛ وَأُسِّسَ أَصْلُهُ عَلَى عِمَادِ شَرَفِ «الْفَارُوقِ» وَ«ذِي النُّورَيْنِ» فَتَفَرَّعَ عَلَى أَكْمَلِ تَنَاسُلٍ بِتَنَاسُبٍ .

النيابة الثالثة

(مما يكتب من التواقيع بالولايات عن نواب السلطنة بها - نيابة طرابلس)

وهي على ما تقدم في دمشق : من تقسيمها إلى تواقيع أرباب السيوف ، وتواقيع وظائف أرباب الأقاليم الدينية ، وتواقيع أرباب الوظائف الديوانية ، وأرباب الوظائف بمشيخة الأماكن وغيرهم ، وتقسيم ذلك إلى ما يفتح بـ «الحمد لله» ، وما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ، وما يفتح بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بشد الدواوين بطرابلس ، كتب به لصلاح الدين «صلاح الحافظي» ، بـ «الجناب الكريم» ، وهي :

الحمد لله الذي أيد هذه الدولة وسددها بأنواع الصلاح ، وعمر العالم بعديل سلطانها وجعل أيامه مقرونة بالنجاح ، وأقام لتدبير المملكة [كل] كفاء كافٍ مشهور باليمن والصلاح .

نحمده على نعمة الغامرة في المساء والصباح ، ونشكره على آلائه في كل غدو ورواح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة ضوئية كالمصباح ،

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أصطفاه وأرسله بالدين الحنيفي فبشر
وأذرو وحل وحرم ... (١) ... وأباح ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة
مستمرة ما حيّل الداعي إلى الفلاح .

وبعد ، فإن أولى الأولياء بمضاعفة الإحسان ، وأن يعلى له في المكان والإمكان -
من عرف بأجل المباشرات في الفتوحات ، وأشهر فيها بالكفاية والصيانة وجميل
التدبير وحسن الصفات .

ولما كان فلان هو المنفرد بهذه الصفات الحسنه ، أتفقت على نعوته الجميلة
الألسنة ، والوحيد بهذه السجايا ، الفريد بشرف المزايا ، عقدت الخناصر عليه ،
وأقتضت الآراء أن يسند تدبير المملكة إليه : فإنها لم تجد لها كفاً غيره ، ولا من
يجمع شمل شتات أقوالها ولم يفرط مثقال ذره .

فلذلك رسم بالأمر - لازل ينذب لتدبير الممالك كل كفاء كاف ، ويورد أولياءه
من موارد إحسانه مورداً عدباً صاف - أن يفوض إلى الجنب الكريم - أدام الله
علوقه ، وأيده بالمعونة في أمره - شدّ الدواوين المعمورة بالمملكة الطرابلسية ،
بالمعلوم المستقر ، الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، على عادة من تقدمه .



وهذه نسخة توقيع بالاستمرار في شدّ الدواوين :

الحمد لله الذي قرن الشدة بالفرج وجبر بعد الانكسار ، وأمتحن عباده بأنواع
من المحن ليعلم الصادقين في الأضطبار ، وأطلع في أفق العلا سعد السعود ساطعاً

(١) بياض بالأصل ولعله : وحظر وأباح ، الخ .

بالتور بعد ما غار ، وجمع لمن أنقطع به حبل الرجاء من الخلق فتوكل عليه بين نيل
المطلوب وتمحيص الأوزار .

نحمده وفي محامده تطيب الآثار ، ونشكره على ما أسبل من النعم الغزار ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله كشف الغم بعد ما غم القلوب وغطى على
الأبصار ، وفرج الهم ، وقد كان أدلهم ، وأظلمت منه النواحي والأقطار ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ، سيد ولد آدم في الدنيا وسيدهم في دار
القرار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار ، وصحابة الأخيار ، ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد ، فإن الله تعالى لطف بهذه الدولة المعظمة في المقام والسير ، فما مضى
لأحد معها يوم سرور إلا والذي من بعده خير ؛ ونصب خيام عدلها على الخلق
وشرع أطناها ، ورغب العباد في فضلها العميم وفتح لهم بابها ، وجعلها كاشفة
للكروب الموجبة للحزن والضيق ، راشفة من خزائن ملكه ومعادن نصره كأس
رحيق ؛ تصل بقوة وتقطع ، وتفرق بارادته وتجمع ؛ ثم جعل المال نظام ملكها
القويم ، وقوام سلكها النظيم ؛ به تمضى أوامره ونواهيته ، وتجرى على السداد بما
يحبه ويرضيه ؛ فتعين إعداده من يقيم بعزمه عمده ، ويقعد من أخذ منه بغير استحقاق
من أقعد الدين زنده ؛ وقدر الله تعالى في هذا الوقت ما قضاه ، ونفذ حكمه فيمن
نرج عن طاعته وأمضاه ؛ فلم تبقى مملكة إلا ومساها وأهلها الإضرار ، ولا بقعة
إلا ولحق أهلها بأس أولئك الفجار ؛ فأدرك الأطف الإلهي ممالك الإسلام ، وحل
الركاب الشريف بأرض الشام ، فكان بردا وسلام ، ونجا المخلص وهلك الناكث
الناكل بقدم سلطان الإسلام ؛ خلد الله ملكه [ليقذف] بالحق على الباطل ، وأيد
الله دولته الشريفة بعونه المتواصل .

وكان فلان له مباشراتٌ عديدة ، وتأثيراتٌ حميدة ؛ وآخر ما كان في وظيفة شدّ الدواوين بطرابلس : فباشرها مباشرةً جميلة الأثر، مشكورة السير عند من ورد وصدر ، ودبر مهماتٍ يعجز عن حصرها أولو العقول والفكر ؛ وحصل للديوان المعمور أموالاً كالطوفان ولكن بلا غرق ، وأستعجب منها كيف حصرتها الأقلام أو وسعها الورق ! ؟ ؛ والذي كان بوظيفة الشدّ الآن زاهدٌ عنها ، ليس له رغبةٌ فيها ولا في شيءٍ منها .

فتعين إعادة الجناح الفلاني إليها . ورسم بالأمر - لا زالت أيام دولته الشريفة تُصلح الشأن ، وتعيد الخير إلى ما كان - أن يستقر

فليعد إليها عود الحسام إلى غمده ، والماء إلى منهلٍ ورده ؛ وليباشرها بمباشرتها المعروفة ، وعزائم المألوفه ، وهممه الموصوفه ، مُسترفعا المتحصل ومصرفه ؛ وليتحقق أن الله تعالى سيصل رزقه فلا يوجس في نفسه خيفه ، وليجعل تقوى الله تعالى دأبه في كل قضيةٍ ثقيلة كانت أو خفيفة ، والله تعالى يمدّه بأطافه المطيقه ، بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بنقابة العساكر بطرابلس :

الحمد لله الأقل بلا آخر ، الغنى في ملكه عن الناصر ، المتره في سلطانته عن المؤازر ، المتوحد بعدم الأشباه والنظائر ، المبيد لكل مظاهر العناد مجاهر ، العليم بما تكنه الأفكار وتجنه الضمائر ، الرقيب على كل ما تردد من الأحوال بين سوادى القلب والناظر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة يرغم بها كل جاحد وكافر ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث والشرك مدتهم الدياجر ، والرشد

قد حَيَّم عليه الضلالُ فما له من قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ ، فأقام به الدينَ الحنيفيَّ النَّيرَ الزَّاهِرَ ،
ورفع ذكره في سائر الأقطار والأمصارع على رؤوس المنابر ، صلى الله عليه وعلى آله أهل
المكارم والمآثر ، ما حمد السُّرى عند الصُّباح سائراً ، ونحمد شرُّ الشرِّ بكلِّ مُناضِلِ
ومناظرٍ ، وسلِّم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى من سِيقَتْ إليه وفُود النَّعم ، ومُنِحَ من الخيرات أجزَلَ القِسَم ؛
وعُدَّتْ الأمورُ بعزائمها ، وأَعْتَمِدَ على هِمَّتِهِ التي هي في المضاءِ كَأَسِنَّتِهِ وصَوَارِمِهِ ؛
وَرُعِيَتْ عُهُودُ ولَآئِهِ التي لا تُشكر ، ووَصِفَتْ مَسَاعِيَهُ التي آسَتْحَقَّ أَنْ يُجَدَّ بها
ويُشكر - من إذا عَوَّلَ عليه في المَهَمَّاتِ كَفَافاً ، وإذا أَسْتُطِبَّتِ المَعْضَلَاتُ به
شفاهاً ، وسارت أنباءُ مهابته غوراً ونَجْداً ، وأنصَفَ بحُسنِ التَّدبيرِ الذي عليه من
الإقبالِ أَكْمَلَ إَجْداً .

ولمَّا كانَ فلانٌ هو الذي تناقَلتْ تَبَاشِيرُ أخبارِهِ الرُّجبانَ ، وأُنخِيَ على شَهامَتِهِ السَّيفِ
والسَّنانِ ، وشُرِفَتْ بِمَجَاسِنِهِ الأَقلامُ ، وأرتَفَعَ ذِكْرُهُ بالشُّجاعةِ على رؤوسِ الأعلامِ .

فلذلك رُسم لا زالَ للدينِ الحنيفيِّ ناصِراً ، وللأعداءِ قائِماً قاهِراً ، ولحقِّ
مُؤيِّداً باطنياً وظاهراً - أن يستقرَّ الحنابُ العالی المشارُ إليه أميرَ نِقَباءِ العساكرِ المنصورةِ
الطُّرا بِلُسِيَّةٍ ، عِوضاً عَمَّن كانَ بها ، على عادته وقاعدته : لأنَّهُ الحَبْرُ الذي عُقِدَتْ على
خَبْرَتِهِ الخِناصِرُ ، وورِثَ الشَّهامةَ كائِراً عن كائِربِ ، وأضحى بتدبيرِهِ واضحَ الغُررِ ، شاهِداً
له به العَيْنُ والبَصَرُ ، إنَّ جالَ بين صُفوفِ العساكرِ كانَ أسداً ، وإن رَتَّبَ جُيوشَها
أحصاها حِلِيَّةً وعدداً .

فليباشرْ هذه الوظيفةَ محرِّراً أحوالَ العساكرِ المنصورةِ ، مقرِّراً لهم في منازلهم على
أَكْمَلَ عادَةٍ وأجملِ صُورَةٍ ، بِمُناصِحَةٍ صُحِّحَ بِمِسْكِنِها ، ومُخالَصَةٍ قامَ مقامَ واسِطَةِ جَوْهرِ

سَلِكِهَا ، وَمُلَازِمَةَ خِدْمَةِ تَأَزَّرَتْ بِهَا أَعْطَاهُ ، وَصَفَاءِ طَوِيَّةٍ شَرَفَتْ بِهَا أَوْصَافَهُ ، وَحُبَّةِ عَدْلِ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِخْلَاصِ يَحْسُنُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَحِفًا بِظَلِّهِ : لِكَيْ يُتِمَّ اللَّهُ النَّعْمَ عَلَيْهِ كَمَا أْتَمَّهَا عَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَلِيَقْصِدَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْأَمْرِ ، لَا رِضًا زَيْدٍ وَلَا عَمْرُو ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الأشراف بطرابلس بـ «المجلس السامي» بالياء ، وكتب فيه «القضائي» على خلاف الأصل ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يرفعُ لَدَوِي الْأَصَالَةَ الشَّرِيفَةَ قَدْرًا ، وَيُنْقَلِمُ إِلَى الرَّتَبِ السَّنِيَّةِ وَيُعَلِّي لَهُمْ ذِكْرًا ، وَيَشْمَلُهُمْ مِنْ إِحْسَانِهِ بِمَا يَسِرُّ لَهُمْ قَلْبًا وَيَشْرَحُ صَدْرًا ، وَيُبَلِّغُهُمْ مِنَ الْمَأْرَبِ أَوْفَاهَا ، وَمِنْ مَلَابِسِ الْقَبُولِ أَجْمَلَهَا وَأَسْنَاهَا - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فِي نِقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلُسِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ : أَسْتَقْرَارًا جَارِيًا فِيهِ عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَاعْتِمَادًا عَلَى مَا عَاهَدَ مِنْ سَلَفِهِ الشَّرِيفِ الدَّاتِ ، وَرِعَايَةً لَهُ فِي تَجْدِيدِ الْمَسَارِ ، وَتَرْجِيحًا لِمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْكِفَايَةِ فِي كُلِّ إِيرَادٍ وَإِصْدَارٍ ، وَرِفْعَةً لِيَدِهِ الْبَاسِطَةَ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَتَقْوِيَةً يَجِدُ أَثْرَهَا فِي مَعْنَاهُ وَحِسَّهُ ، رَشْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّعْمَ الْجَزِيلَةَ ، وَوِلَايَةً تُؤَلِّيهِ مِنَ الْكَرَمِ سُؤْلَهُ ، وَعِنَايَةً تُصَبِّحُ بِهَا رُبُوعَ أُنْسِهِ مَا هُوَ لَهُ ، لِأَنَّهُ أَوْلَى أَنْ يُقَرَّرَ فِي هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ وَيُزَادَ ، وَأَحَقُّ أَنْ يُرْعَى لِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يُضَاعَ حَقُّهُ حَيْثُ لَهُ إِلَى رُكْنِ الشَّرَفِ الْمُنِيفِ اسْتِنَادٌ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مَبْسُوطًا أَمَلُهُ فِي الْمَزِيدِ ، مَنْوُطًا رَجَاؤُهُ فِي نِعْمَانَا بِاسْتِنَافٍ وَتَجْدِيدٍ ، مَحُوطًا مَا بِيَدِهِ مِنْ كَرَمِنَا الْعَدِيدِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ أَنْ نُثْنِيَ لَهُ الْوَصَايَا

وُنِعِدَ، مَلِيٌّ بِحَسَنِ السَّجَايَا الَّتِي جُبِلَتْ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسَدِيدِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُطَوِّقُ بِمَنِّ جُودِنَا مِنْهُ الْجِدَ، وَيُعِدُّقُ لَهُ سَحَابَ رِفْدِنَا الَّتِي تُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ فَضْلِهَا الْعَدِيدِ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ - أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ.



وهذه نسخة تَوْفِيعٍ بِشَدِّ الشَّوَانِي بِطَرَابِلِسَ، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ «أَيْدِ غَمَشٍ» وَهِيَ:
رُسْمٌ ... - لِأَزَالَتْ أَيَّامُهُ، قَائِمَةٌ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْلَامُهُ، حَائِمَةٌ عَلَى التَّنْقِاطِ مَهْجِ الْعِدَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا يُقَرِّبُ لَهُمُ الْأَجَلَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ فِي شَدِّ الشَّوَانِي الْمَعْمُورَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ، بِهَيْمَتِهِ الْعَلِيَّةِ، وَعَزَمَتِهِ الَّتِي هِيَ بِبَلُوغِ الْمَقَاصِدِ مَلِيَّةٍ؛ وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تُرْهِبُ الْعِدَا، وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي تُلِيسُهُمْ أَرْدِيَةَ الرَّدَى؛ وَبَسَالَتِهِ الَّتِي تُبْسِلُهُمْ فِي الْبَحْرِ فَتَصِيرُهُمْ كَالْأَسْمَاكِ لَا يُسَامُ لَهُمْ صَدَى.
فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ جِدَّ الْأَجْتِهَادِ، وَلْيَعْمِدْ فِيهِ السَّدَادَ وَالسَّدَادَ؛ وَلْيُوقِظْ أَجْفَانَ سَيُوفِهِ مِنَ الْعَمَاضِ، وَلْيُرْهِبْ الْعِدَا بِشِدَّةِ وَطْأَتِهِ الَّتِي لَهَا الثَّبَاتُ فِي الْأَرْضِ؛ وَلْيَلْزِمْ مُوَاطَبَةَ الشَّوَانِي لَيْلاً وَنَهَاراً، وَلْيَكُنْ هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ لِمَنْ بِهَا أَنْصَاراً؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْزِلُ لَهُ مَبَاراً، وَيَرْفَعُ لَهُ مِقْدَاراً، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.



وهذه نسخة تَوْفِيعٍ بِشَدِّ دَارِ الضَّرْبِ، كُتِبَ بِهِ لـ«عَلَاءِ الدِّينِ الدَّوَادَارِ»، وَهِيَ:
رُسْمٌ ... - لِأَزَالِ إِحْسَانُهُ يُجُودُ غَمَاماً، وَفَضْلُهُ الشَّامِلُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ إِمَاماً، وَسَحَابٌ بِرَّ كَرَمِهِ هَامِيَةٌ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، هَامِلَةٌ عَلَى أَصْفِيَائِهِ، فَتَرَاهُمْ يَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجْدًا وَيَنْتَصِبُونَ قِيَاماً - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ دَارِ الضَّرْبِ: إِعَانَةٌ لَهُ عَلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ، وَإِرْفَادًا لَهُ بِمَعْلُومِهَا إِذْ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ بِوُضُوفِهِ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا،

وأحقُّ بكلِّ منزلةٍ عليَّةٍ وأخرى ؛ وليكن هذه الجهة هي قانونُ المعاملة ، وسكِّنتها بشعار الملكِ مُتَّصِلةً وبين الحقِّ والباطلِ فاصلةً ؛ ومنها النقوشُ التي هي رُستاقُ الأرزاقِ ، وصدرُ كلِّ إطلاقٍ وقنْداقٍ ؛ حَكِيمٌ ما أُرسل في حاجةٍ إلَّا وأذِنَ لها بالنَّجاحِ ، ولا آستؤمن عليه أمرٌ باذن الإمام إلا وحقَّ له [الاتصاف] بالصلاح والفلاح ؛ هذا وهو في الأصل مذموم ، وطالبه محروم : لأنه مقسوم ، والأجل محتوم ؛ ولكن تطهيره من الدنس واجب ، والحسبة في عيابه حتى يغدو وبودق صفائه من الغشِّ ناضب .

فليعتمد المشار إليه في شدِّ هذه الجهة حُسنَ التقوى ويلاحظ بعزمه أمورها لتكون على السداد، ويعتمد على السيد الناظر فإنه نعم العباد، ويفوض إليه كشف الرُّباصِ وحكِّ العيار فهو به أدري وأخرى وأدرب بادحاض غشِّ الفساد، وليتناول معلومه المقرَّر له عند الوجوب والاستحقاق ، هنيئاً ميسراً خالصاً من التنازع والشقاق ، ومثله فلا يدلُّ على [صواب] : إذ تقوى الله تعالى كلمة الفصل وفصل الخطاب ، والله تعالى يجعلها لنا وله زاداً وحرزاً ، وذخراً يوم المعاد وركزاً .



وهذه نسخةُ توقيعِ بشدِّ البحرِ بمينا طرِ ابلِس ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال سيفه قاطعاً من الأعداءِ تحراً ، وأمره نافذاً براً وبحراً ، وفعله صالحاً دنيا وأخرى - أن يستقرَّ الجناحُ المشار إليه في شدِّ مينا البحرِ بطرِ ابلِس .

فليباشر هذه الوظيفة شارحاً لها صدراً ، فاتحاً لها بحسنِ مباشرته الجميلة بصراً وفكرًا ؛ باعثاً لها في الآفاقِ بمباشرته ذكراً جميلاً ، باحثاً عما يتعلق بمتحصِّل المينا

(١) يريد ركزة واحدة الركاز المسال المدفون . وذكر مراعاة للسجع .

المعمورة بكرةً وأصيلاً؛ مسوياً بين الناس فيما رزق الله وفتح، وبعث من فضله
ومنح، بحيث لا يقدم عزيزاً ولا يؤخر ذليلاً، ولا يرعى في ذلك صديقاً
ولا خديلاً.

ويقدم خوف الله تعالى على خوف خلقه، وليسو بين الضعيف والقوي فيما
بسط الله من رزقه؛ وأكد ما نوصيه به تقوى الله تعالى فيما هو بصدده، فليجعلها
في أموره الباطنية والظاهرة من عده؛ والله تعالى يقدمه في مباشرته لاقتناء محاسن
المعروف وزبده، ويرزقه من الأجر على ما يعمله من الخير مع تجار هذا البحر بما هو
أكثر من زبده.



توقيع كريم بنياية اللاذقية، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري، كتب به
ل«شمس الدين» ابن القاضي، ب«الجناب العالی»، وهو:

الحمد لله الذي زاد «شمس» الأولياء إشراقاً، ومنحه في هذه الدولة الشريفة إرفاداً
وإرفاقاً، وصان الثغور المحروسة بعزباته التي سرت قلوباً وأقرت أحداقاً، وجددت
لأوليائها من مواهبها عطاءً وفاقا.

نحمده على حكمه وفعاله، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمنح
قائلها مزيد فضله؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أيده الله بملائكته
المقربين، وشده أزره من أصحابه بالآباء والبنين؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أئمة الدين، صلاة تمنح قائلها عرف الجنان (والعاقبة للثقلين) وسلم تسليماً كثيراً.
وبعد، فإن من شيم هذه الدولة إذا بدأت تعود، وإذا نظرت تجود، وإذا
قدمت ولياً لحظته بأعين السعود.

وكان الجنابُ العالی - أدام اللهُ نِعْمَتَهُ - عَيْنَ القِلَادَةِ ، وَبَيْتَ السِّيَادَةِ ، وَمَعْدِنَ السَّعَادَةِ ؛ وَأَهْلًا أَنْ يُدَبِّرَ الْأُمُورَ ، وَيَسُدَّ الثُّغُورَ ؛ وَنِيَابَةَ اللَّادِئِيَّةِ مَجَاوِرَةَ البُحُورَ ، وَجَزِيرَةَ العَدُوِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا نَهَارٌ فَهِيَ فِي أَمْرِهَا لَهُ قَاعِدَةٌ فِي التُّحُورِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَاهُ أَهْلًا أَنْ يَصُونَ نَحْرَهَا ، وَيَتَقَلَّدَ أَمْرَهَا ؛ وَيَحْفَظَ بَرَّهَا ، وَيُدْفَعُ شَرَّهَا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَعْلَى اللهُ تَعَالَى شَرَفَهُ - أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ اللَّادِئِيَّةِ المَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه .

فَلْيَسِرْ إِلَيْهَا سَيْرَ الشَّمْسِ فِي أَجْرَاجِ شَرَفِهَا ، وَلْيُقْبَلْ عَلَيْهَا إِقْبَالَ الدَّرَّةِ عَلَى التَّرَائِبِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ صَدَفِهَا ؛ وَأَوَّلُ مَا نَأْمُرُهُ [بِهِ] : إِرْهَابُ العَدُوِّ بِالْعُدَّةِ وَالْعِيدِ ، وَإِظْهَارُ المَهَابَةِ فِي القَرِيبِ وَالبَعِيدِ ، وَتَفْقُدُ الأَيْزَاقِ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اتِّكَالٍ عَلَى سِوَاهِ كَمَا يَفْعَلُ البَطْلُ الصَّنِيدِ ، وَلِيُخْلَعَ عَنْهُ مَلَابِيسُ الوَشْيِ وَيَلْبَسَ الحَدِيدَ ، وَلِيَهْجُرَ المَضَاجِعَ وَيَتَّخِذَ ظَهْرَ جَوَادِهِ مَسْتَقَرَّهُ العَتِيدَ ، حَتَّى يَنْتَشِرَ لَهُ صَيْتٌ بَيْنَ أَهْلِ التَّثْلِيثِ كَمَا أَنْتَشَرَ صَيْتُهُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَأَبْسُطُ بِسَاطِ العَدْلِ لِيَطَّاهُ المَوَالِي وَالعَبِيدَ ، وَأَحْكُمُ بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ مُفِيدٌ وَالبَاطِلُ مُبِيدٌ ، وَمَتَى تَسَامَعَ التُّجَّارُ بِعَدْلِكَ جَاءُوا بِالأَصْنَافِ وَالمَتَجَرِّجِ الجَدِيدِ ، وَأَرَكُنْ إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى رُكْنِ شَدِيدٍ ، وَأَتَقَى اللهُ تَجِدُهُ أَمَامَكَ فِيمَا تَرُومُ وَتُرِيدُ ، وَتَمَسَّكَ بِالسَّيْرِ الحَسَنَةِ يَزِدْكَ اللهُ رِفْعَةً وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالمَزِيدِ ، وَعَقِبَهَا نَسْتَنْجِزُكَ تَشْرِيفًا شَرِيفًا مَقْرُونًا بِتَقْلِيدِ أعْظَمَ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ ؛ وَاخْطُ الكَرِيمَ أَعْلَاهُ حِجَّةً بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



تَوَقِّعُ بِنِيَابَةِ قَلْعَةِ حَصْنِ الأَكْرَادِ ، كُتِبَ بِهِ لِشَهَابِ الدِّينِ «أحمد الناصري» ،

وهو :

الحمد لله الذي أطلع في سماء الدين شهابا، وفتح لمن خافه وآتقاه إلى الخيرات
أبوأبا، وحباه من إفضاله وألبسه من حلال إنعامه ونعمائه أثوابا .

نحمده على نعمه التي أبجل لنا بمزيد حمدها أنعمًا وثوابا، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة نتخذها من النار حجابا، ونعتد بها في الآخرة مفازا حدائق
وأعنابا، وكواعب أترابا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شرفه على الأنبياء
منصبا ونصبا، وسبي بطلعته وطليعته قلوبا وأحزابا، وقربه إلى أن كان قاب قوسين
وأسمعه من لذيذ كلامه خطابا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه : أكرم به وبهم
آلا وأصحابا ! ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أنتدب، لحفظ المعامل الإسلامية وأنتخب، وأخرى من
لحظته عين عنايتنا فكان إليها من العين أقرب، وأحق من اعتمد على بسالته
وإيالته بما سبر من الأنام والأيام وجرب - من عرف بشجاعة أين منها عمرو بن
معدى، وأمانة كفت حين كفت كف التعدي، وعفة جعلها في أحواله كلها نصب
العين، وسياسة ما زال يصلح بها بين ذوى المشاققة ذات البين، وكان فلان هو
الموصول المقدم، الموصوف بهذه الصفات التي سر الساجل بها فتبسم .

فلذلك رسم بالأمر - لا زال يطبع في آفاق الحصون المصونة شهابا، ويرفع
الأولياء بإحسانه الذي يؤكدهم في جوده أسبابا - أن يستقر ^(١)
حصى الأكراد المحروس وأعمالها، على عادة من تقدمه ومستقر قاعدته .

فليأشروا أوليائنا وأولينا : مباشرة تسفر عن حسن فطنته وذكائه، وتضيء
الآفاق بنور شهابها وسنائها، وتظهر معروفها المعروف بعدم غيبته وخفائه، معتمدا

(١) بياض بأصله ومراده الجناب العالى . أو المجلس العالى .

على الله تعالى في إبدائه وإنهائه ، شارحاً لكل قلبٍ لأنه إحسانه بعد غلظته
وجفائه ، مانحاً من بحر جوده وعدله بالدر لا بجفائه ، مكرماً لمن بهذا المعقل : من
أمرائه وأجناده وأغنيائه وفقرائه ، مقيماً لمنار الشرع الشريف الذي لا تستقيم
الأموار إلا بمتابعته وإبدائه ؛ وليظهر من شجاعته وبسالته ما لا فائدة في خفائه ،
وليظهر سيفه ، في وجه من أظهر حيفه ، وعدم خوفه ، من سطوة ربه وكرامته .

وأعظم ما نوصيه به التقوى ، فإنه بملازمتها يقوى ، على دفع الشر وفعل الخير
وإسدائه ، والوصايا كثيرة وهو المحترَّب بالعمل بها لمن يرغب في أسديلائه ، والله
تعالى يحرق بشهاب عدله كل مُتمرِّد



وأعلم أنه ربما كتب توقيع نائب حصن الأكراد مفتتحاً بـ «أما بعد حمد الله» .
وهذه نسخة توقيع نبياية حصن الأكراد ، كتب به باسم «شهاب الدين الجاكي»
بـ «الجناب العالی» ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل شهاب الدين يتنقل في مطالع سعده ، وجدد
أثواب النعماء لمن قدمت هجرته وظهر خيره فأنجزله الإقبال صادق وعده ؛ وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُبلغ قائلها إنالة قصده ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذي أيده الله بنصر من عنده ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا
من أنصاره وجنوده ، صلاة دائمة يبلغ المؤمن بها غاية رُشده ؛ وسلم تسليماً كثيراً - فإن
أولى من شمله إحسان هذه الدولة الشريفة وتوَلَّه مُرادُه ، وأجزل عليه النعم فكان
أحقَّ بها لحسن طويته فأجراه الله على أحسن عادته ، وبلغه غاية القصد ومعين
السعادة - من سلك مسالك الأمانة الثقات ، وأشتهرت عنه العفة وحسن الصفات ،
فتعين تقديمه وتقريبه إلى أجل ولايات الفتوحات .

ولما كان فلان - أدام الله عزه، وأنجح قصده - هو المنعوت بصفات السداد، المشهور بالتهضة والشجاعة في هذه البلاد؛ الذي حوى المكارم والإفضال، ووافق خبره خبره في سائر الأحوال .

فلذلك رُسم بالأمر - لزال شهاب فضله ساطعا، ونور إحسانه لامعا - أن يستقر المجلس العالی الشهابي المشار إليه في ولاية الأعمال الحِصينية والمناصف عوضا عنهما، على عادته وقاعدته : لأننا وجدناه شمس أعيان الأمائل، وألقيناه قليل النظير والمضاهي والمائل؛ وعليه عُقدت أخصاص، وأتفقت الآراء الثاقبة في الباطن والظاهر؛ ولما جمع من كرم الشيم وجميل الخلال، وحاز من النباهة الرفيعة الذرا المديدة الظلال .

فليتوجه إلى محل ولايته، وليظهر ما أمكنه من العدل والإنصاف في ضمائه بحسن سياسته؛ ولينصف المظلوم ممن جار عليه وأعدى، ويتبع في ذلك ما يوضح له من طريق منار الهدى؛ وليبسط المعدلة ويمد باعه، وليبد الظلم ويقصم ذراعه؛ وليصرف همته في عمارة البلاد، وتأمين العباد، وسؤلك سبيل الرشاد؛ وليجتهد في سد الخلال، وإصلاح ما فسد بغيره من الأحوال؛ وليجعل تقوى الله محجته، وأتباع العدل محجته، وسؤلك الحق عدته؛ فقد جاءت التقوى في التنزيل مؤكده، ووردت في كثير من السور مرده؛ والله تعالى يعينه على ما ولّاه، ويحرسه ويتولاه، بعد الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة المرقب والولاية بها، كتب به اصلاح الدين «خليل»، «بـ» بالجناب العالی، وهي :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة مقرونة بالتأييد والنجاح ، ووفق أولياءها إلى سلوك سبل السعادة وشيها بالصلاح ، وخولهم في أيامها المراتب العلية ليبتهلوا بأدعيتهم وبدوامها في المساء والصبح .

نحمده على نعمه التى لا يبرح مخلصها في ازدياد وأرتياح ، ونشكره على آلائه شكراً نستحق به المزيد كما أوضح في القرآن أكل إيضاح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معلنة بالفلاح ، وأن محمداً عبده ورسوله الذى أنزل عليه في محكم كتابه العزيز : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام الأشباح ، ما ترنم طائر على غصن وحيل الداعي إلى الفلاح ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عِدت به نيابة أجل المعاقل والثغور وفوضت إليه ، وعول في حفظها ومباشرتها الحسنة الجميلة عليه - من عِدت على حزمه الخناصر ، وورث الشجاعة والشهامة كإبراً عن كإبر ، وهو الذى نتما فرعاً وزكاً [أصلاً] ، وفاق في المكارم على نظرائه قولاً وفعلًا ؛ فأضحى وإفر الثناء واضح الغرر ، شاهداً له به العين والبصر . ولما كان فلان هو المنعوت بهذه الصفات ، والموصوف في مواقف الحروب بما لديه من الثبات والثبات ؛ المشكورة خدمته ، شاماً ومضراً ، المشهورة بين الهمم همته ، براً وبحراً .

فلذلك رسم ... - لازالت مراسيمه الشريفة مبنوثة بالعدل والإحسان ، ومعدلته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة المرقب المحروس ، والولاية بالأعمال الشرقية ، وما هو منسوب إليها ، على العادة في ذلك ومستقر القاعدة : إذ هو أحق بها وأهلها ، وأكمل [من] يجمع شتات شملها .

فليباشِرْ ما نُدِبَ إليه من هذه الجهات مباشرةً تقصُرَ الأفكارُ عن تَوْهَمِها ،
والأبصارُ عن تَوْسَمِها ؛ والخواطِرُ عن تَحْيَلِ مَبْنِها ، و [الأذهانُ] عن تَمَثُّلِ صُورَتِها
ومعناها ؛ وليكن لمصالحها مَتَمِّحًا ، ولأحوالِ رجالها مَتَصَفِّحًا ، ولأقدارِ جهاتها مُرَبِّحًا ،
وللخواطِرِ بأداء أحوالها على السدادِ مُرَبِّحًا ؛ ولوظائفِها مُقِيًا ، وللنظرِ في الكبيرِ والصغيرِ
من مصالحها مُدِيمًا ؛ ولحُرْمَتِها مُضَاعِفًا ، وعلى كُلِّ ما يتعيَّنُ الاحتفالُ به من مُهمَّاتِها
واقفاً ؛ ويُعدِّدُ للعدُوِّ المَخْذُولِ عندَ تَحْرُكَةِ العِزِّمِ الشَّدِيدِ ، وَيَجْرُ لِبَسِّ الوَشِيِّ وَيَتَأَلَّفُ
لِبَسِّ الحَدِيدِ ، وَيَتَّخِذُ ظَهْرَ جَوادِهِ مُسْتَقَرَّهُ العَيْدِ ؛ وَيَسْمُرُ لِلجِهَادِ ذِيلاً ، وَمَعَاذَ اللَّهِ
أَنْ يَمِيلَ عَنْهُ مَيْلاً ؛ وَيَسْطِرُّ العَدْلَ للرَّعِيَّةِ ، وَيُعَامِلُهُمُ المَعَامِلَةَ المَرَضِيَّةَ ، وَيُحْسِنُ
إلى الأُمراءِ البَحْرِيَّةِ ، وَيُلَاحِظُ مصالحَهُمُ في كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَيَتَفَقَّدُ الرِّجالَ ، وَأَرْبابَ
الأدراكِ والشَّوانِي وَيُحَدِّرُهُمُ مِنَ الإِهْمَالِ ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْيَقَظَةِ والأَحْتِرازِ في اللَّيْلِ
والنَّهارِ وَسائِرِ الأحوالِ ؛ وَليعْمَلُ ما يَحْتَاجُ إليه من آلاتِ الجِهَادِ وَلِيَكُنَّ على حَدَرٍ
مما يَتَجَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَلِيُوقِعَ الرَّهْبَةَ في قلوبِ الأعداءِ بِحَيْلِهِ في اليَقَظَةِ وَخِيالِهِ في النَّومِ ؛
وَيَتَفَقَّدُ الموانِي في سائِرِ الأوقاتِ في اللَّيْلِ والنَّهارِ ، وَلِيُحَدِّرَ أُمراءَ الأيْزَاقِ مِنَ الغَفَلَةِ
فإنَّ الغافِلَ لا يَزالُ على شَفَا جُرْفِ هَارِ .

وليتق الله في أقواله وأفعاله . والوصايا كثيرة وهو أدربُ بها وأدري ، وأبوابُ
الخيراتِ واسعةٌ وهو إليها أسرعُ وأجري ؛ وليشكر الله تعالى على ما ولَّاه ، والاعتمادُ
على الخطِ الكريمِ أعلاه .



وهذه نسخةٌ تُوَقِّعُ بِنِيا بَةِ حِصْنِ عَكَارِ ، كُتِبَ بِهِ لـ «ناصر الدين الكردي» ،

بـ «الجناب العالی» ، وهي :

الحمد لله الذى نصر هذا الدين الحنيفى بسيد البشر، وخص هذه الدولة الشريفة بالتأييد والظفر، ووفى الأولياء بجودها الذى لم يزل من ذمة الوفاء يُنظر .

نحمده على منته الذى طالما بدا فى جبهات الأولياء بشره وظهره، ونشكره على جوده الذى أغنى عن التحجيل والغرر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنجى قائلها يوم الفزع الأكبر، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام الله بسيفه الإيمان فأشتهر، وكف به يد الطغيان وزجر، صلى الله عليه وعلى آله ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له خدم عديده، وعرفت له فى أجل الثغور مباشرات سعيده، وأشتهرت شهامته وكفايته فى الآفاق، وظهرت أمانته ظهور الشمس فى الإشراق، وتقدم بذلك على نظرائه وفاق .

ولما كان الجناز العالى هو المنعوت بهذه الصفات الجميلة، والمحتوى على هذه المزايا الجليلة، الذى شاعت شجاعته مع طهارة يد، ولا تجب فإن هذا الشبل من ذاك الأسد!، وسارت الرجان فى الممالك بنهضتهما فى المباشرات، وسدّ الخلل فى المهمات المعضلات .

فلذلك رسم ... - لازلت أيامه مبنوثة بالعوارف والإحسان، ومعدته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة حصن عكار المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، بالمرتب الشاهد به الديوان المعمور .

فليقدم خيرة الله تعالى ويتوجه إليها، ويصرف وجه الإقبال عليها، وينظر فى عمارتها ومصالحها، ويستدرك ما استهدم من بيوت حواصلها، ليصبح وجه هذا الثغر

(١) لعل الصواب «فان أولى الأولياء بالمناصب من رعيت» الخ ليستقيم الكلام .

بِحُلُولِهِ بِهِ بِاسْمَا، وَيُنْشِرْ لَهُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ وَبِحَمِيلِ تَأْيِيرِهِ عَالِمًا؛ وَلِيُحَسِّنَ إِلَى الْأَمْرَاءِ
الْبَحْرِيَّةِ، وَيُنْزِلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ الْمَرْضِيَّةِ؛ وَلِيَعْدِلَ فِي الرَّعِيَّةِ، وَيُنْصِفَ
الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ؛ وَيُنْزِمَ أَرْبَابَ الْوِظَائِفِ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ وَالرَّجَالَ
بِالْخِدْمَةِ بِالنُّوبَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَيُوصِلَ إِلَيْهِمْ مَعْلُومَهُمْ مِنْ جِهَاتِهِمُ الْمَعْتَادَةَ؛ وَيَتَّبِعَ
الْحَقَّ الْحَقَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ، لَا يَقْتَدِي بِرَأْيِ زَيْدٍ وَلَا عَمْرُو؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالْعَدْلِ
فِي وظيفته، فَإِنَّ كُلَّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمُعْظَمُهَا تَقْوَى اللَّهِ
فِي سَائِرِ الْأُمُورِ: فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا يَقْوَى، فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْأَقْوَى، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِي السِّرِّ
وَالنَّجْوَى؛ بَعْدَ الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ.



وهذه نسخة توقيع بناية بلاطنس بـ«الجناب العالی»، وهي:

الحمد لله الذي أسبغ نعمه على أوليائه، وأجزل كرمه على أصفيائه؛ ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنجي قائلها من ويلات العذاب، وتُجدد له
أسباب السعادة في الدنيا ويوم الحساب؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث
بالتور المبين، المخصوص بالدين المتين؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأهله
وأصفيائه وأترابه.

وبعد، فإن القلاع المنصورة مما يتعين الاحتفال بأمرها، والأهتمام بحفظ
رجالها في سرها وجهرها؛ ومن أجل قلاع الساحل المحروس، وأجمل مساكن البحر
المانوس، قلعة بلاطنس.

فلذلك رسم... - لا زالت صدقاته تشمل كل أوحد، وتجبر كل ولي أمجد - أن
يستقر... .. إذ هو الخبير، الذي ليس لمعرفته نظير، والضابط الذي يحقق على

الجليل والحقير، والنقيير والقطمير، والشجاع الذى هو فى يوم النضال على أخذ العدو
لقدير، والضّرغام الذى أعطاه الله القوة والمعرفة التامة فهو بهما جدير .
فليسر إلى الثغر المحروس، ويعتمد فى أموره ما هو فيه من الخبرة مغروس .



وهذه نسخة توقيع بتقدمة العسكر مجبلة ، كتب به لـ «صلاح الدين الحافظى» ،

بـ «الجناب العالى» ، وهى :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة تتقل كل ولي إلى درجات سعده ،
وتؤكد أسباب الارتقاء لمن حمدت ما أثره وحسنت سيرته فى اليوم والذى من بعده ،
وتجدد أثواب النعماء لمن ظهر خيرته وخبرته فأنجز له الإقبال صادق وعده .

نحمده على نعمه التى أجزلت لمستحقها مواهب رفته ، ونشكره على مننه التى
خصت كل كاف بتأثيل مجده ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
يلعبها قائلها غاية قصده ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيدته الله تعالى
بنصر من عنده ، وآمنه على وحي الرسالة فنصح الأمة غاية جهده ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا من أنصاره وجنده ، صلاة دائمة باقية يبلغ بها المؤمن
غاية رشد ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الجناب العالى لما تقدمت له مباشرات ، فى أجل الولايات وأحسن
النيابات ، وهو يسير فى كل منها أجمل سير ، ويحسن إلى رعيته فلا غرو أن يذكره
بكل خير ، كم قام بمهمات من غير عسف أهل البلاد ، وكم أعان الديوان المعمور
من غير ضرر للعباد ، وكم ميز أموالا فكانت أيام مباشراته أعياد ، وكم له من خدم
سار بها الركاب وبلغ بها المراد ، وكم أثنى عليه لسان القلم حتى نفذ المداد ،

وَكَمْ وُصِفَتْ هِمَمُهُ وَحُسْنُ تَأْتِيهِ فِي كُلِّ تَوْقِيْعٍ وَتَقْلِيْدٍ عَلَيَّ أَنَّ الْكَاتِبَ مَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا مَالَ عَنِ الصِّدْقِ فِيهَا وَلَا حَادَ .

فَاقْتَضَى مَحْمُودٌ رَأْيَنَا الَّذِي مَا بَرِحَ بَعُونَ اللَّهُ يُصِيبُ ، وَجَمِيلٌ فِكْرِنَا الَّذِي مَا دَعَوْنَاهُ لِأَمْرٍ إِلَّا وَبِالْإِصَابَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ يُجِيبُ ، أَنْ نُعَيِّنَ لَهُ وَظِيْفَةً نُزِيْحَةً فِيهَا مِنَ التَّعَبِ ، وَنُوَفِّرُهُ مِنْ تَبِعَاتِ الطَّلَبِ ؛ وَكَانَ مَنْ فِي تَقْدِمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ يَعْتَرِيهِ أَلَمٌ يَعُوْقُهُ عَنِ الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيْفَةِ وَالنُّزُولِ ، سِيْمَا فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ يَتَحَرَّكُ الْعَدُوُّ الْمَخْدُولُ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ ... - لَا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيْفَةُ تُسِرُّ أَسْبَابَ النَّجَاحِ ، وَعَوَارِفُهُ تُطَوِّئُ لَهَا أَرْضَ الْبُعْدِ عَنْ أَوْلِيَائِهَا كَمَا تُطَوِّئُ لِذِي الصَّلَاحِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ فِي تَقْدِمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةٍ ، عَلَيَّ عَادَةً مِنْ تَقْدِمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلِيَا شَرُّهَا مَبَاشَرَةً تَلِيْقُ بِسَجَاعَتِهِ ، وَنُعْهَدُ مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ ؛ وَلِيُكْرِمَ الشَّرْعَ الشَّرِيْفَ ، وَلِيُرَدِّعَ مَنْ يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ أَوْ يَحِيْفُ ؛ وَلِيَجْمَعَ الْأُمْرَاءَ الْمَقْدَمِينَ وَالْحَلِيقَةَ الْمَنْصُورَةَ عَلَيَّ الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيْفَةِ ، وَلِيَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُطِيفَةَ ؛ وَلِيَتَّقِظَ لِرُدْعِ الْعَدُوِّ الْمَخْدُولِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهَا أَسْتَرَعَيْنَاهُ أَمْرَ ذَلِكَ وَكُلَّ رَاعٍ مَسْئُولٍ ؛ وَلِيَتَحَقَّقَ أَنَّ الْعَدُوَّ الْمَخْدُولَ طَالِبٌ لِلْمُهَالِكِينَ مِنْهُمْ بِالنَّارِ ، وَهُمْ قَاصِدُونَ جَبَلَةَ فَلْتَكُنْ عِنْدَهُ يَقِظَةً وَأَسْتَبْصَارًا ؛ وَلِيُرْتَبِ الْأَيْزَاكُ وَلِيُعْمَرَ الْمَوَانِي بِالرِّجَالِ ، وَيَتَفَقَّهُوا فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنَ النَّهَارِ ؛ وَلِيُهْجِرِ النَّوْمَ فِي طَلَبِ الطَّفَرِ وَالْمُنَى فَمَنْ سَهَرَ لِذَلِكَ مَا خَابَ ، وَلَا يَأْمَنُ مَكِيدَتَهُمْ وَيَغْتَرُّ بِهِمْ فَيَقُولُ : قَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا بُسُورٌ لَهُ بَابٌ ؛ وَبَاقِي الْوَصَايَا فَهِيَ بِهَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ يَبْرَحْ مُتَلَفِعًا بِثَوْبِهَا الْمُعْلَمِ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا يَأْتِمُّ ، وَمَنْ تَرَكَهَا يَنْدَمُ ، وَمَنْ لَزِمَهَا فَهِيَ فِي الدَّارَيْنِ مُقَدَّمٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوْلَاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَيَّ الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ رَبَّمَا أَفْتَحَ تَوْقِيعُ مَقْدَمِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةَ بِ«أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» .
تَوْقِيعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةَ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لِحَسَامِ الدِّينِ الْعَلَاؤِيِّ بِ«بِالْجَنَابِ
 الْعَالِي» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُجْزَلُ لِكُلِّ وَليٍّ مِنْ مَوَادِّ فَضْلِهَا لِإِنْعَامًا ، وَتَمَنِّحُ
 مِنْ عَوَارِفِهَا أَقْسَامًا ، وَتَبْلُغُ مِنَ النُّجُوحِ لِدَوَى الْأَسْتِحْقَاقِ آمَالًا وَتَجْعَلُ فِي نُحُورِ
 الْبَاغِينَ حُسَامًا ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالوَحْدَانِيَةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ لِلْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ لِزَامًا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ
 فِي الْجَنَاتِ مَقَامًا ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي مَحَا اللَّهُ بُنْيُوتَهُ عَنِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
 آثَامًا ، وَشَرَّفَهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ ظَفَرُوهُ وَبَايَعُوهُ دُهُورًا وَأَعْوَامًا ، صَلَاةً دَائِمَةً تَزِيدُ مُرَدِّدَهَا عِزًّا وَإِكْرَامًا -
 فَإِنَّ الْأَهْتَامَ بِكُلِّ جِهَةٍ هُوَ عَلَى قَدْرِهَا ، وَالْعِنَايَةَ بِقَطْرِهَا .

وَمَا كَانَتْ مَدِينَةُ جَبَلَةَ الْمَحْرُوسَةِ مَخْصُوصَةً بِمَقَامِ بَرِّ ^(١) السَّنَدِ ، الرَّاهِدِ الَّذِي
 تَرَكَ الدُّنْيَا وَالْأَهْلَ وَالْوَالِدَ ، وَالْوَالِيَّ الْمُبَرِّزَ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ ، وَالْمَتَوَكِّلَ الَّذِي لَمْ يَدَّخِرْ
 قُوَّةَ سَاعَةٍ لِسَاعَةٍ أَعْتَادًا عَلَى الرَّازِقِ - تَعَيَّنَ النَّظْرُ فِي أَمْرِهَا وَحِفْظِهَا مِنَ الْعَدُوِّ
 الْمَخْذُولِ ، وَإِنْ كَانَ بِهَذَا السَّيِّدِ السَّنَدِ قَد تَبَيَّنَ حِفْظُهَا ، وَكَانَ فَلَانٌ مِّنْ بَاشِرِهَا
 فَأَحْسَنَ فِيهَا الْمُبَاشَرَةَ ، وَكَلَّأَ حِفْظَهَا بِبِقَظَّتِهِ وَعَيْنِهِ السَّاهِرَةَ - أَفْتَضَى رَأْيُنَا أَنْ نُعِيدَهُ
 إِلَيْهَا ، وَنُسَبِّغَ ظِلَّهُ عَلَيْهَا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ حُسَامَهُ قَاطِعًا مِنَ الْأَعْدَاءِ نَحْرًا ، وَفِعْلُهُ صَالِحًا دُنْيَا
 وَأُخْرَى - أَنْ يُعَادَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ إِلَى تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةَ الْمَحْرُوسَةِ ، عَوْضًا
 عَمَّنْ بَهَا ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعَدَتِهِ .

(١) بياض بالأصول ولعله بركات السيد السند .

فَلْيَعُدُّ إِلَيْهَا عَوْدَ الْحُسَامِ إِلَى غَمْدِهِ ، وَالْمَاءِ إِلَى مَهْلٍ وَرَدِهِ ؛ وَلْيُقَدِّمَ خَيْرَةَ اللَّهِ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهَا ، وَلْيَبْسُطِ الْعَدْلَ لِيَأْمَنَ أَهْلُهَا بِقُدُومِهِ عَلَيْهَا ؛ وَلْيُكْرِمَ مِنْ بَهَا مِنَ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَيُحْسِنَ إِلَى الرَّعِيَّةِ بِهَا لِيُصْبِحَ خَيْرَ مَشْكُورٍ ؛ وَلْيُنْصِفِ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيَنْشُرَ لِلشَّرْعِ الشَّرِيفِ عِلْمَهُ ؛ وَلْيُخَلِّصِ الْحَقَّ مِنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَالذِّنِّيِّ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلْيَلْزِمَ مِنْ بَهَذَا الثَّغْرِ بِعَمَلِ الْبِرِّ الْمَعْتَادِ ، وَالتَّيَقُّظِ لِأَمْرِ الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْتِهَادِ ، وَلْيَلْزِمَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُنُّهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا يَرْجُو مِنَ الْأَمَالِ .



وهذه نسخُ تَوَاقِيعَ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ الدِّينِيَّةِ بِطَرَابُلُسَ .

تَوَاقِيعُ بِنظَرِ الْحِسْبَةِ بِطَرَابُلُسَ ، كَتَبَ بِهِ لِلْقَاضِي « نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ شَيْصَةَ » وَهُوَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، وَمَوْصِلِ الْأَرْزَاقِ عَلَى يَدِ أَصْفِيَاءِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَمُعِيدِ كُلِّ وِلِيٍّ إِلَى مَنْصِبِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْمُبِينِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَدَّحَرُهَا لِيَوْمِ الدِّينِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الصَّادِقَ الْوَعْدِ الْأَمِينِ ، الَّذِي أَرْسَلَهُ بِوَأَضَحِّ الْجُحُجِّ وَمُحْكَمِ الْبَرَاهِينِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا عَرَبِيًّا مُبِينًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْمَجْجَلِينَ ، صَلَاةً مُسْتَمِرَّةً عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسِّنِينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ غَزَرْنَا مَوَادِّ رِفْدِهِ ، وَأَجْرُنَا لَهُ حُطُوظَ سَعْدِهِ ، وَبَلَّغْنَا مِنْ إِقْبَالِنَا غَايَةَ قَصْدِهِ ، وَحَمِدْنَا تَصَرُّفَهُ مِنْ قَبْلِ عِنْدِ مَارَسَمِ مَا جُدِّدَ [مِنْ] بَعْدِهِ ؛ وَأَعَدَّنَا إِلَى رُتْبَةِ أَلْفَتْ مِنْهُ حُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ ، وَعُرِفَ فِيهَا بِالْكِفَايَةِ وَالصِّيَانَةِ

وَيَمِّنُ التَّائِبِينَ - مَنْ لَهُ وَسَلَفُهُ فِي الْمَبَاشِرَاتِ الْجَلِيلَةِ يَدُّ طَوْلَى ، فَكَانَ بوظيفته
أَحَقَّ وَأَوْلَى .

ولما كان المجلسُ العالى هو الْمُتَصِفُ بصفات الكمال ، المشكور في سائر الأحوال ؛
فلذلك رُسم بالأمر - أنفذه الله في الآفاق ، وأجراه بِصَلَةِ الأرزاق - أن يُعادَ فلانٌ
- أدام الله نِعْمَتَهُ - إلى نَظَرِ الحِسْبَةِ الشريفة بالمملكة الطَّرَابُلسِيَّةِ على عادته وقاعدته ،
مُضَافاً إلى ما بيده من بَيْتِ المَالِ المَعْمُورِ : لِأَنَّهُ الفاضلُ الذى لا يُجارى ، والعالمُ
بأحوال الرعيَّةِ فلا يُناظرُ في ذلك ولا يُمارى ؛ والفيلسوفُ الذى يُظهِرُ زَيْفَ كُلِّ
مُرِيْبٍ ، والنَّحْرِيُّ الذى بَجِبْرَتِهِ يَسِيرُ كُلَّ حَبِيبٍ وَلَيْبٍ .

فليُنظَرُ في الدقيقِ والجليلِ ، والكثيرِ والقليلِ ؛ وما يُحْصَرُ بالمقادير وما لا يُحْصَرُ ،
وما يُؤَمَّرُ فيه بِمَعْرُوفٍ أو يُنْهَى عن مُنْكَرٍ ؛ وما يُسْتَرَى وَيُبَاعَ ، وما يُقَرَّبُ بِتَحْرِيهِ إلى
الجَنَّةِ وَيُبْعَدُ عن النارِ ولو لم يكن قد بَقِيَ بينه وبينها إلا قَدْرُ باعٍ أو ذِرَاعٍ ؛ وكلُّ
ما يُعْمَلُ من المَعَايِشِ في نَهَارٍ أو لَيْلٍ ، وما لا يُعْرَفُ قَدْرُهُ إلا إذا نَطَقَ لِسَانُ المِيزَانِ
أو تَكَلَّمَ فَمُ الكَيْلِ ؛ ولِيعْمَلَ لَدَيْهِ مُعَدَّلاً لِكُلِّ عَمَلٍ ، وَعِياراً إذا عُرِضَتْ عليه المَعاييرُ
يَعْرِفُ من جَارٍ ومن عَدَلٍ ، ولِيتَفَقَّدَ أَكْثَرَ هذه الأسبابِ ، وَيُحذِرُ من الغِشِّ : فَإِنَّ الدَّاءَ
أَكْثَرُ من الطعامِ والشَّرَابِ ؛ ولِيتَعَرَّفَ الأَسْعارَ ، ولِيسْتَعْلِمَ الأَخْبَارَ من كُلِّ سُوقٍ
من غيرِ إِعْلَامٍ لأَهْلِهِ ولا إِشْعارٍ ؛ ولِيقُمْ عليهم من الأَمْناءِ من يَنْوِبُ عنه في النَّظَرِ ،
ويَطْمَئِنُّ به إن غاب أو حَضَرَ ؛ ودارَ التَّقْوَدِ والضَرْبِ التى منها تَبَثُّ ، وقد يكونُ
فيها من الزَيْفِ ما لا يظهِرُ إلا بعدَ طَوْلِ اللَّبْثِ ؛ فَلْيَتَصَدَّ لِمُهْمَّاهُ بِصَدْرِهِ الذى لا يَخْرُجُ ،
ولِيعْرِضَ منها على الحَكِّ [من رأيه] ما لا يجوزُ عليه بَهْرَجٌ ، وما يعلقُ من الذهبِ
المَكْسُورِ ويروِصُ من الفِضَّةِ ويخرِجُ ؛ ولِيقُمِ الضَّمَانَ على العَطَّارينِ والطَّرِيقَةِ

في بَعِّ غرائب العقاقير إلا ممن لا يُسْتَراب فيه وهو معروف ، وبخَطِّ طَيْبٍ ماهِرٍ
لمريض مُعَيَّن في دواء موصوف ، والطَّرِيقَةِ وأهل النِّجَامَةِ وسائر الطوائف المنسوبة
إلى سَاسَان ، ومن يأخذُ أموالَ الرِّجَالِ بِالْحِيلَةِ وَيَأْكُلُهُم بِاللِّسَانِ ، وكلُّ إنسانٍ سُوءٍ
من هذا القبيل هو في الحقيقة شَيْطَانٌ لا إنسان ، فامْنَعَهُمْ كُلَّ الْمَنَعِ ، وَأصْدَعْهُمْ مِثْلَ
الرُّجَاجِ حَتَّى لَا يَنْجِبِرَ لَهُمْ صَدْعٌ ، وَصَبَّ عَلَيْهِمُ النَّكَالَ وَإِلَّا فَاتُجِدِي فِي تَأْدِيبِهِمْ
ذَاتُ التَّأْدِيبِ وَالصَّعْقِ ، وَمَنْ وَجَدْتَهُ قَدْ غَشَّ مُسْلِمًا ، أَوْ أَكَلَ بِإِطْلِ دِرْهَمًا ،
أَوْ أَخْبَرَ مُشْتَرِيًا بِزَائِدٍ ، أَوْ خَرَجَ عَنْ مَعْهُودِ الْعَوَائِدِ ، أَشْهَرَهُ بِالْبَلَدِ ، وَأُرْكَبْ تِلْكَ
الآلَةَ قَفَاهُ حَتَّى يَضْعَفَ مِنْهُ الْجِلْدُ ، وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ [من فقهاء المكاتب ، وعالمات
النساء وغيرهما من الأنواع ^(١)] مِمَّنْ يُخَافُ مِنْ ذَنْبِهِ الْعَائِثُ فِي سِرْبِ الطَّبَاءِ وَالْجَاذِرِ ،
وَمَنْ يُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ أَوْ مِثْلِهِ وَمَا يُجَاذِرُ ، أَرْشَقَهُمْ بِسِهَامِكَ ، وَزَلَزَلْ أَقْدَامَهُمْ
بِأَقْدَامِكَ ، وَلَا تَدَّعِ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَحْتَرَتْ أَمَانَتَهُ ، وَأَخْتَبَرْتَ صِيَانَتَهُ ، وَالنَّوَابِ
لَا تَرْضَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُحْسِنُ نَفَاقًا ، وَيُحْتَسِبُ لَكَ أَجْرَ اسْتِنَائَتِهِ إِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ
أَسْتَنْبَتَ ؟ فَقُلْتَ : هَذَا ، وَتَقَوَّى اللَّهُ هِيَ نِعْمُ الْمَسَالِكِ ، وَمَا لَكَ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ
بَلْ أَكْثَرُهُ إِلَّا إِذَا عَمِلْتَ فِيهِ بِمَدْهَبِ مَالِكٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُكَ وَيُرْشِدُكَ وَيُوقِّقُكَ
إِلَى أَحْسَنِ الْمَسَالِكِ .



تَوْقِيعٌ بِالْخَطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ بِالْجَامِعِ الْمَنْصُورِيِّ بِطَرَابُلُسِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْخَطِيبِ
«جمال الدين إبراهيم» ، بـ«المجلس السامى» بغير ياء ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالَ عودُ منابر الإسلام بماءِ إِحْسَانِهِ رَطِيبًا ، وَوَرْدُ
شِعَائِرِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ فِي أَيَّامِهِ الزَّاهِرَةِ قَشِيبًا ، وَمَوَاهِبُهُ وَمَنَاقِبُهُ تُقِيمُ لِمَادِحِهِ فِي كُلِّ

(١) الزيادة من «التعريف صفحة ١٢٦» وهى لازمة لاستقامة الكلام .

وَادِّ شَاعِرًا وَلِحَامِدِهِ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا - أَنْ يُرْتَبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْإِمَامُ، الْعَامِلُ :
 - رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلْفَ ، وَزَادَ مَجْدَ الْخَلْفِ - خَطِيْبًا وَإِمَامًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ
 الْمَنْصُورِيِّ بِطَرَابُلُسِ الْحُرُوسَةِ ، عَوَضًا عَنْ فُلَانٍ ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، وَبِمَعْلُومِهِ
 الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورِ الْمَسْتَقَرَّ بِاسْمِهِ ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : رِعَايَةَ لِأَهْلِيَّتِهِ الْوَاصِحَةِ
 الدَّلَائِلِ ، وَفَضِيلَتِهِ النَّاطِقَةِ الشُّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ الْخَائِلِ ، وَأَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي بِهَا تُعْرَفُ
 مِنْ أَبِيهِ الشَّمَائِلِ ؛ وَلِأَنَّهُ الصَّدْرُ ابْنُ الصَّدْرِ النَّجِيبِ ، وَالخَطِيبُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
 الْخَطِيبِ ؛ وَالْوَلَدُ النَّجِيبُ الَّذِي حَدَا حَدَّوْ وَالِدِهِ فِي الصَّلَاحِ مَا خَابَ وَلَا يَخِيبُ ،
 وَالنَّجْلُ النَّبِيَّةُ الْمُهَدَّبُ الَّذِي أَشْبَهَ أَبَاهُ فِي الدِّيَرِ وَالْوَرَعِ : وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ
 فِي النَّبَاهَةِ وَالتَّهْدِيبِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ الَّتِي هُوَ ابْنُ جَلَاهَا ، وَطَّلَاعُ ثَنَائِيهَا ؛ زَائِنًا حِلَاهَا ،
 زَائِدًا عَلَاهَا ؛ وَلِيَرَقْ ذِرْوَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَلِيَتَلَقَّ
 نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِي يُوجِبُ الْمَزِيدَ وَيُكَسِبُ الْمَزِيَّةَ ؛ وَلِيَقُمْ مَقَامَ وَالِدِهِ
 فِي هَذِهِ الرَّتْبَةِ السَّنِيَّةِ ، بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَصِدْقِ النَّيِّهِ ؛ مُجَلِّيًا فِي مِضْمَارِ الْبَيَانِ الَّذِي
 سَلَّمَتْ إِلَيْهِ أَعْتَنَهُ ، وَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِ أَرْمَتَهُ ؛ مُجَلِّيًا بِقَلَائِدِ الْمَوَاعِظِ وَفَرَائِدِ الْأَمْثَالِ أَعْوَادَ
 الْمَنْبَرِ الَّذِي لَوْ أَمَكَّنَهُ لَسَعَى إِلَيْهِ ، مُشَنَّفًا الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرِ الْأَوَامِرِ وَزَوَاهِرِ الزُّوَاهِرِ
 الَّتِي يَصْدَعُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَلْيَسِرْ كَسِيرَةَ وَالِدِهِ فِي الطَّرِيقَةِ الْمُثَلِّ وَسُلُوكِ الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ ، وَلْيَجْتَهِدْ فِي إِحْيَاءِ
 رُسُومِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَقْتِنَاءِ آثَارِهِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهَادَةِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشُّبْلُ
 مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ ؛ جَارِيًا عَلَى أَفْضَلِ الْعَوَائِدِ فِي دِيَانَتِهِ ، سَارِيًا بِأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ مِنْ
 صِيَانَتِهِ ؛ وَلْيُوصَلْ إِلَيْهِ مَعْلُومُهُ الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورِ الْمَسْتَقَرَّ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، عَلَى
 عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ : لِاسْتِقْبَالِ مُبَاشَرَتِهِ أَحْيَانًا الْوُجُوبِ وَأَزْمَانِ الْأَسْتِحْقَاقِ ،

رِزْقًا دَارًا ، سَارًا ، هَيَّيًّا ، مَرَضِيًّا ؛ من غير تَغْيِصٍ ، ولا تَقْيِصٍ ؛ والأَعْتَادُ عَلَى
الْعَلَامَةِ الْكَرِيمَةِ أَعْلَاهُ ، وَثُبُوتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَحْطَابَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «صَدْرُ الدِّينِ الْخَابُورِي» ، بِ«الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ» بِالْيَسَاءِ ، وَهِيَ :

رُسْمٌ ... - لا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا ، وَتُفَوِّضُ الْمَنَاصِبَ
الْمُنِيفَةَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَتُشَرِّفُ صُدُورَ الْمُحَافِلِ بِصُدُورِ الْعُلَمَاءِ فِي حَزْنِهَا وَسَهْلِهَا - أَنْ تُفَوِّضَ
إِلَى فُلَانٍ الْخَطَابَةَ بِالْجَامِعِ النَّاصِرِيِّ الْمَعْرُوفِ "بِجَامِعِ التَّوْبَةِ" بِطَرَابُلُسِ الْمَحْرُوسَةِ
وَجُوبًا وَتَعِينًا ، أَقْتَضَى فِي تَقَدُّمِ الْفَاضِلِ عَلَى الْمَفْضُولِ تَيَقُّنًا وَتَبَيُّنًا ؛ لِأَنَّهُ الْخَبْرُ الَّذِي
لَا يُجَارَى فِي فِضَائِلِهِ ، وَالْبَحْرُ الَّذِي يَجُودُ فِي جَيْدِ بُفَوَاضِلِهِ ، وَالصَّدْرُ الَّذِي مَلَأَتْ
بِفَوَائِدِهِ وَفَرَائِدِهِ بِزَمَانِهِ مَحَافِلَ صُدُورِهِ وَصُدُورَ مَحَافِلِهِ ؛ كَمَا نَطَقَتْ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ
بِأَفْوَاهِ الْمُحَابِرِ بِفَضْلِهِ فِي الْأَقَالِمِ وَالْآفَاقِ ، وَكَمْ مِنْ عِبَارَةٍ بِفِصَاحَةٍ وَبِلَاغَةٍ حَقَّقَتْ أَنَّهُ
بِهَاتِ الْفُصْحَاءِ وَالْبُلْغَاءِ وَفَاقَ ؛ لَقَدْ أَصْبَحَ شَمْلُ هَذَا الْجَامِعِ بِهَذَا الْفَاضِلِ الَّذِي
طَالَ أَرْتِقَابُهُ لَهُ جَامِعًا ، وَأَمْسَى وَقَدْ ظَفِرَتْ يَمِينُهُ مِنَ الْيَمِينِ بِهِ وَبِالْبُرْكَاتِ بِمَا لَمْ يَكُنْ
بِشَيْءٍ مِنْهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ طَامِعًا ، فَلِذَلِكَ بَادَرَ مِنْبَرَهُ الْمُنِيفِ وَحَلَّ لَهُ حَقُّوَتَهُ
مُسَارِعًا ، وَوَطَّأَ - لِأَمْتِطَائِهِ إِيَّاهُ - صَهْوَتَهُ ، وَغَفَرَ لِلدَّهْرِ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ فِيمَا
سَلَفَ مِنْهُ هَفْوَتَهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهُ الْخَطِيبُ الَّذِي اسْتَقَرَّ يُطَالَعُ الْمَنَابِرَ مِنْ خُطْبَتِهِ بِمَا يُفَجِّرُ
مِنَ الْعِيُونَ مَنَابِعَ الْمَدَامِعِ ، وَيُشَوِّقُ إِلَى الْآخِرَةِ : مِنْ أَلْفَاظٍ يُشْفَى بِهَا الْمَسَامِعُ ؛
وَأَنَّ قِسًّا لَا يُقَاسُ بِهِ فِي خُطْبِهِ وَعِظَاتِهِ ، وَأَنَّ سَحْبَانَ يُوَدُّ مِنْ نَجْوَاهِ أَنْ يَسْحَبَ ذَيْلَهُ
عَلَى مَاثِرَةِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ لِيُعْفَى آثَارَ فُلْتَاتِ كَلِمَاتِهِ وَلَفْتَاتِ لَفْظَاتِهِ .

فلبيا شرهذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مُدَكَّرًا ، وليا أمر عبادته ونهاهم عنه على
أسماعهم مُدَكَّرًا ، ويعلم أنه في المحراب مناخ لربه ، وأقف بين يدي من يحول بين
المرء وقلبه ؛ فليعتصم بالله عز وجل في قوله وفعله ، ويتيقن أن الكلمة إذا خرجت
من قلب لا تقع إلا في مثله .

وفي إحاطة علمه المشهور ، وفضله المشهود المشكور ؛ ما يغني عن وصية بها
يتدكَّر ، وتدكِّرة في صحيفة فكره تُرقم وتسطر ؛ ويوصل إليه معلومه على هذه
الوظيفة الشاهد به الديوان المعمور . وليوفر خاطره من التبديل في تحصيل معلومه
الجارى له وطلبه ، وليعامل بما يليق من الإجلال والإعظام بوظيفته الشريفة
والمحلّ العالى الرفيع من منصبه ؛ والعلامة الكريمة أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخ تواريخ لأرباب الوظائف الديوانية بطرابلس :

نسخة توقيع بشهادة الجيوش بطرابلس ، كُتِب به للقاضي بدر الدين «محمد
أبن الفرفور» ، ووالده يومئذ ناظر الجيوش بها ، بـ «المجلس العالى» ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى زين سماء المعالى ببدرها ، وأثبت فى رياض السعادة يانع
زهريها ، ورفع المناصب السنية إلى شرف محلها ومحل شرفها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة خالصة فى قولها وفعلها ، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله
بالملة الحنيفية قائما بقرضها ونقلها ، أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مبلغا لرسالات
ربه كلها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا ينحصر عددها ، ولا ينقضى أمدها ،
وسلم تسليما كثيرا - فإن أولى من خطبته المناصب من هو أحق بها وأهلها ^(١) فيها

(١) بياض بالأصل ولعله : وله فيها ، الخ .

نِسْبَةً لَا يُنْكِرُ فَضْلُهَا، وَمُبَاشَرَاتٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَشْهُورَاتٌ بِالْكَفَايَةِ وَالْعَقَّةِ فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ - حَرَسَ اللَّهُ جَنَابَهُ وَأَسْبَغَ ظِلَّ وَالِدِهِ - هُوَ الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ، وَشَمَسَ هَذِهِ الْهَالَةَ وَبَدَّرَ هَذِهِ الدَّارَةَ .

فَلذَلِكَ رَسْمٌ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَةً وَشَرَفًا، وَمَنَحَهُ فِي الْحِنَانِ قُصُورًا وَغُرَفًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : أَقْرَارًا لِعَيْنِ وَالِدِهِ، وَجَمْعًا لَهُ بَيْنَ طَرِيفِ السَّعْدِ وَتَالِدِهِ؛ لِأَنَّهُ التَّبَعَةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِيَاشِ السِّيَادَةِ، وَالزَّهْرَةُ الَّتِي بَرَزَتْ فِي كِيَامِ السَّعَادَةِ؛ فَلَا يَزَالُ فَرَعُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِسَعَادَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ يَتِمُّ إِلَى أَنْ يَتَّصَلَ، وَزَهْرَتُهُ تُزْهِى إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْإِنْمَارَ وَتَتَوَصَّلَ .

فِي بَاشِرِ هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ الْمُبَارَكَةِ مُبَاشَرَةً تَظْهَرُ فِيهَا كِفَايَتُهُ عِنْدَ الْإِنْتِقَادِ، وَتَجَمُّدُ فِيهَا عُقْبَى الْإِخْتِيَارِ وَالْإِخْتِبَارِ وَالرِّشَادِ؛ وَلَيْسَلُكَ فِي أَمَانَتِهِ سَنَنُ أَبِيهِ - أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهُ - الَّتِي أَحْكَمَهَا فِي كُلِّ مَا أَبْدَى وَأَعَادَ، وَيَتَّبِعُ طُرُقَهُ الْهَادِيَةَ إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ وَالْإِرْشَادِ؛ وَيُؤَيِّدُ مَا آكْتَسَبَهُ مِنَ الْوَالِدِ عَنْ سَلْفِهِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَذَا السَّنَدِ، وَلَا يُخْرِجُ عَنْ رَأْيِ أَبِيهِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ: هَذَا الشَّيْءُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ؛ وَيُشَمِّرُ فِي تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تُبْلَغُ بِهَا الْأَمَالُ، وَتَصْلُحُ الْأَحْوَالُ؛ وَلِيَتَنَقَّ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ بِعَزْمِهِ الشَّدِيدِ، بِنَفْسِهِ لَا بِالتَّقْلِيدِ، فَإِنَّهُ شَاهِدٌ وَمَسْئُولٌ، بِقَوْلِهِ يُوَفِّقُ فِي الْأَسْتِحْقَاقِ وَفِي النُّقُودِ وَالْكَيْوَلِ؛ وَتَقْوَى اللَّهُ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى؛ فَلِيَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهَا يَقْوَى؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ وَوَالِدُهُ بِهَا أَعْلَمُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَلِّكُهُ سَبِيلَ الْهُدَى فَإِنَّهُ أَنْجَحَ الطَّرِيقَ وَأَسْلَمَ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى عَوْنَهُ، وَيُدِيمُ صُونَهُ؛ وَالْأَعْتَادُ



توقيع بكتابة الدرج بطرابلس ، كتب به بـ «المجلس السامى» بالياء ، وهو :

رسم بالأمر الشريف - لازلت مراسمه العالمة تطلع في أفلاك المعالى بدرًا منيرا
هاديًا إلى الفضائل مأمونًا من السرار ، ومكارمه الوافية ترفع من أعلام المعانى صدرًا
كبيرًا رشيدًا فى البيان أمينًا على الأسرار ، ومراحمه الكافية تُقر عيون الأعيان
والأخبار - أن يرتب فلان - ضاعف الله تعالى أنوار فضائله التى ياتم بها المستضىء
والمهتدى ، ويعشوا إلى قراها المستعين والمقتدى - فى كتابة الدرج السعيد بطرابلس
المحروسة بما قرره من المعلوم الوارد فى الاستمار الشريف على ما يتعين بقلم الاستيفاء
جهته ، ويين تفصيله وجمته ، نظرًا إلى استحقاقه الظاهر ، وفضله الباهر ،
وبلاغته التى أفصحت عن بيان البليغ القادر ، وفصاحته التى بلغت الكمال بعون
الملك القادر ، وإطرايه ، فى إطنابه ، وإعجازه ، فى إيجازه ، فله فى الدلائل قدرة
«المنصور» وفى الفضائل قوة «الناصر» ، طالما أزهى بقلمه «المهتدى» للصواب ،
«السفاح» كالسحاب ، روض العلوم والآداب ، وأظهر بيانه «المتصر»
فى الخطاب ، «المقتدر» على الاقتضاب ، طرقت الفنون ، وأضحى العيون ، محكمة
الأسباب ، وسبل الحكم مفتحة الأبواب ، فهو بالسنا والسناء بدر «المستشد» ،
وبالحدا والجداء «مِعز» «المستجد» ، وبفرط الحيا والحياء سحاب المستمطر
و«المستظهر» ، وبغرب الذكا والذكاء برق «المستبصر» و«المستبصر» .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة «معتصمًا» بحبل التقوى ، «مستعصمًا» من المراقبة
بالسبب الأقوم الأقوى ، مجددًا رسوم هذه الصناعة التى ربعتها قد درس ومحلها
قد أقوى ، فإن «المتقى لله» «الراضى» به هو «الراشد» «الفائز» بالسعادة ،

و«المُتَوَكِّل» عليه «المُطِيع» له هو «الوَائِقُ» ببُلوغِ القَصْدِ الحائِزِ لِلاِرادَةِ ؛ وَلِيَطْرُقَ
حُلَّ البَيانِ بوشى بِنانِهِ الَّذى أَصْبَحَ دِيباجُ الطَّرْسِ بِهِ «مُعْتَرًّا» ، وَلِيَقومَ مَعانِي البَدِيعِ
بِعامِلِ قَلَمِهِ الخَطِّىِّ الَّذى أَمسى الفَضْلُ بِهِ كَالسَّمْهَرِيِّ قَائِمًا مُهْتَرًّا ؛ «مُسْتَكْفِيًا»
بِمَا يَصْرَعُهُ وَيُرْصَعُهُ نَظْمًا وَنَثْرًا مِنَ البَدائعِ ، «مُسْتَعْلِيًا» لِمَا يَرْفَعُهُ وَيَفْرَعُهُ مِنْ غَرَرِ
الفِقْرِ ، وَدَرَرِ الفِكرِ ، بِخاطِرِهِ الوَقادِ النَّقادِ المُنقادِ الطائِعِ ؛ «مُقْتَفِيًا» فِيمَا يُنشِئُهُ آثارَ
ما يُصدِرُ عن «الحاكم» و«الأمير» ، «مكتفيا» فِيمَا يُبديهِ بِمقدارِ ما تَبزُّزُهُ مِنَ المراسِمِ
والأوامرِ ، «حافظًا» للسرِّ «العزیز» كاتِبًا كاتِمًا فلا يُعْضِدُهُ فِيهِ «عاضدًا» ولا
يظْفِرُ بِهِ «ظافرًا» ؛ «مُعتمدا» على الكِتابِ في جَمِيعِ ما يورِدُهُ وَيُصدِرُهُ ، مُقْتَصِدًا
بِالتَّوفيقِ في سائرِ ما يُخْفِيهِ وَيُظْهِرُهُ .

والوصايا فمن آدابه تُستفاد ، والنصائح فلها منه المبدأ وإليه المعاد ؛ فليتسم ذروة
أعلاها ، وليتسم نفحة زياها



توقيع بشهادة دار الضرب بطرابلس ، وهو :

رُسم بالأمر - لازل رأيهُ الشريف يقرب من الأمور صوابا ، ولا برح أفق سماء
مملكته الشريفة يطالع بفلكه بدرًا منيرًا وشهابا - أن يرتب فلان ... : لأنه العدل
الذى أشتهرت عدالته ، والأمين الذى بهرت فظهرت أمانته ؛ والرئيس الذى ما برح
صدر المحافل ، والفاضل الذى فاق بفضله على الأقران والأماثل ، وشهدت بزاوته
المشهوره الأواخر والأوائل .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة مطابقة لعدالته المشهوره ، مربة عن أصلته المخبوره ،
موصحة عن ديانتته التى عدت في العالمين معروفة غير منكوره ؛ ليصبح هذا المنصب

مُشْرِقًا بِنُورِهِ ، سَنَى الْأَرْجَاءِ بِسَاطِعِ ضِيَاءِ شَهَابِهِ وَنُورِ بُدُورِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - غَنِيٌّ عَنِ وَصِيَّةٍ مِنْهُ تُسْتَفَادُ ، أَوْ تَتَّبَعُهُ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُ يُبْدَأُ وَإِلَيْهِ يُعَادُ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورَ هَنِيئًا مُيسَّرًا ، وَلَا يَقِفُ أَمَلُهُ عِنْدَهُ : فَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا .



تَوْقِيعُ نَظَرِ اللَّاذِقِيَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بُرْهَانَ الدِّينِ» الْأَذْرَعِيِّ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْآفَاقِ ، وَطَوَّقَ بِمَنِّهِ وَفَوَاضَلَ بِرِّهِ الْأَعْنَاقَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ - حَرَسَ اللَّهُ مُهَيِّجَتَهُ ، وَأَهْلَكَ حَسَدَتَهُ - فِي نَظَرِ اللَّاذِقِيَّةِ الْحَرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه وَقَاعَدَتَهُ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : عَلِمًا بِأَمَاتَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكَلَامَتِهِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَشْكُورِهِ ، وَخَبْرَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مَعْرُوفَةٌ غَيْرَ مَنْكُورِهِ ، وَكِفَايَتِهِ الْمَالُوفَةَ الْمُؤْفُورِهِ ؛ فَإِنَّهُ بَاشَرَ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ وَنَهَى وَأَمَرَ ، وَاتَّبَعَ فِي أَحْكَامِهِ مَا أَمَرَ بِهِ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ» ؛ وَضَبَطَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحُسْنِ نَظَرِهِ وَمَيِّزَ وَثَمَرَهُ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَيَسْتَرْفِعْ مَا لَهَا مِنْ الْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوصِلْ إِلَى أَرْبَابِ الْأَسْتَحْقَاقِ مَا لَهُمْ مِنَ الْحُقُوقَاتِ ، عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوُضُفَةَ مِنْ أَجْلِ الْمُبَاشَرَاتِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُيسَّرًا عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَه فِي الْفُرُوعِ وَسَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَّاتِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْأَعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



توقيع أيضا في المعنى .

لا زالت صدقاته الشريفة تُقيم لاتباع الحق برهانا، وتُسدى إلى كلِّ أحدٍ خيرا وإحسانا - أن يرتب فلان ناظرا بالأذقية المحروسة وما هو مضاف إليها، على عادة من تقدمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور : لأنه طالما باشر نظر بيت المال فوفر الأموال ، وأصلح ما فسد من الأحوال ، وسدد بحسن تدبيره الأقوال والأفعال ، وأظهر من الأمانة ما تميز به في مباشراته ، وفاق به على قرنائيه وأهل زمانه وأوقاته ، ثم باشر الحسبة فسلك فيها مسلك السر والجهر وصدق الخبر ، وسلك مسلك أمير المؤمنين عمر .

فليباشر هذا النظر بقلب مُشرِح ، وأملٍ مُنْفَسِح ، وليُظهر فيه ما جرب به من الأمانة ، وتجنب الخيانة ، وليجتهد في تحصيل أموال الديوان المعمور ، وينسبط قلمه في إصلاح الأمور، وليوصل إلى أرباب المرتبات ما هو لهم مُستحق ، فأنهم به أولى وأحق ، وليوصل إليه معلومه أو أن وجوبه وأستحقاقه



توقيع بمُشاركة حصن الأكراد ، كُتب به للقاضي « بدر الدين » بـ « المجلس العالى » ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمها العالية تُولى الأنام برًا، وتُجدد بإسباغ الإنعام بشرا، وتُصوغ في كلِّ نادٍ من أندية الثناء والدعاء نَشرا، وتُطلع في كلِّ أفق من آفاق السيادة من صُدور الأعيان وأعيان الصُدور بدرا - أن يرتب فلان في مُشاركة حصن الأكراد المحروس : لما هو عليه من العفة والصف ، والزاهة

التي عُرف بها وأتصف بها ، والرأسة التي أنتقلت إلى الخلف عن السلف ، والعدالة التي لا يتكلف لسلك نهجها : ومن العجب خلو البدر عن الكلف ! ؛ ثم حفظت بمباشرة الأموال ، وصلحت بملاحظته الأحوال ؛ وعقدت الخناصر على سيرته وحسن سيره ، وأشتهر بحملي تديره أوجب تقديمه على غيره .

فليأشر هذه الوظيفة التي هي من أجل الوظائف ، وليشكر ما أوتي من المعروف وأسدى إليه من العوارف ؛ وليبدل جهده في صلاح الأحوال ، وبثمير الأموال ، وتقرير القواعد على السداد ، وإجراء العوائد على وفق المراد ؛ فانه ممن دلت خبرته على بحيل آثاره ، ولاحت الغبطة في اختياره الذي أغنى عن تقديم اختياره ؛ كيف لا ؟ وهو ممن نشأ في خدور فنون الكتابة ، وأشتهر في مواطن النضال مع وفور الانتقال بحسن الإصا به ؛ فهو إن شاء الإشاء بلغ منه المرام ، وإن بسط الجرائد للتصرف قيل : هذا الكاتب النظام ؛ كم له من يد بيضاء في التبييض والتسويد ، وهمة علياء بلغ بها من السيادة ما كان يريد .

فليقدم خيرة الله تعالى في هذا الأمر ويجعلها إمامه ، وليتمسك بها مقتدياً بمن قدمها أمامه ، وليكن عند حسن الظن به ليلبغ من سعادة الدارين مرامه .
والوصايا التي يعم نفعها ، ويتعين على تناسب الأعمال جمعها ؛ به تسلك سبلها ، وعنه تؤخذ تفاصيلها وجمالها ؛ فليسلك منها الأقوم الأرشد ، وليتمسك بالأفود الأحمدة ؛ بحزم وافر ، وعزم غير قاصر ؛ وليتناول معلومه الشاهد به الديوان المعمور أحيان الوجوب والاستحقاق رزقاً داراً ، هنيئاً ميسراً ساراً ؛ من غير تفتير ولا تكدير ، ولا تنغيص ولا تأخير .

تَوْفِيعٌ بِمَشِيخَةِ الْمَقَامِ الْأَذْهَمِيِّ ، كُتِبَ بِهِ بِاسْمِ الشَّيْخِ «عَبْدَ اللَّهِ السَّلْطَوِيِّ»
بِ«الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ» ، وَهُوَ :

أما بعد حمد الله الذي سقى محلنا بياياه ، وأثبت عشبنا بسجاياه ؛ وأقرأنا كتاب وجهه وأغنانا عن وجه كتابه ؛ وجعل لكل مقام مقالا من صدق أوليائه ، ومنحهم بما اختار لهم من سرائر مواهبه وعطائه ، وجمع قلوب الفقراء على العبادة والدعاء بواسطة من أحببه وأخصاه بفضائله ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد نجم السرى ، وليث السرى ، وسيد من وطئ الثرى ، وعلى آله وصحبه الذين منهم من لو أقسم لأبر قسمه رب السما ، وسلم تسليما كثيرا - فلما كان الاعتناء بالأمور الدنيئة من الواجبات ، والحفاظة عليها [مما] تبادل إليه من النفوس الرغبات ؛ وبيوت الله تعالى فهي قوام الدين المتين ، ولا ينهض بمارتها إلا الذين اتقوا وآمنوا برب العالمين ، فطوبى لهم ونعم أجر العاملين .

ومن البيوت العامرة ، والسراة الطاهرة ، والمقامات التي إذا حل بساحتها أكمة العين بصرتة نجوما زاهرة - مقام من ذكر كرامته أشام في أقطار الأرض وأيمن وأنجد وأتهم ، السيد الجليل ولي الله «إبراهيم بن أدهم» ؛ سيد الأولياء ، وسطان الأتقياء ؛ رحمة الله عليه ما سار على الطريق سائر ، وما امتطى ظهر قلوب مسافر ، مقام بالزهد موصوف ، وبالبركات معروف ؛ وله الإطلاقات المشهورة ، والمناهل الماثورة ، في وردها المبرورة ؛ قد استولت عليه يد التبذير ، وعاد بعد طول سباطه في تقصير ، وأخلف فيه النبات فكان في كيس الفقير ؛ فكشف الله هذه النعمة ، وأدام سوايق النعمة ؛ وأسبل على هذا المقام ظلال الحرمة ؛

(١) لعل الصواب «فكان في كيس النفي بعد أن كان في كيس» الخ .

وأرسل الله على عباده المتقين باعناً من عنده ، وأيقظهم لعلمه بأن كلاً واقفٌ عند أمره وحده ؛ وأنطق لسان من لا رآد لأمره ، فكشف غمّة هذا المقام وعزل من يخاف عليه من سوء تدييره وشره .

فذلك رُسم - أن تفوّض مشيخة المقام الجليل الأدهمى بشعر جبلة المحروس - على ساكنه الرحمة والرضوان - إلى فلان - نفع الله ببركاته ، وأعاد على المسلمين من صالح دعواته - عوضاً عما كان بها يحكم انفصاله حسب ما وردت المراسيم الشريفة - شرفها الله تعالى وعظمها - عند اتصال العلوم الشريفة - زادها الله تعظيماً - بأمر المقام المشار إليه وأعتاد المتصرفين فيه : إذ وضعت الآن الأشياء في محلّها ، وأسندت الأمور إلى أهلها ، وفلّدت هذه المثوبة إلى من يظهر سرائر فضيلتها ؛ ولحظت الآراء حجر هذا المقام والأثر ، ولا شك أن السعادة تلاحظ الحجر ؛ كم له من آيات مشهوره ، وكرامات بلسان الحمد مدكوره ، ومساج في الخيرات مبروره ؛ وقد عمّ الزوايا بأجناس المكارم ، وبسط للزائرين من إكرامه سباطاً يقول الزائر : هذا ولا حاتم :

تزور دياراً زارها جود كفه ، * ومن دونها للزائرين مراحل ،
ونرجع عنها والجفون قريّة : * كما راجعت ماوى الحُقوف المساحل !

فليتلق - أعاد الله من بركته - هذه الولاية ، وليجعل للمشار إليه من خاطره الكريم أوفر عناية ؛ ويستخلف عنه إذا توجه إلى ^(١) بحصن الأكراد فإنها مستمرة بيده وولايتها باقية عليه ؛ وأمرها في إبدائه وإعادته عليه ؛ والله تعالى يتولاه ، فيما ولاه ؛ والاعتماد

(١) بياض بالأصل ومراده الى مشيخة ... بحصن الأكراد .

قلت : وقد أتيتُ على جملةٍ من توابع أرباب الوظائف : بدمشق وحلب
وطرابلس وأعمال كلِّ منها، يستغني بها الماهرُ عما سواها، ويقيسُ عليها ما عداها،
إذ لا سبيلَ إلى استيفاء جميعها، والإتيانِ على جملتها .

وفيما ذكر من هذه الممالك الثلاث تتيه على ما يكتب بحماسة وصفد اللتين هما
في رتبة طرابلس، وتلويحاً إلى ما عداها، مما هو دونها كغزة إذا كانت نيابة،
والكرك التي هي دون ذلك .

والله تعالى هو الهادي إلى التوفيق، والمرشد للسداد، بمنه وكرمه .

تم الجزء الثاني عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

وأوله المقالة السادسة

(فيما يكتب في المسامحات، والاطلاقات السلطانية، والطرخانيات

وتحويل السنين والتذاكر، وفيها أربعة أبواب)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل